



مكتبة

شفيق جبري

شَرَحَهُ

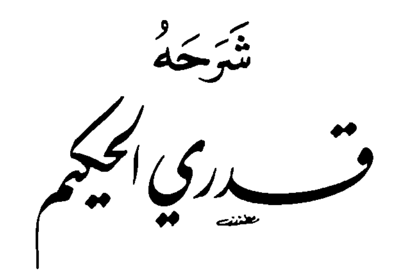
قدري الحكيم

دار قتيبة



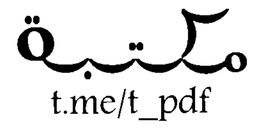
شفيق جبري

لهلاك الرحمة .. عذرا على التأخير



دار قتيبة

الطبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م





● شفيق جبري ●

بسم الله الرحمن الرحیم

ليتني!

ما أظن أن الأدب في جميع عصوره يقدس شيئاً
تقديسه للحرية، وهذه الأبيات إنما هي
تغنٍّ بالحرية، فالأدب لا تنضر أزاهيره
إلا في ظلال الحرية والأمة التي لا تتذوق
نغمة الحرية لا يلبث الأدب فيها أن
تجف ينابيعه.

نموذج من خط الشاعر

وهو مقدمة قصيدة « ليتني » ذات الرقم (٣٢)

شفيق جبري[1]

في سنة ١٨٩٨ أو ١٨٩٧ :

وُلد الشاعر[2] .

في سنة ١٩١٣ :

حصل على شهادة مدرسة اللعازاريين بدمشق . وسافر مع أهله إلى فلسطين ، ثم عاد إلى دمشق سنة ١٩١٧ .

بين سنة ١٩١٧ و ١٩١٨ :

قال الشعر[3] .

بين سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ :

أي في عهد الحكومة العربية تقلّد عملاً في دائرة المراقبة ، ثم في دائرة المطبوعات ، ثم أُنشئت الوزارة الخارجية ، وكان الوزير الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، والمستشار جميل مردم بك ، فعُيّن فيها أميناً للسر .

---

(١) المعلومات مستقاة من (إضبارته في المجمع) و (مجلة المجمع) و (أنا والنثر) و (أنا والشعر) .

(٢) كتب رحمه الله في إضبارته في المجمع ما يلي : « في ترجمة حالي المحفوظة في المجمع وردت سنة ميلادي ١٨٩٨ ، وقد رجعت إلى القرآن الكريم وهو لجدي المرحوم ، فوجدت ميلادي على الضبط : ليلة الأربعاء في ١٤ شعبان ١٣١٤ هجرية على حسب ما هو مدوّن على جلد القرآن الكريم ، وهي العادة القديمة » وهذا التاريخ الهجري يوافق (١٩ كانون الثاني ١٨٩٧)

(٣) كتب في ذيل قصيدته (الزمان) ذات الرقم (٦٦) يتحدث عنها وعن قصيدته (خيال الغد) ذات الرقم (٦٥) هذه الجملة « باكورة الشعر بين ١٩١٧ و١٩١٨ » .

في سنة ١٩٢٠ :

كان أصغر الأعضاء سناً في جمعية أدبية يرعاها الملك فيصل اسمها (الجامعة الأدبية) وكان أعضاؤها (خير الدين الزركلي والشيخ فؤاد الخطيب ويوسف حيدر والشيخ رضا الشبيبي ونجيب الأرمنازي وشفيق جبري) .

في منتصف سنة ١٩٢٠ :

حين دخل الفرنسيون تسلّم وزارة المعارف الأستاذ محمد كرد علي فعيّنه رئيساً لديوان الوزارة .

في سنة ١٩٢٦ :

انتُخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق

انتُخب عضواً مؤازراً في بغداد عام ١٩٧٠.

انتُخب عضواً مراسلاً في القاهرة عام ١٩٥٠.

في سنة ١٩٢٩

أنشئت في الجامعة السورية مدرسة الآداب العليا، فعُين مديراً لها بالوكالة، وأستاذاً فيها، بقي محتفظاً برئاسة ديوان وزارة المعارف، وفي هذه الفترة أصدر كتابيه (المتنبي) و (الجاحظ).

في سنة ١٩٣٤ :

ألغى الفرنسيون وظيفته في وزارة المعارف ، وألغوا مدرسة الآداب العليا ، فانصرف إلى المطالعة ، ونشر مقالاته وقصائده في الصحف والمجلات ، ومنها مجلة المجمع بدمشق . والثقافة بمصر. والحديث في حلب.

في سنة (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨) :

عُيّن عميداً لكلية الآداب في جامعة دمشق ، وأعيد انتخابه

أربع مرات خلال (١١) سنة ، حتى بلغ الستين ، وفي هذه الفترة أصدر (دراسة الأغاني) و (كتاب أبي الفرج الأصبهاني) وقد كلفه معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة أن يلقي محاضرات فيه ، فألقى خلال ثلاث سنين محاضرات جُمعت في ثلاثة كتب هي (محاضرات عن محمد كرد علي) و(أنا و الشعر) و (أنا و النثر) .

في سنة ١٩٥٨ :

تقاعد عن العمل لبلوغه الستين، وعُين رئيساً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الاقليم الشمالي.

في سنة ١٩٧٩ :

قال آخر قصيدة وهي (بعد الثمانين) ذات الرقم (٧٩) .

في سنة ١٩٨٠ :

توفي رحمه الله .

آثاره المطبوعة

١ ـ المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس . دمشق ، مطبعة ابن زيدون ١٩٣٠ .

٢ ـ الجاحظ معلم العقل والأدب . ط ١ : دمشق ، ١٩٣٢ ، ط ٢ : دار المعارف بمصر ١٩٤٨ .

٣ ـ العناصر النفسية في سياسة العرب . دار المعارف بمصر ١٩٤٥ .

٤ ـ بين البحر والصحراء (سلسلة اقرأ) دار المعارف بمصر ١٩٤٦ .

٥ ـ دراسة الأغاني . دمشق مطبعة الجامعة السورية ١٩٥١ .

٦ ـ أبو الفرج الأصبهاني . ط ١ دار المعارف بمصر ١٩٥٥ . ط ٢ : ١٩٦٥ .

٧ ـ محاضرات عن محمد كرد علي . معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة . مطبعة الرسالة ١٩٥٧ .

٨ ـ أنا والشعر . معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة . المطبعة الكمالية ١٩٥٩ .

٩ ـ أنا والنثر . معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة مطبعة نهضة مصر ١٩٦٠ .

١٠ ـ أرض السحر . وزارة الثقافة والإرشاد . دمشق مطبعة فتى العرب ١٩٦٢ .

١١ ـ نوح العندليب .

آثاره التي لم تطبع

١ ـ على صخور صقلية (رحلة إلى أوربة).

٢ ـ جبار القرن التاسع عشر أحمد فارس الشدياق.

٣ ـ أفكاري (مجموعة مقالات ومحاضرات) جزء ٢.

٤ ـ دراسة عن شوقي.

٥ ـ محاضرات الكويت.

٦ ـ الأدب الحديث.

كلمة المجمع

عرفَتْ دمشقُ بُعَيْدَ رحيلِ العثمانيين عنها أربعةَ رَهْطٍ من الشعراءِ نظراءَ متكافئين هم خير الدين الزركلي وشفيق جبري وخليل مردم بك ومحمد البزم ، كانوا طبقةً واحدة ، إن نهجنا في التسمية نهج ابن سلام في طبقاته . نشؤوا في رحاب دمشق ، وترعرعوا في جنباتها ، وأُشْربوا حُبَّ أرضها وسمائها ، وامتلأت قلوبُهم إيماناً بعروبتهم واعتزازاً ، فتغنَّوْا في أشعارهم آمال الأمة العربية ومطامحها ، ونددّوا بالقوى الاستعمارية الظالمة التي عاثت في الأرض العربية فساداً ، وأذاقت الجماهير العربية المناضلة في سبيل الحرية والوحدة مُرَّ العذاب .

دخل الأستاذ شفيق جبري محراب مجمع الخالدين بدمشق عام ١٩٢٦ م ، وظلَّ يشاركُ في أعماله ، ويوالي الكتابة في مجلته حتى وافاه اليقين عام ١٩٨٠ م ، وقد خلَّف تراثاً مذكوراً من المقالات الأدبية واللغوية والنقدية كان لها من السمات والملامح في طريقة التفكير ونهج المعالجة وحسّ التذوق وأسلوب العرض ما أفردها نمطاً خاصاً طُبع بطابعه وعُرف به .

وعدَّد الأستاذ جبري في ترجمته الذاتية المحفوظة في المجمع مؤلفاته العشرة المنشورة ، ومؤلفاته الأربعة التي لم يُقَدَّرْ لها أن تطبع بعدُ ، وكان أول هذه الأربعة : « ديوان شعر اسمه : نوح العندليب » .

وقد أقرَّ مجلس المجمع طبع الديوان تكريماً للفقيد الراحل ، وتنويهاً

بمنزلته ومكانته ، ووفاءً لذكرى الشاعر الكبير الذي تغنّى أفراح الأمة ، وأشاد ببطولاتها ورجالها الأمجاد ، وأسِيَ لأحزانها ، ودمدم على أعدائها المستعمرين .

وتلمح في كتب الأستاذ جبري ومقالاته ولاسيا كتابه « أنا والشعر » صورة للديوان وترتيبه ماثلة في ذهن صاحبه ، ولكن نسخة الديوان التي تسلَّمها المجمعُ كانت أوراقاً مضموماً بعضُها إلى بعض ، دون ناظم أو ضابط : جزءٌ منها منسوخٌ بالآلة الكاتبة ، وجزءٌ ثانٍ قصاصاتٌ من الصحف والمجلات ، والجزء الثالث مكتوبٌ بخط الشاعر .

وَكَلَ المجمعُ إلى الأستاذ قدري الحكيم أن ينهض بعبء ترتيب الديوان وتبويبه ، مستهدياً بالصورة التي يستشفُّها في آثار الشاعر المطبوعة ، وأن يضمَّ إلى ما يجده من مقدمات الشاعر ومن خواتمه لقصائده ما يُسعف القارئ ويأخذ بيده في تفهم الشعر وتعرُّف ملابساته ومناسباته ، مسترشداً بكتابه « أنا والشعر » خاصة ، وأن يُعْنَى بتفسير الألفاظ وتوضيحِ المعاني ليكون الديوان في متناول جمهرة القراء والناشئة العربية ، يترنمون بأشعاره ، ويرتاضون بأدبه ، ويتذوقون معانيه وأسلوبه ، وتخالط نفوسَهم مراميه الوطنيةُ والقوميةُ ، لايصدُّهم عنه لفظٌ يعسر عليهم فهمه ، أو معنى يصعبُ عليهم إدراكُه .

وقد رتّب الأستاذ قدري قصائد الديوان في خمسة أبواب :

١ ـ الوطن العربي
٢ ـ الطبيعة والمرأة
٣ ـ الرثاء
٤ ـ التأمل
٥ ـ المتفرقات

ووُفّق الأستاذ قدري فيما نُدب له من عمل ، ويسّر الديوانَ للأجيال العربية الناشئة في مشرق الأرض العربية ومغربها ، يردون منه العذبَ النمير ، وقد استقلّتْ كلٌّ قصيدة بتفسير الصعب من ألفاظها تجنُّباً للإحالة ، وتسهيلاً على القارىء . وذيّل الديوان بأربعة فهارس : فهرس القوافي ، وجدول البحور والقوافي ، وفهرس القصائد الزمني ، والفهرس العام .

ويسعد المجمع أن يقدّم لقراء العربية « نوح العندليب » دانيَ الظلال ، مذلَّلَ القطوف . ويأمل المجمع أن تكون طبعة الديوان الثانية أتمّ وأوفى ، قد ضُمَّ إليها كل ما تفرق من شعر الشاعر في الصحف والمجلات مما لم يرد بين دفتي هذا الديوان.؟؟

شفيق جبري

الشاعر والشعر

للأستاذ الدكتور شكري فيصل

القسم الأول ـ الشاعر



مدخل : تسمية الديوان ـ العالم الداخلي للشاعر

لماذا اختار الشاعر هذا العنوان : « نوح العندليب » لديوانه .. وهل تكون هذه التسمية مفتاح التعرف إلى شخصيته وشعره .. أم هي تسمية عارضة اقتبست عنوان القصيدة الأولى من قصائد الديوان فأطلقته على الديوان كله ؟.. وإذا كان ذلك كذلك فلماذا آثر الشاعر أن يصدّر ديوانه بهذه القصيدة ؟.. هل كانت القصيدة بعنوانها وموضوعها أحبّ القصائد إلى الشاعر .. وهل كانت أصدق شعره في الدلالة عليه والتعبير عنه فاتخذت لذلك مكانها من صدارة القصائد كما اتخذ عنوانها مكانه من صدارة الديوان ؟... هل آثر « جبري » أن يكون شعره نوح العندليب ولم يشأ أن يكون تغريد البلابل ؟.. أهو نوع من التظرف أم هو نوع من الإغراب ؟.. أكان ذلك نوعاً من التواجد أم كان نوعاً من الوجد الحق ؟.. وأين تقف شخصية « شفيق جبري » .. وشعر « شفيق جبري » من ذلك ؟.. وهل يجد قارىء الديوان أن هذا النواح يشغل صفحات الديوان ويغلب عليها ، أم هو يتخلله كما يتخلل الدمعُ الشؤون .. أهي براعة التسمية أم هي حقيقة المسمّى .. أهو البكاء أم هو الغناء ؟.

أبكت تلكم الحمامة أم غنّـ ـت على فرع غصنها الميّاد

تلك جملة من التساؤلات التي تتبدّى منذ تقع عين القارىء على غلاف الديوان ، ثم لا يكاد يمضي في قراءته أو في قراءة قصائده ومقطوعاته حتى تلحّ عليه هذه الأسئلة : تغاديه وتراوحه ، وتتبدى له من أمامه ومن حوله .. ذلك أن نغمةً يائسة أو يغطيها اليأس تظل تصاحب القارىء وهو يتنقل من قصيدة إلى قصيدة ومن موضوع إلى موضوع ، وأن لحناً شجياً يظل يراود السمع بين الصفحة والصفحة .. فهل كان الحزن هو قرينَ الشاعر الذي لازمه ، وهل كانت مشاعر الأسى هي المشاعر الأولى التي صبغت وجوده الداخلي كله ، ثم طغت بعد ذلك على كثير من وجوده الخارجي ؟..

ثم ماذا تكون مصادر هذا الحزن وموارده ؟.. وأين كانت تشكلاته الأولى ولماذا ؟.. أين كان منطلقه وماذا كانت الدوافع إليه والبواعث عليه ؟..

حقيقة هذا العالم الداخلي للشاعر ومصادره

الذين لايعرفون الشاعر معرفة قريبة سينساقون إلى القول بأن الحزن كان هو الطابعَ الذي غلب على حياته ، وأنه كان علامتها المميّزة ، ومن حياته كان يتسرب إلى بيانه فينطلق به شعره ..

ولكن الذين عاشوا إلى جانب الشاعر وعرفوا من حياته بعض جوانبها ، قد يجدون أنفسهم في موقف آخر .. ذلك أن الحياة الخاصة للشاعر بينه وبين خُلَّص أصدقائه وصفوة معارفه لم تكن مطبوعة بهذا الحزن ولم تكن تسيطر عليها الكآبة ، ولم يكن يجلّلها هذا الشعور البائس أو اليائس .. وإنما كانت حياة يضحك فيها السنّ ، ويغلب عليها حبّ النادرة البارعة وصناعتها أو حكايتها ، وتتغشاها النكتة الحلوة ، ويتردد في آفاقها صدى الضحكة العريضة كما تتراءى في جوانبها البسمة .. فأين هو موقف

الشاعرالأصيل وجوهر حقيقته ؟.. أهو الإنسان الضاحك أم هو الشاعر الحزين ؟.. أهو الصوت الذي تخالطه بحّة الأحزان أم هو الإنسان الذي يعيش فيه المرح .. أهو هذا النموذج الباسم أم هو الصورة البائسة ؟.. أهو آحد هذين الاتجاهين أم هو هذان الاتجاهان معاً

ليس يسيراً آن يصل الإنسان من ذلك إلى رأي قاطع .. وحين يجد الرأي فإنه لن يجد التعليل الدقيق .. إن عالم النفس عالم خفيّ معقّد تكثر فيه الدروب متلاقيةً أو مفترقةً ، متوازية أو متقاطعة .. ثم هو عالم متطور قد تقع على الحقيقة فيه في فترة من فترات العمر ثم تغيب هذه الحقيقة في طيّات الأحداث ، أو تتطور بتأثيرها ، في فترة أخرى .. ثم هو عالم قد تساعد الظروف الاجتماعية على أن يكون العمل الفنّي تعبيراً عنه ، وقد تكون هذه الظروف عاملاً مساعداً على كبته وتغطيته والهبوط به إلى القاع .. إن الأعمال الفنية قد تكون في كثير من الأحيان ، سبراً لهذا العالم النفسي وإضاءة لبعض جوانبه ، ولكنها تكون كذلك في كثير من الأحيان الأخرى غطاءً له وحَجْباً ... وأياً كانت مهارة الدارس الأدبي للأثر الفني فإن النتائج التي ينتهي إليها في محاولة الكشف عن العالم الجوّانيّ تظلّ عرضة لقدرٍ متساوٍ من احتمالات الخطأ والصواب .. وخاصة حين تكون قدرة الشاعر الفنية قدرة فائقة تحمل من الوسائل ما يساعدها على التستّر والتخفّي ، أو حين تكون الظاهرة النفسية التي يراد اكتشافها بعيدة الأغوار ، ذاهبة في الأعماق إلى البعيد البعيد ، أو حين تكون متناقضة في ظواهرها التي تبدو منها .

إن شيئاً من هذا ، أو أكثره أو كله ، يواجه الذي يتصدّى لمعرفة حقيقة العالم الداخلي لشاعرنا من هذه الزاوية : زاوية الفرح أو الحزن ، البهجة أو الامتعاض ، الأمل أو اليأس ، الغناء أو النواح ، الابتسامة أو

الكآبة .. ومدى تطابق هذا العالم الداخلي مع العالم الآخر الذي ينشره شعره أو تومىء إليه قصائده .. ولعلي لا أنزلق فأقول إن ذلك أيضاً هو الذي يواجه الدارس ، لا من هذه الزاوية وحدها بل من جملة أخرى كبيرة من زوايا حياة « جبري » ... ولكني أوثر هنا الإيجاز والاعتدال .

أ ـ العزلة :

وفي تقديري أن عاملاً ما ، في بداية الأمر دفع « بشفيق جبري » في مطلع شبابه إلى شيءٍ من العزلة .. وأن هذه العزلة حملت إليه شيئاً من الكآبة وفرضت عليه أنواعاً من التأمل .. والتأمل في العادة يقود إلى إحدى نهايتين : إلى يقين كامل في أمور الحياة والكون في إطار عقيدة مامن العقائد .. أو إلى نوع من التوقف وهو توقف لابدّ أن تخالطه الكآبة بقدْرٍ أو بآخر .

ولكن تأملات « جبري » وعزلته لم تكن عزلة اجتماعية فحسب وإنما كانت فوق ذلك عزلة ثقافية .. كانت عزلة فكرية وكانت عزلة فنية ، فقد وجد نفسه ، وهو في ميعة الصبا ، يخوض عالم الشعر ، ويسجّل فيه بدايات رائعة ، وتغمسه هذه البدايات في مواقف تلمّس طرق الإبداع من أولها ، من المعارضة والاحتذاء و « الإحضار في البال* » إلى النهايات التي لاحدود لها .

ب ـ عناصر من الرومانتيكية :

هذه العزلة وهذه الممارسة للحياة الشعرية وهذا التلمس لجوانب الإبداع فيها ، رافقها عامل آخر ساعد على إشاعة الكآبة في روح

---

* هذا من تعبير الشاعر عن نفسه وهو يفسّر بعض أعماله الشعرية القائمة على المعارضة .

الشاعر .. هذا العامل لم يكن داخلياً من عالم الذات ، ولم يكن محلياً من خلال عالم الشعراء الذين عايشهم وعارضهم واحتذاهم في بلاد الشام ، وإنما كان خارجياً . عربياً .. كان تياراً طارئاً على الشعر العربي ، وفد عليه وخالطه بتأثير النزعة الرومانتيكية التي امتلكت مجموعة الشعراء الرومانتيكيين في أواخر العشرينيات وفي الثلاثينيات خاصة . ولم تنتقل الرومانتيكية* إلى الوطن العربي مذهباً واضحاً محدداً ، وما كان لها .. لأن الرومانتيكية نفسها لاتكاد تعرف التحديد الدقيق .. فهناك شعراء رومانتيكيون ولكن ليس هناك رومانتيكية واحدة دقيقة الملامح .. والذي انتقل إلينا منها كتلة من المشاعر والعواطف والعناصر الذاتية لأنها بذلك تتلاقى مع الغنائية العربية .. وهكذا حملت الرومانتيكية إلى الشعر العربي آنذاك هذا الشعور بالحزن ، وهذا التحبيب بالعزلة والاندفاع إليها ، ومحاولة غمس القصيدة أو المقطوعة في هذه الأوعية من الألم والبكاء والنواح ، وقد شاع ذلك أو بعضه في شعرنا العربي ، في المهاجر أولاً ثم في مصر على أيدي شعراء أبولو .. ثم كانت هذه الموجة بعض ماورد على الشام وبعض ماأخذ به شعراءُ من الشام .. وكان « جبري » في

---

* نستعمل مصطلح « الرومانتيكية » في هذه الصفحات اضطراراً .. ذلك أنا نؤمن أن الشعر العربي لايمكن أن نطلق عليه التقسيمات التي غلبت على الشعر الغربي والتي فسرت مراحل من تاريخه .. ومحاولةُ استخدام هذه التسميات في التأريخ للشعر العربي محاولة فاشلة إذا هي لم تكن محاطة بضروب من الحذر والاحتياط .. لأن هناك خلافاً أساسياً بين ظروف الشعر العربي وطبيعته وبين الشعر الغربي وطبيعته .. واستعارةُ بعض المصطلحات من أدب إلى أدب تعود إلى غلبة نزعة التقليد التي تسود حياة الضعفاء أو تكون استجابة لبعض آثار الغزو الفكري والغفلة عن الخصائص .. وحسبنا من استخدام هذا المصطلح بعض خصائصه العامة التي تشترك فيها الآداب جميعاً أو التي تشترك فيها الأمم جميعاً .

ذلك واحداً منهم .

العزلة إذن في حياة « جبري » أثر من آثار النزعة الرومانتيكية التي خالطت شعر بلاد الشام في الفترة التي بدأ فيها « جبري » يرسلُ شعره وينشره على الناس ، ويتعرفُ الوسط الأدبي إلى شاعر جديد بدت علامات التميز تظهر في شعره . وإلى هذه العزلة يرتدّ تفسير بعض الظواهر في حياته وفي شعره .

جـ ـ التراث :

ولكن تأثُّر « جبري » بالنزعة الرومانتيكية لم يكن هذا التأثر الشامل المطلق .. لأن « جبري » والجيل الذي كان حوله وبُعَيْده ، لم يواجه هذه النزعات والمبادىء أو لنقل لم تواجهه هذه النزعات والمبادىء ـ وهو صفحة بيضاء خالية من الاتجاهات .. كان مشدوداً إلى ثروة أدبية عربية ، وكان مزوداً بتراث كبير ، وكان يحمل في روحه روح الأجيال العربية السابقة كلها ، وتقاليدها في نتاجها الفني .. كان المأثور العربي يملأ وجوده الداخلي ، وكانت منه بداياته ، وكان منه يستقي ، وكان منه غذاؤه .. ولذلك لم تستطع هذه النزعات أن تستبدّ به وأن تستفرده ، وأن تحتل كيانه ، وأن تستلبه هذا الاستلاب الكلي ... وليس في وسع جيل واحد ، مهما تكن قسوة الغزو أو شدة التفاعل ، أن ينسلخ عن ماضيه ، وأن يتخلّى عن مقوّماته كلها ليأخذ بمقوّمات أخرى .. وإذا كان ذلك صعباً في أمور الحياة المادّية فهو متعذّر إلى حدّ الاستحالة في أمور الحياة الفنية ، لأنها تستعصي على مثل هذه التغيرات الجديدة ، ولا تترك لهذه الرياح ، حين تهب عليها أن تقتلع منها إلاّ كل ضعيف ..

وهكذا نستطيع أن نقول مطمئنين ، إن مظاهر الرومانتيكية في

الأدب الغربي التي نقلها بعض الشعراء أو دعا إليها بعض الأدباء أو تسربت تحت هذه الأشكال أو تلك ـ هذه المظاهر لم يكن لها وجودها المتميز الواضح في شعرائنا : جبري ولِداته .. لقد كانت تتسرب إليهم عبر بعض الترجمات أو بعض النماذج أو القصائد التي أنشأها بعض الشعراء وروّج لها بعض النقاد حقاً أو باطلاً .. وكان هذا التسرّب يبدو حيناً ويختفي حيناً ، ويتمثل بقصائد دون قصائد ، ويسيطر على حياة الشاعر أو إنتاجه مرة ويغيب عنها مرة أو مرات أخرى .

خذ لذلك مثلاً النزعة الذاتية التي هي نقيض الموضوعية ، أو النزعة العاطفية التي هي نقيض النزعة العقلية ، أو نزعة تقديس المزاج الخاص مقابل نزعة تقديس العقل .. ففي هذه كلها تمثلت الرومانتيكية ..

ولكن الشعراء العرب ، خاصة « جبري » وأترابه ، لم يكن تأثرهم بذلك هذا التأثر الكلي ، ولم تكن هذه النزعة هي مصدر ذلك عندهم ، إذ كان في تراثهم الشعري شيء كثير من الاهتمام بالذات ، والغناء لها والعكوف عليها ، والدوران حولها ، لايقلّ عمّا عند الرومانتيكيين .. فإذا ظهرت آثار منه على شعرهم فهي آثار لاترتد بالضرورة إلى النزعات المعاصرة بقدر ماتكون تشكيلاً جديداً لتراثهم أو تعبيراً جديداً عنه .. ثم إن تأثرهم بذلك لايتبدّى وحده على صفحة حياتهم أو شعرهم وإنما يتبدّى مقروناً إلى النزعات الأخرى المضادّة أو التي يراها النقاد الغربيّون مضادّة .. فلم يكن « جبري » مثلاً هذا الرومانتيكي الحالم ، كان فيه شيء من الرومانتيكية ـ إذا لم يكن لنا فكاك عن استخدام هذا المصطلح ـ ولكن كان فيه من النظر العقلي وتمجيد العقل وإيثار الفكر ومعالجة الواقع واصطناع الحكمة بقدر ما فيه من شرود الرومانتيكية أو غلبتها .. كان الإنسان العربي السويّ الذي صنعته الثقافة الإسلامية والحضارة

الإسلامية إنساناً متكاملاً .. كان إدراكه للأشياء نفسياً حيناً وكان إدراكاً عقلياً حيناً آخر ، أو لنقل كان إدراكاً نفسياً وعقلياً متواصلاً في آن .. إنه مثلاً في الدعوة إلى الوحدة العربية لم يصطنع الاتجاهات العقلية اصطناعاً ، ولم يغب وراء التطلعات الحالمة .. وإنما حاول في عفوية هادئة وفطرة سليمة ، أن يقرن بين هذين الاتجاهين ، أو لنقل في قَصْدٍ إلى الدقة ، إنما قرن بينهما .. دعا إلى الوحدة بعقله وبقلبه .. غنّى لها بعواطفه كلها وبعقله كله .. صاح من أجلها وخاطب وتساءل ، ولكنه كذلك دلّل وأرشد

فيم التباين والأنساب تجمعنا انا نمت إلى أحياء عدنانا

☆ ☆ ☆

مارابني إلاّ شتات قلوبهم فمتى أرى التأليف والتوحيدا
إن يجمعوا الشمل المفرّق بينهم ردّوا إليهم طارفاً وتليدا

☆ ☆ ☆

إنما العرب وحدة والتفافٌ كل غصن يلفّ في الروض غصنا

☆ ☆ ☆

تفرقت الأوطان والأصل واحد فهل تلتقي الأوطان بعد التفرق

وسار السيرة العفوية ذاتها في موضوع تغليب الطوابع العربية في الاتجاهات الفنية على ما عداها ، وفي نظرته إلى أصيل الشعر العربي وهجينه .. فقد وقف وقفة الشاعر العربي بكل أصالته وروحه وطبيعته .. لم يناقش الأمر مناقشة نظرية ، ولم يضع فكرة مقابل فكرة ، ولكنه عن طريق البداهة والعفوية وصل إلى حقائق أصيلة ربّما

كان غفل عنها ، أو تغافل ، كثيرٌ من المنظّرين .. وإلا فما فائدة أن تقول الشعر بالعربية وتدّعى أنك عربي ، وترفع أعلام العروبة فوق قصائدك ، إذا لم تكن هذه العربية في روحك ووجودك ، وفي كيانك وسلوكك ، وإذا أنت لم تصدر عنها وتتقيّد بها وإذا أنت لم تستوح منها أهواءك ونزعاتك .

إن الأمر حينذاك لا يخرج عن أن يكون صبغة كاذبة ، وتغطية تشفّ عن كل ما وراءها من عورات ..

ومن هنا كان قوله في إحدى قصيدتيه عن المتنبي ، في آخرها :

فمن العرب وحيه وهواه　　　وإلى العرب خالدٌ إخلادُهْ

ثم كان ختامها هذا البيت الذي جعله مقطعاً خاصاً :

وإذا القلب لم يكن عربياً　　　أوشك الشعر أن يشيع فسادُهْ

إن ما قلناه هنا عن انشداد « جبري » للتراث يصدق على كل جزئية من جزئيات حياته الفنية ، ويداخل كل عنصر من عناصرها .

وما من شك في أن معرفة « جبري » بالفرنسية ، وقراءاته فيها ، مكّنت له من أن يقع على بعض الجديد في الفكرة والأداء .. ولكن من الذي يستطيع أن يجد أثر ذلك واضحاً في شعره .. لقد قرأ شعر كبير الشعراء الفرنسيّين « هوغو » وترجم بعض قصائده .. ولكن ذلك لم يخرج به عن عمود الشعر العربي .. كان التراث التليد أقوى من الطارىء الطريف .. وكانت الاتجاهات في ضميره ومن حوله أقوى من أن تجعله فريسة للاتجاهات الجديدة التي لم يكن لها في أعماقه أو أعماق مجتمعه جذور ، ولم يتردّد لها في أغواره صدى .. وإنما كانت تمسّه مسّاً خفيفاً لا يكاد يخلّف أثراً ذا بال .

القسم الثاني ـ الشعر

إن ذلك يقودنا إلى أفق آخر من آفاق الحديث عن شاعرية « جبري » .. ذلك هو الحديث عن جديد « جبري » أو تجديده .. فمن حق هذا الشاعر علينا ومن حق الدراسة الأدبية والتأريخ للأدب العربي أن نتساءل ماذا كان عمل « جبري » في الشعر العربي ، وما هو الجديد الذي قدمه .. أكان واحداً من الشعراء الذين أحسنوا إحياء القديم ووقفت همتهم عنده ، أم كان جاوز ذلك إلى جديد دعا إليه أو جديد أبدعه ؟.

مدخل : جبري وحديثه عن شعره

ويحسن أن نمهّد لذلك بهذه اللفتة الوجيزة . ذلك أن ذاتية جبري التي طغت عليه ، وعزلته التي أشرنا إليها ، دفعت به إلى أن يتحدث عن حياته الأدبية ، عن ذاته بذاته ، في كتابه « أنا والشعر » الذي تحدث فيه عن تجاربه الشعرية في عددٍ كبير من قصائده ، وفي كتابه الآخر « أنا والنثر » الذي تحدث فيه عن تجاربه النثرية وتكوينه الفكري .

وأنا شديد الإعجاب بهذين الكتابين ، شديد التقدير لهما .. إنهما سيرة ذاتية من نوع خاص تفرّد به جبري .. وكأنما رفض أن يترك الحديث عن ذاته وفنّه للنقاد .. فهل خاف ضلالهم ؟، هل خاف ظلمهم ؟.. يُخيّل ذلك إليّ .. فليس يسيراً أن نتقبّل آراء الآخرين فينا ، وليس سهلاً أن نترك لهم حرية استعمال المباضع في لحومنا على النحو الذي يشاؤون ...

وفي تقديري أن ذاتية « جبري » التي كنت أشرت إليها ووقفتُ عندها كانت هي وراء ذلك ..

ولعلّ عنوانيِ الكتابين يقدمان أوضح التفاسير لهذه الذاتية أو لهذا الإغراق فيها ..

وماذا يمكن أن يكون قد ترك شاعر أدلى باعترافاته خلال عدد كبير من المحاضرات على مَلأٍ من الناس ، وأتاح لمستمعيه أن يناقشوه في ذلك .. ماذا يمكن أن يترك شاعر يحبّ ذاته حباً كبيراً ويحرص على تقدير الناس لهذه الذات ، ثم يكتب عن نفسه .. أتراه يترك لناقد أو دارس مجالاً للقول ؟

مراحل في شعر جبري :

أولاً ـ مرحلة البواكير : الاحتذاء والمعارضة التقليديّة

إذا درستَ شعر « جبري » متتبّعاً تاريخ القصائد كان في وسعك أن تقول : إنه بدأ رحلته الشعرية بالمعارضات .. كان ينظر إلى قصائد بعض معاصريه نظر التقدير ، وكان يعجب بها ويتملاها ، وكان لاشك يقرؤها ويستعيدها ، حتى إذا تمكنت من نفسه أو تمكن استحسانها من نفسه ، أقبل يقول مثلها معارضاً لها .. والمعارضة التي تنبثق عن الإعجاب تقود إلى التقليد ، ومن الشعور بالتقليد ما يجعل القصيدة المعارَضة ، أحياناً كثيرة ، فوق القصيدة التي عارَضَتْها .

الناقد الدارس يلاحظ ذلك ويقع عليه ، ويهمّ أن يكتب فيه .. ولكنه لا يلبث أن يرى أن الشاعر قد قطع عليه الطريق ، فاعترف بذلك قبل أن يشهّر به النقاد ، ووضّحه قبل أن يتولّوا إيضاحه ، ذلك أنه يقول في غير لبسٍ ولا احتراس ولا تحرّز إنه بدأ شعره معارضاً ،

ويعدّد القصائد التي عارضها ، ويذكر شعره إلى جانبها .. لا يتحرّج ولا يتأذى ، وكأنه يرى أنه خيرٌ أن يقول ذلك عن نفسه من أن يقوله عنه ناقد يأتي بعده ، فيكشف هو ذلك قبل أن يكتشفه النقاد .. إنه نوع من الحفاظ على الذات والحرص عليها أن تتعرض لما يظن أنه لا يليق بها ، أو أن يتعرض لها من لا يحسن فهمها .

ولكن الناقد أو الدارس يستطيع ، على ذلك ، أن يجد أن الشاعر لم يقتصر على هذا اللون من المعارضة : أن يقول القصيدة أو المقطوعة محتذياً قصيدة أخرى في روحها وأسلوب أدائها وموسيقاها .. لم يقتصر على أن يعارضِ من المحدثين : ـ

الشبيبي مثلاً في قصيدته :

تذكرني نفسي وهيهات ما أنسى　　　جراحاً أمضّت جانبيّ فما تؤسى[1]

أو في قصيدته

علّموه كيف يعنو فعَنَا　　　وَثنَوْه عن عُلاه فانثنى[2]

أو الزركلي في قصيدته :

مروج دمشق وغيطانها　　　سقتكِ السحائبُ هتانها[3]

---

(١)مطلع قصيدة الشبيبي:

جرت رهن تيار من الهول زاخرٍ　　　وما شَطَأت حيناً ولا قاربت مَرْسى

(انظر ص ١ ـ ٢ من هذا الديوان)

(٢)مطلع قصيدة الشبيبي:

فتنةُ الناس ، وقينا الفتنا　　　باطل الحمد ومكذوب الثنا

(انظر ص ١٥ ـ ١٧ من هذا الديوان)

(٣)مطلع قصيدة الزركلي :

نعَى نادبُ العرب شبانها　　　فجدّد بالنعي أحزانها

أو الرافعي في بعض شعره (انظر ص ٨)

ولكنه عارض بعض القدماء ، عارض عروة بن أذينة في قصيدته :

خطرت ببالك يا لها من خطرةٍ　　أتظن أنك قد خطرت ببالها[١]

ولعله عارض قصائد أخرى .. فقصيدته الرائية عن البحر :

ماج الخضم وزُلزل الصدر　　مالي ومالك أيها البحر

تنظر بوضوح إلى قصيدة الزركلي

الخافقان عراهما الهمُّ　　قلبي وقلبك أيها اليمُّ

ثانياً ـ مرحلة التجارب : التخلي عن المعارضة التقليدية والاتجاه نحو نوع من المعارضة جديدٍ :

بل ان هناك شكلاً آخر من المعارضة ، أو لنقل انه ضرب من الاستيحاء ، عمد إليه « جبري » ، وخاصة حين تحدث عن المتنبي وعن شوقي وحافظ في قصائده فيهم .. فهو في هذا الشكل الجديد لا يحتذي قصيدة معينة ، روحها وموسيقاها وموضوعها ، ولكنه يستوحي آراء شوقي أو المتنبي أو المعرّي ومواقفهم وكأنه يعجب بها أو يبدي تقديره لها أو يستلهم منها بعض التساؤلات ..

إنه مثلاً يقول في قصيدته عن شوقي :

فلا القصور قصور إن نزلتَ بها　　ولا الملوك إذا ناديت واعينا

(انظر ص ١٨ ـ ٢١) من هذا الديوان)

(١) أبيات عروة بن أذينة التي أولها :

إن التي زعمت فؤادك ملّها　　خُلِقتْ هواك كما خُلقت هوًى لها

(انظر ص ١٠٥ ـ ١٠٨ من هذا الديوان)

يذكرك ببيت شوقي :

فـلا الأذان أذان في منـــارتـــه إذا تعـــــالى ، ولا الآذان آذان

فهـل يختلف هـذا الاسلـوب كثيراً عن أسلـوب المعـارضـة التقليـدي المألوف ؟ لا شـك أنـه يخـالفـه .. ولكنـه لا يسرف في مخـالفتـه .. تظلّ القصيدة هنا أو المقطع موصولة بـالقصيـدة أو المقطع الـذي كان استحضره في ذهنه أو « أخطره في باله » على حدّ تعبيره في ذلك .

إن الأمثلـة على مثـل هـذا النـوع من المعـارضـات كثيرة جـداً في قصائده .. والإشارات لها إشارات متكررة في كتـابـه « أنـا والشعر » لعلّ أبرزها قوله الـذي ذيّل بـه قصيـدتـه في رثـاء « يكن » إذ سمّى ذلـك في تواضع آسرٍ : اقتباساً فقال : « وكنت من ذلك التاريخ لا أرثي شـاعراً أو كاتباً دون أن أرجع إلى طائفة من آثار شعره أو كتابته حتى أقتبس منهـا ما أضمنه رثائي »

وقـد نجـد أشكالاً أخرى من هـذه المعـارضـات .. من المـؤكـد أن « جبري » لم يقصد إليهـا قصـداً ، ولكنهـا آلت إليـه بحكم صلتـه بـالتراث ومعاناته له ...

إن أبياتـه في ص ٣٥ تبـدو وكأنهـا تنظر إلى أبيـات بشـار في وصف الجيش في بائيته المشهورة ..

وبيته : لنا وطن لا ينبغي أن نبيعه (ص ٥٢)

يذكرنا ببيت ابن الرومي المعروف :

ولي وطن آليتُ ألا أبيعـــــــه وألا أرى غيري لـه الـدهر مـــالكا

على تباعد ما بين المعنى عند الشاعرين . وأمثلة ذلك لا مجال لسردها هنا كلها

على أن الخروج بالمعارضة عن عمودها المألوف إلى هذه الوجهات الخاصة ليس هو مظهر الجدّة في شعر « شفيق جبري » .. قد يكون هذا النمط أقرب إلى أن يُعَدّ من متابعة القديم والتنويع فيه منه إلى أن يكون جديداً .. ثم هو في باب الجديد لا يقع في المكان الأول ..وانما هو حركة خفيفة على محور محاكاة عيون الشعر العربي دون الخروج عليه .. ولعلّها إلى المتابعة أقرب منها إلى الخروج

ثالثاً ـ مرحلة النضج : نحو بناء جديد للقصيدة عند جبري ـ وحدة القصيدة

أ ـ إحكام الصلة بين القصيدة (وخاصة المرثِيّة) وبين المرثِيّ .. ودراسة بعض الأمثلة

غير أن القضية الكبرى التي حرص فيها « شفيق جبري » على شيء من التجديد ومتابعة المجددين ، والتي شغلت حيّزاً كبيراً من اهتمامه فتحدث عنها ، وأعاد وأبدأ ، إنما هي قضية وحدة الموضوع .. التي نظر إليها من جانبين : أحدهما : جانب إحكام الصلة بين القصيدة ، وخاصة المرثاة ، وبين المرثي الذي قيلت فيه ، والآخر : جانب وحدة الموضوع وتنسيقه وتسلسله ..

ففي محاضراته التي ألقاها على طلاب معهد الدراسات العربية العالية والتي ضمنها كتابه : « أنا والشعر » لم يكن ليهمل في أيّ من المرات ، الإشادة بمنهجه في قصيدته ، وأنه لم يكن يُدْخِل فيها ماليس منها ، وأن بناءها متكامل متماسك ، وأن مقاطعها كلها متساوقة متناغمة ، وأن لكل مقطع وظيفته في أداء ما يرغب في أدائه ، وأنه تجنب ما كانت تُتّهم به القصيدة العربية من أنها تحشر الأفكار في غير تناسق أو تلاحق ، وتضمّ إلى الموضوع ما ليس منه .. وكان في هذه المحاضرات كأنما يقول لطلابه

الـذين يستمعـون إليـه : هـذا شعري .. انـه ليس فيـه هـذا العيب الـذي يأخذه النقاد المحدثون على الشعرِ القديم ، وعلى القصيدة العربية القديمة .

وقد جهد شاعرنا في إيضاح ذلك ، فما أكثر مـا عُنِي بتلمس مظـاهر الوحدة في القصيدة ، وفي قصـائـد الرثـاء خـاصـة .. ولعلّـه جـاوز تفسير صنيعـه إلى تسـويغـه وتبريره أحيـانـاً .. تحـدث جبري في كتـابـه « أنــا والشعر » عن أقدم قصائده في الرثاء وهي القصيدة التي صـدر بهـا البـاب الثالث « باب التأبين والرثـاء » والتي أنشـدهـا في ذكرى الشهـداء الـذين أعدمهم جمال باشا في ٦ أيّـار ـ ١٩١٦ وألقـاهـا في النـادي العربي ١٩٢٠ ـ فقـال بعـد أن أورد الأبيـات السبعـة الأولى متسـائـلاً : كيف كنت أفهم المراثي في تلـك الأيـام : « لست أرى في هـذه الأبيـات شيئـاً خـاصـاً بمن أبكيهم ، فقد تقال هذه الأبيات في صدر كل قصيـدة تشتمل على الرثـاء ، وهـذا عيب أكثر مراثينـا في القـديم ، وإذا اشتملت القصيـدة على أبيــات خاصة بشهداء العرب فالأبيات قليلة .. » ثم أورد ثمانية أبيـات أخرى تلي الأولى ، وعلّق عليها بقوله : « فهـذه الأبيـات تصح في شهـداء العرب ولا تصحّ في أيّ فريـق من النــاس ، فـلا يمكن نقلهـا من هــذه القصيــدة وإقحامها في قصيدة أخرى .. »

أما قصيدته الثانية في الرثاء فقد علّق عليهـا بقولـه : « ولم أهتـد إلى حقيقة الرثـاء وجوهره إلاّ لّمـا رثيت وليّ الـدين يكن سنـة ١٩٢١ ، وقـد اشترك في تأبينه طائفة من شعراء تلك الأيام ، في جملتهم الشاعر اللبناني قبلان الرياشي ، فقد كان ينشدني قبل الحفلة قصيـدتـه في وليّ الـدين .. « فمن الانصـاف أن أعترف بـأنـه ألهمني نمطـاً من الرثــاء ، لم يخطر على بالي ، فقد كانت قصيدته في وليّ الدين يكن نفسه ، لا في أيّ كاتب آخر أو شاعر من الناس ، وكانت قصيدتـه جـاهزة ، إلاّ أني لمـا سمعتُ قصيـدة

الرياشي طويت قصيدتي ولم أنشده إياها لأني سلكت مسلكاً وسلك آخر ، وعدتُ إلى داري وغيَّرت من قصيدتي التي كنت قد أعددتُها فحذفت منها ما حذفت ، وأضفت إليها ما أضفتُ حتى تكون خاصة بولي الدين . وكنت من ذلك التاريخ لا أرثي شاعراً أو كاتباً دون أن أرجع إلى طائفة من آثار شعره أو كتابته حتى أقتبس عنها ما أضمنه رثائي وحتى يكون هذا الرثاء خاصاً بالمرثيّ لا بغيره .. »

هذا الحرص على إحكام الصلة بين القصيدة وصاحبها الذي قيلت فيه ، وعدم الخروج عن إطاره ، مضى يتمكّن من نفس شاعرنا وشعره ، فإذا هو يتجاوز الحديث العام في قصيدة الرثاء عن المرثيّ إلى الحديث عن الحياة الخاصة لهذا المرثيّ وبذلك يثير واحدة من قضايا النقد الأدبي .. فهل من حقنا أن نتحدث عن كل الجوانب في حياة المرثي ولو كانت هذه الجوانب مما يخالف تقاليد المجتمع ، أو ممّا يؤثر الناس السكوت عنه وعدم الإفصاح فيه .

يبدو أن الأستاذ « جبري » رحمه الله واجه هذه القضية وهو يتحدث في مراثيه عن بعض الشخصيات .. فإذا هو يبيح اختراق هذه الحجب التي ينسجها الناس حول حياتهم الخاصة ، ولكنه لم يتخلّ في ذلك عن الاحتياط والحذر ، وعن استعمال أرقّ التعابير وأدقّها ، وإذا هو في رثائه للأستاذ أحمد كرد علي ـ والأستاذ أحمد كان واحداً من ألمع شباب العرب في سورية ومن أشدهم تألقاً والتزاماً بقضايا الوطن وقضايا العرب ـ يتوقف عند أطرافٍ من حياته الخاصة ويشير إلى إقباله على الحياة وحرصه على بعض طيباتها ، وإشباع رغباته من هذه الطيبات ، ولنستمع إلى قول شاعرنا يعلّق على قصيدته ويوضح موقفه من هذه القضيّة :

« كنت أسعى في استكمال لوازم الرثاء في شعري ، ولقد ملتُ في بعض المراثي إلى صورٍ لا يألفها فريق من الناس لأنها تفصح عن طرزٍ خاص من الحياة ، إلا أني لم أجد بأساً بهذه الصور إذا كانت صادقة ، فهي لا تحطّ من قدْرٍ ما ، إنما تصوّر الرجل المرثيّ في بعض حياته الواقعة التي كنا نعرفها ونشهدها كل يوم ، وأيّ نقيصة في ذلك ؟ من هذا النوع رثائي لأحمد كرد عليٍ صاحب جريدة المقتبس :

كنتَ الضنينَ بأن تفوتَك لذةٌ ... لم تشرب اللألاءَ من أكوابها
فشهدتَ لذاتِ الحياة مُغَلْغِلاً ... في ضيق ساحتها ورحب وعابِها
فوردتها غضّ الإهاب ممتّعاً ... عيني أبيقوْرٍ بِغَضّ إهابها
وصدرت عن عذب الموارد بعد أن ... خضبتك وافدة الرّدى بخضابها
والعمر بعد الأربعين مضاضةٌ ... تطأ النفوسُ بها أديمَ يبابها ..

وفي القصيدة الرابعة التي قالها في رثاء سعد زغلول واجه الشاعر موقفاً آخر يتصل كذلك ببناء القصيدة واختيار المادة « فليس من الهيّن أن يرثي الشاعر رجلاً مثل سعد زغلول ، وما ذلك لضيق آفاق الرثاء **وإنما لصعوبة ناشئة عن سعة هذه الآفاق** ، فلا يعرف الشاعر أية ناحية من نواحي سعد يُشبع الكلام عليها لأن كل ناحية كانت جليلة . **إنيّ أتخطى النواحي** كلها التي أشرت إليها في رثائي ، **وأقف على ناحية واحدة** لعلها أبرز نواحيه . وهي ناحية الزعامة المطلقة التي لا تُنازع ، وناحية الخطابة التي تستلزمها كل زعامة »

ولكن الشاعر الذي اعتقد أنه وجد طريقه إلى اتجاه جديد في تيار قصيدة الرثاء لم يستطع أن يلتزم ذلك في قصائد أخرى ، فإذا هو في رثاء فوزي الغزي (الوطن اللهيف ص ١٤٩) يضيف عناصر أخرى

ليست من حياة المرثيّ ، وهي عناصر يمكن أن تقال في أية قصيدة أخرى ، ولكنها تبقى مع ذلك موصولة من « فوزي الغزي » بسبب .. وقد حاول أن يسوّغ صنيعه هذا بقوله : « وقد **أغتنم فرصة الرثاء** لأصوّر ناحية **قد يكون لها** صلة بالمرثيّ ، ولكنها على كل حال ناحية مستقلة منفردة . لمّا انتقل إلى رحمة الله فوزي الغزي ، وهو من رجالات السياسة في الشام ، رثيته بقصيدة أتَيْتُ فيها على طائفة من نواحيه ، إلا أنّي **تصوّرتُ** ثورة الشام **فغلب عليّ هذا التصوّر** فقلت في ذلك .. وذكر ثلاثة أبيات هي :

رفع الشعوبُ على الحديد قلاعهم ... ودمشقُ ترفع بالرّفاتِ حديدا
صمدت لريْب الدهر ملء رجالها ... لم ترهب التهويل والتهديدا
صحفٌ بأحمر قانىءٍ مكتوبةٌ ... ضَمِن الزمانُ لأهلها التخليدا »

ولكن الأبيات التي تناولت الثورة والشهداء امتدت قبل ذلك وبعد ذلك .. بل إن القارىء ليذهب إلى أن الثورة هي التي كانت منطلق القصيدة وهي التي أعطتها إيقاعها النفسي . ومنها نفذ الشاعر إلى رثاء المرحوم فوزي الغزي .

ولستُ أسوق هذا الكلام مساقَ النقد ، فالشاعر محقّ هنا ، لأن ثورة الشام كانت شيئاً رائعاً وبارزاً في الحيلة السياسية ، وكان لابّد للشاعر الذي يخاطب الجماهير أن يتطرّق إليها ، بل أن ينطلق منها ، فليست الصلة بعيدة بين ثورة الشام وبين رجل كان في مقدمة رجالات السياسة في الشام .. هذا إلى أن طابع الشهادة كان يجمع بين شهداء الثورة وبين فوزي الغزي الذي مات مسموماً فقضى شهيداً .

والأمر نفسه في قصيدته في رثاء الحسين (ثورة قريش ص ١٥٨) فقد كتب يوضح عمله فيها : « كنت في كل مرثية من المراثي التي أقولها

في رجال السياسة **أتوخى ناحية غالبة** ، مرة تكون هذه الناحية حياة الرجل الخاصة ، ومرة زعامته ، أو حيناً تكون صورة ثورة ، كما جاء ذلك في قصيدة رثاء فوزي الغزي السابقة ، أو كما جاء ذكر هذه الصورة في هذه القصيدة ، فإن الحسينَ بن علي صاحبُ ثورة العرب الكبرى ، ولا يذكر اسمه إلا قُرِن هذا الاسم بثورة العرب ، والذين كُتب عليهم أن يعيشوا في خلال الحرب العالمية الأولى وأن يروا بأعينهم ما فعله الترك بالشام يستطيعون أن يقدروا ثورة الحسين حق قدرها » . (ص ١٦٤ من الديوان)

وفي رثاء فيصل لم يخرج عن ذلك .. « وذكرّتْنا وفاة فيصل بانبساط ملكه في الشام .. » وإن كانت قصيدته في فيصل هي في الحق تأريخ للشام ، ولثورة العرب ، ولقيام الدولة العربية الأولى في دمشق التي كانت أشبه بالحلم ، ولمعركة مَيْسلون التي قضت على هذا الحلم ، ولخروج فيصل إلى العراق .

ترك الشامَ مثلَ صقر قريش	مائجاً دمعه على أوطانه
وانتحى الرافدين يحمل ذكرى	ذاهباً بَرْحُ طَيْفها بجَنانه

ب ـ وحدة الموضوع في القصيدة :

فإذا تجاوزنا هذه المراثي إلى المراثي التي جاءت بعدها ، إلى رثائه لحافظ وشوقي والمتنبي والمعري ، وهي المراثي التي أنشدها في احتفالات بعض العواصم العربية بذكرى هؤلاء الشعراء ، وجدنا أن الرثاء عند جبري يتجه وجهة أخرى ، يطول فوق ما طالت القصائد السابقة ، ويتخذ منحىً آخر ليس استمراراً للمنحى الأول فحسب ولكنه تنمية له وإثراء لبعض المبادىء التي أخذ بها نفسه .. فإذا كان، فيما مضى ، يحرص

على إحكام الصلة بين القصيدة والمرثيّ فلا تستعبده المعاني العامة والمشتركة في الرثاء .. واذا كان يحرص على أن يعنى بـالجـانب الأقوى والأوضح من شخصية المرثي ، يجلّي هذا الجانب ويوضحه ويطيل الوقوف عنـده ـ فهو هنا ، في هذه القصائد الجديدة ، يضيف شيئين آخرين .

أحدهما : استيحاء أفكار الشاعر المرثيّ واستثمار شعره وأحداث حياتـه وإثارة الحديث عن ذلك في تساؤل أو لهفـة مقرونين بـالحزن أو التفجّع . وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق أن قلت إنه شكل جديد للمعارضـة وخروج بها عن عمودها المألوف .

والآخر : أنـه تعلق بمـا أسماه وحـدة القصيـدة في تنسيق أفكارهـا أو تساوق هذه الأفكار مع المقاطع التي خصصها لها .

ولاأزيـد أن أطيل في ذكر الشـواهـد فحسب المرء أن ينظر في هـذه القصائد ، وأن يقرأ ما قاله الشاعر نفسه عنها .

وقد لانجد كلاماً جديداً في كلامه عن قصيدته التي رثى بها حـافظـاً وشوقياً ، ففي تعليقه على رثاء حافظ قال : « لقد عُرف حافـظ بـالبؤس ولذلـك اضطُررت إلى تصوير هـذا البؤس في رثـائي لـه » ، وفي تعليقـه على رثـاء شـوقي قـال : (وكـذلـك اشتهر شـوقي بنعيمـه فكان لهـذا النعيم نصيب في رثائي إياه) .

غير أن تعليقاته على قصيدته في مهرجان المتنبي (بيروت ـ الجـامعـة الأميريكية ١٩٣٥) وقصيدتـه الأخرى في مهرجـان المعري (دمشق ـ مجمع اللغة العربية ١٩٤٤) ثم قصيدتـه في مهرجـان شوقي (القـاهرة ١٩٥٨) ثم قصيدته عن الرسول الأعظم ﷺ بعنوان « صيحة النبي » .. تعليقاته على هذه القصائد حافلة بملاحظاته التي تفيـدنـا فـائـدة كبيرة في دراسـة بنـاء

القصيدة عند جبري .. فهو في هذه القصائد والقصائد الأخرى التي جاءت بعدها عن أبي تمام والبحتري وأبي نواس وما تلاها شديد العناية بإبراز وحدة القصيدة ، وتناسق مابين أجزائها .

ولعلّ القارىء يتوقف متأنياً عند حديثه عن قصيدته في المتنبي ويبدو أنه كان شديد الإعجاب بها ، وبما وُفّق إليه من تنسيق أفكارها ومقاطعها ، وما انتهى إليه من « حصر الموضوع » صيانة له عن الاختلال ، وما أسماه « التخطيط » للقصيدة حتى لايضيع شيء من الأفكار التي تعنّ للشاعر .

« إلاّ أني في الحقيقة لم **أنسّق** المراثي حق التنسيق ، وأضع لها **مخططاً في ذهني** حتى لاأحيد عنه ، إلاّ في قصائدي في المتنبي والمعري وفي مهرجان شوقي الأخير .. »

« .. **فمحاسن التخطيط** أن القصيدة تشتمل على **وحدتها** ، وتشتمل هذه الوحدة من جهة ثانية على أكثر ما يعنّ للشاعر من الأفكار »

آية هذا كله أن شاعرنا ، ونحن نرصد جديده ، عُني عناية خاصة بما أسماه وحدة القصيدة ، وأن قصائد الرثاء من شعره خاصة ، كانت تمثل هذه العناية أصدق تمثيل ، وأنها كانت ، في تطورها والأشكال التي اتخذتها واعترافاتِ الشاعر حولها ، تعبيراً أميناً عن هذه المحاولة التي استجاب فيها جبري لمشاعر التجديد والتطلعات إليه في القصيدة العربية ، وهو التجديد الذي كان يطالب به النقاد ويتحرك نحوه الشعراء .

رابعاً ـ مفهوم وحدة القصيدة عند جبري ، وعند النقاد المحدثين ، وفي التراث

ولست أدري كيف يساورني هذا الخاطر الذي أرجو أن يكون شكاً

من الشك لايقين فيه ، حول حديث أستاذنا جبري عن وحدة القصيدة والسعي الدائب لتحقيق هذه الوحدة .. فهل كان هذا الحديث فهماً آخر خاصاً لموضوع الوحدة العضوية في القصيدة وفي العمل الفني كله ؟..

إننا نذكر هنا أن حكاية الوحدة العضوية كانت إحدى الحكايات النقدية التي طرأت على الشعر العربي ، وداخلت النقد العربي .. أثار ذلك العقاد والمازني في الديوان ، وأثاره كذلك ميخائيل نعيمة ، وكان بين هاتين الإثارتين هذا التواقت ، وانقضّ هؤلاء النقاد على التراث الشعري العربي تجريحاً له واتهاماً ، بأنه لايعرف الوحدة العضوية ، لأن القصيدة العربية لاتنمو نمواً طبيعياً متشابكاً ولا تسير في حركة مستمرة نامية ، وإنما هي جملة من النظرات الموزعة هنا وهناك ، وأن الشاعر كان يتنقل تنقلاً عشوائياً في قصيدته بين موضوع وموضوع .. وأن القصيدة العربية جملة من الأبيات التي لايربط بينها رابط إذ في وسعك أن تقتلع البيت اقتلاعاً هيناً من هنا وأن تضعه هناك دون أن يترك ذلك أثره على حركة القصيدة وعلى خط التفاعل الذي تثيره عند المتلقي .

كان ذلك بعض ما هوجمت به القصيدة العربية في بدايات حركات التجديد .. ولم يَكنْ ذلك هجوماً عادلاً ـ إذا صح أن يوصف الهجوم أو التهجم هذا الوصف ـ وإنما كان دفقة حماس بما يرافق الحماس أحياناً من تجنٍّ ..

فلم يكن الشعر العربي خلواً من الوحدة ، وما زعموه من فقدان الوحدة العضوية ـ على صعوبة تمثل هذه الوحدة العضوية وجلائها واختلاف هذا التمثّل بين ناقد وناقد وموقف وموقف ـ لم يكن يعني فقدان الوحدة .. وإنما كان من طبيعة الشعر العربي أنه قام على وحدة من نوع آخر هي الوحدة النفسيَّة .. فقد كانت القصيدة عدْل الحياة

النفسيــة ، وكانت المعــادل الــذاتي ـ إذا استقــام لي هــذا الاصطـلاح ـ للشاعر .. وكان ما يختزنه في أعماقه يتراءى في قصيدته التي كان يحشر لهـا نفسه ويحشد لها ذاته كلها .. وكان في ذلك نوع من الوحدة أشبه مايكون بين سطح البحر وأعماقه .. السطح يقود إلى الأعماق وينبىء عنهـا ، ضمن قوانين الحياة النفسية في تجلّيها بالتصعيد أو بالتصوير ، بـالطرق المبـاشرة وغير المباشرة .. والأعماقُ تكوّن السطح وتكيّفه على نحو أو آخر .

ولم يكن صحيحاً أيضاً أنك تستطيع أن تنقل البيت في القصيدة من مكان إلى مكان دون اختلال .. كان يمنع من هـذه الحركـة وحـدة أخرى هي وحدة أبيات الصورة أو المشهـد فهل كان من الممكن أن تنزع أبيـاتـاً من مشهد الصراع بين الثور وكلاب الصياد في معلقة النابغة أو في غيرهـا من القصـائـد التي عرضت هـذا المشهـد لتضعهـا في مكان آخر .. هل كان يمكن أن تضـع البيت الأخير من المشهــد مكان البيت الأول ، فتقــول مثلاً :

لمـا رأى واشـق إقعـاص صـاحبـه ... ولا سبيـل إلى عقـل ولا قــود
قالت له النفس إني لا أرى طمعـاً ... وإنّ مــولاك لم يسلم ولم يصــد

ثم تتبعها بأبيات أخرى من الأول أو الوسط .. كأن تقول :

فظـل ضمران منـه حيث يـوزعـه ... طعن المعـارك، عنـد المحجر، النَّجُـدِ

ولو جاز ذلك افتراضاً وتكلّفه متكلّف .. فإن هنـاك وحـدةً من نوع آخر في القصيـدة العربيـة هي الـوحـدة التي يقتضيهـا البنـاء الإعرابي .. ودَعْ عنك وحدة المعنى .. إن بعض الصيغ في الأداء العربي تستلزم تتابعاً معيناً في الأبيات .. فأنت إذا لجأت تستخدم أسلوب الاستـدارة التشبيهيّـة مثلاً وجدت نفسك تقيم بناءً مستحكماً لا سبيل إلى نقضـه بتقـديم أو تـأخير ..

تبدأ مثلاً باستخدام أداة النفي « ما » التي هي بمعنى « ليس » ثم تضع بعد ذلك اسمها ثم تفيض في شرح شيء يتصل بهذا الاسم في بيتين أو أكثر ، ثم تعود بعد أن تستوفي عملك الفني في وصف الفرات « فما الفرات » عند النابغة أو عند الأخطل أو في وصف الناقة التي فقدت ابنها « وما عجول على بوٍّ .. » عند الخنساء أو في وصف الروضة « ما روضة من رياض الحزن » عند الأعشى ، لتذكر الخبر مقروناً بحرف الجر الزائد : يوماً بأكرم منه .. يوماً بأطيب منها طيب رائحة ..

العمل الفني والبناء الإعرابي هنا يتظاهران على إقامة هذه الوحدات .. فإذا أضفت ، منذ البداية ، الوحدة النفسية ، وإذا أضفت الوحدة التي يفرضها تتابع المعاني .. كان لك أن تقول ، في غير ما احتياط ، إن الشعر العربي عرف في قصائده أنواعاً من الوحدات ، التي ضمنت له تماسكه وتنسيقه .. إنه حقاً لم يعرف دائماً الوحدة العضوية على نحو ما يلهج بها اللاهجون المعاصرون ، لأن ظروف الشعر العربي والشاعر العربي لم تسمح بذلك .. وغيابُ هذا اللّون من الوحدة الذي اهتدى إليه النقاد المعاصرون والآداب الأجنبية المعاصرة ليس مصدر« تجريح ولا تهوين » وإنما هي تشكيلات تنبت في فنٍّ معين على نحوٍ معيّن .

ولكنها فتنة الأقوياء للضعفاء تستخدم كل شيء وتنفذ إلى كل شيء .. وتُنسي الضعفاء أن لهم خصائصهم ومميزاتهم ، بل وتنسيهم أن هذا التفكك الذي يؤخذ على الشعر العربي لايكاد يوجد حقاً إلاّ في بعض أبيات الحكمة التي ختم بها زهير معلقته .. بل إن الحكمة عند غيره في الشعر العربي موصولة بالموضوع متوّجة له ..

تحرك جبري نحو التجديد :



أ ـ تطلع وصراع

والحق أن جبري كان حريصاً على أن يستجيب شعره لنزعات التجديد هذه ، ويتمنى أن تكون له هذه الفَرادة . يحسّ ذلك قارىء شعره كما يحسه قارىء كتابه : « أنا والشعر » . ولعلّ معرفته باللغة الفرنسية واتصاله بالثقافة الفرنسية وقراءاته في الشعر الفرنسي ، وترجمته لبعض هذا الشعر ، لعلّ ذلك كان جديراً أن يقوده إلى نوع من التجديد الذي كان يتطلع إليه والذي يخالف به غيره من الشعراء ، وكان جديراً أن يقوده إلى بناء فنيّ للقصيدة مخالف للمألوف العرْبي يخرج بالقصيدة عن إطارها التقليدي المعروف .

لعلّ هذه الظروف الثقافية الخاصة كانت تؤهله لتجاوز المألوف الشعري ولكن الظروف الثقافية العامة في بلاد الشام ، وفي سورية خاصة ـ بالمفهوم الجغرافي الانتدابيّ ـ ماكانت تسمح له بذلك .. فلم يكن أمامه فرصة الخروج على الوزن ، ولا فرصة الخروج على البناء العام للقصيدة العربية ... كان الذوق العربي المتمكن في سورية يستهجن ذلك ويقاومه ..

وأحسب أن « جبري » عانى ذلك .. عانى من هذا الصراع بين رغبته في التجديد من نحو وبين غلبة الأجواء المحافظة من حوله عليه ..

رغبته في التجديد والإتيان بما لم يأت به غيره وتجاوز الآفاق التي كان يشاركه فيها زملاؤه وأترابه ، يسبقونه أو يسبقهم ، كانت رغبةً حادة .. إذ كانت تلفّهم الظروف الواحدة ، فيقولون في الموضوع الواحد أو المتقارب ، فتتوازى خطاهم ، وتتلاقى خطوطهم ، وكثيراً ما يقع الحافر

على الحافر في الأوزان والعناوين كما تتلاقى في المناسبات والدوافع .

والأجواء المحافظة من حوله لاتساعد على تفتح هذه الرغبات وارورائها .. شعور قومي جادّ بالانتماء للقديم والتواصل معه والإلف له .. إلف كان من القوة بحيث لم يتمكن هو من الخروج عليه . وخاصة بعد الذي كان من معركة ميسلون وسقوط الدولة العربية الأولى في مثل عمر الورد وألَقِه وريْحانه ، واستشهاد يوسف العظمة ، وتكالب الانتداب وسيطرة المستشارين ، وكبت المشاعر ، والحرص على التغريب في الميدان الثقافي ..

ب ـ استلهام :

ظواهر من هذا الصراع تمثلت أول ما تمثلت في بعض ما حاوله جبري حين ترجم عن هوغو إحدى قصائده .. وحين ترجم خطبة لـ « ماسيون » عنوانها الزمن .. وحديثه عن موقفه من هذا النصّ الفرنسي حديث يشهد لهذا الصراع ويصوره أصدق تصوير ، يقول :

« طالعت قطعة « ماسيون » فرأيت أنه لا قدرة لي على تثبيت أفكارها في شيءٍ من الشعر فإن شعر الشعراء الذين **أنستُ** بدواوينهم في القديم لم يألف هذا النحو من الأفكار . وإذا اشتمل شعر المتنبي أو شعر المعري على أشباه هذه المعاني فإن هذه المشتملات قليلة ، ولا تظهر قدرة الشاعر في مثل هذه الأحوال إلا إذا **ابتكر صيغة جديدة لأفكار** جديدة على ألاّ تخرج هذه الصيغة عن روح اللغة . إني أقرّ بعجزي في هذا المقام ، فإني من اثنتين وأربعين سنة ، أي من أول نظمي للشعر ، **لم أستطع أن ابتكر صيغة** شعرية أفرغ فيها أفكار خطيب من طبقة « ماسيون » . لقد قرأت قطعته فإذا أفادتني شيئاً فإنها **ألهمتني** الشعر

إلهاماً . لقد فتحتْ لي باب موضوع لم يكن مفتوحاً من قبل ، فدخلت هذا الباب ، ولكني **دخلته من الطريق التي ألفْتُها و لم أبتكر له مدخلاً آخر** ،دخَلت باب هذا الموضوع فوصفْتُ الزمن **على النحو الذي ألفه شعراؤنا في القديم** واستعرت من بعض أولئك الشعراء بعض تراكيبهم فحوّلتها إلى ما أريد .... »

« والخلاصة لم يأت في قصيدتي : الزمن ، شيء مما جاء في كلام ماسيون ولكنه ألهمني العنوان لاغير ، فخضت الموضوع **وأنا لاأدري كيف كنتُ أخوضه** ، فكنتُ أقرأ بعض كلام القطعة ، وأنقطع عن القراءة ، فتجيش في خاطري أبيات لا صلة لها بهذا الكلام ... » (ص ٣١٦ ـ ٣١٧ من هذا الديوان) .

وما أحسب أن أديباً عربياً آخر استطاع أن يحدثنا عن تجربته الشعرية بمثل هذه الصراحة وهذا الوضوح الذي تنيره الأمثلة الحيّة .. وتلك ، على أية حال ، قضية أخرى لانعرض لها الآن . وإنما الذي نعرض له إنما هو تجديد جبري وهذا الصراع الذي عاناه في سبيل هذا التجديد .

إنه صراع حادّ حارّ ، لأن نزوعه للتجديد كان قوياً ، ولكن لم تكن له مثل قوة الظروف من حوله ، وهي ظروف لم تسمح بتملي القديم (قارن مع قوله : وإذا اشتمل شعر المتنبي أو شعر المعري على أشباه هذه المعاني فإن هذه المشتملات قليلة ..) ولم تسمح كذلك بالنظر الدقيق للجديد وفهمه وتمثله .. ولهذا فإن جبري انصرف إلى التجويد حين لم يستطع أن ينصرف إلى التجديد .

وهنا فيما أحسب ـ مكمن الفرق بين جبري وأترابه في هذا النحو ..

إن أترابه لم يكن لهم مثل هذا التطلع ، ولم يجدوا مثل **هذا القلق** من زاوية الثقافة الأجنبية والجديد الغربي .. كانت لهم ، فيما يبدو ، قناعتهم بالأدب العربي والثقافة العربية والشعر العربي .. لم يَشْكوا شيئاً من هذا الشعر ، ولم يشكّوا في صلاحه ، ولم يحاولوا الخروج عن تقاليده في الوحدة النفسية التي تلمّ أطراف القصيدة كلها .. مانقموا منه شيئاً ، ولم يجدوا فيه عاباً .. وإذا كانوا أحسّوا فيه بعض مايؤخذ عليه في تشتت موضوعات القصيدة مثلاً فقد عالجوا ذلك بتجنبه ، في صمت دون ضجيج ، وحققوا وحدة الموضوع في القصيدة من غير أن يقولوا في ذلك شيئاً .. ظلت تجربتهم الشعرية صامتة فيما بينهم وبين أنفسهم ، على حين رفع جبري صوته في ذلك في كتابه « أنا والشعر » .

جـ ـ الصراع في الأفكار والصياغة

وهذا الصراع الذي عاناه جبري تناول عنصرين من عناصر العمل الفني .. تناول أولاً الموضوع والأفكار فيه .. إذ كان ـ كما يشير النص السابق ـ يتطلع إلى موضوع جديد وأفكار جديدة .

وتناول بعد ذلك الصياغة التي تلائم هذه الأفكار . وبذلك ربط جبري عملية التجديد بهذين المحورين . الأفكار والتعابير .. وربط ـ من الزاوية النقدية ـ بين الفكرة والتعبير عنها وهي الزاوية التي أضنت النقد العربي منذ بدأ الحديث فيه عن اللفظ والمعنى ـ فكان يرى أن الفكرة الجديدة لابدّ لها من صيغة جديدة تنهض بها وتحسن أداءها أو توصيلها ـ كما نقول اليوم .

ولكن هذه الصيغة يجب ألاّ تخرج عن روح اللغة .. وبذلك يضع جبري أمامنا تصوراً سليماً للتجديد اللغوي إذا كانت اللغة في حاجة حقاً إلى تجديد .. إنه في ذلك مشدود إلى سلامة اللغة واستقامة صيغها وتلألؤ

روحها ، فلا يتسرب إليها شيء من تشويه أو تشويش .

وواضح من هذا النص الذي وصف فيه « جبري » هذا الصراع أنه لم يفلح في هذه المعركة .. لم يبتكر مدخلاً آخر .. دخل من الطريق التي ألفها وأنس بها والتي استقاها من دواوين الشعراء المتقدمين .. ولكن الصراع لم يمض دون أثر .. غير أن هذا الأثر اقتصر على نوع من التفاعل السطحي بينه وبين هذا الجديد الذي أراد أن يحققه .. فاكتفى باستلهامه .

د ـ الاستعارة من القديم

ولكنه لم يستلهم الجديد فقط وإنما استلهم القديم أو استعاره .. فاستقام له عمله على أساس من المزاوجة بين الاستلهام والاستعارة .

استلهم العنوان ، وألقى شيئاً مما قرأ في أعماق نفسه ، أو في نفسه ، ثم ترك لهذا الذي قرأه أن يتشكل في داخله على نحوٍ ما ، وأن يجيش به خاطره فيقذف به على لسانه .

وفي الوقت نفسه كان جانب آخر من النفس ـ ولعله الجانب ذاته ـ ينظر إلى القديم المستقر في أعماقه فيستعير منه بعض التراكيب ، ويحوّلها إلى مايريد .

ويحسن أن نتأنّى .. فعملية التحويل المزدوجة والثنائية هذه لاتفسّر عمل « شفيق جبري » الشعري كله ، ولا يمكن أن نفسّر ديواناً كاملاً وحياة شعرية حافلة استمرت ماينيف على نصف قرن ، بوجه واحد .. إن هذه كانت تجربته في أول إقباله على الشعر ، زمن البواكير

ولا أشك في أن « جبري » آثر أن يستسلم بعد ذلك إلى سلطان الأجواء من حوله بأكثر مما حاول أن يقاوم هذه الأجواء .. وانصرف بخاصة إلى القديم بأكثر مما انصرف إلى الجديد .. وآثر أن يباري أترابه

ولداته في مثل الشروط التي كانوا يعيشون فيها ، ورأى أن جمهور المتلقين كانوا أقرب إلى الانفعال بالتليد والاستجابة له والتأثّر به ، بأكثر مما كان يمكن أن ينفعلوا بالجديد الطريف ..

و « جبري » كان من الذين يحبون الكلمة الطيبة ، أن يسمعوها وأن يطربوا لها ، والتصفيقُ لون من ألوان الكلمة الطيبة .. وفي تعليقاته على بعض قصائد الديوان أمثلة من ذلك☆ .

وأحسب أن « جبري » آثر جمهوره على نفسه ، ولكن دون أن ينسى أن يأخذ نفسه بكل زينتها الفنية ، وكمالُ زينتها الفنية أن تكون متساوقةً مع تقاليد الشعر العربي وسلامة لغته وبراعة صياغته وسبْقه إلى القلب عن طريق الأذن واستمتاعها بموسيقاه. **وموسيقى الشعر عند «جبري» موضوع آخر نرجو أن نعرض له إن شاء الله فيما ننوي أن نستكمل من عناصر دراسته.**

من مظاهر التجديد عند جبري . شعره الوطني

أ ـ بين الوطن والمرأة والطبيعة :

على أننا ونحن نتحدث عن الجوانب المتميزة في شعر جبري لانملك أن نهمل الموضوع الذي استبّد به والذي ملك عليه أكثر جوانب شعره ، ذلك هو شعر الوطنية .. وهو شعر اتسع أحياناً ليكون شعر القومية ، وضاق أحياناً ليكون شعر الوطنية ، وامتزج بعضه في بعض فكان هذا الشعر الذي يتآلف فيه الحديث ويتحد عن الشرق والعروبة وبلاد الشام .

وفي حديث جبري عن نفسه وشعره تأكيد متصل على أن شعره

☆ انظر ص ٣٧٩ وما كان من رأي حافظ إبراهيم في قصيدة جبري التي رحّب فيها بحافظ . وانظر قبلُ ص ٤٨ رأي الرصافي وص ٥٤ رأي بشارة الخوري .

الوطني لايخالط قصائده كلها فحسب وإنما يبتعثها ويولدها ، وأنه ، أياً كان الموضوع الذي يطرقه ، فإن الوطن يظل هو الخيط الأساسي الأصيل في نسيج هذا الموضوع ، وان هناك هذا التصعيد المستمر من الذاتية الضيقة إلى الوطنية أو القومية الجامعة .. وسواء أكان حديثه عن المرأة أو الطبيعة أو تمجيد بعض الذكريات أو تسجيل بعض المواقف ، فإن الوطن يتخذ مكانه الأصيل من هذا الحديث .

وما أكثر ماتوقف جبري عند هذه المقولة ، ومأأكثر ماشدّد عليها ومأأكثر مانوّع الأساليب والطرق إليها ، كأنما كان يريد أن يقول : إنه شاعر الوطن أو شاعر الوطنية ، وإن الوطن هو القاسم المشترك الأعظم بين موضوعاته .. فإذا شاقه أو راعه نوح العندليب كان الوطن وراء هذا الاشتياق وهذا الارتياع .. ولعل القصيدة التي افتتح بها الديوان وأسماه بها ، « نوح العندليب » من أدقّ الأمثلة على ذلك .. فقد كتب عشرة أبيات عن نوح العندليب ، وقارن فيها بينه وبين الشاعر ، مثيراً طائفة من التساؤلات الوجدانية العميقة ، فلما انتهى من ذلك لم يرتض هذه النهاية :

فيالك من ممعنٍ في الحنين ألم يشهد الناس تحنانه

ولذلك عمد إلى صناعة أو صياغة خاتمة أخرى هي هذا البيت الذي ربط فيه بين الذات وبين الموضوع ، بين الغنائية والموضوعية ، فجعله خاتمة القصيدة :

أتبكى العنادل أوطانها ولا يندب المرء أوطانه

فهل كان هذا البيت إضافة على الأصل ؟ أم كان نبعة هذا الأصل ؟

الشاعر لايتأخر عن أن يقول هنا « والحقيقة أني لم أعن بنوح العندليب وإنما عنيت بنوحي ، ولم أتغنّ بأشجانه وإنما تغنيت بأشجاني ، الا أن هذا العندليب كان سبيلاً إلى النوح وإلى التغني » .

ثم يضيف .. « ولكن على الرغم من هـذا كلـه غلبت على النفس في آخر القصيدة حالة مصدرهـا البلاد نفسهـا ، فـانقلبت القصيـدة من شعر غنائي أصوّر به شعوري وعاطفتي وأبكي فيه آلامي وأتغنى بآمالي إلى شعر وطني أبكي فيه وطني ، فختمتها بهذا البيت :

« أتبكي العنادل أوطانهـا .... » ..

نحو من هذا الكلام في أشباه لهذا المثال ، ونظائر لهـذه التعليقـات ، يتكرر في مـواطن كثيرة من الـديـوان ... والشــاعر يقـول ذات مرة في تفسير ذلـك : « إني انقلبت دون شعور مني إلى موضـوع وطني أملتـه عليّ حالة البلاد السياسية .. »

ولا يظهر هذا الجانب الوطني الذي يستبدّ بالشاعر في موطن واحـد من القصيدة ، كأن يكون في بدايتها أو نهايتها .. وانما يتنقل في جوانب منهـا ، فـالشـاعر قـد يبـدأ موضوعـه كما يقول : « بنزعـة وطنيـة ثم تصير النزعة إلى نزعة عاطفية ، وقد يبدأ بصوُرة عاطفيـة ثم تنقلب الصورة إلى صورة وطنية في الخاتمة .. وهكذا الشاعر في خلال النظم تتنازعـه عوامل مختلفة ثم لايلبث أحدها أن يغلب على الآخر » .

ويقول عن هـذه القصيـدة في موضع آخر من كتـابـه : إن عـاطفـة الحب تغرق في شعوره الوطني ...« وكثيراً مـايسـألني بعض الصحـاب عن شعري في الغزل فأخجل من نفسي كل الخجل ، وأحسّ بشيء من الضعف أن أقـول لهم ليس لي شيء من هـذا الشعر ، فـلا يكادون يصـدقـون مـا أقول .. » .

هنالـك إذن قضيـة كبيرة في شعر « جبري » هي هـذا التصعيـد من أفق العواطف الذاتية الخاصة إلى آفاق العواطف الوطنية العريضة .. فهل يتسع هذا التفسير لتعليل غياب شعر الغزل عند جبري ، وتحولـه إلى شعر

وطني ، وتحويل الشعر الغنائي كله عنده وربطه بالوطن ؟

لاشك أن شاعرنا شهد أكبر أحداث الوطن منذ الحرب العالمية الأولى ، وشعر بما عاناه الناس من شدائد هذه الحرب .. ثم امتلأت عيونه بدموع الفرح حين شهد ولادة مُلك فيصل واعتلاءه أول عرش عربي وحين رأى الراية العربية تخفق في سماء دمشق لتعلن قيام هذه الدولة العربية الأولى بعد قرون طويلة من التشتت والضياع .. ولاشك أنه بكى كذلك حين شاهد هذه الراية تنكّس وتطوى وحين سَمع أنباء المعركة في ميسلون وحين تمثل الشهداء صرعى على هذا الطريق بين بيروت ودمشق .. ولم تكن فظائع حكومة الانتداب الفرنسية ، بعد ذلك ولم يكن جبروتها بعيداً عنه ، فقد أشار إلى ذلك في شعره على قدر مامكّنت له الظروف ، وتوقّف عنده توقفاً مباشراً أو من خلال الموضوعات التي طرقها .. والذي يقرأ ديوانه كله يدرك أن الوطن كان الوتر الأقوى في شعره ، وكان الصوت الأرفع في قصائده ، وكان لايني ينساق إلى الحديث عنه وتقليب همومه والتعبير عن هذه الهموم من خلال أي غرض شعري آخر .

ولكن الانسان يجد نفسه أمام هذا الإلحاح مضطراً إلى أن يتساءل : ألا يكون الشاعر شاعر الوطن إذا هو لم يصل بين الوطن وبين كل غرض آخر ، وإذا هو لم يقاسم الوطن كل نَفَس من أنفاسه وكل خفقة من خفقات فؤاده ، وأن يدأب يتحدث عن ذلك ؟

ثم يمضي التساؤل بعد ذلك خطوة أخرى : لِمَ يكون كلّ هذا الحرص على الربط بين العمل الفنيّ وبين تقديس الوطن وتمجيده ؟ .. ولِمَ يكون كذلك كل هذا الحرص على إيضاح ذلك وتفسيره .

قد تكون الإجابة على مثل هذه الأسئلة مُرْبكة أو متعذرة .. فالأمر يتجاوز هذا النطاق الضّيق ويستدعي مجالاً أوسع ، يتمثل في دراسة

الشعر الوطني عند الشعراء الذين عاصروا « جبري » وشاركوه مواقفه حتى نستطيع أن نتَبيّن بوضوح المدى الذي وصلت إليه نزعته الوطنية في مخالطة شعره كله والحرص الذي لازمه في المزاوجة بين قضايا الذات وقضايا الوطن .

ب ـ مفهوم الوطن والقومية في شعر جبري

ويبقى أن مفهوم الوطن في شعر « جبري » لم يكن محدداً على النحو الذي نفهمه الآن .. كان الوطن هو الشام بالحدود الطبيعية التي نشأنا عليها ، من طوروس إلى سيناء .. وكان الوطن بلاد العروبة ، وكان الوطن هو الشرق .. تتساوق التعابير ، ولكنه يختار بعضها حيناً ويطرح بعضها حيناً آخر .. ونحن لانفهم هذا الاختيار إلا في ظلّ فهم سيطرة الانتداب الفرنسي وعسفه ، وأن « جبري » .. كان يشغل منصباً كبيراً في وزارة المعارف .. هذا أولاً .. وثانياً : لأن قضايا الوطن العربي كانت واضحة شديدة الوضوح في أذهان الناس جميعاً .. تختلف التعابير ولكن يظلّ المفهوم واحداً : وحدة العرب واستقلالهم .. فلم تكن قضايا الوطن العربي تماع في القضايا الأخرى المشابهة ، فلا تظفر قضية العرب ولا تظفر القضايا الأخرى .. ولم تكن تتسع الرقعة على الإنسان الذي يكابد هموم وطنه العربي فلا يدري أين يمدّ حباله ولا أين يوجّه نباله .. ولا يختلط مابين الحابل والنابل فيدّعي كلٌّ أنه ثائر على نحو ما نجد من هذا الاختلاط والاتساع والانمياع في مفاهيمنا المعاصرة .

ولهذا لم يخلّف « جبري » قصيدة على نحو القصيدة التي خلّفها حافظ « غادة اليابان » لالضيق نفسٍ أو قِصَرِ باع أو جهل بمكانة النهضة في اليابان ، أو تجاهل لهذه الظاهرة الحضارية الكبيرة .. ولكن لأن حياتنا

في بلاد الشام كانت مشدودة إلى قضايا العرب من غير إشراك بها ولا إحلالٍ لغيرها في مكانها ، ولأن النزعة الشرقية في مصر كانت أشد وضوحاً منها في الشام ..

ولم يخلّف « جبري » قصيدة مثل قصيدة شوقي « كبريات حوادث النيل » .. لا لقصورٍ عن ذلك أو تقصير .. ولكن لأن مفاهيم الحياة العربية في بلاد الشام لم تكن تجاوز آنذاك قضايا الاستقلال الوطني والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية .. ولعلّي توسّعت حين ذكرت العدالة الاجتماعية فذلك شيء جاء متأخراً وأخذ سبيله إلى أذهان الناس من طريق الحياة الدينية .. وكان الأفضل أن أقول : الاصلاح الاجتماعي على نحو ما كان شائعاً حينذاك ...

كان في وسعك أن تجد شوقي يتحدث عن « خوفو » و « رع » إلى جانب حديثه عن الفاروق وعمرو بن العاص ولكنك لاتجد عند « جبري » إلاّ خالداً والمثنّى ، وإلاّ قريشاً ومضر الحمراء .. كانت تلك في بلاد الشام هي مفاهيم الوطنية والقومية التي تحدث عنها « جبري » في صدق واخلاص ، وفي تواصل وتعاطف ، وفي إيمان وثقة .. ولعلّه لم يكن وحده في ذلك إذ كان هذا هو المناخ الذي عاشه هو وأترابه وقد يكون كذلك هو المناخ الذي عاشه جيل آخر من الشعراء بعده ..

آية هذا كله أن شعر « جبري » الوطني والقومي خيط زاهٍ ملوّن واضح في تراث جبري الشعري ، وأنه بعض مظاهر تجديد الموضوعات وتشقيقها في شعره ..

وأن لهذا الشعر عند صاحبه مفاهيمه ووظيفته وآفاقه إذ كان تعبيراً أو تسجيلاً للمفاهيم السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة آنذاك ..

وقد شغل هذا الشعر حيزاً كبيراً من انتاجه حتى ليؤلف أكثر شعره ، وخالط إنتاجه كله ، وغلب على كثير من قصائده وخاصة في الرثاء حتى ليجد المرء صعوبة في أن يضع بعض مراثيه في باب الرثاء ولا يعدّها من شعره القومي والوطني .

وبعض هذا الشعر فيما يرى صاحبه تعويض عن شعره الغنائي في الذات أو المرأة ، وتصعيد له ، وأنه على أية حال جدير بدراسة مقارنة مع شعر أترابه ومعاصريه ..

خاتمة :

وبعد ، فهذه وقفات وملاحظ عند بعض الموضوعات والظواهر في شعر شاعرٍ ملأ عصره غناءً وشعراً ، تمجيداً للوطن الكبير ، وتعبيراً عن الذات المتفردة .

وإذا كان الناس قد اصطلحوا على أنه شاعر الشام بحدوده القومية ، فذلك على معنىٍ أن الشام هو البلد الذي زخر بالحركات الوطنية ورعى الحركة القومية ، وأسهم إسهاماً واضحاً في النهضة الثقافية ، وصدر في أحزابه وجماعاته وفي نثره وشعره عن إيمانه بالوحدة وعمله الدائب لتأصيلها في أذهان الأجيال العربية وواقع الحياة العربية .

والله نسأل ، أن يعوّض العربية عن غياب الأستاذ جبري خيراً ، وأن ينفع بآثاره جميعاً أبناء العرب في كل قطر ومصر كما نفع به أبناءه وتلاميذه الكثر في جامعة دمشق خلال السنين الطوال . و صلى الله على سيدنا محمد الذي يقول في حديثه المرويّ عنه : إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة .

المدينة المنورة **شكري فيصل**

فاتحة الديوان

(١)

عـــــزلـــــة النفس

تُـــذَكِّرني نفسي ، وهيهـــاتَ مــــا أنسى
جِراحـــاً أمضّتْ جـــانبيَّ فمـــا تـؤْسى [1]

ويــؤنسُني هجرُ الـــديـــارِ وأهلِهـــا
فلستُ أرى في النـــاس قـــاطبـــةً أُنْســـا

ومـــا يئستْ نفسي من الــــدهرِ إنمـــا
تنكَّرَتِ الأخـلاقُ فـــاختـــارتِ اليـــأسـا [2]

تجـــافتْ عن الـــدهمـــاءِ لم تحتفـــلْ بهمْ
ترى عَبْسَهُمْ بِشْراً ، وبشرَهُمُ عَبْســــا [3]

فمـــا أَلِفَتْ في الليـلِ بـــارقـــةَ الـــدجى
ولا هي نـــاغَتْ في رفيف الضّحى الشمســـا [4]

ومـــالي ومـــا للنـــاسِ أبغي وِصـــالَهمْ
فمـــا وصلُهمْ نعمى ولا هجرُهمْ بـــؤسى !

---

(١) أسا الجرح : داواه .
(٢) فاعل اختارت يعود على النفس .
(٣) الدهماء : جماعة الناس .
(٤) ناغى المرأة : غازلها .
ـ رفّ رفيفاً : تلألأ .

فمن يــــكُ عن أهــل الـــديـــارِ بمَعْــزِلٍ
يُرِحْ نفسَـــه من كلِّ مـــا يُقْلِـقُ النفســـا

١١ كانون الأول ١٩٢٣

كتب رحمه الله في ذيل هذه الأبيات :

« معارضة قصيدة الشبيبي :

جَرَتْ زَهْنَ تيّـــارٍ من الهـــولِ زاخرٍ وما شَطَـأتْ حينـاً ولا قـاربتْ مَرْسى »

وهذا البيت مطلع لقصيدة « سكرة النفس » صُدّرت في ديوان الشبيبي بما يلي :

« من الأبيات السائرة التي اتفقت له في دمشق سنة ١٣٣٩ هـ : ١٩٢٠ م »

البـــــــــاب الأول

الوطن العربي

قصائده (٢٨)

(٢)

نـــوح العنـــــــدليب

دعِ العنـــدليبَ على غُصنِــــهِ	يُردّدْ على الغُصْن أحـــزانَــــهُ
فلم أرَ في لحنــــه كُلْفــــةً	تُهَجّنُ - إن نـــاح - ألحـــانَــهُ[1]
لئن دوَّنَ النـــاسُ أشعـــارَهمْ	لقـــد جعـــلَ الروضَ ديـــوانَــهُ
وإن قيّــــدَ الـــوزنُ أفكارَهمْ	لقـــد أطلـــق السجـــعُ أوزانَــهُ[2]
كتمتَ الشجـــونَ عن العنـــدليبِ	فراح يبثُـــكَ أشجـــانَــــهُ[3]
وأخفيتَ عنـــه دمـــوعَ الجفـــونِ	وقـــد بلّـــلَ الـــدمـــعُ أجفـــانَــهُ
فهـل شـــطَّ عن وَكْنــه جـارُهُ ؟	فـــودّعَ بـــالنَّـــوْح جيرانَـــهُ[4]
أمِ البـــازُ أودى بخُـــلانِـــه	فـــأصبـــحَ ينـــدُبُ خُـــلانَــهُ
أم الريـــحُ هبّتْ بـــأفنـــانــه	فـــزلـــزلتِ الريـــحُ أفنـــانَــهُ
فيـــا لـــكَ من ممعنٍ في الحنينِ	ألم يشهـــدِ النـــاسُ تَحْنـــانَـــهُ ؟

☆ ☆ ☆

أتبكي العنـــادلُ أوطـــانَهـــا	ولا ينـــدُبُ المرءُ أوطـــانَـــهُ ؟

مجلة (الفيحاء) ٣٠ أيار ١٩٢٤

---

(١) هجّن الأمرَ : قبّحه وعابه .

(٢) سجعت الحمامة : هدرت وردّدت صوتها .

(٣) الشجون : ج شَجن وهو الحزن والهم .

(٤) شطّ : بَعُد .

- الوَكْن : عش الطائر .

كتب رحمه الله ما يلي مقدمة لهذه القصيدة :

« أذكر أن هذه القصيدة قلتها في صباحٍ من أيام الربيع . وقد نظمتُها في غرفتي المشرفة على بستان من بساتين الحيّ ، وكنتُ حينئذٍ في شبه أزمة عاطفية ، إلا أني لما شرعتُ في نظمها ، انقلبتْ دون شعور مني إلى موضوع وطني أملته عليّ حالة البلاد السياسية ، فهي على عكس أختها « أنا والحمام[5] » بدأتَ في تلك بنزعة وطنية ، ثم صارت النزعةُ إلى نزعة عاطفية ، وبدأتَ في هذه بصورة عاطفية ، ثم انقلبتِ الصورة إلى صورة وطنية في الخاتمة ، وهكذا الشاعر في خلال النظم تتنازعه عوامل مختلفة ، ثم لا يلبث أحدها أن يغلب على الآخر »

وكتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٢٥) :

« ... والحقيقة أني لم أعن بنوح العندليب . وإنما عنيت بنوحي ، ولم أتغنّ بأشجانه ، وإنما تغنيت بأشجاني ، إلا أن هذا العندليب كان سبيلاً إلى النوح وإلى التغني ، ولكن على الرغم من هذا كله ، غلبت على النفس في آخر القصيدة حالة مصدرها البلاد نفسها ، فانقلبت القصيدة من شعر غنائي أصوّر به شعوري وعاطفتي ، وأبكي فيه آلامي ، وأتغنّ بآمالي ، إلى شعر وطني أبكي فيه وطني فختمتها بهذا البيت :

أتبكي العنادل أوطانها ولا يندب المرء أوطانه ؟

ولست في حاجة إلى أن أذكر أنْ هذه القصيدة شاعت في أكثر بلاد العرب ، فنُشرت في صحف الشام ولبنان ومصر والعراق وامتد نشرها إلى الصحف العربية في أميركة الجنوبية ....»

وكتب في ص(٣٨) في معرض حديثه عن المرأة والحب :

« ... فما كنتُ غريباً عن هذا الحب ، ولا كان هذا الحب غريباًعني ، لقد حاولتُ مرة أن أفصح عنه في قصيدتي « نوح العندليب » على نحو ما تقدمت الإشارة إليه ، فانقلب الإفصاح في خاتمة القصيدة إلى شعور وطني كادت عاطفة الحب تغرق فيه . وكثيراً ما يسألني بعض الصحاب عن شعري في الغزل فأخجل من نفسي كل الخجل ، وأحس بشيء من الضعف ، وأنا أقول لهم : ليس لي شيء من هذا الشعر فلا يكادون يصدقون ما أقول . »

---

(٥) القصيدة ذات الرقم (٣١) .

(٣)

اغنيـــــة المغلـــول

أنـــــا يـــــا طيرُ مغلـــولُ متى أنجـــو من الغُـــلّ ؟[١]
وهـــذا البـــالُ مشغـــولُ فـــا يلهـــو عن الشُغْـــلِ ؟
لئن عنّتْ ليَ الغـــــولُ وطـــاحتْ بي على مَهْـــلِ[٢]
فربعي اليـــومَ مـــأهـــولُ فصِـــحْ يـــا طيرُ في أهلي

☆ ☆ ☆

أَعِنْ يـــــا طيرُ في الأسرِ فتىً لم يـــــألفِ الأسرا
وقُمْ غرّدْ مــــــعَ الفجرِ وغنِّ الروضَ والفجرا
لقـــد أخْنَـــوا على صبري فــــــألهِمْ قلبيَ الصبرا[٣]
أنـــــا يـــــا طيرُ مغلـــولُ فهـــل تحنـــو على غُلّي ؟

☆ ☆ ☆

لـــك الجـــوُّ ومـــا ضمّـــا ولي القيـــدُ ومـــا زمّـــا[٤]
فـــإنْ لم تعرفِ الهمّـــا فقلبي مفعمٌ همّـــــا
أعـــاني البثَّ والغَمّـــا ففرّجْ عنّيَ الغمّـــــا
أنـــــا يـــــا طيرُ مغلـــولُ فخلّصْني من الغُـــلّ

مجلة الميزان ٢٦ أيار ١٩٢٥

---

(١) الغُلّ : طوق من حديد أو جلد يُجعَلُ في اليد أو في العنق .
(٢) عنّ الشيءُ : ظهر أمامك .
ـ طاح به : حمله على ركوب المهالك .
(٣) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .
(٤) زمّ : شدّ .

كتب رحمه الله في ذيل هذه القصيدة :

« نشر الأستاذ مصطفى صادق الرافعي قصيدة في جريدة (الأهرام) عنوانها : « ترقيص طفلة » وهذا مطلعها :

نـــدى الـــوردِ على فُلّـــكْ كَسَفتِ الـــوردَ والفُـــلاّ

وقد وقع مني هذا الطرز من الشعر موقعاً حسناً ، فجريت على هذا الأسلوب في القصيدتين : « أغنية المغلول » و « مناجاة الطير[5] » وفي قصيدة ثالثة ذُكرت في باب آخر من الديوان ومطلعها :

وميضَ البرقِ من ثغركْ فـــديْتُ البرقَ والثغرا[6]

وكما أن في الغناء العربي القديم غناءً كانوا يسمّونه : الخفائف ، فلا أرى بأساً بأن يكون في شعرنا نمط من هذه الخفائف .

والقصيدتان : أغنية المغلول ومناجاة الطير تفصحان عن مظهر وطني ، وليس في هذا المظهر شيء من الكلفة ، فقد كنت أشعر بما كانت نفوس الناس في الشام تشعر به ، فصورّتُ في القصيدتين شعور الناس العام . وشعوري الخاص . . »

---

(٥) القصيدة (٤)

(٦) القصيدة (٣٤ ـ ترقيص الطفلة)

(٤)

منــــــاجــــــاة الطير

غنّ يـــــاطيرُ لي ولَـــــكْ سَلِمَ القلبُ أم هَلَـــــــكْ

☆ ☆ ☆

ضِعْتُ بين الشـــــدائـــــدِ مــــا فـــؤادي براشـــدِ
من دمـــوعي قصـــائـــدي وشُجـــوني قـــلائـــدي[1]
نظرتي في الفراقــــــــدِ ضجعتي في الفـــــدافـــدِ[2]
هــل يعــودُ الــذي سَلَــكْ ؟ غنّ يـــا طيرُ لي ولــــكْ[3]

☆ ☆ ☆

هـــــاكَ يـــــا طير أدمعي فـــابـــكِ في خلـــوةٍ معي
واذكرِ اليـــــــــومَ أرْبُعي أقلـــقَ الــــذّكرُ أضلعي
أين نـــــومي ومَضْجَعي ؟ أين لهـــــــوي ومَرْتَعي ؟
أخـــذ الـــدهرُ مـــا تركْ غنّ يـــا طيرُ لي ولـــكْ

☆ ☆ ☆

نـــزل اليـــومَ مـــا نـــزلْ غنّ يـــا طيرُ لا تَسَـــلْ

---

(١) القلائد : ج قِلادة وهي ما جُعل في العنق .

(٢) الفرقدان : نجمان في السماء قريبان من القطب ، وقد قالوا فيهما (الفراقد) كأنهم جعلوا كل جزء منهما فرقداً .
ـ الفدافد : ج فدفد وهو الفلاة أو الأرض الغليظة ذات حصىً .

(٣) سلَكَ المكان : دخل فيه ، والطريق : سار فيه .

إنْ يكنْ خطبُنـــــا جَلَـــلْ فـــــالفتى يحمــلُ الجَلَـــلْ[4]
إنَّ لي في غـــــــد أمـــــلْ أترى أدركُ الأمـــــــــلْ
خـــذْ فـؤادي ومـــا ملـــكْ غنِّ يـــــا طيرُ لي ولــــكْ

مجلة الميزان ٢ آذار ١٩٢٦

(٤) الجَلَل من الأمور : العظيم .

(٥)

وطني دمشق*

وطني دمشــقُ ومــا اجتــويْتُ ظِــلالــه
يــا دهرُ إنــكَ قــد أطلْتَ نِـزالَــهُ[1]

مـاذا جنى ؟ حتى شَـدَدْتَ عِقـالَـهُ
بـالله حُـلَّ إنِ استطعْتَ عِقـالَـهُ[2]

هـل يهـدأُ المـأسـورُ في أغـلالِـه ؟
إن باتَ يشكو في الـدُّجى أغلالَـهُ

قد كنتُ أَحْمَدُ في الشدائدِ حـالَـهُ
هيهـاتَ لستُ بحـامـدٍ أحـوالَـهُ

مــا راعَني إلاّ شتيتُ رجــالِــه
فمتى تَضُمُّ المكرمـاتُ رجـالَـهُ ؟ [3]

ضـلَّ السبيـلَ فطـاحَ من عليـائِـه
ثم استمرَّ ولم يبــالِ ضَـلالَــهُ[4]

نُصِبَتْ لــه الأحبــالُ في آفــاقــه
بَرِحَ الخفاءُ ، ومـا رأى أحبـالَـهُ[5]

***جمع ـ رحمه الله ـ هذه القصيدة مع اثنتي عشرة قصيدة تتلوها ، وكتب على الصفحة الأولى :**

« تظهر على هذه القصائد روح الثورة ، فقد قيلت بعد أن خابت آمال العرب في آخر الحرب الكبرى ، ودخلت الشام ولبنان والعراق في الانتداب »

وكتب في ذيل هذه القصيدة « لم يسمح المراقب بنشرها »

(١) اجتوى البلدِ : كره المُقام به .
ـ النزال في الحرب : أن يتنازل الفريقان .

(٢) العقال : حبل يُشَدّ به البعير في وسط ذراعه ، أو الرباط الذي يُعْقَل به .

(٣) الشتيت : المُفَرّق والمشتّت .

(٤) طاح : أشرف على الهلاك .

(٥) الأحبال : ج حبل وهو الرباط .
ـ بَرِح الخفاء : زال فوضح الأمر .

إني ضَنيتُ ومـــا أمضَّ جـوانحي	إلا ابتغـــاءُ عـــدوِّه إذلالَـــه[٦]
وطنٌ إذا ائتلفتْ قلـوبُ حُماتِــه	قَهَرَ الشعوبَ فلا تصولُ مَصالَهُ[٧]
إن يستقــلَّ بلغتُ أبعــدَ غـايــةٍ	فمتى يُحـاولُ ربعُـهُ استقلالَـه ؟

٧ آب ١٩٢٣

(٦) ضَنِيَ يَضْنى : مرض مرضاً ملازماً حتى أشرف على الموت .

(٧) المصال : مصدرِ ميمي لفعل (صال) وصال عليه : وثب أو سطا عليه وقهره .

(٦)

بكت النجـــــــــوم

يـا من يَرِقُّ لحـالـهِ ولـدائـهِ ذهبَ الجوى بسُلُـوِّه وعَـزائِـهِ[١]
ضلَّ السبيـلَ فهامَ في أشجـانـهِ متقلبـاً في بـؤسِـه وشَقـائِـه
قلـقَ المضـاجـع ؛ مـاتـزالُ شجـونُـه
خفّـاقـةً في صُبحِـه ومسـائِـه
كالبرقِ في إيمـاضـه ، والمـاءِفي رقراقِـه ، والطيرِ في أجـوائـه[٢]
تمشي الهـواجسُ في جـوانـحِ صـدرِه
فيـذودُهـا عن صـدرِه ببكائِـهِ[٣]
فعيـونُـه مـوّاجـةٌ بـدمـوعِـهِ ودموعُـه ممـزوجـةٌ بـدمـائِـهِ
وأنيسُـهُ في ليلِـهِ بُرَحـاؤهُ ويـلٌ لـه في الليـلِ من بُرحـائِـه[٤]
وحـديثُـه في صُبحِـهِ لأواؤه ويـحٌ لـه في الصبح من لأوائِـه[٥]
بكتِ النجـومُ لِما ألَمَّ بقلبـهِ وحنـا عليـه الليـلُ في ظَلمـائـه
ورثى حَمامُ الأيـكِ فـوقَ غصـونِـهِ
لـوَسـاوسٍ أخْنَتْ على حَـوْبـائـه[٦]

---

(١) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق .
ـ السلوّ : النسيان .
(٢) أومض البرقُ : لمع خفيفاً .
(٣) الهواجس : ج هاجس وهو ما وقع في خَلَدَك .
(٤) البُرَحاء : الشدة و المشقة ، أو شدة الحمىّ .
(٥) اللأواء : الشدة والمحنة .
(٦) أخنى عليه : أهلكه .
ـ الحَوْباء : النفس .

مـــا رابَـــهُ إلا تبـــدُّدُ الـــهِ ... آيـدي سبـا في أرضِـهِ وسمائِـهِ[7]
هـذا استظـلّ براسيـاتِ جِبـالِـه ... وغـدا يُنـاجي النجمَ في عليـائِـه
وأنـاخ ذاك بشـاسعـات سهولـهِ ... مستـأثراً بَمهـاتِـه وظِبـائـه[8]
هـل ينفـعُ الجَبَـلَ المُنيفَ عَـلاؤُهُ ... إن لم تُحِـطْ أغـوارَهُ بعَـلائـهِ ؟[9]
أو ينفـعُ السهـلَ المـديـدَ فضـاؤهُ
إن لم تُطِفْ أجبـالُـه بفضـائـه ؟[10]

٢ شباط ١٩٢١

---

(٧) تفرّق القوم أيدي سبا أي : تبدّدوا تبدّداً لا اجتماع بعده ، وسبا أو سبأ أبو قبائل اليمن ، وحين طغى السيلُ على بلاده وأغرقها ارتحل هو وقومُه ، وتبدّدوا في البلاد ، وضُرب بهم المثل ، وقيل : « المراد بأيدي سبا : جنوده» لأنه كان يستعين عليهم في الغارات .

(٨) أناخ بالمكان : أقام به .

(٩) الجبل المنيف : المرتفع المشرف .

(١٠) أطاف به : ألمّ وأحاط به .

(٧)

وطــني !

علّمــوهُ كيف يعنــو فعنـــا وثَنَــوْهُ عن عُــلاه فـــانثنى[١]
واقتنى العـــارَ ولم يحفِـلْ بـــهِ واقتنـــاءُ العـــار شرُّ المقتنى
طَيِّـعٌ يُعطيــكَ منــه حَبْلَـــهُ فخُـــذِ الحبـلَ وجُرَّ الشَّطَنـــا[٢]
أيهـــا الســـائـلُ عن أربُعِنـــا إنمـــا الأربُـعُ صـــارت دِمنَـــا[٣]
ليسَ في أفيـــائهـــا غيرُ فتىً واجفِ الأضلعِ يشكــو الــزَّمنـا
يُرســـلُ الأدمــعَ من أجفُنِـــه فيسلّي بـــالـــدمــوع الأجْفُنـــا
هَبَــطَ الـــدهرُ إلى آفـــاقنـــا وخــلا الجــوُّ فـــأذكى الفتَنـــا
فمروجُ الشـــامِ تشكــو ضيمَهـــا أين من يكشِفُ عنهـــا المحنـــا ؟
خَفَضــوا الرايــة من عليـــائهـــا فمضى الـــــدهرُ بمعســـول المنى
أرقُبُ الصبـــحَ وليلي سَرْمَـــــدٌ فـأنـاجي في الليـالي الـدُجَنـا[٤]
وانصرافُ العينِ عن رَقْـــدَتهـــا في دياجي الليل يُقذي الأعيُنا[٥]
شَجَنٌ في أضلعي مختلِـــــــجٌ ضـاقَ عنـه الصــدرُ حتى عَلَنـا[٦]

---

(١) عنا يعنو : خضع وذلّ .
(٢) الشَّطَن : الحبل الطويل .
(٣) الدِّمَن : ج دِمْنة وهي آثار الديار .
(٤) ليلٌ سرمدٌ : طويل .
ـ الدُّجَن : ج دُجْنة وهي آثار الديار .
(٥) أقذى العينَ : جعل فيها القذى ، والقذى ما يقع في العين من تبنة أو نحوها .
(٦) علَنَ : ظهر .

وطني كيف أُرجّي بيعَـــــهُ ؟ ذلٌ من راحَ يبيـعُ الـوطنـــا
أيهـا الطـامعُ في حـوزتِـهِ لستُ أرضى بـالثريّـا ثمنـا
وُكُنـاتٌ عَلِـقَ القلبُ بهـا وعَنـاه من هـواهـا مـا عنى[7]
دَرَجَ الخـاطرُ من أظـلالهـا كيف يسلو القلبُ تلك الأوْكُنا ؟
حَسُنَتْ فيهـا الأمـاني برهـةً آه لـو تُبقي الليـالي حَسَنـا !
رُبَّ مَلْـكٍ نـامَ عنـهُ أهلُـه فَمنـاه الـدهرُ فيما قـد مَنى[8]
أيهـا القـومُ أفيقـوا ويحكُمْ وَثَبَ الـدهرُ فما هـذا الـونى ؟[9]
اِخفِضِ الصـوت ولا تَجْهَرْ بـه رُبَّ صوتٍ هـاج فيـك الظِّنَنا[10]
عقـدوا الألسنَ حتى صمتتْ مـا ترى للقـومِ فينـا ألسُنـا

٢٨ شباط ١٩٢١

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٢٢) :

هكذا كان شعري الوطني في أوائل أيام الفرنسيين ، شعر هادئ في ظاهره ، فيه كثير من الألم الباطن ، وأعتقد أن البلاد كلّها كانت على هذه الحال . كانت هادئة في ظاهرها ، أليمة في باطنها ، فكانت النار تأكل هذا الباطن ، ومن هذا يتبين لنا مقدار الصلة بين الشعر وبين البيئة التي يعيش فيها الشاعر ، فالشعر صورة هذه البيئة وصدى آلامها وأمانيها .

إلا أن هذا الهدوء في الشعر لم يطل كثيراً ، فقد عادت النفس إلى ثورتها ، ولكنها على كل حال لم تعد إليها بمثل العنف الذي كان يخالطها ، رجعتْ إلى ثورتها ،يتخلل هذا الرجوع يأس في بعض الأوقات ، وعنف ضعيف في بعض الأحيان »

---

(٧) الوُكُنات : ج وُكْنة وهي عش الطائر .

(٨) المَلْك والمَلِك : صاحب المُلْك .

ـ مَناه : ابتلاه وأصابه .

(٩) الونى : الفتور والضعف .

(١٠) الظِّنَن : ج ظِنّة وهي التهمة .

ثم أورد (١١) بيتاً هي (١ ـ ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) ثم قال :

« وفي هذه الأبيات الأخيرة ما يدل على مراقبة الصحف و على التضييق على الفكر وحريته »

وكتب في ص(٩٠) :

« وأما الشيخ رضا الشبيبي فإنه عمل قصيدته :

فتنـــــةُ النـــــاسِ ، وقُينـــــا الفِتَنـــــا   بـــــاطـــلُ الحمــــدِ ومكـــــذوب الثنـــــا

فعارضتُه بقصيدتي :

علمـــــوه كيف يعنـــــو فعنـــــا   وثنَـــــوْه عن عُـــــلاهُ فـــــانثنى »

وكتب في هامش الصفحة نفسها :

« ما أشبه هذا المطلع بقول شوقي

علمـــــوه كيف يجفـــــو فجفـــــا

ولكني قلت قصيدتي في ٢٨ شباط ١٩٢١ أي قبل أن يغني محمد عبد الوهاب قصيدة شوقي »

(٨)

فتيـــــــــــان قريش

مُروجَ دمشقَ وغيطانَها ... سَقَتْكِ السحائبُ هتّانَها

وهبّتْ عليكِ نسيمُ الصَّبا ... تُناغي الجِنانَ وأغصانَها[١]

وحنّتْ اليكِ بناتُ الهديلِ ... ترتّلُ في الروضِ ألحانَها[٢]

سلامٌ عليكِ مجالَ الهوى ... جَلَوْتِ عن النفسِ أشجانَها

فهل تذكرين شُجوناً طوتْ ... عزاءَ القلوبِ وسُلوانَها ؟

فلا تسألَنَّ بيوم مضى ... فتجلبَ للنفس أحزانَها

عفا الله عمّا جناه الزمانُ ... وجدَّدَ للناس أزمانَها

أساءتْ إلينا صروفُ الردى ... فلا نُغْفلُ اليومَ إحسانَها

فقد عوّدتْنا مِراسَ الخُطوبِ ... فما تَرْهَبُ النفسُ غِشيانَها

إذا ما استطالتْ علينا الدُّهورُ ... دفعْنا الدهورَ وحِدْثانَها[٣]

يُزجّي الرياحَ صدى صوتِنا ... ويعلو السماءَ وأعنانَها[٤]

وتعشو الليالي سنا نارِنا ... ونُضْرِمُ في البيد شُهْبانَها[٥]

ولو كفّت التُّرْكُ عن غيّها ... وسلّتْ من الصدر أضغانَها

---

(١) النسيم من الرياح : التي تجيء بنفَسٍ ضعيف (اللسان)
- المناغاة : المغازلة .

(٢) الهديل : صوت الحمام .

(٣) حِدْثان الدهر : نوائبه .

(٤) يُزجّي : يسوق .
- أعنان السماء : نواحيها .

(٥) السنا : ضوء البرق .
- الشُّهبان : ج شهاب وهو كل مضيء متولد من النار

تحـامتْ أذاهـا سيـوفُ الحجـازِ ... وصافَتْ على الـدهرِ سُلْطـانَها
ولكنّهــا لازمتْ بغيَهــا ... فحركتِ العُرْبُ فتيــانَها
وأسْرَتْ بهمْ في سـوادِ الـدُّجى ... تجـوزُ الحجـازَ وكُثْبـانَها[٦]
بخيـلٍ عتــاقٍ براهــا السُّرى ... تُـزَجّي إلى الكَرّ فُرسـانَها[٧]
وبيضٍ حـدادٍ جـلاهـا اليقيـ ... ـنُ تَطـوي الملـوكَ وتيجـانَها[٨]
فـأزعجتِ الخيـلُ أبطـالَهـا ... وأقلقتِ البيضُ أجفـانَها[٩]
وقـالَ الـزمـانُ : ألا مـالَهـا ؟ ... وهل يَجْهَلُ الدهرُ نِشْدانَها ؟[١٠]
تحـاولُ مُلْكاً تليـدَ العُـلا ... وتَنْعى على التُرْك طُغْيـانَها[١١]
فللـه مجـدٌ بَنَتْـهُ لنـا ... قريشٌ رعى اللهُ بُنيـانَها
أقـامتْ عليـه احتفـاظـاً بـه ... طِـوالَ الرمـاحِ ومُرّانَها[١٢]
يُليـحُ بهـا كلُّ ثَبْتِ الجَنـانِ ... يهـزُّ الجبـالَ وأركانَها[١٣]
إذا مـاتصـدَّتْ لـه الحـادثـاتُ ... سَعَرْنـا الحروبَ ونيرانَها
عـزيـزٌ علينـا هـوانُ النفـوسِ ... ونُرْخِصُ في الرَّوْعِ أثمـانَها[١٤]
نفـوسٌ تـوقّتْ صِغـارَ الأمـورِ ... ومـدَّتْ إلى المجدِ أشطـانَها[١٥]

---

(٦) أسرى به : سيّره ليلاً .
(٧) الفرس العتيق : الرائع .
ـ السُّرى : السير ليلاً .
(٨) البيض الحداد : السيوف القواطع .
(٩) الجَفْن : غمد السيف .
(١٠) نشد الضالّة نِشْداناً : طلبها .
(١١) التليد : القديم .
ـ ينعى عليه طغيانه : يعيبه به ويظهره .
(١٢) المُرّان : الرماح اللّدْنة في صلابة .
(١٣) ألاح بسيفه : لمع به .
(١٤) الرَّوع : الحرب .
(١٥) الشَّطَن : الحبل .

فحــقَّ لهــا الفخرُ من بعــدِمــا   أقــامتْ على الفخرِ بُرْهــانَهــا

☆ ☆ ☆

دواليْــكَ يــامن أَحبَّ العَـلاءَ   وخــافَ على النفسِ صُغْرانَهــا[16]
يَهــابُ الــزمــانُ على كرهِــهِ   أليفَ المعــالي ومِعْــوانَهــا
ومن يَعْصِ وَحْيَ المعــالي يُطِـعْ   نُصـولَ العـوالي وعيـدانَهــا[17]

٢٤ كانون الأول ١٩١٨

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٣٦) :

« إذا خلوتُ إلى سحر دمشق المالئ كل طرف من أطرافها ، المالئ جُرد جبالها وغُلْب حدائقها ، وظلال بساتينها ، وهدوء أوديتها ، ورقة هواء جرودها ، وعذوبة ماء عيونها ، فما الذي خلّفتْه بعد هذه الخلوة من أثر هذا كله في شعري ؟ لاشيء ماخلا تحية يسيرة جاءت في بضعة أبيات من قصيدة وطنية » .

ثم أورد سبعة الأبيات الأولى وقال :

« إنها لتحية صافية نقية ، ولكنها كانت سبيلاً إلى وصف ثورة الحجاز ، وفتيان قريش ولم تكن لمجرد التحية »

وكتب في ص (٦٥) في معرض حديثه عن وحدة القصيدة :

« قلت هذ القصيدة في ثورة الحسين أي في ثورة العرب الكبرى ، ويرجع تاريخها إلى أربعين سنة ، لاأريد أن أذكر الآن الباعث عليها ، إنما غرضي الكلام على وحدة القصيدة ، وهذه القصيدة هي ثالث قصيدة عملتها في فاتحة أمري » .

---

(١٦) دواليكَ : تداولِ الأمر مداولة بعد مداولة ، وهو مفعول مطلق ، يقال : « فعلنا ذلك دواليك » أي : مرة بعد أخرى .
ـ صَغُر صُغْراناً : هان وذلّ .

(١٧) النِّصل : حديدة الرمح .
ـ العوالي : الرماح .

كيف نظمتُ هذه القصيدة ؟ لقد هزّني شعر كنتُ قرأته ، وقد أشيرُ إليه بعد ذلك ، فألهمني هذه القصيدة :

مروج دمشق وغيطانَها سقتك السحائب هتانها

إذا أحصيت مقاطع القصيدة ، وجدتها ثلاثة مقاطع وخاتمة ، ولكني لم أفصل بين مقطع ومقطع كما فعلت في قصيدة جاءت بعدها ، وإنما تلاحقت المقاطع دون فواصل ، وعلى الرغم من أني لم أفصل بين المقاطع فقد ظلت القصيدة متماسكة ، وكأن هذا التماسك كان شيئاً من وحي الطبع لاأثر للذهن فيه ولاعمل ، فالمقطع الأول في تحية دمشق ، والمقطع الثاني في سياسة الترك في البلاد ، والمقطع الثالث في ثورة الحجاز .
من هذا يتبين أن الصلة مستحكمة بين أجزاء القصيدة ، ومع هذا كله . لانجد للقصيدة مخططاً ، فقد درجت على سنن شعرائنا المتقدمين ، فهم لم يخطر ببالهم المخطط ، على أنه قد كان كل قسم مستقلاً بنفسه ، وهذا قسم الثورة » .

وأورد عشرة أبيات هي (١٣ ـ ٢٢) ثم قال :

« هذا قسم تلاحقت أبياته ، وتعاقبت فيه الصور ، ولئن رأينا في هذا النحو من الشعر وحدة أو مايقرب منها فهي وحدة لم أفكر فيها ، وإنما جاءت على طبعها » .

وكتب في ص (٩٠) وهو يتحدث عن إعجابه بخير الدين الزركلي :

« فإذا عمل خير الدين قصيدة كنت أبادر إلى معارضته ، وأذكر أنّ أول قصيدة عارضته بها قصيدته في رثاء شهداء العرب :

نعى نادب العرب شبانها فجدّد بالنعي أحزانها

فقلت في قصيدتي في ثورة الحجاز :

مروج دمشق وغيطانها سقتكِ السحائبُ هتّانها »

(٩)

بين الشــــــــام والعراق

أَحنُّ إلى بغـــدادَ من أَرضِ جِلـقِ وأسأَلُ أهلَ الشام عن كلِّ مُعْرِقِ[١]

وأسـألُهُمْ عن كلِّ ربـعٍ بـدجلـةٍ يضيءُ ضيـاءَ البـارقِ المتـألـقِ[٢]

إذا نسماتُ الريـحِ هبّتْ بظلّـــه أثـارتْ فتىً إن يَخطُرِ الشوقُ يَشْتَقِ

فهـــل علمتْ بغـــدادُ أنَّ لخــــاطري

هـوىً جـائـلاً في كل خِـدْرٍ وَجَـوْسـقِ[٣] ؟

ولولا الهوى في آل يَعْرُبَ لم يكنْ ليعربَ ذكرٌ في بيـــاني ومنطقي

ولا خطرت بـــالبـــالِ أطـلالُ تَـــدْمُرٍ

ولا استنفـــدتْ دمعي طلـولُ الخَـوَرْنَــقِ[٤]

محضْتُكِ يـابغـدادُ ودي على النوى وإنيَ إن أَمحضْ ودادِيَ أَصـــدُقِ

فـــا بردى لـولا الفراتُ بمَـوْرِدٍ لظمآنَ إنْ يشربْ من المـاءِ يَشْرَقِ

ولا دجلـةٌ لـولا منـاهـلُ جِلَّـقٍ بمجرىً بَرودٍ كالرحيـقِ مُصفَّـقِ[٥]

---

(١) جلّق : باللام المشدّدة المكسورة أو المفتوحة ، دمشق أو غوطتها .

ـ أعرق الرجلُ : أتى العراق ، فهو مُعْرِق .

(٢) دجلة : بكسر الدال وفتحها ، نهر ببغداد .

ـ البارق : السحاب ذو برق .

(٣) الخدر : ستر يُمَدّ للجارية في ناحية البيت ، ثم صار كل ماواراك من بيت ونحوه خدراً .

ـ الجوسق : القصر .

(٤) الخورنق : اسم قصر بالعراق بناه النعمان الأكبر .

(٥) البَرود : البارد .

ـ الرحيق : الخمر .

ـ صفّق الشرابَ : حوّله من إناء إلى إناء ليصفو ، فالشراب مصفّق .

تفرقتِ الأوطـــانُ والأصــلُ واحـــدٌ
فهــل تلتقي الأوطــانُ بعــد التفرُّقِ ؟

☆ ☆ ☆

قفــا حــدِّثــاني بــالعراقِ وأهلــه وبــالحِيرةِ البيضــاءِ مهوى تشـوُّقي[٦]
أفي كَنَفِ الــزَّوراءِ للتـــاج رونـــقٌ ؟
أم التـــاجُ في الــزوراء من دون رونـــقِ[٧]
هل المَلْــكُ في ظل الفراتين مُطْلَقٌ أم المَلْــكُ أمسى فيهما غَيرَ مُطلَــقِ
هلِ الملكُ الجبارُ بـالكرخِ موثَقٌ ؟ تنوءُ بـه الأغـلالُ أم غير مُـوثَـقِ[٨]

☆ ☆ ☆

أَخذنا على الأَحلاف عهـداً مؤكَّـداً غدا العهدُ فيهم كالحـديث الملفَّق[٩]
أيُعْتِـقُ سـاداتُ الـديـارِ عبيـدَهمْ ولستَ ترى في الشرقِ حراً بمُعْتَـقِ
فخلّـوا ربــوعَ الشرقِ إنّ لآلِهـــا أراهـطَ إنْ تطمحْ إلى المجـدِ تَسْبُقِ
نمتني إليهمْ نفحـــةٌ هـــاشميـــةٌ شَـددتُ بهـا أزري ووثَّقتُ مَوْثِقي
إذا العَرَبُ العَرْباءُ صالتْ صيـالَهـا وقـادتْ إليهـا فيلقـاً بعـد فيلقِ[١٠]

---

(٦) الحيرة البيضاء : بلد بجنب الكوفة ، وُصفت بالبياض لحسن عمارتها .
(٧) الزَّوراء : مدينة بغداد .
(٨) الكرخ : محلة ببغداد .
(٩) الأحلاف : يقصـد تحـالف إنكلترا وفرنسـة اللتين وعـدتـا العرب بـالاستقـلال حين قـاموا بثورتهم ، في حين كانتا متفقتين على اقتسام بلادهم بحسب اتفاقية (سايكس بيكو) .
(١٠) العرب العرباء : العرب الصُّرَحاء الخُلَّص .
ـ صال عليه صيالاً : سطا عليه وقهره .

تهيَّبَتِ الأعـلاجُ أقطـابَ يعربٍ وعزَّ الحمى في كلِّ غربٍ ومَشْرِقِ[11]

٣٠ آذار ١٩٢٣

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص ٩٠ وهو يتحدث عن (رضا الشبيبي) :

« ولما قال قصيدته :

ببغـداد أشتـاق الشـآم وهـا أنـا إلى الكرخ من بغـداد جمٌّ التشـوّق

قلت قصيدتي :

أحنّ إلى بغـداد من أرض جلّـق وأسـأل أهـل الشـام عن كل معرق »

(١١) الأعلاج : ج عِلج وهو الرجل من كفار العجم ، ويقصد بالأعلاج : الأعداء الذين مزّقوا الأقطار العربية .

(١٠)

الأمم الثـــــــــــائرة

مشت الشعوبُ وسارتِ الأقـدارُ فتـلاقتِ الآجـالُ والأعمـارُ

جَـدَّ النضالُ فلا مجازَ إلى الونى إنَّ القعودَ عن النضال صَغارُ[1]

أُممٌ أفاقتْ من طويل هجوعها فاستبشرتْ بنهوضِها الأَعصارُ[2]

لانت عِرائكُها غداةَ رُقادِها فاقتادها الفُجَّار لا الأبرارُ

عثرتْ ولَجَّ بها العثارُ وإنما شرُّ المصائبِ أن يَلِجَّ عِثارُ[3]

لاتستبينُ ظلالُها فكأنما خُسفتْ بها دونَ العيون ديارُ[4]

وتفيّأتْ ظلَّ السكونِ فضارعَتْ غنماً ، وحولَ المَرْبِضِ الجزّارُ[5]

إن تَطْلُبِ الحقَّ الصُّراحَ أصابَها وقعُ السيوفِ وجحفلٌ جرّارُ[6]

ثارتْ تذودُ عنِ الحقوق وربّما صانَ الحقوقَ عن الضَّياع مُثارُ[7]

---

(١) المجاز : الطريق .
ـ الونى : الفتور والضعف .
ـ الصَّغار : الذلّ والضيم .
(٢) الأعصار : ج عَصْر وهو الدهر .
(٣) عَثَر عِثاراً : زلّ .
ـ لجّ : تمادى .
(٤) استبان الشيءُ : ظهر .
(٥) ضارعه : شابهه .
ـ المربِض : مَبْرَك الغنم .
(٦) الصُّراح : الخالص من كل شيء .
ـ الجحفل : الجيش الكثير .
(٧) مثار : اسم مفعول من (أثاره) أي : هيّجه وجعله يثور .

حَـــذِرَتْ رَواغَ الأجنبيِّ وإنمـــا يُنجي الشِّياهَ من الذِئاب حِـذارُ[8]
سَبَرَتْ من المستعمرين قلـــوبَهُمْ فجلا السـوادَ عن القلـوب سِبـارُ[9]
تجري بهـا في النـائبـاتِ عـزائمٌ وكأنمـــا يجري بهـــا التَّيـــارُ
نـارٌ تَـوَقَّـدُ في الصـدورِ كأنهـا في جـانبِ الليـلِ البهيمِ مَنـارُ
راعَ الـزمـانَ أجيجُهـا فتزلـزلتْ أحـــداثُــه واهتزتِ الأقطـــارُ[10]
لله ثـــوراتٌ تبـــارَكَ أهلُهـــا أثنى عليهـا الـواحــدُ القهّـــارُ
ثبتتْ على طلب العَـلاءِ رجـالُهـا إن الثبـاتَ على العَـلاءِ فَخـارُ[11]
في النيـل منهـا ضجـةٌ ميمـونـةٌ حَسُنَتْ بهـا مِن ربعـه الآثـارُ[12]
ومشى الضجيجُ إلى الشـآم فردَّدتْ أصـــداءَهُ الأنجـــادُ والأغـوارُ
أكرِمْ بـوادي النيـل إن رجـالَـهُ كَرِهوا الخضوعَ فلم يَشِنْهمْ عـارُ[13]
إن الخضـوعَ مـذلـةٌ ومضـاضـةٌ هل يستـوي العُبـدانُ والأحرارُ ؟
من كانَ يرسُفُ بـالقيـودِ ولم يَثُرْ فحيـاتُـه بين الأنـام شَنـارُ[14]
من بـاتَ في كَنَفِ الإبـاءِ ربوضُـه حَذِرَتْ ورودَ حياضِـه الأقـدارُ[15]
إنْ لم تظـلَّ سيـوفُنـا أعـلامَنـا طَمَحَتْ إلى استـذلالنـا الأبصـارُ

✡ ✡ ✡

---

(٨) الرَّواغ : المكر والخديعة .
ـ الشياه : ج شاة وهي الواحدة من الغنم للذكر والأنثى .
(٩) سبر الماءَ : امتحن غَوْره ليعرف مقداره ، والأمرَ : جرّبه واختبره .
ـ السِّبار والمِسْبَر والمِسْبار : مايُسبر به .
(١٠) أجّت النار أجيجاً : توقدّت .
(١١) العَلاء : الرفعة والشرف .
(١٢) يشير إلى الثورة الوطنية في مصر سنة ١٩١٩ م حين أُلقي القبض على سعد زغلول وثلاثة من أعضاء الوفد .
(١٣) شانه يشينه : ضد زانَه .
(١٤) الشَّنار : العار .
(١٥) الرُّبوض : مصدر (رَبَض) وربضت الإبلُ : بركت .

وَضَحَتْ طباعُ الخَلْقِ كلَّ وضوحِها   وتَبيَّن الإعـــــلانُ والإسرارُ
كم أمـــةٍ نــوتِ البقـــاءَ لغيرِهـــا   ووراءَ نيتهـــا أذىً ودَمـــارُ
أَسَرَتْ نفــوسَ الأكرمينَ وإنمـــا   يــؤذي نفــوسَ الأكرمين إســارُ
تستعمرُ الأمصــارَ قَصْـدَ صـلاحِها   فتميــدُ بــاستعمارهــا الأمصــارُ
من لم يُحصِّنْ ملكَــهُ من شرِّهـــا   عَبِثَتْ برونــقِ مُلكِـــهِ الأشرارُ

٧ شباط ١٩٢٠

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (١٥) :

« لقد امتـدت أيـامُ الحكومـة العربيـة في الشـام من انسحـاب الترك بعـد الحرب حتى دخول الفرنسيين بلاد الشـام ، أي مـا يعـادل سنتين إلا ثلاثـة شهـور بـوجـه التقريب ، فـإذا رجعتُ إلى القصائد التي قلتُها في خلال تلك الأيام فما الذي أجده فيهـا ؟ لم يكن عـدد هـذه القصائد كبيراً ، كانت تبلغ ثماني قصائد ، لاتزيـد على مـائتي بيت ، والنزعـة العـامـة في هـذا الشعر إنمـا هي ثورة ، ثورة شبـاب ، ولاأدلّ على هـذه النزعـة من عنـوان قصيـدة لي « الأمم الثائرة » وقد جاءت فيها هذه الأبيات »

وأورد ثمانية أبيات هي (١٥ ، ١٧ ـ ٢٣) ثم قال :

« فالحالة الغالبةعلى نفوس الناس في أيام الحكومة العربية في الشام ، كانت حالة ثورة ، فكان الشعراء يعبّرون عن هذه الثورة ، كلّ واحد منهم يعبّر عنها على قدر مزاجـه وطبعـه ، وأظن أن الباعث على تلك الثورة كان في المقام الأول نقض الحلفاء لعهودهم » .

(١١)

الآمـــال الـــذاهبـــة

مضتِ العصورُ وما مضتْ بسلامِ ... أخنت على الآمـال والأحـلامِ[1]

كنـا نرجّي أن يّرِفَ بِظِلّنـا ... مُلْـكٌ مـديـدٌ خـافـقُ الأعـلامِ

يمتـدُّ من أقصى العراقِ إلى الشآ ... م إلى الحجـازِ إلى ذُرا الأهرامِ

فـالمُلْـكُ أصبح حـوضَـهُ متهـدمـاً ... قـد كان قبـلُ مهـدّمَ الأيـامِ

عَبِثتْ بحـوزتِـه الليالي فـاغتـدى ... وكأنّـه وَهْمٌ منَ الأوهـامِ

مـا للجـزيرةِ لايَهيـجُ رجـالُهـا ... ويطـاردون أعـاجمَ الأقـوامِ ؟

أين الحفيظـةُ من أرومـةِ يعرُبِ ... تَنْفي الأذى بمُثَقَّفٍ وحُسـامِ ؟[2]

أين الأشـاوسُ من قبـائـلِ تَغْلبِ ... يتبـادرون إلى ورود حِمامِ ؟[3]

يمشـون في جُنْـحِ الظـلام كأنهمْ ... تحتَ الظـلام ضراغمُ الآجـامِ[4]

مَنْ للثغور يذودُ عن أحواضِها ؟ ... أمستْ وما لحيـاضِهـا مِن حـامِ

جَمَـحَ الـزمـانُ ومـالـه من كابـحٍ ... إلاّ القنـا ومضـاربُ الصَّمْصـامِ[5]

وأخو الشدائِد مَنْ إذا صـالَ الردى ... دَفَـعَ الردى بـأسنَّـةٍ وسِهـامِ

☆ ☆ ☆

---

(١) أخنت على الآمال : أتت عليها .

(٢) الحفيظة : الحميّة .

ـ المثقّف : الرمح ، لأنه يُسوّى بالثقاف ، والثّقاف آلة تُسوّى بها الرماح .

(٣) الأشاوس : ج أشوس وهو الرافع رأسه تكبّراً .

ـ تغلب : قبيلة عربية اشتهرت في حرب البسوس بينها وبين بكر .

(٤) الضراغم : ج ضرغام وهو الأسد .

ـ الأجمة : مأوى الأسد ، والجمع أجَم ، وجمع الجمع آجام .

(٥) الصمصام : السيف لاينثني .

مـا للعراقِ خـوتْ عـزائمُ أهلِـهِ ؟ فـاستسلمـوا لمشيئـةِ الحُكّـامِ
جـادَ الـزمـانُ بفرصـةٍ فـأضـاعهـا نـامَ العراقُ ولاتَ حينَ منـامِ[٦]
هـلا أتـاه حـديثُ ثـورةِ أمـةٍ في مصرَ قـد أنِفَتْ من الإحجـامِ[٧]
وأبتْ لهـا الإذعـانَ عـزةُ أنفسٍ نشـأتْ على العليـاءِ والإقـدامِ
بين الكنـانـةِ والشـآمِ أواصرٌ مشـدودةٌ كأواصرِ الأرحـامِ[٨]
مـا هـاجَ في ظـلِّ المُقَطَّمِ هـائجٌ إلاّ سرتْ أصـداؤه في الشـامِ[٩]

☆ ☆ ☆

مـا جتْ بـأطرافِ البـلادِ هـزاهـزٌ يهتزُ منهـا شـامـخُ الأعـلامِ[١٠]
ثارت شعوبُ الأرضِ بعد خُنوعها إن الخُنـوعَ نقيصـةُ الآنـامِ[١١]
وتنـازَعَ الأقـوامُ في طلب العُـلا والمجـدُ بينَ تنـازعٍ وزحـامِ
هـلا أفـاقَ الشرقُ من إغفـائـه ومشى إلى العليـاءِ مَشْيَ كِرامِ
وأمـاط عن آفـاقـه جهـدَ الأذى فقضى السنينَ مـوطّـأَ الأقـدامِ
لايستبـدُّ بـه الأجـانبُ في الحمى فيقـادَ مثـلَ طـوائفِ الأنْعـامِ[١٢]

☆ ☆ ☆

إنْ كانَ في ظل القصور غضاضةٌ شُـدَّ الرِّحـالَ إلى ظـلال خِيـامِ

(٦) لات حين منام : أي ليس الحينُ حينَ منام .
(٧) يشير إلى الثورة الوطنية في مصر سنة ١٩١٩ م .
(٨) الأواصر : ج آصرة وهي الرحم والقرابة .
(٩) المقطم : جبل في مصر قرب القاهرة .
(١٠) الهزاهز : الحروب والشدائد .
ـ الأعلام : ج عَلَم وهو الجبل الطويل .
(١١) الآنام والأنام : الخَلْق .
(١٢) الأنعام : تطلق على الإبل والبقر والغنم .

في الأرض مُنْتَدَحٌ لمن كَرِهَ الأذى   بين الرُّبا ومسارحِ الآرامِ[13]
فاربأ بنفسك عن موارد ذُلّها   تَسْلَمْ من التأنيبِ والإيلام

١٩ شباط ١٩٢٠

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (١٦) بعد حديثه عن قصيدة (الأمم الثائرة)[14] :

« أما هذه الثورة فكثيراً ماوردت الإشارات إليها في شعري ، من هذه الإشارات » .
وأورد خمسة أبيات من قصيدة (الآمال الذاهبة) هي (١٩ ـ ٢٠) .

وكتب في ص (٦٧) في معرض حديثه عن وحدة القصيدة بعد أن تحدث عن قصيدة (ياللثغور)[15] :

« ولكني إذا ذهبت إلى قصيدة ثانية جاءت بعدها بعشرة شهور وعنوانها (الآمال الذاهبة) تبيّن أنها تخلو من التخطيط ومن التلاحم في وقت معاً ، فكانت أبياتها تأتي ثائرة ثورة النفس ، من هذه القصيدة » وأورد (٥) أبيات هي (٦ ـ ١٠) ثم قال :

« فعيب هذا الشعر في صدر الأمر خلوّه من منطق التنسيق »

---

(١٣) المُنْتدح : السعة والفسحة ، يقال : «لك عن هذا الأمر منتدح » أي يمكنك تركه والميل عنه .
ـ الآرام : ج رئم وهو الظبي الأبيض .
(١٤) القصيدة السابقة ذات الرقم (١٠)
(١٥) القصيدة ذات الرقم (١٨)

(١٢)

شطّ المزار

شطّ المزارُفربع دِجلةَ نازحُ — دونَ العراق سباسبٌ وأباطحُ[1]

كيفَ السبيلُ إلى الفراتِ ؟ وإنما — طاحتْ بأمواجِ الفراتِ طوائحُ[2]

والأفْقُ مضطربُ الجوانبِ مائجٌ — بنجومه ، ودجى الليالي سابحُ

ومسارحُ الزّوراءِ هِجْنَ جَوانحي — هيهاتَ أينَ من العراق مَسارحُ ؟[3]

جرّتْ بها هوجُ الرياحِ ذيولَها — فغدتْ ومابينِ المراتع سارحُ

ويحَ العراقِ فقد مشتْ بربوعهِ — نُوَبٌ تميدُ بها الربوعُ فوادحُ[4]

مُلْكٌ لهارونَ الرشيدِ تزلزلتْ — أركانُهُ وتعاورتْهُ جَوائحُ[5]

ياللمالكِ من يصونُ حياضها ؟ — أمستْ وليسَ عن الحياضِ مُناضحُ[6]

ألى بني العباس يطمحُ طامحٌ ؟ — وينال منهم سائفٌ أو رامحُ[7]

أينَ الرشيدُ وأين منه كتائبٌ ؟ — تجري بهنّ مفاوزٌ وصحاصحُ[8]

---

(١) شطّ : بَعُدَ .

ـ السباسب : ج سبسب وهو الأرض البعيدة المستوية .

ـ الأباطح : ج أبطح وهو مسيل واسع فيه رمل ودُقاق الحصى .

(٢) الطوائح : يقال : طوّحته الطوائح أي : قذفته القواذف .

(٣) الزوراء : مدينة بغداد .

(٤) نُوَب فوادح : مصائب شديدة .

(٥) الجوائح : ج جائحة وهي الداهية الشديدة .

(٦) ناضح عن كذا : دافع .

(٧) السائف : حامل السيف أو الضارب به .

ـ الرامح : ذو الرمح .

(٨) المفاوز : ج مَفازة وهي الفلاة لاماء فيها .

ـ الصحاصح : ج صَحْصاح وهو ماستوى من الأرض .

واهاً لأيام الرشيدِ فإنها — غُرَرٌ يُضيءُ بها الظلامُ الجانحُ[9]

ضَحِكَ الزمانُ لأهل دجلة برهةً — ماخيفَ فيها سانحٌ أو بارحُ[10]

والدهرُ يَبْسِمُ تارةً لرجالِهِ — ويعودُ وَهْوَ معَ الليالي كالحُ

مارابني إلا الفراتُ ومابه — لُجَجٌ تموجُ ولا بدجلةَ صائحُ

أيثورُ أهلُ النيلِ دونَ لَهاذمٍ ؟ — وعلى الفرات لهاذمٌ وصفائحُ[11]

للدهر في ظلِّ المُقَطَّمِ مطمحٌ — ولأهلِهِ في الذَّوْدِ عنه مطامحُ

جاشتْ برباتِ الحجالِ نوائبٌ — ضاقت بهن ترائبٌ وجوانحُ[12]

بكت العذارى من ضَياعِ خُدورِها — ومن الدموع قلائدٌ ووشائحُ[13]

يادهرُ كفكفْ من دموع جفونِها — دمعُ العذارى للمحاجِرِ جارحُ[14]

☆ ☆ ☆

جَمَحَ الزمانُ ومالكبحِ جماحِهِ — إلا السيوفُ فأينَ منا الكابحُ ؟

من باتَ يُحجمُ عن حياطَةِ ربعهِ — لَصِقَتْ به أبدَ الزمانِ فضائحُ

---

(٩) جَنَحَ الليلُ : أقبلَ .

(١٠) السانح : ما مرّ من الصيد من يسارك إلى يمينك ، والعرب تتيّمن به ، لأنه أمكنُ للرمي والصيد .
ـ البارح : ما مرّ من الصيد من يمينك إلى يسارك ، والعرب تتطيّر به ، لأنه لايمكنك أن ترميه حتى تنحرف .

(١١) اللهاذم : ج لَهْذَم وهو الحادّ القاطع من السيوف .
ـ الصفائح : ج صفيحة وهي السيف القاطع .

(١٢) الحِجال : ج حَجلة وهي ستر يضرب للعروس ، وربات الحجال : النساء ، يشير إلى مظاهرة السيدات في الثورة الوطنية المصرية سنة ١٩١٩ م .

(١٣) الوشائح : ج وشاح وهو شبه قلادة من نسيج عريض مُرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها .

(١٤) المحاجر : ج مِحْجَر وهو من العين مادار بها .

للناسِ إن كرهوا الغضاضةَ والأذى   في الخافقْين مذاهبٌ ومَطارِحُ[15]

٣٠ أيار ١٩٢٠

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (١٦) :

« ومنها : » (أي من الإشارات إلى الثورة في نفوس الناس)

وأورد أربعة أبيات من قصيدة « شط المزار » هي (١٥ ـ ١٨)

وكتب في ص (١٨) :

« ... فإذا وقعت ثورة في مصر كنا نتغنى بها في الشام ، لقد ثارت مصر بعد الحرب العالمية الأولى في وجه الإنكليز ، وطالبتهم بسيادتها واستقلالها ، فكنا نقدس هذه الثورة في شعرنا ... وقد تقدمتْ أبيات فيها إشارة إلى هذه الثورة ، في جملة هذه الأبيات :

للدهر في ظل المقطم مطمح   ولأهله في الذود عنه مطامح

وأذكر أني ألقيت هذه القصيدة في سهرة خاصة في دار خير الدين الزركلي في دمشق ، ولم نكن إلا أربعة بيننا الشيخ رضا الشبيبي ... ولما فرغتُ من إلقاء قصيدتي ظهرت الكآبة على وجه الشبيبي ، فقال : لولا أنّ قصيدتك أبكتنا لصفّقنا لكل بيت ، فإنه كان شديد الولع بوطنه العراق ، فلما جاء ذكر العراق في القصيدة أوشك أن يبكي . »

---

(١٥) الخافقان : المشرق والمغرب .

(١٣)

شكـــــــــــوى

تطــاولَ ليلي وادلهمتْ غيــاهبُــهْ ... وضاقت على ضوء الصباح مذاهبُهْ[١]

وقفتُ أناجي الأفقَ ، والأفْقُ حائرٌ ... تموجُ بــأطرافِ السماءِ كــواكبُـهْ

ومـا بيَ من نجوى أبـوحُ بكشفِها ... ولكنَّ صــدري مــاتَقَرُّ ترائبُــهْ[٢]

مـدامعُ عينٍ لـو تسيـلُ شؤونُهـا ... على ماحِلِ الآفاقِ أخصبَ جانبُـهْ[٣]

أيسكنُ قلبي والأعــاجمُ في الحِمى ... يَضيـقُ بهم شرقُ الحمى ومغـاربُـهْ

دعيني أطُفْ بالأرض نأياً عن الأذى ... فـإني أرى المقـدارَ ثـارتْ نوائبُـهْ[٤]

فلا خير فيمن يَحمِلُ الضيمَ صـدرُهُ ... يروحُ ويغـدو والهـوانُ مُصـاحبُـهْ

وكلُّ امرىءٍ لم تَكْسِبِ المجـدَ نفسُـه ... أوائلُــه مــذمومــةٌ وعــواقبُــهْ[٥]

أرى الشرقَ قد ألوى بأعطافه الردى ... ولم تَـدْفَعِ المكروهَ عنـه قـواضبُـهْ[٦]

فـإن لم ينـاضلْ عن ظلالِ ربوعـهِ ... دهتْهُ الرزايا واستطـالت متـاعبُـهْ

رمتْنا تصاريفُ الزمـانِ ولو رمتْ ... جوانبَ رضْوى مااستقرتْ جوانبُهْ[٧]

---

(١) ادلهمّ الليل : اشتد سواده .
ـ الغياهب : ج غيهب وهو الظلمة أو الليل الشديد السـواد .

(٢) تَقَرّ : تهدأ و تسكن .
ـ الترائب : ج تريبة وهي العظمة من الصدر .

(٣) الشؤون : ج شأن وهو العِرْق الذي تجري منه الدموع ، يقـال : « فـاضت شؤونـه » أي : عروق دموعه .

(٤) المقدار : القَدَر وهو مايقدره الله من القضاء .

(٥) العواقب : ج عاقبة وهي آخر كل شيء .

(٦) ألوى به الدهر : أهلكه .
ـ السيف القاضب : الشديد القطع ، جمعه قواضب .

(٧) تصاريف الزمان : نوائبه
ـ رضوى : جبل بالمدينة .

ولـولا احتمالَ الشرقِ كلَّ مُلمَّـــةٍ تنوء بها الأقـدارُ لانقضَّ غـاربُـهْ[8]
صبرْنــا ومــا صبرُ الكرامِ مرارةً ولكنـه حلْـوٌ تطيب مشـاربُـهْ
ومن لم يـوطِّنْ في المصـائب نفسَـهُ على حَمْلِها أخنتْ عليه مصائبُهْ[9]
ذريني وتـأديبَ التجـاربِ إنمـا تُضيءُ ظـلامَ العقـلِ مني تجـاربُـهْ
فلـولا الليـالي مـاعرفْتُ حليفَنـا أصادِقُ وُدُّ القلب أم هو كاذبُـهْ ؟[10]
غـدوْنـا لـه مستنجـزينَ وعـودَهُ فمرّت بإخلاف الوعود سحـائبُـهْ[11]
ودبَّرَ في جُنْـحِ الـديـاجير كيـدَهُ فلما انجلى الإصباح دبّت عقاربُـهْ[12]
غضبنـا لـه والنصرُ لم يَبْـدُ نجمُـه ولم نـدرِ أن الغربَ سـودٌ رغـائبُـهْ
ومِلْنـا إليـه بـالسيـوفِ وبـالقنـا ولـولا مـواضينـا لضلّتْ ركائبُـهْ
فكافـأنـا بـالسـوءِ بعـد صنيعنـا وأقحَمَنـا في الـذلِّ وهـو مجـانبُـهْ
لئن يجحدِ المعروفَ فالليلُ شـاهـدٌ وطيُّ الفيافي والسُّرى ومعاطبُهْ[13]

☆ ☆ ☆

خليليَّ مــــاللشرق يُغْضي على القـــــذى ؟
ســواحلُــه مجتــاحــةٌ وسبــاسبُــــهْ[14]

---

(٨) الغارب : الكاهل وهو أعلى الظهر مما يلي العنق .
(٩) أخنى عليه : أهلكه .
(١٠) يشير في الأبيات السبعة إلى الإنكليز والفرنسيين الذين وعدوا العرب بالاستقلال إذا ثاروا ، ثم اقتسموا بلادهم بعد النصر .
(١١) استنجز الوعد : طلب إنجازه .
(١٢) الدياجير : ج دَيْجور وهو الظلام .
(١٣) الفيافي : ج فيفاء وهي المفازة لاماء فيها .
- السُّرى : السير ليلاً .
- المعاطب : ج مَعْطَب وهو موضع العَطَب ، والعطب الهلاك .
(١٤) القذى : مايقع في العين من تبنة أو نحوها ، يقال : « فلان يُغضي على القذى » أي : يحتمل الضيم ولا يشكو .

وليس لـه عـذرٌ يُبيحُ سكـونَـهُ فيـالقُـهُ مـوفـورةٌ وكتـائبُـهْ
فهلا طوى الأيـامَ في طلبِ العُـلا فعـادتْ عليـه بـالثنـاءِ مطـالِبُـهْ

٢٨ شباط ١٩٢٠

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (١٧) :

« ولقد كان الباعث على هذه الثورة كما قلت تنكر الحلفاء » (يريد ثورة النفس)

ثم أورد ثمانية أبيات هي (١٥ ـ ٢٢)

(١٤)

دمـــــــــــوع

سُدَّت مسالكُه فضاق مجالُهُ ... واهاً له فمتى يُحَلُّ عِقالُهُ ؟[١]
وطنٌ تَزلزلَ من شَتاتِ جُموعِهِ ... لولا الأسى أودى به زِلزالُهُ
إنْ يستظلَّ بمُرهَفاتِ سيوفِهِ ... أنجاه من عادي الردى استظلالُهُ[٢]
لا الدهرُ رقّ له ولا أحداثُه ... فمشى وقد ناءتْ به أحمالُهُ
ضحكتْ له آمالُه في أمسِهِ ... فغدا ، وقد عَبَسَتْ له آمالُهُ
جرّت عليه وبالَه أحزابُهُ ... لولا التحزُّبُ ماستبانَ وبالُهُ[٣]
أنى أقمتَ رأيتَ فُرقةَ آلِهِ ... فجموعُه متقاطعونَ وآلُهُ[٤]
كم يستعينُ على الردى برجالِهِ ... خارتْ قُواه ولم يُعِنْهُ رجالُهُ
عَبِثَ الزمانُ براسياتِ جبالِهِ ... فسهولُه موّارةٌ وجبالُهُ[٥]
ما في مرابعِه سوى مُتلهِّفٍ ... ذهبتْ أمانيه فرقَّتْ حالُهُ
نَبَتِ الديارُ به ، فأزمعَ هجرَها ... فبكتْ عليه ديارُهُ وحِلالُهُ[٦]

☆ ☆ ☆

---

(١) العِقال : حبل يُشَدّ به البعير في وسط ذراعه .

(٢) سيف مرهف : محدّد مرقّق الحد .

(٣) تحزّب القومُ : صاروا أحزاباً .

(٤) الفُرقة : الافتراق .

(٥) عَبِث : لعب واستخفّ ، وعبث به الدهر ، كناية عن التقلب

ـ الموّار : مبالغة المائر ، والمائر الذي يتحرك بسرعة والسهل الموّار الذي تتحرك فيه أغصان النبات .

(٦) نبت الديار به : لم يجد بها قراراً

ـ الحِلال : ج حِلّة وهي المجتمع ، أو القوم النازلون .

من لم ينلْ بدمائه استقلالَهُ أعيا على مجهوده استقلالُهُ
والمُلْكُ ان لم تَحْتَفِظْ بظلالِهِ هيهاتَ ، ماتحنو عليكَ ظلالُهُ

١٦ تموز ١٩٢٠

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (١٧) :

« من علامات ثورة النفس على ما أظن أن الفترة بين قصيدة وقصيدة لم تكن طويلة ، فبعض الأوقات كانت شهراً ، وبعض الأوقات كنت أعمل ثلاث قصائد في شهر واحد ، وهذا أمر لا أقدر عليه في هذه الأيام ، لأنه اختلف نظري إلى الشعر وفهمي له ، فقد امتدت آفاقه ، واهتممت كثيراً بتنقيحه كما سأشير إلى ذلك ، أما في عنفوان الشباب فقد كانت النفس هائجة مائجة لاتبالي بأشباه هذه الأمور .

ولكن إلى أي عاقبة أفضت هذه الثورة،، ثورة النفس ؟ لقد جاء بعدها شيء من خيبة الأمل ، شيء من اليأس ، وذلك قبل دخول الفرنسيين بأسبوع ، وعبّرتُ عن هذا اليأس في قولي : »

ثم أورد ثمانية أبيات هي (٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١)

وكتب في ص (٩٠) بعد أن تحدث عن إعجابه بخير الدين الزركلي :

« ولما قال أبياته :

لا التاج ينفعه ولا استقلالُهُ إن لم يُحَلّ وثاقُهُ وعقالُهُ

قلت بعد أسبوعين :

سُدّت مسالكه فضاق مجالُهُ واهاً له ، فمتى يُحَلُّ عقالُهُ ؟ »

(١٥)

افيقــــــــــــــوا

دعــوهـــا تُكفِّنُ أبنـــاءَهـــا فقــد زلــزلَ الــدهرُ علياءَهــا

وجـودوا عليهــا بــدمعِ الجفــونِ وهل يُنْعِشُ الـدمعُ حَوْباءَها[١]

تــوالتْ عليهـــا صروفُ الرّدى فراحت تكابـــدُ لأواءَهـــا[٢]

فــلا الليــلُ يــدفــعُ ضرّاءَهــا ولا الصبــحُ يجلُبُ سرّاءَهـــا[٣]

فكم قـــانـــطٍ من نعيمِ الحيـــاةِ يَعــافُ الحيـــاةَ وغَضْراءَهـــا[٤]

وكم ســاهــدٍ في جِنــان الظــلامِ ينـــاجي النجــومَ وأضــواءَهـــا

ربــوعٌ أبى اللهُ إحيـــاءَهـــا وذلّـــلَ فيهـــا أعـــزّاءَهـــا

تنـــامُ عن الضيمِ أبنـــاؤُهـــا وقـــد أقلــقَ الضيمُ آبـــاءَهـــا

إذا استُنهضَتْ للعُــلا أبطـــأت ولــو عَقَبَ المــوتُ إبطــاءَهــا[٥]

وإن نُـــدِبَتْ للــوغى أحجمتْ وكيف تُمارس هيجـــاءَهـــا ؟[٦]

طــواهـــا الــزمـــانُ فمـــا تستبينُ فكيف تحـــاولُ إعــلاءَهـــا ؟

وهـــذي البطـــاحُ قبــورٌ لهـــا تُــواري على الــدهر أحيــاءَهــا[٧]

بكتْهـــا الليـــالي ، فمـــدَّتْ على ظــلالِ الأبــاطــحِ ظلمــاءَهــا[٨]

---

(١) الحوباء : النفس .

(٢) اللأواء : الشدة والمحنة .

(٣) الضرّاء : الشدة

ـ السرّاء : المسرة ورغد العيش .

(٤) الغضراء : يقال : « هم في غضراءَ من العيش » أي في خصب وخير .

(٥) عَقَبه : جاء بعده .

(٦) الهيجاء : الحرب .

(٧) البطاح : ج بطحاء وهي مسيل واسع فيه رمل ودُقاق الحصى .

(٨) الأباطح : ج أبطح وهو مسيل واسع فيه رمل ودُقاق الحصى .

قضيتُ الشبـــابَ بـــأفيـــائِهـــا جـــزى الله عنّيَ أفيـــاءَهـــا
لئن أنكرتنيَ أجـــــواؤهـــــا فمـــا أُنكِرُ اليـــومَ أجـــواءَهـــا
نـــذرْتُ لأرجـــائهـــا مُهجتي وهـــل ينفـــعُ النَّـــذْرُ أرجـــاءَهـــا
فهـــل في الشـــآم أخـــو همـــةٍ ؟ يردُّ على الشـــام لألاءَهـــا[9]
أترجـــو لأجـــزائهـــا وُصْلَـــةً ؟ وقـــد قَطَّـــعَ الـــدهرُ أجزاءَهـــا[10]
ألا في سبيـــل العُـــلا ثـــورةً نَقُصُّ على الخَلْـــق أنبـــاءَهـــا
أفيقـــوا ، أفيقـــوا ، رجـــالَ الشـــآمِ أمـــا ملَّتِ العينُ إغفـــاءَهـــا ؟

٧ آذار ١٩٢١

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص ٢٣ :

« هكذا كان الشعر الوطني في أول دخول الفرنسيين ، هدوء حيناً ، وثورة غير عنيفة حيناً ، ولقد تجلّى اليأس في أجلى مظاهره في الأبيات التالية : »

ثم أورد ثمانية الأبيات الأولى .

---

(٩) اللألاء : الفرح التام .

(١٠) الوُصلة : بالضم : الاتصال .

الحريـــــــــــة

هـــاجَ نسيمُ الريـــحِ لي أمرَهـــا ... بـــالله يـــاريـــحُ ابعثي ذِكرَهـــا
تَجهَّـــز الدهـــرُ لإقلاقهـــا ... مـا حَمـدَتْ فـي ليلـة دهرَهـا
إن تُمْسِـكِ الأقـدارُ عن نصرِهـا ... فمـــا أنـــا مُطَرِحٌ نصرَهـــا
أو تَعْبِسِ الظلمـاءُ في خِـدرِهـا ... فـأنتَ يـابرقُ أنِرْ خِـدرَهـا[١]
دبَّ مضيضُ الحُبِّ في أضلعي ... لا تَحسبنّي طـاويـاً سِرَّهـا[٢]
صبرْتُ عنهـا مهجتي سـاعـةً ... فلم تُطِقْ من بعـدِهـا صبرَهـا[٣]
بَلَوْتُ في ظلِّ الصِّبـا حُلْـوَهـا ... فهـل تَراني بـاليـاً مُرَّهـا[٤]
عشقتُهـا ، واللهُ أدرى بنـا ... ما مسَّ صدري في الهوى صدرَها
ظَلَّـلَ أكنـافَ الحمى طيفُهـا ... هنيهـةً ثم ابتغى هَجْرَهـا

☆ ☆ ☆

لاتَخفِضَنْ يـادهرُ من قَـدْرِهـا ... كلُّ كريمٍ رافـعٌ قـدرَهـا
دَحَرْتَهـا والنفسُ في إثرِهـا ... خـارجـةً مـا احتملتْ دَحْرَهـا
كم حـائرٍ طـاحتْ بـه ضِلَّـةٌ ... ثم اهتـدى لمـا رأى بـدرَهـا[٥]
وصـاغرٍ ألْـوَتْ بـه ذِلـةٌ ... فعـزَّ في إعـلائـه أمرَهـا[٦]

---

(١) الخدر : ستر يُمَدُّ للجارية في ناحية البيت .
(٢) المضيض : الألم من وجع المصيبة .
(٣) صبره عن الأمر : حبسه عنه .
(٤) بلوت حلوها : جربته واسم الفاعل « بالٍ »
(٥) طاح به : حمله على ركوب المهالك .
ـ الضِّلة : ضد الهدى .
(٦) ألوى به الدهر : أهلكه .



ومستبـــدٍ راعَـــهُ خطبُهـــا يجهـــدُ في تهتيكـــه سِتْرَهـــا
لئن طــوى استبـــدادُه ليلَهـــا فمـــا طــوى عن مقلتي فجرَهـــا
حصْرتَ يـــادهرُ نفــوسَ الــورى وهــل أطــاقتْ مهجــةٌ حَصْرَهـا
نَجَــوْتُ من ظلمٍ ومن ظـــالمٍ يـــادهرُ إنْ يَسّرْتَ لي عُسْرَهـــا

☆ ☆ ☆

إن تُخرِجــوا الآســادَ في غــابِهـا هيهـــاتَ مـــا تكفيكمُ شَرَّهـــا

١٠ كانون الثاني ١٩٢٢

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٢٣) بعد أن تحدث عن القصيدة السابقة (أفيقوا) :

« بيد أن النفس مهما تيأس ، فلا بد لها من الأمل . وأن الصوت مهما يخفتْ ، فلا بدّ له من الارتفاع ، وأن الفكر مهما يَخْفَ فلا بد له من الظهور ، لقد غلبت النفس على هذه الأمور كلها ، فانتفضت للتغني بحريتها ، ..... » ثم أورد تسعة الأبيات الأولى .

وكتب في ص (٩١) :

« وكما كنت أعارض بعض الشعراء الذين عشت معهم في عصر واحد ، فكذلك كنت أقرأ بعض شعر المتقدمين ، فيعجبني بيت من قصيدة أو بيتان ، فتنهض النفس لعمل قصيدة بسبب هذا البيت أو هذين البيتين ، فإني كنت أطالع كتاب الأغاني ، فوقعتُ على أبيات لا أذكر صاحبها جاء فيها :

نجـــوتِ من حـــلّ ومن رحلـــة يـــانـــــاقَ إن قربتني من قُثَمْ[٧]
إنـــكِ إن قربتِنيـــه غـــداً عـــاش لنـــا اليسرُ ومـــات العـــدمْ

فألهمني هذان البيتان قصيدتي في الحرية :

هـــاج نسيم الريـــح لي أمرهـــا بـــالله يـــاريـــح ابعثي ذكرهـــا

(٧) جاء في الأغاني (ج ٦ ص ٢٠ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥) مايلي : =

وقد جاء فيها هذا البيت

نجـــوت من ظلم ومن ظـــالم　　يـــادهر إن يسّرت لي عسرهـــا »

كان داود بن سَلْم منقطعاً إلى قُثَم بن العباس وفيه يقول :

عَتَقْتِ من حِلّي ومن رِحْلَتي　　يـــانـــاقَ إنْ أدنيتِني من قُثَمْ

إنـــكِ إن أدنيتِ منـــه غـــداً　　حـــالفني اليسرُ ومـــات العـــدمْ

وجاء في هامش الصفحة في الأغاني :

« نسب هذا الشعر في الكامل للمبرد لسليمان بن قتة مع اختلاف في بعض الألفاظ »

انظر الكامل للمبرد (٢ : ٥٩٠ ط البابي الحلبي ١٩٣٧)

(١٧)

ظبيـــــــة الـــــوادي

يـاظبيـةً عرضتْ لنـا بـالـوادي	حيراءَ تحـذَرُ وثبـةَ الأرصـادِ[١]
نفرتْ من الـورّاد حين تفيَّـؤوا	شَجَرَ الأرائـك خَشيـةَ الـوُرّادِ[٢]
وتجشَّمتْ غَلَسَ الدجى فأمضّهـا	شَجَنٌ يُراوِحُ قلبَهـا ويُغـادي[٣]
ترمي بهـا الفلواتُ في أعطـافِهـا	فَتَفِرُّ من نجـدٍ إلى أنجـادِ
طوتِ البطـاحَ ومـا أوى لمصـابِهـا	بين الأبـاطـح رائـحٌ أو غـادِ
ضـاقت بهـا فلـواتُهـا فكأنمـا	ضَربتْ عليها الأرضُ بـالأسدادِ[٤]

الفيحاء ٢١ آب ١٩٢٣

كتب رحمه الله في ذيل هذه الأبيات :

« لم أدر مناسبة هذه الأبيـات ، هل كان في الفكر شيء من الغزل ؟ وهـذا بعيـد ، أم كان في الفكر الإشارة إلى الوطن ، وهي من الشعر الرمزي ، فالطبيعة ترمز إلى بلاد الشام ، وهذا الأصح . »

وكتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٢٤) :

« ولقد كنت أرمز إلى حالة الوطن في بعض الأحيان في شعر رمزي »
ثم أورد الأبيات الستة ، وكتب بعدها :

---

(١) حار يحار حَيْرةً : نظر إلى الشيء فلم يهتد لسبيله فهو حيرانُ وحائر ، وهي حَيْراءُ .
ـ الأرصاد : ج رَصَد وهم القوم الذين يرصدون أي : يرقبون .
(٢) الأراك وجمعه أُرُك وأرائك : شجر ذو شوك ، طويل الساق ، كثير الورق .
(٣) الغَلَس : ظلمة آخر الليل .
ـ الشَجَن : الهم والحزن .
(٤) الأسداد : ج سُدّ وهو الحاجز بين شيئين ، يقال : « ضربتْ عليه الأرض بالأسداد » ومعناه : سُدّت عليه الطرق أي : عُمّيتْ عليه المذاهب .

« أية ظبية هذه ؟ وأي وادٍ هذا ؟ لم أقصد في هذه الأبيات القليلة إلا ديار الشام وحدها ، ولم أقصد إلا الوطن وحده . »

وكتب في ص (٩١) :

« ولست أذكر أني عارضت الشيخ « فؤاد الخطيب » بشيء من الشعر ، غير أني كنتُ معجباً بقصيدته في الثورة :

لمن المضارب في ظلال الوادي ؟ ريانة الجنبات بالورّاد

ولا يبعد أني لما عملت أبياتي :

ياظبية عرضتْ لنا بالوادي حيراء تحذر وثبة الأرصاد

أخطرت ببالي قصيدته هذه التي ذكرتها . »

(١٨)

يـــــااللثغـــــور !

وثبَ الرَدى والليـــلُ لائـــلْ يَطـوي المعـــالمَ والَمجـــاهـلْ[١]
والـــدهرُ قـــد كشفَ السُّجـو فَ عن الَمخـــايـلِ والشمائـــلْ
فـــأبـــانَ مـــا طـوتِ الصـــدو رُ من الأذى تحت الغـــلائـــلْ
ذئب يصـــولُ على الشيـــــا هِ وبـــاشـقٌ يرمي العنـــادلْ[٢]
سِيمتْ أواخرُ يعربِ خَسْفـــاً تحـــامتْـــهُ الأوائـــلْ
هـــل يُستبـــاحُ حمى الكرا مِ ولا تثـــورُ لـــه الجحـــافـلْ ؟
أم يُستـــذَلُّ ويستضـــا مُ فيستكينُ ولا يُصـــاولْ
لايَسْـلَمُ الحَسَـبُ الأغــرُّ ـ مِنَ المعـــاطبِ والغـــوائـــلْ
حتى تقـــامَ على جـــوا نبـــه الكتـــائبُ والمعـــاقـلْ

☆ ☆ ☆

يـــا شرقُ مـــالـــكَ لاتُفيـ قُ وقـد بـدتْ منـك الَمقـاتِـلْ
والغربُ قـــد نصبَ الحبـــا ئـلَ في المخـــارج والمـــداخـلْ
ويـــلٌ لمن عَلِقتْ بـــه تلـــك المقـــاودُ والسلاســلْ
إنْ أجهـــدتْـــهُ غُلَّـــةٌ عــزَّ السبيـلُ إلى المنـــاهـلْ[٣]
أو ســـاورتْـــهُ همّـــةٌ قعـدتْ بـه عنهـا الـوسـائـلْ
أَتَقَرُّ عينُـــكَ والأعـــا جمُ في الأبـاطـح والسـواحـلْ[٤]
دبَّتْ عقـــاربُهمْ خـــلا لَ ربـوعنـا والطَّرفُ غـــافـلْ

---

(١) ليل لائل : طويل شديد السواد .

(٢) الشياه : ج مفرده شاة وهي الواحدة من الغنم للذكر والأنثى .

(٣) الغُلّة : العطش الشديد .

(٤) قرّت عينه : بردت سروراً وجفّ دمعها ، أو رأت ما كانت متشوقة إليه .

وسرتْ نمــــــائمهمْ إلى آفــــاقِنــــا والقلبُ ذاهــلْ[5]
حملـــوا بطـــونَ أراقمٍ تنســابُ مــا بين الخمــائـلْ[6]
مــافيهمُ إلا المُــدا هنُ والمــواثبُ والمُخــاتِــلْ
صقلــوا بــزخرفــةِ المقــا لِ عقــودَهُمْ بئسَ الصيــاقــلْ[7]

☆ ☆ ☆

يــااللثغــور من الضَّيـا ع فمن يُغيثُ ومَنْ ينــاضــلْ ؟
عــــزَّ النصيرُ فليس ينـ صُرُ في الشــدائــد والنــوازلْ
إلاّ الأسنـــةُ والصـــوا رمُ والمَــدافــعُ والقنــابــلْ
لــو ثــارَ في ظــلِّ المقطّـ ـم جحفــلٌ يحمي المنــازلْ[8]
لجـلا الأعـــاجمُ عن ضفــا فِ النيــل من هَــوْلِ الــزلازلْ
أبتِ الطبـــائـــع أن يَقَرَّ الحــقُّ في جنبِ الأعــازلْ[9]
والحــقُّ معقـــودٌ بـــأطـ رافِ اللهـــاذِم والمنـــاصِـلْ[10]

٢٧ كانون الأول ١٩١٩

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص ٦٦ :

« ويرجع تاريخ هذه القصيدةإلى أربعين سنة ، وجدتُ أنها تشتمل على ثلاثة مقاطع ،

---

(٥) النمية : الصوت الخفي من حركة شيء أو وطء قدم .
(٦) الأرقم : أخبث الحيّات .
(٧) الصَّيْقَل : شحّاذ السيوف .
(٨) المقطّم : جبل في مصر قرب القاهرة .
(٩) قرّ في المكان : ثبت .
(١٠) اللَّهْذَم : الحادّ القاطع من السيوف .
ـ المُنصُل : السيف .

كل مقطع منها مستقل بنفسه ، وإني لأختار أي مقطع منها ، إني أختار المقطع الثاني .. أظن أن الأبيات تتسلسل في هذا المقطع ، فلا أكاد أجد بيتاً يحسن تقديمه أو تأخيره ، ولكن هل وضعتُ مخطط هذه القصيدة ؟ وبعبارة ثانية : هل نسقتُ أجزاءها ، وقلت : أبدأ بقسم كذا إلى أن أفرغ . لم أضع شيئاً من ذلك ... فالشاعر في أول شبابه إنما هو ثورة من الثورات ، وأظن أن الثورة لا يلائمها المنطق في بعض الحالات ، ولا يناسبها العقل ، فهي نار متأججة ، وخضم زاخر وريح عاصف ، ولهذا لم أمِلْ في شعري في صدر الأمر إلى التنسيق والترتيب ، أي إلى تنسيق أجزاء القصيدة وترتيب أقسامها ، فكانت النفس تثور ، فتأتي القصيدة بحسب هذه الثورة ، سواء أتلاحمت الأجزاء أم لم تتلاحم ، وسواء أتراصّت الأقسام أم لم تتراصّ ، فلئن خلت هذه القصيدة من التخطيط ، إنها لم تخل على ماأعتقد من تلاحم الأجزاء على قدر الإمكان »

وكتب في ص (٩٦) :

« وأذكر أني في أواخر سنة ١٩١٩م نشرت قصيدتي :

وثب الردى والليل لائلْ ... يطوي المعالم والمجاهلْ

وقد كنت جالساً في مقهى من مقاهي دمشق ، وإلى جنبي معروف الرصافي ، وكان اسمه في تلك الأيام مدوّياً ، فأحببتُ أن أتعرّف إليه ، فانتسبتُ إليه وقلت : إن معي قصيدة أريد أن أعرف رأيك فيها . فقال : هاتها ، ولكنه لم يحفل بي كثيراً في أول الأمر ، فأخرجتُ القصيدة ، وشرعتُ في قراءتها ، فما كدتُ أقرأ منها بيتين أو ثلاثة أبيات حتى اهتزّ وأخذ يهتمّ بي ، فلما أتيت على القصيدة كلّها : سألني : متى شرعتَ في نظم الشعر ؟ فقلت له : من ثلاث سنين ، فلم يصدّق قولي . وقال : هذا الشعر لا يتأتّى لصاحبه إلا بعد عشر سنين أو خمس عشرة ، ثم أخذ يسمعني من شعره . »

(١٩)

في ظــــــــــلال الأرز !

يا طـاويَ البيـد إن يمّمت لُبنـانـا فـانثُرْ على أرزِه ورداً ورَيْحـانـا

واسفَحْ دموعَكَ في أكنافِ مَغْرِسِه حتى يبيتَ بـدمـعِ العينِ ريّـانـا

يـانسمـةً في ظـلال الأرز طيّبـةً ردّتْ عـزاءً إلى قلبي وسُلـوانـا

هبّتْ عليَّ وفي أعطـافهـا أرَجٌ غَـدَوْتُ منـه مع الأغصـانِ نشوانا

أوحتْ إلى خـاطري شعراً تُلَيِّنُـهُ وأذهبُ الشعرِ بـالألبـاب مـالانـا

لاتحسبنَّ مـوازينَ القريض إذا خَلَتْ منَ السُّقْم كان الشعرُ فتّانـا[1]

وإنمـا الشعرُ قـولٌ حينَ تُرسلُـهُ يَهُـزُّ في النـاس أرواحـاً وأبـدانـا

☆ ☆ ☆

أمَمْتُ لبنـانَ والأشجـانُ تَصحَبُني فما صَحِبْتُ بـأرض الأرز أشجـانـا

كأنمـا الأرزُ والأطـوادُ تحرُسُـه جناتُ عَدْنٍ حوتْ حُوراً وولدانا

فلـو سمعتَ أحـاديثَ الحِسانِ بها لخلتَها لـؤلـؤاً رطْبـاً ومَرْجـانـا

أنّى التفتَّ رأيتَ الغيـدَ بـارزةً والسِّحْرُ يملأ أهـدابـاً وأجفـانـا

حِلٌّ لهنَّ قلوبُ القـوم قـاطبـةً يَفتِنَّ مـا شئن ألبـابـاً وأذهـانـا

مـا دأبُهن سوى جَرِّ الـذيولِ وقـد يَخْطِرنَ في جَرِّها حُسْناً وإحسانا

يَلْبَسنَ وَشْيـاً تصونُ الحسنَ بهجتُـهُ يملِكْنَ بـالـوشي أحراراً وعُبـدانـا

لـولا الحسـانُ لما قرّتْ خـواطرُنا ولا أطقنـا عـذابَ العيش ألـوانـا

☆ ☆ ☆

---

(١) القريض : الشعر .

ماضرَّ لبنانَ لو حنّتْ أراهِطُه	إلى الشآم زَرافاتٍ ووُحدانا[٢]
لم تهجُرِ الغوطةُ الفيحاءُ معشرَهُ	لكنّهم آثروا في الأرز هِجرانا
إن واثبتْ نازلاتُ الدهر أرضَهُمُ	طِرْنا إلى حربِها شيباً وشبّانا
ليتَ الديارَ تآختْ في شدائِدها	وصافحَ الشيخُ قِسّيساً ومَطْرانا
إن كان إنجيلُ عيسى لايؤلِّفُنا	فلْيترك القومُ إنجيلا وقرآنا
الدينُ لله والأوطانُ كعبتُنا	فما نُزلزلُ بالأديان أوطانا
فيمَ التباينُ والأنسابُ تجمعُنا	إنا نُمتُّ إلى أحيَاءِ عدنانا
يبنونَ في مصرَ أركاناً لمصرهِمُ	ونحنُ نهدِمُ للأوطان أركانا
تيقّظوا فنَجوْا من غَضْب غاصبهمْ	وما أرى في ربُوع الشامِ يقظانا
ذلّت أميّةُ ، منْ يسعى لعزّتِها ؟	وقد يذلُّ عزيزُ القومِ أحيانا
آمنتُ بالوطنِ الوضّاح رونقُهُ	فلستُ أزدادُ في الإيمان إيمانا
لو باعَهُ الناسُ بالأثمان مُرْخَصَةً	لما رضيتُ بِملْءِ الأرض أثمانا
سُقيتِ ياجنةَ الدنيا إذا انقطعتْ	عنكِ السحائبُ ماءَ العين تَهْتانا[٣]

٥ آب ١٩٢٤

جمع ـ رحمه الله ـ هذه القصيدة مع ثلاثٍ تتلوها وكتب على الصفحة الأولى :

« قيلت هذه القصائد في أوائل الانتداب الفرنسي ، وكأن النفوس كانت تحنّ في هذا الانتداب إلى شيء من وحدة بلاد العرب ، ومن بدا ثـه الأمور أن يكون لبنان أقرب البلاد إلى الشام ، فكانت هذه القصائد تفصح عن أول رغبة في وحدة البلاد »

وكتب في كتابه « أنا والشعر » ص ٣٦ :

« ولئن أولعت بدمشق ، لقد أولعت بلبنان ، وكنت لا أضيع فرصة في زيارته ،

---

(٢) الزرافات : الجماعات من الناس .

(٣) التهتان : كالديمة وهي مطر يدوم في سكون ، أو هو مصدر (هتن) وهتنت السماءُ : تتابع مطرها وانصبّ .

والتمّع من أرزه وصنوبره » ثم أورد أربعة الأبيات الأولى وقال :

« فكما لم تكن تحيتي لدمشق مجرد تحية ، فكذلك لم تكن تحيتي للبنان ، وإنما لهجت به في قصيدة دعوت فيها إلى اتحاد لبنان والشام ، وهكذا يمتزج في شعري اللهج بالطبيعة باللهج بالشعور الوطني »

(٢٠)

منـــــاجــــــاة الأرز

جــوىً في حــواشي الصـــدر تَغْلي مَراجلُـــهْ
فَمَنْ يحمِلُ الـوجـدَ الـذي أنـا حـاملُـهْ ؟[١]

بلابلُ في الأحشاءِ طـالَ اعتلاجُها فـواهـاً لقلبٍ مـا تَقَرُّ بـلابلُـهْ[٢]

أبيتُ أنــاجي الــدهرَ ، والــدهرُ حــائرٌ
تروحُ وتغـــدو في البرايـــا زلازلُـــهْ

وأرعى نجومَ الليلِ ، والليلُ ساهدٌ يماطلُني جُنْحَ الـدجى وأمـاطلهْ[٣]

ولـــولا وميضُ البرقِ في غَلَسِ الـــدُّجى
وهبُّ نسيمٍ تسترقُّ شمائلُـــــــــــــهْ

لضـاقتْ بتبريحِ الشجونِ جوانحي ومادت بـأعطـاف الفؤادِ قلاقلُه[٤]

نسيمَ الخُـزامَى زَوِّدِ القَلبَ نفحـةً عسى ينجلي عنه الذي هو شاغلُـهْ

أَحنُّ الى لبنـانَ والأرزُ مـــائـجٌ تنـوحُ عليـه في العشـايـا عنـادلُـه

يمـــدُّ على طــول البحـــار ظـــلاَلَـــه
وتنســـابُ في أقصى البطـــاح جـــداولُـــهْ

يطــاولُ أفـلاكَ السماءِ بهـــامــهِ فماذا الذي بعـدَ السماء يطـاولُـهْ ؟

مراحلُ دونَ الأرزِ عـزَّ اجتيـازُهـا بُـوِدّيَ أن تُجتـازَ يـومـاً مراحلُـه

لنـــا وطنٌ لا ينبغي أن نبيعَـــهُ فما في نعيم الـدهر شيء يعــادلُـهْ

فكم أعشبتْ في جـانبيــه مروجُـهُ وكم عَـذُبَتْ أحـواضُـه ومنـاهلُـهْ

---

(١) الجوى : الحرقة وشدة الوجد .

(٢) البلابل : شدة الهم .

(٣) جنح الدجى : جانبه .

(٤) ماد : تحرّك واضطرب .

فإن عاش عِشنـا في ظلال ربوعِـهِ ... وإنْ مات مِتْنا واحتوتْنـا مجـاهلُهْ
فيـا سـاكني لبنـانَ هـلا حَنَـوْتمُ ... عليـه فـإنَّ الأرزَ تحنـو خمـائلُـه
بـذلنـا لكُمْ وُدَّ القلـوبِ ولـو نرى ... سوى القلبِ يُهْدى ما تباطأ باذلُهْ
طويتمْ تبـاريحَ الهوى في صـدورِكمْ ... وعِشتمْ فُرادى مـا عَنَتْكم شواغلُـه[٥]
أَمَلْنـا بكم جمـعَ الشَّتـات فمـالكمْ ... يَرُدُّ ربيبَ الأرز من هـو آملُـهْ[٦]
تعـالَـوْا إلينـا نجمعِ الشمـلَ بيننـا ... عسى ربعُنا يعلو على الدهرِ سافلُهْ
كـلانـا عريـقٌ في المحـامـد يعتزي ... إلى هضبـة العليـاء حيث أوائلُـه[٧]
صقلْنـا بـاطرافِ اللهـاذمِ مُلْكَنـا ... فضاءتْ حواشيه ، نِعمّا صياقلـه[٨]
فلمـا تخـاذلنـا مشى الـدهرُ بيننـا ... وصالت علينـا في الليـالي غوائلُهْ

☆ ☆ ☆

يَمُرُّ الفتى بالشام يطوي فِجـاجَهـا ... فترتـاعُ في طَيِّ الفِجاج رواحلُـهْ
منازلُ في الأقطـار لم يصفُ ودُّهـا ... فويلٌ لقطرٍ مـا تصـافتْ منـازلُـهْ
يظـلُّ على الأيـــام منفصمَ العُرا ... ينـازلُـه عـادي الردى ويُصـاولُـهْ

٢٢ كانون الأول ١٩٢٠

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٢٠) بعد حديثه عن دخول الفرنسيين بلاد الشام سنة ١٩٢٠ في شهر تموز :

« هـدأتْ ثـورة النفس خمسـة شهـور ، لم أقـل فيهـا شعراً ، ولـمـا رجعت النفس إلى ثورتها ، لم ترجع إليها في بدء الأمر على أسلوبها القـديم ، لقـد فرغتُ من التحريض والتشنيع

---

(٥) تباريح الهوى : توهجه .
(٦) أَمَلَ الشيءَ : رجاه ، وأَمَلْنا : رجَوْنا .
(٧) يعتزي : ينتمي وينتسب .
(٨) اللهاذم : ج لَهْذَم وهو الحاد القاطع من السيوف .

والتجريس ، ولجأتُ إلى أسلوب آخر ، فأول شيء خطر ببالي إنما هو لبنان ، فإنه أقرب بلاد العرب إلينا ، فهو الذي كنا نتمتع من رطوبة صيفه ، ودفء شتائه ، كنا نتمتع من سحر جباله ومن سحر عبابه »

ثم أورد ثلاثة أبيات هي (٨ ـ ١٠) وقال :

« إلا أن هذا التغني لم يكن المقصد الوحيد الذي كنت أقصد إليه في شعري ، لقد نُكبتِ البلاد نكبتها ، فلا بد من شكوى إلى ذي مروءة ، فكان لبنان أول الأمر هو صاحب المروءة . فعملتُ قصيدة دعوت فيها إلى انضمام لبنان إلى الشام جاء فيها : »

وأورد تسعة أبيات هي (١١ ـ ١٩) ثم قال :

« وأذكر أني نشرت هذه القصيدة في جريدة البرق لصاحبها بشارة الخوري ، فعلّق عليها وقال : « بمثل هذا البيان يخطب ود القلوب . وبمثل تلك العاطفة تتوثق عُرا المودة »

لقد فعلتِ القصيدةُ فعلَها في لبنان ، فبعض الشعراء جاروني في العاطفة ، وبعضهم ردّ عليّ وكان رده قبيحاً ، لقد جاء في قصيدتي :

فلما تخاذلْنا مشى الدهر بيننا وصالت علينا في الليالي غوائلُهْ

فعارضني أحد شعراء لبنان ، وأظنه ميشيل الجاهل بقصيدة قال فيها :

« وصالت علينا لا عليكم غوائلهْ »

إلا أن هذا الردّ القبيح لم يثنني يومئذ عن اللهج بلبنان ، وعن التودد إلى أهله ... »

(٢١)

لبنـــان أيتهـــا الريـــاح

أنسيمُ جِلَّـقَ أم صَبـا لُبنـانِ ؟ لا بـل نـوافـحُ أرْزه الريّـانِ[١]

تغـدو على أفنـانـه ريحُ الصَّبـا فتمـوجُ تلـك الريحُ بـالأفنـان[٢]

إن تستظـلَّ بنـاضراتِ غصـونـهِ عطفتْ عليـكَ نـواضرُ الأغصـان

لبنـانُ أيتهـا الريـاحُ فـإنـه أشفى لقلبٍ دائمِ الخَفَقـان

بـاللـه جـوزي أرضَـهُ وتـزوّدي من دَوْحهـا مُتَرَجِّـحَ الرَّيْحـان[٣]

واحني عليهـا إن هَزَزْتِ غصـونَهـا عهـدي بهـا تحنـو على الـولْهـان

أصبـو إليهـا والطـوارقُ دونَهـا فمتى تَرِقُّ طـوارقُ الحِـدْثـان ؟[٤]

ومراتـع الغِـزلان هِجْنَ صبـابتي هيهـاتَ أين مراتُـع الغِـزلان ؟

نفرتْ ظبـاءُ الأرْزِ عن أجفـانِنـا فقضتْ جـآذِرُهُ على الأجفـان

يـا سـاكني لُبنـانَ إنَّ قلـوبَنـا خفّـاقـةٌ بلـواعـجِ الأَشجـان

لسنـا نبـالي بـالصَّبـاح وضـوئِـهِ ضـوءُ الصبـاح وليلُنـا سِيّـانِ

عَبِثَ الشَّتـاتُ بربْعِنـا فتزلـزلتْ أركانُـــه ؛ لَهْفي على الأركانِ

وتبـدّدت أحيـاؤه أيـدي سبـا فغـدا يكابـد وحشـةً ويعـاني[٥]

وإذا القبيْـل تقـاطعتْ أرحـامُهمْ هبطتْ مراتبُهُمْ على الأزمـانِ

---

(١) جلّق : بفتح اللام وكسرها دمشق .

(٢) الصَّبا : ريح تهب من الشرق .

(٣) الدوح : ج دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة .

(٤) حِدْثان الدهر : نوائبه .

(٥) أيدي سبـا : سبـا لغـة في سبـأ ، ومنـه المثل « تفرقوا أيـدي سبـا » أي : تفرقـاً لا اجتماع بعده .

هــذي منــازلُنــا فضُمّــوا شَمْلَهــا بــالله ، بــالإنجيــل ، بــالقرآن
مُــدّوا إلى أرض الشــآمِ حبــالَكُمْ ربــعُ الشــآم وربعُكــمْ صِنْــوانِ[٦]
برقــان في غَلَسِ الظــلام تــألّقــا هــــذا شــآميٌّ ؛ وذا لبنـــاني
وطني ومــا وطني ســوى مُتَنَيَّــأ حبستْ عليــه ركائب الأظعــان
عَــذُبَتْ مواردُهُ ، فطــاب وُرودُهــا للمرتـــوي منهـــا وللظّمآنِ
واستــأنسَ الســاري بضــوء نجــومِــهِ فطــوى الأبــاطــحَ والفــلا بــأمــانِ
مـــا راعني إلا تخـــاذلُ آلِـــهِ يـــومَ الردى وتنـــافرُ الجيرانِ
إنْ يجمعــوا الشمــلَ المبــدَّد بينهم (بلغــوا من العليــاء كل مكان)

٧ كانون الثاني ١٩٢١

كتب في كتــابــه « أنــا والشعر » ص (٢١) بعــد حــديثــه عن القصيــدة السابقة :

« ... فما أتى على قصيدتي الأولى (مناجاة الأرز) أسبوعان حتى عملت قصيدة ثانية في النغمة نفسها »

وأورد خمسة أبيات هي (٤ ـ ٨) ثم قال :

« لم يكن التغني بلبنـان إلا أسلوبـاً في التعبير عن ألم البلاد بعـد نكبتهـا ، وكان هـذا الأسلوب صافياً لا يشتمل على شيء من الثورة والدم ... »

---

(٦) الصنو : إذا خرجت نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل منهن « صِنْو »

(٢٢)

من الغـــوطـــــة الى الأرز

ألا هُبي بـــأفيـــاءِ العقيــقِ فمـا للصُّبْـح بعـدَكِ من بَريـقِ
تركتُ الليـلَ معتلجَ الـديـاجي يَضِـلُ به الـدليـلُ عن الطريـق
وغـادرتُ المنـازلَ مـوحشـاتٍ تبـاكرُهـا النـواعـقُ بـالنعيـقِ
ولـو حمـل السحـابُ شجونَ قلبي لطِرتُ إليـــكِ من فـجٍّ عميـقِ
تـذكرتُ العنـادلَ في غـداةٍ وقـد هَـدَلتْ على الأرز الوريقِ[1]
فهـاجتْ في الضلوع حريقَ وَجْـدٍ فيـاويـلَ الضلـوعِ من الحريـقِ
براني الشـــوقُ حتى ذابَ قلبي فمن يحنـو على لهَفِ المشـوق ؟[2]
نسيمَ الأرز هـل جـاوزتَ ربعـاً ؟ بجلّـقَ مـــا يَقَرُّ من الشهيـق[3]
يَحِنُّ إليـكَ في شفـق العشـايـا وفي ضـوءِ النجـومِ وفي الخُفــوق
فهـل من مُبْلـغٍ عني سـلامـــاً إلى « قبلانَ » من خِـدْنٍ شفيـق
بنفسي شـاعرٌ عـذبُ المعـاني بعيـــدُ الغـور في وادٍ ونيـق[4]
أتـــاه الشعر محبـوكَ الحـواشي يميـلُ إليـــه بـــالسترِ الرقيـق
إذا وَصَفَتْ يراعتُـــهُ ظَـلامـــاً أضـاء الليـلُ بـالـوصفِ الرَّشيـق[5]

☆ ☆ ☆

شغلتُ الفكرَ عن لبنـانَ حينـاً أُفكرُ في الشـــآم وفي العقيــق
حبستُ على دمشـق الشـام دمعي فمــا في الشـام من عيش أنيـق

---

(١) هدل الحمامُ : صوّت .
(٢) براني : هزلني وأضعفني .
(٣) قرّ يقَرّ بفتح القاف وكسرها : ثبت وسكن .
(٤) النيق : أرفع موضع في الجبل .
(٥) البراعة : القلم .

ربــوعٌ قــد بــذلتُ لهــا فــؤادي ولـو ضــاعتْ بجــانبهــا حقــوقي
ولستُ بمبتــغٍ وطنــاً ســواهــا وحــقّ الحــج والبيتِ العتيــقِ[٦]
أمرُّ على الــديــار فــأجتــويهــا وأبرَمُ بــالعــدوّ وبــالصــديــق[٧]
تنــافرتِ المرابــعُ والمغــاني ومــالــوا بــالفريـق عن الفريـق[٨]
وكان الملــكُ مشــدودَ الأواخي فحلّــوا كلَّ مشــدودٍ وثيــق[٩]
تحــامى القــومُ أعطــافَ المعــالي وعــاذوا بــالصَّبـوح وبــالغَبـوق[١٠]
ونــامـوا عن مطــاعنــةِ الليــالي كأنَّ المجــدَ في ظــل الرَّحيــق[١١]
أتــاهمْ من سهــامِ الــدهرِ سهمٌ رمــاهمْ بــالجليـلِ وبــالـدقيــقِ
أفــاق النــاسُ في الآفــاق طُرّاً ومــا في الشــام من ربع مُفيــقِ

كانون الأول ١٩٢١

كتب رحمه الله ـ ما يلي مقدمة لهذه القصيدة :

« قيلت هـذه القصيـدة جواباً عن قصيـدة قبلان الريـاشي[١٢] المنشورة في ١٢ كانـون الأول ١٩٢١ »

(٦) البيت العتيق : الكعبة .
(٧) اجتوى البلدَ : كَرِهَ المُقام به .
ـ بَرِمَ يبرَمُ : سئمَ وضجر .
(٨) الفريق : الطائفة أو الجماعة من الناس .
(٩) الأواخي والأواخيّ : ج آخيّة وهي عروة تربط إلى وتـد مـدقوق . وتشـد فيهـا الـدابّة ، يقال : « شدّ الله بينكما أواخيّ الإخاء »
(١٠) الصَّبوح : شرب الغداة ، وهو ضد الغبوق .
(١١) الرحيق : صفوة الخمر .
(١٢) قبلان الرياشي هو و (إليـاس قوزمـا) صـاحبـا جريـدة العمران الـدمشقيـة التي صـدر عـددهـا الأول في ٢ ت١ (١٩٢٠) (تـاريخ الصحـافـة العربيـة : فيليب د و طرازي) وستـأتي قصيـدتـه بعـد هـذه وقـد ذكره ـ رحمـه الله ـ في القصيـدة (٤١ ـ ذكرى ولي الدين يكن) في حديثه المنقول من (أنا والشعر) ص (٥٠) .

قصيــــــــــــــــــدة

الشــاعر قبــلان الريــاشي يعــاتب فيهــا صــديقــه الشــاعر (شفيــق جبري) ، وقــد نشرت في العــدد ٢٩٤ من جريــدة العمران الــدمشقيــة في ١٢ كانون الأول ١٩٢١ .

ألا خلّي فتـــــورك واستفيقي   تصـوني وردَ ذا الخـــدِّ الشقيــقِ
فـــإنّ الـوجــدَ أرّقني طــويــلاً   فحلّــل سرقــةَ الغصنِ الــوريــق
مــددْتُ إليــه كفي فــالمسيهــا   فمن قلبي بهـــا طرفـــا حريــق
شكـوت إليـكِ من وجـدي ظَماءً   أُعلّلــــــه بخمرِ لمىً وريــــق
أبحتُ لنفسيَ التقبيـــلَ لمـــا   رأيتُ دمي على وجـــه العقيــق
ومــا حــدَّثتُهــا بهـوًى جــديــدٍ   ولكنْ ذاك بعضُ هــوىً عتيــق
عشقتُ بجلّــقٍ ظَبَيــــاتِ أُنسٍ   فَتَنَّ ظبـــاءَ بُرقــــةَ والعقيــق
فيـــاليــلاتِهـــا البيضَ اللــواتي   إذا ذُكرتْ (شَرِقْتُ لهـا بريقي)
تلتْهـــا كلُّ ســوداءِ الحــواشي   تُنــوِّرُ جُنحَهـــا نـــارُ المشــوق
لهـــا شَرَرٌ من الــزفرات يرمي   بـــه فحمَ الــدجى مني شهيقي
فيلمـع كالمــدامـع فـوق خــدّي   ولــــــولاه ضللْتُ إذاً طريقي

☆ ☆ ☆

إلى (جبري) سلامٌ من صـديـق   يَحِنُّ إلى مـلاقـــاة الصـــديــق
فهـل للخــــاطر المكســورِ جَبْرٌ   ترى وكتـــابُ وُدٍّ من شفيــق ؟
إذا مـــا لامسْتْـــهُ الكفُّ فضّتْ   غــلالتَــه عن المســـك الفتيــق
وعـــانـق روحَــه العربيَّ روحٌ   كريمٌ من أخي عهـــدٍ وثيـــق
كما قـد عــانـق الريـح الخُـزامى   خـلال الـدوح في الروض الأنيـق
كـــلانــــا رقَّ حتى ذاب شعراً   كـــذَوْب المـــاء في الخمر العتيــق

سقـــانيهـــا لنـــا أدبٌ جلسنـــا إليـــه في الصَّبــوحِ وفي الغبــوق

☆ ☆ ☆

بروحي شـــاعرٌ فخم المبـــاني بعيــدُ مــذاهبِ الفكر الــدقيــق
يغـوص على بحـــار الشعر كــدّاً فيـــدرك لجـــة المعنى العميــق
وتضبـــط كلَّ شـــاردةٍ يـــداهُ بكل أغرَّ ممتنـــــعٍ عَقـــــوق
وينســج كلَّ حـــاليـــةٍ شَرودٍ كــوشي الثــوب للقــدّ الرشيــق
وكم رقّتْ معـــانيـــه ودقَّتْ كما رقّتْ مُشعشعـــــةُ الرحيـــق
هـــل الخِـــلُّ الــوفيُّ إذا تراختْ بنا الأظعـان في البلـد السحيق ؟
أُسميـــه شفيقـــاً وهْــو عنـــدي مجـــانســـة أعــزُّ من الشقيــق
وأهـــديـــه سـلام الأَرْزِ طيبـــاً يفـــاوح طيّب الخلــق الرقيــق
فهـل من ذلـك الـوادي جـوابٌ ؟ أم استسقيت فيـــه ذا بريـــق

(٢٣)

ايـــــه يـــــاليـــــل

إيـــهِ يـــاليـلُ ، فقلبي وَجِـلُ ... ودمـوعي في الليـــالي ذُلُـلُ[١]

لمـحَ البرقُ ، فشـاقتْ خـاطري ... لمحـةُ البرقِ ، فمـاجَ الـوَشَـلُ[٢]

لَبِسَتْ منـــــه روابي جِلَّـــقٍ ... حُلَـلاً بيضـــاً ، فنعْمَ الحُلَـلُ

لم يَرُعْ قلبي منـــاغـــاةُ الضّحى ... إنمـــا راعَ فـؤادي الطَّفَـلُ[٣]

فـإذا الليـلُ سجـا هـامتْ بـه ... مقلـةٌ تحنـو عليهـا المُقَـلُ[٤]

وشكا العـــاشـقُ مـــا يحملُـه ... من هـــواهُ فيهـونُ المَحْمَـــلُ

واطمأنَّ الطِّفْــلُ في مَضْجَعــــهِ ... ليس يُلْـوي بكراهُ الـــوَجَـــلُ

مــا أرجّي في غـــدٍ ، إنَّ غـــداً ... خَطْبُـــــهُ واللهِ خطبٌ جَلَـــلُ

حِيَـــلٌ تَخْتِـــلُ في جَيْئَتِـــــه ... خِتْلَـةَ الـذئبِ ، فبئسَ الحِيَـلُ

يـأمُـلُ المرءُ فـإنْ جـاشتْ بـه ... منيـــةٌ راح عليـــه الأجـــلُ

يستفيـقُ الطفـلُ من غَفْـوَتـه ... فيغـــاديـــه الأذى والمَلَـــلُ

تَفْـــزَعُ الطيرُ إلى أوْكُنِهـــــا ... وعلى الأوكنِ يعـدو الأجْـدَلُ[٥]

يَثِبُ الــذئبُ على حُمـلانـــهِ ... وَثبـةً يـذهبُ فيهـا الحَمَـلُ

دُوَلٌ تَعبَثُ في آفـــاقهـــــا ... عَبَثـــاً تَـــدْرُجُ منـــه دُوَلٌ[٦]

يتفـــانى القـومُ في عُـــدوانِهم ... جَحْفَـلٌ يُخني عليــه جحفـلُ[٧]

---

(١) ذُلُل : ج ذَلول وهي السهلة المنقادة الطيّعة .

(٢) الوشل : الكثير أو القليل من الماء .

(٣) الطَّفَل : الظلمة .

(٤) سجا : سكن ودام .

(٥) الأجدل : الصقر .

(٦) دَرَج القوم : انقرضوا وماتوا .

(٧) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

فـإذا الجنـدُ تـلاقَـوْا في الـوغى	بـذَلـوا من دمهمْ مـا بـذلـوا
فيسيـلُ الـدَّمُ في أعطـافهمْ	يرتـوي منـه القنـا والأَسَـلُ[٨]
يتراءى لـكَ في ضـوضـائهم	دولـةٌ تعلـو وأخرى تَسْفُـلُ
إيـه يـاليـلُ تَمَهَّـلْ في الـدُّجى	وعسى أن يتمادى المَهَـلُ
تضحـكُ الشمسُ وقلبي عـابسٌ	لم يضئْ في جـانبيْـهِ الجَـذَلُ
ليس في الفجرِ لطَرْفي أمـلٌ	أنتَ يـاليـلُ المُنى والأمـلُ
رُبَّ شَعْبٍ آمنٍ في سِرْبـهِ	تتنـاجى في أذاه الغِيَـلُ[٩]
وإذا انقضّـوا عليـه عَنْـوَةً	زلـزلـوا من ملكـه مـا زلـزلـوا
وطني والـدهرُ يَطْـوي أهلَـهُ	طَلَـلٌ أنـزفَ دمعي الطَّلَـلُ
بَلَّـلَ الـدمـعُ أزاهيرَ الرُّبـا	أترى يُروي ثراهـا البَلَـلُ
مـا وقـوفي في الحمى أبكي بـه ؟	بعـد أن هبت عليـه الشَّمْـأَلُ[١٠]
ضـلَّ رَبْعُ الشـامِ أكنـافَ العُلا	ولقـد يُردي الربـوعَ الضَّلَـلُ
خطرتْ في بردى خـاطرةٌ	للرَّدى لم يَصْفُ منهـا مَنْهَـلُ
كانَ في الغـوطـة عيشي خَضِـلاً	فـانطـوى عنيَ عيشي الخَضِـلُ[١١]
رُبَّ رَكْبٍ عَرَّسـوا في ظِلِّنـا	خَصِبَ السهـلُ بهم والجَبَـلُ[١٢]
رَحَلـوا والليـلُ فضفـاضُ الـدُّجى	عن دِمَشْـقٍ ليتهمْ لم يرحلـوا

٥ آذار ١٩٢٤

---

(٨) الأسل : الرماح .

(٩) الغيلة : إيصال الشر والقتل إليه من حيث لا يعلم ولا يشعر (اللسان) .

(١٠) الشمأل : ريح الشمال .

(١١) العيش الخَضِل : الناعم الطيب .

(١٢) عَرَّس المسافر : نزل ليستريح ثم يرتحل .

كتب رحمه الله مايلي مقدمة لهذه القصيدة :

« هذه قصيدة اقتبستَ بعض أبياتها من شاعر فرنسي[١٣]Sully Prudhomme ، ثم غلبت النزعة الوطنية في آخرها ، وهكذا نجد أن الشعر لم يستطع التملص من آثار البيئة التي عشت فيها . وفي القصيدة إشارة إلى ذهاب الملك فيصل من دمشق في الليل .

رحلوا والليل فضفاض ... »

---

(١٣) سولي برودوم : شاعر فرنسي ولد في باريس (١٨٣٩ ـ ١٩٠٧) ألّف (الخَلَوات) و (الحنان المهدور) وبرع في التعبير عن أدق خلجات القلب الصادقة ، وفي أشعاره الفلسفية (العدالة والسعادة) صور لأنبل ما يخالج الفكر الإنساني من هموم .

(٢٤)

جهـــــاد الغـــــواني☆

يـــاأختَ جبـــارِ البطـــا ... حِ تَفَيَّئي ظـــلَّ الخلـــودْ[١]

جـــاهـــدتِ في مَضَض الشـــدا ... ئـــد لا التـــواءَ ولا هُجـــودْ[٢]

بين الأسنَّـــــــةِ والصـــــوا ... رمِ في البروقِ وفي الرعـــــودْ[٣]

ألَمُ الجهـــــــــادِ على الجبيـ ... ـن ، شجا الشجونِ على الخُدودْ[٤]

كم ضجعـــــةٍ لـــــك في اعتـــلا ... ج البيضِ أو خفـــق البنـــودْ[٥]

في الـــزمهريرِ ، ومـــــا اتكأ ... تِ على الأرائـــكِ والنُّجـــودْ[٦]

للـــــه ليلُـــــكِ في الفـــلا ... والنـــومُ مسلـــوبٌ طريـــــدْ

النـــاسُ في يـــوم الرَّخـــا ... ءِ وأنتِ في اليـــوم الشـــديـــدْ

هـــذي الـــزعـــامـــةُ لا تَشَـــدُّ ... ـقَ في القيــــامِ وفي القعـــودْ

☆ حين انتهت الجمعية التأسيسية من وضع الدستور السوري سنة ١٩٢٨ اصطدمت بقرار المفوض السامي الفرنسي « هنري بونسو » الذي يقضي بحذف ست موادّ منه ، هي روح الدستور وقوامه ، فلما رفضت الجمعية التأسيسية هذا القرار ، أوقف المفوض السامي اجتماعاتها ، فعمّت موجة الاستنكار . وقامت المظاهرات على قدم و ساق ، وكان من جملتها مظاهرة النساء التي يصفها الشاعر .

(١) أخت جبار البطاح : كناية عن المرأة الشجاعة المجاهدة .

(٢) الهجود : النوم .

(٣) الأسنة : ج سنان وهو نصل الرمح .

ـ الصوارم : ج صارم وهو السيف القاطع .

(٤) الشجا : الهم والحزن ، وما اعترض في الحلق من عظم وغيره .

ـ الشجون : ج شَجَن وهو الهم والحزن .

(٥) اعتلاج البيض : تضارب السيوف وتلاطمها .

(٦) النجود : ج نَجْد وهو ما يُزَيِّن به البيت من بُسُط و فُرُش ووسائد .

يتبجّحـــون ومـــــالهمْ　　يـومَ الأضــاحي من شَهيــدْ

☆ ☆ ☆

صــاغ الـزمـانُ لــك القـلا　　ئــدَ من جِهــادِك والعقــودْ
نــاجيتُ يـومَــك في القصيـ　　ـدِ فما أحــاط بــه القصيــدْ
مــالي ولــلإمعـــانِ في　　غَـوْرِ القــوَافي والنُّجــودْ[7]
الفعــلُ أبلــغُ منطقـــاً　　من كلِّ قـــافيـــةٍ شَرودْ[8]
كــــادَ القريضُ إذا ذكـر　　تُــكِ للمفــاخرِ أن يميــدْ[9]

☆ ☆ ☆

وقفتْ ببـــابــكِ جِلَّــقٌ　　وتــزاحمتْ فيـــه الــوفـودْ
حملــوا الثنــاءَ إلى التي　　حملتْ أذى الجهـــدِ الجهيــدْ
ومشتْ إلى حَطْمِ القيـــو　　دِ وَمنْ يطيـقُ شجـا القيـودْ ؟
هــل يستـوي الســاداتُ في　　ظــل المرابـعِ والعبيـــدْ ؟
للـــه ذكرى مـــا تفــا　　رقُ خــاطري أبـدَ الأبيــدْ[10]
تلــك العهـودُ نــديـــةٌ　　والشــامُ حــافظـــةُ العهـودْ
قــذفتْ دمشــقُ إلى الهَــزا　　هــزِ ربعَهـا فهمُ الـوقـودْ[11]
نَهْبُ الصـــوارمِ بين مهـ　　ـشــومٍ عليهــا أو حصيــدْ[12]
زحفَ الرجـــالُ إلى الرجــا　　لِ مشى الحـديـدُ إلى الحـديـدْ

(٧) النجود : ج نَجْد وهو ما ارتفع من الأرض .
(٨) قافية شرود : قافية سائرة في البلاد ، كناية عن الشعر الرائع الذي يتناقله الناس .
(٩) يميد : يتحرك ويضطرب .
(١٠) أبد الأبيد : أبد الدهر .
(١١) الهزاهز : الحروب والشدائد .
(١٢) نهب الصوارم : غنيمة السيوف .

هـوت النفـوسُ على القنـــا هَـوِّنْ عليـــكَ فـمــا تعــودْ
لم يبـق غيرُ مضــاضــةِ الــذ ـ كرى على البـــالِ الخضيـــدْ[13].

☆ ☆ ☆

سَلِمَتْ دمشـــقُ فلم تــــزلْ تختـــــــالُ في وَشْي البُرودْ
بســــــامــــــةً فكأنّما بَسَماتُهــا الـــدرّ النضيـــدْ
نفضتْ حـــوادثَهـــــا فلم تحفـلْ بـوعــدٍ أو وعيـــدْ[14]
ومشتْ على هـــام الصـــوا رمِ والقنــا المثيَ الــوئيـــدْ
جبـــــــارةً لم يصطلمْ ـهــا كلُّ جبـارٍ عنيـــدْ[15]

٥ حزيران ١٩٢٨

فتى العرب

ألقيت في حفلة تكريم حرم
الزعيم الدكتور شهبندر
جبار البطاح .. كتابة عن أخ الحنفى بها نزيه المؤيد
وهو بطل من أبطال ثورة دمشق.

---

(١٣) البال : الخاطر والقلب .
ـ خضد العودَ : كسره فهو مخضود وخضيد .
(١٤) نفض الثوب : حرّكه ليزول عنه الغبار .
ـ الوعد في الخير . والوعيد في الشر .
(١٥) اصطلمه : استأصله .

الجَــــــــــــــــــلاء*

ألقيت في مدرج الجامعة السورية

حُلْمٌ على جَنَباتِ الشامِ أم عيدُ ؟ ‌ ‌ لا الهمُّ همٌّ ولا التسهيدُ تسهيدُ[١]

أتكذِبُ العيْنُ والراياتُ خافقةٌ ‌ ‌ أم تكذِبُ الأذْنُ والدنيا أغاريدُ ؟

وَيْــلَ النماريــدِ لاحِسٌّ ولا نبــأ

ألا ترى مــاغــدتْ تلــك النماريــدُ ؟[٢]

كأنَّ كلَّ فــؤادٍ في جَــلائِهمُ ‌ ‌ نَشوانُ قد لَعِبَتْ فيه العناقيدُ[٣]

مِلْءُ العيونِ دموعٌ من هناءَتِها ‌ ‌ فالدمعُ درٌّ على الخدّينِ مَنضودُ

لو جاءَ داودُ والنُّعمى تُضاحِكُنا ‌ ‌ لهنّأ الشامَ في المِزمارِ داودُ

على النواقيسِ أنغامٌ مُسَبِّحةٌ ‌ ‌ وفي المآذنِ تسبيحٌ وتحميدُ[٤]

لو يُنْشِدُ الدهرُ في أفراحِنا ملأتْ ‌ ‌ جوانبَ الدهرِ في البشرى الأناشيدُ

☆ ☆ ☆

هذي بقاياكِ يا حِطينُ بدَّدَها ‌ ‌ للهِ ظِلٌّ بأرضِ الشامِ ممدودُ[٥]

ليتَ العيونَ صَلاحَ الدينِ ناظرةٌ ‌ ‌ إلى العدوِّ الذي ترمي به البيدُ[٦]

اِضرِبْ بعينِكَ هل تلقى له أثراً ‌ ‌ كأنــه شَبَحٌ في الليل مَطرودُ

☆ تم جلاء الفرنسيين عن سورية في نيسان ١٩٤٦ ، واحتفل بالجلاء يوم ١٧ نيسان ١٩٤٦ ، وعُدَّ هذا اليوم عيداً قومياً لهذه الذكرى .

(١) سهّده تسهيداً : أرّقه فلم ينم .

(٢) النماريد : ج نمرود اسم ملك جبار من ملوك الكلدان .

(٣) جلا عن البلد جَلاءً : خرج منه ، يريد جلاء الفرنسيين عن سورية .

(٤) سبّحَ اللهَ تسبيحاً : ذكره .

(٥) حطين : الوقعة التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين .

(٦) البيد : ج بيداء وهي الفلاة .

ظنَّ اجتياحَكَ مأمونا فشرَّدَهُ حدُّ السيوف وللأسيافِ تشريدُ

لم يَبْقَ غلٌّ على رَبْعٍ تُظلِّلُه تشقى به اليدُ أو يشقى به الجيدُ[7]

أضحى رفاتُكَ في أمْنٍ وفي دَعَةٍ سَيفُ العدوِّ على الأحقابِ مغمودُ[8]

أينَ الأعاجمُ ؟ ما حلّوا وما رحَلوا كأنهمْ حُلُمٌ في الفجرِ مردودُ

مَنْ كانَ يَحْسَبُ أن الشامَ يلفُظُهمْ وأنَّ طيفَهُمُ في الشام مفقودُ[9]

تمكّنوا من جبالِ الشام واعتصموا فكلُّ حِصنٍ على الأجيالِ مِرّيدُ[10]

فما حمتهمْ قلاعٌ في مشارِفها ولا أظلّهمُ حَشْدٌ وتجنيدُ

أينَ القلاعُ على الأطواد عاتيةً وأين منها تهاويلٌ وتهديدُ

أيحسبونَ قصيفَ الرعدِ مَرْعَبةً قصيفُ رعدِهمُ في السمعِ تغريدُ[11]

فما القواذفُ بالنيرانِ هادمةً حوضاً تَعهدَّهُ قومٌ صِناديدُ[12]

---

(٧) الجيد : العنق .

(٨) الرُّفات : الحطام ، يريد ما تفتت من العظام في القبر .
- غَمَدَ السيف : أدخله في الغمد .

(٩) الشام : مذكر ومؤنث (معجم البلدان) .

(١٠) المِرّيد : الشديد المرادة أي : أكثر ارتفاعاً من غيره .

(١١) قصف الرعدُ قصيفاً: اشتد صوته يريد قذائف المدفع .

(١٢) الصناديد : ج صنديد وهو السيد الشجاع .

ظِـــلّ العروبـــــةِ إن يغضبْ لــــوارفـــــهِ
يغضبْ لـــه الغُرُّ من عــدنـــان والصيـــدُ[13]

☆ ☆ ☆

يــا يــومَ أيــارَ والنيرانُ ملهبـــةٌ على دمشـقَ تُلَظّيها جـلاميـدُ[14]
ذكرى سجونِكَ مـا تنفـكُّ مـاثلـةً لم يَمْحُ من هَوْلها عيـدٌ وتعييـدُ[15]
هـذي ضحـايـاكَ في الأيـام آبـدةٌ وللضحـايـا على الأيـام تـأبيـدُ[16]
الطفلُ في المهدِ لم تهـدأْ مضـاجعُـهُ مُرَوَّعٌ من لهيبِ النـــارِ مكمـودُ
تلفُّـــهُ أمُّــــهُ مـــابينَ أضلُعِهـــا ومَـوْقِـدُ النـارِ مِطرابٌ وغرِّيـدُ[17]
فقـلْ لصَحْبِـكَ والأمــواجُ تحملُهمْ هلِ الحضارةُ تـذليلٌ وتعبيـدُ ؟[18]

☆ ☆ ☆

يـا نـــازحينَ ونــارُ الجرحِ تــأكُلُكُمْ ومــــا لجرحكُمُ بُرْءٌ وتضميــــدُ

---

(١٣) وَرَف الظلُّ : امتد واتسع .
ـ الغرُّ : ج أغرّ وهو السيد الشريف .
ـ عدنان : جد القبائل العربية في شمال بلاد العرب .
ـ الصيد : ج أصيد ، وهو الذي يرفع رأسه كبِراً .
(١٤) يريـد (٢٩ أيـار ١٩٤٥) حين اعتـدى الفرنسيـون على المجلس النيـابي وقـذفوا دمشـق بالقنابل .
ـ لظّى النارَ : ألهبها .
ـ الجلاميد : ج جُلمود ، ورجلٌ جلمود : شديد قاسٍ .
(١٥) عيّد تعييداً : شهد العيد .
(١٦) آبدة : مقيمة ، وأبَدَ بالمكان : أقام به ولم يبرحه ..والآبدة : الداهية تبقى على الأبد . التأبيد : التخليد .
(١٧) المطراب : الكثير الطرب .
(١٨) عبّده تعبيداً : جعله عبداً وذلّله .

تلكَ التقاليدُ ألقينا سلاسِلَها ألم تَرَوْا ما جَنَتْ تلك التقاليدُ
جناتُ عَدْنٍ رتعتمْ في نواضِرِها خَلّيتُموها ولا ماءٌ ولا عودُ
للمُلْكِ رهطٌ ولستم من أراهطِهِ ضاعتْ بأيديكمُ منه المقاليدُ[19]
هل انتُدِبْتُمْ إلى توطيدِ دولتِكمْ
بالعُنْفِ ؟ هيهاتَ مافي العُنْفِ توطيدُ[20]
لاتستقيمُ مع التهديمِ مملكةٌ وإنما الملكُ بنيانٌ وتخليدُ

☆ ☆ ☆

أغرَّكُمْ من شبابِ الشامِ يومُهُمُ بميسلونَ وللأيامِ تنكيدُ[21]
جئتمْ حِماهُمْ فلم يملِكْ جفونَهمُ غَمْضُ الليالي وهل يغفو المقاييدُ[22]
مانامت الشامُ عن ثأرٍ تُبيِّتُهُ هيهاتَ ما نومُها في الثأرِ معهودُ
تكادُ تَفْلِتُ من أكفانِها رِمَمٌ لتَشْهَدَ الثأرَ ، يومُ الثأرِ مشهودُ[23]
لو استطاعتْ لهبّتْ من مدافِنِها تسعى الزَّرافاتُ فيه والمواحيدُ[24]
يا ميسلونُ وما الأحداثُ مُنْسِيةٌ ذكرى تُفيِّئُها تلك الأماليدُ[25]

---

(١٩) المقاليد : ج مِقْلد وهو المفتاح .

(٢٠) يريد الانتداب الفرنسي على سورية . والانتداب تعبير مهذّب للاستعمار ظهر في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

(٢١) يشير إلى وقعة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠ واستشهاد يوسف العظمة .

(٢٢) المقاييد : ج مُقَيَّد وهو اسم مفعول مِن (قيّده) أي أوثقه .

(٢٣) أفْلَتَ الطائرُ : تخلّص .
ـ الرِّمَم : ج رمّة وهي ما بلي من العظام .

(٢٤) الزّرافات : ج زَرافة وهي الجماعة من الناس .
ـ المواحيد : ج ميحاد وهي الأكمة المنفردة يريد الأفراد من الناس .

(٢٥) الأماليد : ج أملود وهو الناعم اللّين من الغصون .

هــــذي دمـــاؤكِ مـــاتنفـــكُ دافقـــةً

تجري بهـــا في حِمى الـــوادي الأخـــاديـــدُ[٢٦]

من بـــاب واديـــكِ هـــاجَ العِلْـــجُ أدمعَنـــا

وبـــابُـــكِ اليـــومَ دون العِلْـــجِ مســـدودُ[٢٧]

ثـــارت لـــكِ الشـــامُ لم تَقْهَرْ مرابعَهـــا

شـــدائـــدٌ غلغلتْ في جـــوّهـــا ســـودُ

وكلّما بَليَتْ أفـــوافُ غـــوطتِهـــا

عـــادتْ وفي الغـــوطـــةِ الغَنـــاء تجـــديـــدُ[٢٨]

خلن، ملوكٌ وأرضُ الشامِ طاويـةٌ تـاجَ الملوكِ ، وتـاجُ الشـامِ معقودُ

☆ ☆ ☆

يـا فتيـةَ الشـامِ للعليـاء ثـورتُكُمْ ومـا يَضيعُ مع العليـاءِ مجهـودُ

جُدْتُمْ فسالتْ على الثورات أنفسُكُمْ عَلّمتمُ الناسَ في الثوراتِ مـا الجودُ

بنيتُمُ المُلـــكَ من أشـلاء عِتْرتِكُمْ يُوَطّـدُ المُلكَ مهشـومٌ ومحصـودُ[٢٩]

تلـكُمْ قُرَيـــشٌ وأنتمْ في ذُؤابتِهـــــا

تـــوحي إليكُمْ على الأيـــام أن ســـودوا[٣٠]

وللعُروبـــةِ في أظـــلالكُمْ لَجَبٌ لهـا من الـوحي والقرآن تـأييـدُ

مـا في النعيمِ عن استقلالكُمْ عـوضٌ وكيف يَنْعَمُ مَغلـول ومصفـودُ[٣١]

---

(٢٦) الأخاديد : ج أخدود وهو الحفرة المستطيلة .

(٢٧) العِلج : الرجل الضخم القويّ من الأعاجم ، يقصد به قائد الحملة الفرنسية .

(٢٨) الأفواف : ج فوف ، وهو نوع من برود اليمن ، وقد شُبّه الزهر بالفوف من الثياب .

(٢٩) الأشلاء : ج شِلْو ، وأشلاء الإنسان : أعضاؤه بعد البلى والتفرق .

عِتْرةُ الرجل : نسله ورهطه الأدنَوْن .

(٣٠) ذؤابة كل شيء : أعلاه ، ومنه « هو ذؤابة قومه » أي : المتقدم فيهم .

(٣١) صَفَده : أوثقه وقيده بالحديد ، فهو مصفود .

فـــإن جمعتمْ شَتَـــاتَ الأمرِ بينكمُ فـالملـكُ متسعُ الأفيـاء مـولـودُ
إن لم تكنْ مُضَرُ الحمراءِ سـائدةً فما يُقِرُّ عيونَ العربِ تسـويدُ[32]

نيسان ١٩٤٦

(٣٢) مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقبيلة مضر من أمهات القبـائل العربيـة ، وقيل لمضرَ الحمراءَ ، ولربيعةَ الفرسُ ، لأنهما لما اقتسما الميراث أعطي مُضَرُ الذهبَ وأُعطي ربيعـةُ الخيلَ . و (مُضَرُ الحمراءِ) بالإضافة (اللسـان) (حمر) .
ـ أقرَّ اللهُ عينَهُ : أعطاه ما يشتهي وأسعده .

(٢٦)

قصيدة الجلاء الثانية

ألقيت في النادي العربي

قد يَجْمُدُ الدمعُ إلا في مآقينا ويَبْرُدُ الجرحُ إلا في حواشينا
مالي أُغَمِّضُ عَيْني ثم أفتحُها فما تموجُ بها إلا عوادينا
ذكرى الشدائِد ماتنفكُّ ماثلةً في أَرْبُعِ الشام نَطويها وتَطوينا
لَوِ الأضاحي على أعوادها نطقتْ دوَّتْ بثورتنا الكبرى أضاحينا
على رُفاتِ العِدى عاشتْ خمائِلُنا ومن نجيعِ العِدى فاضتْ سواقينا
هذي المعالي فلا نومٌ ولا سِنَةٌ تكادُ تزحفُ بالدنيا معالينا[1]

☆ ☆ ☆

لله في جنباتِ الشامِ آيتُهُ تضيءُ في ظلِّها الضافي ليالينا
بينا تراها على الجُلّى ملائكةً
إذ تحسبُ الشامَ في الجُلّى شياطينا[2]
فلا يَغُرَّنْكَ لينٌ في شمائِلها إذا استُثيرتْ فلا زُلفى ولا لينا
كاليمِّ تركبُهُ في صَفْوِهِ فإذا عَبَّ العبابُ لقيتَ اليمَّ مجنونا[3]
كم طاعَنَ الشامَ في الماضي جبابرةٌ حتى أذاقتْ مناياها المَطاعينا[4]
في كلِّ وادٍ نزلنا دَوْحَهُ أُمَمٌ على أباطِحِهِ تفنى بوادينا
وكلُّ طَوْدٍ على هاماتِهِ رِمَمٌ تكادُ من هامِها العَلْيا تُناجينا[5]

---

(١) السِّنة : النعاس .

(٢) الجلّى : الأمر الشديد والخطب العظيم .

(٣) عبّ العبابُ . ارتفع الموج .

(٤) المطاعين : ج مطعان ، وهو الكثير الطعن .

(٥) رمم : ج رِمّة وهي مابلي من العظام .
ـ العلياء : السماء ، وقد قصر الممدود .

من يوم بدرٍ إلى أيامنا امتلأتْ رُبوعُنا من ضحاياها رياحينا
أيُّ الشُّعوب إذا عُدَّتْ غوابرُهُ يُزهى بماضٍ كما نُزْهى بماضينا ؟
إذا تراخى عدوٌّ في مرابعِنا فما يُقاربُنا حتى يُنائينا
سحابةٌ في سماء الصيف لابدةٌ نلهو بها في الضحى حيناً فتُلهينا
حتى إذا انقشعتْ عنا غياهبُها
صارت مضاحكَ ما كانت؟ مباكينا[٦]

☆ ☆ ☆

يادولةَ أشرقتْ يوماً محاسنُها كأنها الحُلْمُ في أجفان مغفينا
تلألأتْ في سماءِ الشامِ رايتُها تمشي وتَدْرُجُ في الدنيا سلاطينا
عِشنا ليالِيَ في أفياءِ نعمتِها المجدُ يُسْكِرُنا والعزُّ يُصبينا
نُحيي المواضيَ من أيام يَعْرُبِها للهِ ماانفجرتْ عنهُ مواضينا
حتى انجلى الحُلْمُ عن أجفانِ أعيُننا فلم نجدْ بعدَهُ إلا ثعابينا

☆ ☆ ☆

إني لأرجِعُ بالذكرى فتؤلمني ذكرى انطوتْ في مطاويها أمانينا
لله دمعٌ شَقينا في سوافحه بميسلونَ ولا سَلْوى تُسلّينا
أينزلُ العُجمُ داراتٍ بها نزلتْ ملوكُ مروانَ فتياناً ميامينا ؟[٧]
ترى الرجالَ سُكارى في مجالسهمْ وما سقانا سوى الغصّاتِ ساقينا[٨]
يعلو الوجوهَ اصفرارُ الموتِ من كَمَدٍ كأنه الموتُ ذقناهُ أفانينا

---

(٦) غياهب : ج غيهب وهو الظلمة .
(٧) العُجْم بضم العين وسكون الجيم ، وفتحها : خلاف العرب .
ـ دارات : ج دارة وهي كل أرض واسعة بين جبال .
(٨) سكارى : بضم السين وفتحها .

يـــــا يـــومَ تـمّـــوزَ ليت العينَ ســـــاليــــــةٌ
تلـــك المـــآسي ، وهـــل نسلـــو مـــآسينـــا ؟[٩]

هبَّتْ دمشقُ لدفع الضيمِ فانكفأتْ وَلْهى تجرُّ الأسى شُمْلاً أيـامينـا[١٠]
سدّوا علينا جبالَ الشـام فـانحسرتْ عنها الضحى فارتعتْ فيها أعادينـا

مـــــا كلُّ غـــــزوٍ تـــــلاه النصرُ معجـــــزةً
قــــد يَــــأنَفُ الليثُ أن يَلقى البراذينـــــا[١١]

إنْ فـاتنـا النصرُ والأيـامُ دائلـةٌ فلم يَفُتْنــا إبــاءٌ في الأبيّنـــا[١٢]
نطـوي الليـاليَ والأحقـادُ ثـائرةٌ لم يَسْهُ في ثورة الأحقـاد ساهينـا
في كلّ ليـلٍ شغـابٌ في سبـاسبنـا وكلّ فَجْرٍ مُثـارٌ في صحـارينـا
حتى جلا عن ديار الشام غاصبُها في كَمْدَةِ اليأس لادُنيا ولا دينا
فانصاعَ عن جانبيْنـا مـا يراوحُنـا من سودِ أشباحِهِ أو ما يُغادينا[١٣]
لئن شقينـا بمـا يشفي عـداوتَهم لقـد نَعِمْنـا بمـا يشفي محبينـا

☆ ☆ ☆

قُــلْ للّـــذين أذاقـونـــا بليَّتَهمْ حتى نفضْنـا بـلاءً كان يـؤذينـا
إذا ذكرتُ عهـــوداً في ظـــلالكمُ حسبتُ حُمْرَ المنـايـا تغتلي فينـا
مـــا كنتمُ غيرَ حلمٍ في نـــواظرنـــا أدمى النواظرَ حينـاً وانجلى حينـا

---

(٩) تموز : إشارة إلى وقعة ميسلون في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ، ودخول الجيش الفرنسي دمشق ، واستشهاد يوسف العظمة .

(١٠) الشّمال : نقيض اليمين والجمع أَشْمُل وشُمُل ، وقد سكّن ميم (شُمُل) لإقامة الوزن .
ـ اليمين : ضد اليسـار . وجمعه أيمن وأيامن وأيامين .

(١١) البراذين : ج بِرْذَوْن وهو من الخيل ما كان من غير نتاج العِراب .

(١٢) دال الزمان يدول : انقلب من حال إلى حال .

(١٣) انصاع : رجع مسرعاً .

إذا نسيتمْ دفيناً من ضغائنكم فما الذي من دفين الضِّغْن يُنسينا ؟
في كل رابيةٍ من ناركُمْ لَهَبٌ يا ويحَ ما التهبتْ منه روابينا
أين المنافي ؟ وما سُدَّتْ مساربُها هل أطفأتْ ثورةً منا منافينا ؟
أين السجونُ وما ضمتْ غياهبُها ؟
هيهات ما أقحمتْ في الضيم مسجونا
تلك القلاعُ على الأطواد شامخةً لا رهبةً خلَّفت فينا ولا هُونا[14]
لاتحسبوا ظلْمَكمْ في الشام ينسخُهُ مرُّ السنينَ على شتّى مغانينا[15]
إنا لنرضع فوقَ المهد طِفلتَنا من بُغضكمْ ما يُرَوِّيها ويرْوينا
حتى إذا نامتِ الثاراتُ وانطفأتْ هبَّتْ بها من ثنايانا تُنادينا
إنْ راح يحدو بإبْلِ الحيِّ زاجرُها فلا حَدا بسوى الثارات حادينا[16]

☆ ☆ ☆

يانائحَ الغوطةِ الخضراءِ حُلَّتُها خلِّ المَناحَ وردِّدْ من أغانينا[17]
ما بالُ لحنِكَ ممزوجاً بمائجةٍ من الشجون على الأعوادِ تُشجينا
غنِّ الخمائلَ لحناً لا تمازجُهُ على الخمائلِ أنغامُ الشَّجيِّينا
أما ترى في دياجي الليل ضاحكةً من المنى ضحكتْ منها دياجينا ؟
كان العزاءُ لهيباً في جوانحِنا ذابتْ جوانحُنا لولا تعزِّينا
واليومَ تهنئةُ الدنيا مُدَوِّيَةٌ كأنما الدهرُ في رأس المهنينا

☆ ☆ ☆

---

(١٤) الهُون : الهَوان وهو الذل والضعف .

(١٥) المغاني : ج مغنى وهو المنزل .

(١٦) حدا الإبل يحدوها : ساقها وغنّى لها فهو حادٍ .

(١٧) المناح : مصدر ناح .

يومَ الجلاء ! فما أبقيتَ من شَجَنٍ في مصرَ والشامِ نلفيه ويلفينا
إلا بقايا جراحٍ في جزائرِنا تظلُّ خلفَ عُباب اليم تُدْمينا[18]
نكادُ نسمعُ صوتَ الجرح إن صرختْ
رجالُها في الفيافي مستغيثينا[19]
كأنما اليمُّ يزجي صوتَ أرْبُعها
على سواد الدجى : هل مَنْ يُلَبّينا[20]
إن لم يُلَبِّ رجالُ العُرْبِ دعوتَهم فليس يَنْشَفُ دمعٌ في مآقينا

١٧ نيسان ١٩٦٠

كتب رحمه الله مايلي مقدمة لهذه القصيدة :

« فتح عليَّ أحد أعضاء النادي العربي ذات يوم هاتفه ، وسألني تهيئة قصيدة لإلقائها في عيد الجلاء في ١٧ نيسان ١٩٦٠ ، ولم يبق للعيد إلا أيام قليلة ، فقلت له : إن الشعر يملكني ولا أملكه ، ولست أدري هل يجيئني في هذه الفترة أم لا ؟ والعيد قريب جداً ، واستمهلتُه ثلاثة أيام لإعطائه الجواب إما بالموافقة وإما بالاعتذار ، ثم أغلقت الهاتف وعدت إلى الحلاقة ؛ وإني لكذلك إذ خطر ببالي بيت كان يتردّد في خاطري من سنتين وهو :

قد يجمد الدمع إلا في مآقينا ويبرد الجرح إلا في حواشينا

قلت : إن هذا البيت يصلح لأن يكون المطلع ، وإذا تهيأ المطلع هانت القصيدة ، فلما فرغتُ من الحلاقة ، فتحت على صاحبي الهاتف وقلت له : لاحاجة إلى المهلة التي سألتك إياها ، فقل لإخوانك : إني مستعد لعمل قصيدة الجلاء فشكرني وانتهى الأمر .

لقد انتهيتُ من القصيدة في أيام قليلة جداً ، وشرعت في تنقيحها وتهذيبها على قدر الإمكان حتى تمت ، ولما جاء موعد الإلقاء ، دخلت النادي العربي ، فوجدت المنبر قد رتّب على شكلٍ إذا وقف الخطيب عليه كانت المسافة بينه وبين الجمهور قريبة جداً ، وهذا

(١٨) إشارة إلى ثورة الجزائر التي انتهت بالاستقلال ، وجلاء الفرنسيين .
(١٩) الفيافي : ج فيفاء وهي الصحراء الملساء .
(٢٠) يُزجي : يسوق .

مايزعجني في الإلقاء لأني أحب أن تكون المسافة أبعد ، إلا أنه لم يكن في الإمكان تغيير شيء من ترتيب المنبر ، ثم التفتُّ إلى الجمهور فوجدت العدد قليلاً ، وهذا أيضاً من المزعجات بالنسبة إليّ ، ولم أعرف من هذا الجمهور إلا نفراً يسيراً ؛ ثم تعاقب الخطباء على المنبر فلم أجد في الجمهور حركة تدلّ على تأثيرهم فيه ، فازداد الإزعاج حتى بلغ الدور إليّ ، وأنا آخر الخطباء . فضاق صدري ، وامتُقع لوني ، ومشيت إلى المنبر مكرهاً ، وعلامات الضيق على وجهي ، فشرعت في إلقاء المقطع الأول ، وإذا بالجمهور يستفيق من رقدته ، فيصفق التصفيق الدالّ على هزته ، فدبّ النشاط فيَّ وتهيّجتُ هياجاً لاعهد لي بمثله من قبل ، وجَهَدْتُ أعصابي في الإلقاء جهداً عظيماً حتى مشت القصيدة والإلقاء معاً ، فكان الجمهور يزداد تصفيقه ، وكان هذا التصفيق لاينقطع ، ولما فرغتُ من الإلقاء ، وعدت إلى مكاني ظلّ التصفيق متّصلاً ، وأكثر المصفقين فريق من شباب الجامعة على ماظهر لي ، والذين سمعوا الإلقاء في الإذاعة قالوا لي : إن إلقاءك هذه المرة لايشبه الإلقاء في كل المرات ، فكان الصوت قوياً جداً ، وكانت أعصابك متهيجة جداً ، وكانت مخارج الحروف مناسبة لقوة المعاني .

والخلاصة كان لقصيدة الجلاء أثر عظيم ، وسمعت الناس يحدثونني بها اياماً كثيرة .

والذي زاد في تأثير القصيدة فضلاً عن إلقائها موضوعُها ، فقد عرضتُ فيها حوادث أربعين سنة ، ومثّلتُ فيها دمشق وثورتها ومظاهراتها أقوى تمثيل ، فكانت القصيدة شاميّة ، غلبتْ عليها هذه النزعة الشامية ، ولذلك ظلّتْ حديث القوم زمناً طويلاً » .

ثـــــــــــــــورة العرب

ألقيت في حفل تكريم رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي(☆) في ٢١ شباط ١٩٥٨ يوم جرى الاستفتاء وأقرت الوحدة بين سورية ومصر

سئمَ الدهرُ ما يقاسيه منا … في جهاد الحمى ، فشابَ وشبْنا
قد يَلينُ الحديدُ إلا قلوباً … سَخِرَتْ بالحديد ، كيف يَلنّا ؟
غَضبَ العُرْبُ غضبةً من أذى العر … بِ فماجَ العَراءُ إنساً وجِنّا[1]
فحسبنا بني أميةَ في الشا … مِ تُزجّي الصفوفَ هَنّا وهَنّا[2]
وابنَ مروانَ في الديار ينادي … أمعنوا في العدوِّ ضرباً وطَعْنا[3]
من يبيعُ النفوسَ في رهبةِ المو … تِ رخيصاتٍ مثلَما نحن بِعْنا ؟

☆ شكري القوتلي : (١٨٩١ ـ ١٩٦٧) :

هو شكري بن محمود القوتلي ، دمشقي المولد والأسرة ، تخرّج في المدرسة الملكية في الآستانة ،واعتُقل في أواخر الحرب العامة الأولى وحُكم عليه غيابياً زمن الاحتلال الفرنسي ، صار وزيراً للمالية ، ثم نائباً لرئيس مجلس النواب ـ وفي ١٧ / ٨ /١٩٤٣ ، انتخب رئيساً للجمهورية السورية ، وفي عهده تم جلاء الفرنسيين سنة ١٩٤٦ ، ثم انتخب رئيساً للجمهورية سنة ١٩٥٥ ، وفي هذا العهد تمت الوحدة بين القطرين السوري والمصري وقامت (الجمهورية العربية المتحدة) فنزل عن الرئاسة باختياره سنة ١٩٥٨ ، توفي في بيروت ودفن بدمشق .

(١) العَراء : الفضاء لا يُستتر فيه بشيء .

(٢) تزجّي : تسوق .

ـ هَنّا : بالنون المشددة بمعنى (هُنا) ظرف (اللسان) .

(٣) هو عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس .

من يثورُ الدهرَ الطويلَ على ضَيْـ ـمٍ تراخى ولا تَسلْ كيفَ ثُرْنا ؟
قد ملأنا السهولَ في زحمة الرو ع غصوناً من الشبيبةِ لُدْنا[٤]
وغَرَسْنا عِظامَنا في الفيافي فسقتْها الدماءُ سُحْباً ومُزْنا[٥]
فبنينا استقلالَنا مشمخراً
فانظروا في استقلالنا كيف يُبنى ؟[٦]

☆ ☆ ☆

رُبَّ ظنٍ قد كان قبلُ يقيناً ويقينٍ قد صار من بعدُ ظنّا
كانت الشامُ قبل يومٍ تُعزّى فأراها بعد الجَلاءِ تُهنّا[٧]
وكأنّ الجَلاءَ أضحى صداهُ نغمةً في فمِ الزمانِ ولحنا
مُدَّ عينيك ، هل ترى من يُغني مَلَكٌ من ملائكِ اللهِ غنّى
زَحَمَ المِهْرَجانَ يحملُ نعمى زَفَّها اللهُ أو يُرتّل حُسنى[٨]
فشربْنا كؤوسَنا مترعاتٍ نتساقى دَنّاً و ننسِفُ دَنّا[٩]
أحرامٌ على مرابعنا النعـ ـماءُ تَشفي قلباً وتُضْحِك سِنّا
ما نَعِمْنا بالُملكِ عفواً ، ولكنْ بعد سُودٍ من الليالي نَعِمْنا

☆ ☆ ☆

---

(٤) اللُّدْن : ج لَدْن وهو اللين .
(٥) الفيافي : ج فيفاة وهي المفازة لا ماء فيها .
ـ المُزْن : السحاب ذو الماء ، والقطعة منه مُزْنة .
(٦) اشمخرّ : طال .
(٧) جلا عن البلد جَلاءً : خرج منه ، يشير إلى جلاء الفرنسيين عن سورية في ١٥ نيسان ١٩٤٦ .
(٨) الحُسنى : من معانيها الظَّفر .
(٩) نَسفَه بمنبكه أو ظِلْفه : نحّاه (اللسان) .

سَمَـحَ اللهَ برهـــة بفتـــوحٍ ملأَ الـدنيـا نـورُهـا ثم ضَنّـا

سـائـلِ اليمَّ ، أين ملـكٌ وراءَ الـ يمِ كالفجرِ في السنى أو أسنـى[١٠]

بقيتْ لـوعـةٌ بـأنـدلسِ الخُلْـ ـدِ ،وبِتنـا نُعْنى بهـا ونُعَنّى[١١]

فكأن الأذانَ نـــــوحُ لهيفٍ سلبـوا الـدرعَ فـوقـه والمِجنّـا[١٢]

صرختْ صرخـةَ الجريـحِ ونـادت يـا لـجرحٍ أدمى القلـوبَ وأضنى

لم تُلَبِّ الملـوكُ منهـا نِـداهُ قطـعَ اليمَّ واستغـاثَ وأنّـا

رتعـوا في مراتـع اللهـو واللَّعْـ ـبِ وغَضّوا دونَ الشدائـد جَفْنا

فهـوى الملـك مثـلَ طرفـةِ عينٍ لا يُظِـلُّ الملوكَ مـأوىً ومَغنى[١٣]

فـاستطـاروا على العُبـاب حَيـارى لا يروْنَ العُبـاب هَـدْءاً وأمنـا[١٤]

فترى عـــزَّهم على المـــوجِ ذلاً وترى خـوضَهمْ على المـاء جُبْنـا

إنمـا العُربُ وَحــدةٌ والتفـافٌ كلُّ غُصنٍ يلُفُّ في الروضِ غُصْنـا

☆ ☆ ☆

وعظتْنـا جراحُهمْ والتقى الشـا مُ ومصرٌ روضـاً يَرِفُّ أغنّـا[١٥]

---

(١٠) السنى : ضوء البرق .
ـ أسنى : أكثر سناءً ، وهو اسم تفضيل من (سَنِيَ يَسْنى) أي صار ذا سناء ، والسنـاء ضوء البرق .
(١١) عُنِي بالأمر : شُغِل به (المصباح) .
ـ عنّاه : كلفه ما يشق عليه (المصباح) .
(١٢) اللهيف : الحزين المتحسر .
ـ المجنّ : التُرس يستر حامله .
(١٣) المغنى : المنزل .
(١٤) الهَدْء والهُدوء : مصدران لفعل (هدأ) .
(١٥) الـوادي الأغنّ : الكثير الشجر والعشب ، والبيت إشارة إلى قيـام الـوحـدة بين سـوريـة ومصر باسم (الجمهورية العربية المتحدة) بعـد الاستفتـاء الـذي جرى في (٢١) شبـاط ٩٥٨ على قيامها وانتخاب جمال عبد الناصر رئيساً لها .

حُلْمُ العينِ حين تَحْلُمُ عينٌ ومُنى القلبِ حين قلبٌ تمنّى

دولـةٌ في رِعـايـة الله قـامتْ تتهـادى زَهْـواً وتُشرق حُسْنـاً

مـا على النيـلِ أن يموجَ ويطغى ما على الريفِ بعدَهُ أن يُجَنـا[16]

أيعيثُ اليهـود في حَرَمِ القـدْ سِ فسـاداً والنـومُ يـأخـذُ منّـا

لفظتهمْ جـوانبُ الأرضِ شـذا ذاً فتـاهـوا القرونَ قرنـاً فقرنـا[17]

ضَجِرتْ منهمُ الشيـاطينُ والإنـ سُ فـأنّى نحنـو عَليهم أنّى ؟

أُحصدوهمْ حَصْدَ السنـابـلِ حتى تتـداعى صِهْيَونُ رُكنـاً فرُكْنـا[18]

لـو تمـورُ السماءُ والأرضُ مـا دا نتْ فِلَسطينُ عَنْـوةً أودِنّـا[19]

أرْبَـعٌ لـو تُطيـقُ رَجْـعَ بيـانٍ لتعـالى البيـانُ فيهـا ورَنّـا

فكأنَّ الجبـالَ تقـذفُ حِقـداً وكأنَّ البحـارَ تُرسـلُ ضِغْنـا[20]

كم لفيفٍ على رُفـاتِ لفيفٍ ضـاحـكٍ في جهـاده يتغنّى[21]

وغصـونٍ من الشبـاب نِضـارٍ كلٌّ غُصنٍ على الرّدى يتثنّى[22]

جُثَثٌ بعضُهـا يموجُ ببعضٍ سافنـاتٌ وجـهَ الأبـاطح سَفْنـا[23]

مجلسَ الأمن هـل ترى الأمنَ يُـغْني ؟

مـا نراه عن المجـازر أغنى

---

(١٦) جُنّت الأرض : أخرجت زهرها .

(١٧) القُرون : ج قَرن ومن معانيه الوقت من الزمان (المحيط واللسان) .

(١٨) صِهْيَوْن : على وزن (فِرْعَون) (معجم البلدان والمحيط) .

(١٩) دان : ذلّ .

ـ العَنْوَة : القهر ، وأخذته عنوةً أي : قسراً وقهراً .

(٢٠) الضِّغْن : الحقد .

(٢١) اللفيف : من معانيه الشريف .

ـ الرّفات : الحطام وكل ما تكسرّ وبلي ، يقصد عظام الشهداء .

(٢٢) النّضار : ج نضير وهو الناعم اللين .

(٢٣) سَفَنَ يسْفِن : لَزِق (اللسان) .

نسمعُ الجعجعات تلقى إلينا بصداها ولا نشاهدُ طحْنا[٢٤]

أصبح العدلُ في المدارك وهماً كسرابٍ في آخر الأفقِ عنّا[٢٥]

ديرَ ياسينَ ! والقلوبُ سكارى من أضاحيكِ والجوانحُ زَمْنى[٢٦]

كلما طاحَ من رجالكِ فردٌ أتبعوه ولم يُبالوا بمثْنى[٢٧]

الأساطيرُ ما روتْ نبأً قبـ ـلكِ مالتْ به الجبال وملنا

كم جريحٍ على الفراشِ طليحٍ ودفينٍ ما ذاق أوجعَ دفنا[٢٨]

والضعيفُ الضعيفُ إن أمكنتْهُ فرصةُ الغدرِ كان وحشاً مِفَنّا[٢٩]

☆ ☆ ☆

لا تظنوا الدماءَ تَنْشَفُ في التُّرْ ب وإن بلَّلَتْهُ مَتْناً فمتنا[٣٠]

الأضاحي على الحمى باسطاتٌ من وراء الأكفان عيناً وأذْنا

أعْظُمٌ في الثرى ولكنَّ فيها نفحةَ اللهِ تملأُ الشعرَ فَنّا

---

(٢٤) الطّحنْ والطّحين : الدقيق ، ومنه المثل « أسمع جعجعة ولا أرى طِحْنا » أي أسمع جَلَبة ولا أرى عملاً .

(٢٥) عن له الشيُّ : ظهر أمامه .

(٢٦) دير ياسين : قرية صغيرة تابعة للقدس ، دهمها اليهود في ١٠ نيسان ١٩٤٨ وفتكوا بأهلها وذبحوا (٢٥٠) نسمة من غير تفريق بين شيخ أو طفل ولا بين امرأة أو رجل ، ومثّلوا فيهم ببقر البطون ، وتقطيع الأيدي والأرجل ، وصلم الآذان وفقوء العيون وتحطيم الجماجم ، ثم ألقوا جميع هؤلاء في بئر القرية . عن (كفاح عرب فلسطين لعبد الكريم الكرمي) .

ـ الزّمنى : ج زَمين وهو المصاب بالزّمانة وهي العاهة .

(٢٧) طاح : أشرف على الهلاك .

(٢٨) الطليح : من خلا جوفه من الطعام .

(٢٩) المفَنّ : الذي يأتي بعجائب الأمور .

(٣٠) متن الأرض : ما ارتفع منها واستوى .

فــاذكُروهـــا في كلّ فجرٍ إذا ر - فّ وفي ليلكمْ إذا الليــل جَنّــا[٣١]
همستْ من جـوانبِ القبرِ همســاً ردَّدتْـــهُ القبــورُ لحنـــاً يُغَنى
اِغرِسـوا فــوقَ عظمِنــا وطنَ العُر ب فـإنْ عـاش في اخضرارِه عِشْنـا

☆ ☆ ☆

خففي الهمسَ يا ضحـايـا الفيـافي واطمئني مـا غـاب طيفُـك عنــا
أفلم تسمعي من القـــــول سِحراً رنَّ في مِسْمَعِ الـزمـانِ وطنــا[٣٢]
حملتــه الريــاحُ في وَضَــحِ الصبـ ـح فطاف الحُزونُ حَزْناً فحَزْنـا[٣٣]
صيحــةَ للـزعيم شكري على الشــا م ونـــار الضلـوع تــأكلُ منـــا
احملـوني أذُدْ عن الحـوض وحــدي أوأرى الموت قـابَ قوسٍ فـأدنى[٣٤]
آيْمُنُ اللهِ لـــو يُشِلّـــونَ كفي لأبتْ أن تَخُــطَّ غُـلا وسِجنــا[٣٥]

☆ ☆ ☆

سيـدَ الشـامِ قــد ثَنَيْتَ عن الشـا مِ بــلاءً مــا كان قبلــك يُثنى[٣٦]
أَثْقَــلَ الغُــلُّ عنقهــا ففككْتَ الـ ـغُــلَّ عنهـا وقــد أَمَضَّ وأعنى[٣٧]

---

(٣١) رفّ لونه : تلألأ .
- جَنّ الليل : أظلم .
(٣٢) المِسْمَع : الأذن .
(٣٣) الوضَح : الضوء وبياض الصبح .
- الحُزون : ج حَزْن وهو ما غلُظ من الأرض .
(٣٤) القاب : المقدار ، ويقال : « هو على قاب قوسين » كناية عن القرب .
(٣٥) ايمن الله : تركيب وُضع للقسم ، والتقدير : ايمنُ الله قسمي
- شلّت يدُه : فسدت عروقُها ، ويتعدّى بالهمزة فيقال أشلَّ اللهُ يدَه » (المصباح) .
- الغُل : طوق من حديد أو جلد يُجعل في اليد أو في العنق .
(٣٦) ثنى الشيءَ : ردّ بعضه على بعض .
(٣٧) أعناه : آذاه وكلفه ما يشقّ عليه .

فمشتْ حُرَّةَ الخُطــا تَخْطَفُ الريـ ـحَ فطـارتْ إلى النجـوم وطرنـا
فكأنَّ الملـــــوك من آل مروا نَ تخطتْ أكفـانَهـا والـدُّجُنّـا[٣٨]
وجرتْ في هيـاكلِ العظم تطـوي مـا تنـاءى من الفـلا وتـدنّى[٣٩]
تسألُ الريحَ عن ذَرا سيـد الشـا مِ فحنتْ إلى ذراه وحنّـــا[٤٠]
فترامت اليـــكَ تمســحُ دمعــاً مثلَ طلِّ الضحى وتغسـلُ حُزْنـا
فرحـاً بـالـديسار حَرَّرْتَهـا لا النـ ـاس أسرى بهـا ولا القوم سَجْنَى[٤١]
لم يَضعْ في يديـكَ من عبـدِ شمسٍ عِزُّ مُلـكٍ حضنتـهُ اليومَ حضنـا[٤٢]
إن يعشْ فـالفنـاءُ هَيْنٌ علينـا منيـــةُ النفسِ أن يعيشَ ونفنى !

☆ ☆ ☆

يـابن صبرِ الكرامِ لـو كان للصبـ ـر لســـانٌ يُثني عليـــكَ لأثنى
خُضْتَ هولَ الفـلا وجُنْـحَ الليـالي واقتحمتَ الأهوالَ حِصْنـاً فحِصنـا
وانثنى الهـول والليـالي ومـا ضِقْـ ـتَ فـؤاداً بهـا ولا ضِقْتَ ذهنـــا
قـد رددنـا الأمـورَ بطنـاً وظهراً وقلبنـــا الأمـورَ ظهراً وبطنـــا
فـوجـدنـاكَ للـزعـامـة أهـلاً ووجـدنـاك للشـدائـد حِصْنـا
بـايعتـك القلوبُ بيْعـةَ صـدقٍ لاترى في القلـوب غشّـاً ودَهنـاً[٤٣]
دونـــكَ الشعبَ مُرْجَحنّــاً فهيئ لحمى الشعبِ عــزه المرجحنـــا[٤٤]

---

(٣٨) الدُّجُنّ : الظلمة .
(٣٩) تدنّى : دنا قليلاً قليلاً .
(٤٠) الذَّرا : فِناء الدار ونواحيها .
(٤١) السَّجنى والسُّجناء : جمعان للسجين .
(٤٢) عبد شمس : أبو أمية وجدّ الأمويين .
(٤٣) دَهَنَه دَهناً : خدعه وختله وأظهر له خلاف ما يضمر .
(٤٤) ارجحنّ : مال واهتزّ .
ـ المُرْجحنّ : من معانيه (المرتفع) ، ارجحنّ السرابُ : ارتفع (اللسان)

واسحب الـذيل فوقَ هـام المعـالي   وتبحبـــح على الحمى واطمئنـــــا

٢١ شباط ١٩٥٨

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٣٠) في معرض حديثه عن الشعر الوطني :

« وعلى توالي الأيام وتعـاقب السنين ، دخل الشعر الوطني في طور أوسع أفقاً ، فقـد قوي الشعور ، ونضج حتى بلغ أشده ، فلم تكتف النفـس بوطن ضيق ، وإنما طمحت إلى وطن أفــح ، لقـد طمحت إلى وطنهـا الأكبر ، إلى وحـدة العرب ، فـلابـد للشـاعر من أن يسـاير الشعور العام ، وهو الشعور بالقومية العربية ، وهذا مـافعلتـه في قصـائـدي الأخيرة ، قصيـدة (ثـورة العرب) وقصيـدة (شـاعر االعرب) وأعني بـه شـوقي ، ففي قصيـدة (ثـورة العرب) مثلت لعيني فلسـطين ، وهي ليست لأهــل فلسطين وحــدهم وإنمــا هي للعرب كلهم . مثلت فلسطين لعيني في جرحها وألمها فقلت : »

وأورد (١٠) أبيات هي (٣٤ ـ ٤٣) .

بطولات العرب

ألقيت في مهرجـــان الشعر الأول في
دمشق في ١٦ أيار ١٩٥٩

يـاداميَ الجُرْحِ ، لا جُرْحٌ ولا ألـمُ   الجرحُ بعـدَ انتفـاضِ العُرْبِ مُلتئمُ
اِمْسَحْ دموعَكَ إنْ ماجتْ موائجُها   فكلُّ ثغرٍ على الأيـــام مبتسمُ[١]
أسامعٌ ؟ وبطاحُ الأرضِ في لَجَبٍ   كأنما الأرضُ والأفلاكُ تصطـدمُ[٢]
أتحسَبُ الشمسَ من أبراجِهـــا هبطتْ ؟
فجَنَّتِ   الشمسُ   والأبراجُ   والنُّجُمُ[٣]
ما صيحةٌ في سوادِ الليل راعبـةٌ ؟   كأنّما الليـلُ من أصـدائِهـا وَجِمُ[٤]
اللهَ أكبرُ هـــذا الصـوتُ مِن مُضَرٍ   دوّى فـزُلْـزِلَتِ الأطـوادُ والأَجَمُ[٥]
في كلِّ غـابٍ ضجيجٌ من مـواكِبهمْ   وكلُّ طَـوْدٍ على هــامــاتِـهِ شَمَمُ[٦]
كأنهمْ والأعـــادي نُصْب أعينهمْ   سيـلٌ يفيضُ على أعـدائهمْ عَرِمُ[٧]
هلِ العيونُ خِلالَ الليـلِ في يَقَـظٍ   أمِ العيـونُ على أجفـانِهـا حُلُمُ ؟
كلاّ وربِّـكَ مـا في العينِ من حُلُمٍ   وإنمـا العُرْبُ ثــارتْ فيهمُ الهِمَمُ

☆ ☆ ☆

---

(١) ماج البحر : ارتفع وهاج واضطربت أمواجه .
(٢) اللَّجبَ : كثرة أصوات الأبطال .
(٣) جنَّتْ : استترت .
(٤) الوَجِم : من عبس وجهه وأطرق لشدة الحزن .
(٥) الأطواد : ج طَوْد وهو الجبل العظيم .
ـ الأجمَ : ج أجَمة وهي مأوى الأسد ، أو الشجر الكثيف الملتف .
(٦) الشَّمَم : ارتفاع في الجبل ، أو في قصبة الأنف ، يكنى به عن الأَنَفَة .
(٧) العَرِم : السيل الذي لا يُطاق .

شتّانَ ما حاضرٌ نُزْهى بغرّته — وغابرٌ فاضَ فيه الدمعُ والألَمُ[8]
أتتْ ليالٍ وعينُ العُرْبِ ساهيةٌ — كأنهمْ في ذَرا ذُؤبانِهمْ غَنَمُ[9]
على بصائرِهمْ إن أُرْشِدوا حُجُبٌ — وفي مسامعهمْ إن خوطبوا صَمَمُ
تكادُ تَحسبهُمْ في دارهمْ رِمَماً — وهل تثورُ على أكفانِها الرِّمَمُ ؟[10]
تبحبحَ العُجْمُ في أوطانهمْ زمناً — لله ما اعتسفوا فيه وما اجترموا[11]
فما اللسانُ لسانُ العُرْب إن نطقوا — ولا الثغورُ ثغورُ العُرْبِ إن بسَموا
أيُصْبِحُ العُرْبُ في أوطانهمْ هَمَلاً ؟ — ويَزْحَمُ البومُ هذا الأُفْقَ والرَّخَمُ[12]

☆ ☆ ☆

هوِّن عليكَ ، فلِلأيامِ دَوْلتُها — فما تدومُ على حالاتِها الإزَمُ[13]
أما ترى العُرْبَ من إغفائهم نهضوا — في كلِّ فجٍّ لهمْ زَحْفٌ ومُقْتَحَمُ
كأنما بَعثوا التاريخَ من أمَمٍ — فاليومَ مجدُهُمُ من عيننا أَمَمُ[14]
كانوا العماليقَ والدنيا تساندُهمْ — هيهاتَ ما يستوي العِمْلاقُ والقَزَمُ

---

(٨) الغُرّة من كل شيء : أوله ومعظمه وطلعته .
(٩) الذّرا : الكنف .
ـ الذُؤبان : ج ذئب .
(١٠) الرِّمم : ج رِمّة وهي ما بلي من العظام .
(١١) تبحبح : تمكنّ في المُقامُ والحلول .
ـ العُجْم والعَجَم : خلاف العرب .
ـ اجترم : أذنب .
(١٢) الهَمَل من الإبل : المتروك ليلاً ونهاراً يرعى بلا راعٍ .
ـ الرَّخَم : الواحدة رَخَمة وهي طائر أبقع على شكل النسر خلقةً ، موصوف بالغدْر والقَذَر .
(١٣) الإزَم : ج أزْمة وهي الشدة والضيق .
(١٤) الأمَم : القريب .

هذا ابنُ حَمْدانَ والآثارُ ناطقةٌ   فما يُعفّي على آثارِه القِدَمُ[١٥]
حمى الدّيارَ ديارَ العُرْبِ فانطلقتْ   له الأناشيدُ والأوتارُ والنَّغَمُ
سيوفُهُ من دماءِ الرومِ قد رُوِيَتْ   وكادَ يَشْرَقُ منها السيفُ والقَلَمُ
مَلَّ البطاريقُ من غاراتِهِ وبدا
على البطاريقِ من أهوالِها السَّأمُ[١٦]
اِضْرِبْ بعينِكَ في آياتِ شاعرِهِ   تظلُّ تنْطِقُ في آياته الكَلِمُ[١٧]
تكادُ تسمعُ صوتَ الرومِ إنْ صَرَخوا
وتَلمِسُ الخَوْفَ إن خافوا وإن وَجَموا
إما قتيلٌ تواري الأرضُ أَضْلُعَهُ   أو سالمٌ من سيوفِ العُرْبِ منهزِمُ
لو كانَ يُعْبَدُ دونَ اللهِ من صَنَمٍ
ما كان لي غيرَ سيفِ الدولةِ الصَّنَمُ
لولا سيوفُ بني حَمْدانَ في حلبٍ   ما امتدّ للعُرْبِ تاريخٌ ولا عَلَمُ

☆ ☆ ☆

تلك البطولاتُ كالأهرامِ راسخةٌ
فأينَ ما طَمَسوا منها وما هَدَموا ؟
اِنَهضْ ورتِّلْ صلاحَ الدينِ آيتها   الأُذْنُ مُصغيةٌ والعينُ تلتهمُ
جاؤوا إليكَ بجيشٍ يَعْصِمونَ به   قَبْرَ المسيحِ فما صانوا ولا عَصموا[١٨]
لو كان هُمُّهمُ قبرَ المسيحِ لما   تهوَّدَتْ منهمُ ذريةٌ ظلموا

---

(١٥) ابن حمدان : سيف الدولة .
(١٦) البطاريق : ج بِطريق وهو القائد من قوّاد الروم .
(١٧) يريد بشاعره أبا الطيب المتنبي .
(١٨) الضمير في (جاؤوا) يعود على الصليبيين .

أيمنحـــونَ بني صِهْيَـــوْنَ تربتَـــــهُ
ويــزعُمــونَ التقى ، هيهــاتَ مــا زعمــوا[١٩]

الحِقــدُ يــأكلُ أكـلاً من جـوانبهمْ والحقـدُ نـارٌ على الأكبـادِ تضطرمُ
عيسى بنُ مريمَ في الإسلامِ حُرْمَتُهُ في كلِّ قلبٍ لـهُ من أهلِـهِ حُرَمُ[٢٠]
مـا في شريعتِــهِ إلا السَّلامُ فهـل صَمّوا عن الشرعِ إنكاراً له وعَموا ؟
أينَ السلامُ ؟ وقـد هـدّوا قواعـدَهُ وإنمـا السّلمُ في أفيـائِنـا عَـدَمُ
محـوتَهُمْ وبطــونُ الأرض تكتمُهُمْ في كلِّ رابيــــــة عظمٌ لهم ودمُ

حِطّينُ قـــد غَـــذِيَتْ منهم منـــابتُهــا
فـــاخضـوضَر الشّيــحُ والقَيْصــومُ والسَّلَمُ[٢١]
أين الحصــونُ وأين النـــازلــونَ بهــا ؟
لم يُغنِهِمْ عن جِماحِ العُرْبِ مُعْتَصَمُ[٢٢]
وَدَّ العُبــابُ الــذي خــاضـوا غـوارِبــهُ
لــو كان يبلعُهُمْ من بعـــدِ أن هُــزِمــوا[٢٣]
ليُغْسَلَ العـارُ عن شنعـاءِ هَـزْمتهمْ وكيف يُغْسَـلُ هـذا العـارُ بعـدَهمُ

☆ ☆ ☆

---

(١٩) صِهْيَوْن : بكسر أوله ثم السكون وياء مثناة من تحت مفتوحة وواو ساكنة وآخره نون (معجم البلدان ، والمحيط) أي على وزن (فِرْعَوْن) .

(٢٠) الحُرَم : ج حُرْمَة وهي المهابة .

(٢١) حِطّين : الوقعة التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين .
ـ الشيح : نبات طيب الرائحة ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي .
ـ القيصوم : نبات طيب الرائحة ، يُتداوى به .
ـ السَّلَم : واحدته سَلَمة ، نبات ثمره أصفر .

(٢٢) مُعتصَم : اسم مكان من الاعتصام ، واعتصم من الشرّ : التجأ وامتنع .

(٢٣) عُباب البحر : موجه .
ـ غوارب الماء : أعالي أمواجه .

يـا أمـةً من تُراثِ الـدهرِ خـالـدةً مضتْ ولم تستبـحْ آثـارَكِ الأُمَمُ
ظنّوا اجتيـاحَـكِ مـأمونـاً عواقبُـهُ ومـا دَرَوْا أنهمْ في ظَنّهمْ وَهِمـوا
كم غـارَةٍ لهمُ في الشـامِ عـاصفـةٍ فلم يُصِبْـكِ على غـاراتِهم هَرَمُ
في كلّ غَـوْرٍ من الأغـوارِ مُعْتَرَكٌ وكلّ نجـدٍ من الأنجـادِ مُصْطَـدَمُ
مَضَوْا وخَلّوْا هشيماً من شبـابِهِمُ نمـا بـه العودُ والغيطـانُ والأكَمُ[24]
حلّـوا بـأرضـكِ حينـاً ثم مـالبثـوا
أنْ غـادروا الأرضَ لم تَثْبُتْ لهمْ قَـدَمُ

☆ ☆ ☆

لـمّـا رأوْكِ وقـد أعيتْ جحـافلَهمْ
ولّـوْا وقـد أُورثـوا الغيـظَ الـذي كَظَمـوا[25]
كأنَّ أنسـالَهُمْ من بعـدهمْ حَلَفـوا أن يبعثوا الحِقْدَ نيرانـاً وينتقمـوا
فـأقحمـوا في ديـارِ العُرْبِ شِرْذِمـةً من آل صِهْيـوْنَ لا عهـدٌ ولا ذِمَمُ
هـذي حضـارتُهمْ والشرُّ يملؤهـا ماتتْ على صَرْحِها الأخلاقُ والشِّيَمُ
يُشَرّدونَ شيُـوخـاً من ديـارِهمُ كأنهمْ في صحـارى تيههمْ بَهَمُ[26]
قـومٌ يموتـونَ من بـؤسٍ يُشَتّتُهمْ وآخرونَ على أظـلالِهمْ نِعَمُ

---

(٢٤) الهشيم : مـا يبس من الورق وتكسّر وتحطّم ، يريـد بـه الغُزاة الـذين غُلبـوا ودُفنـوا في الأرض العربية .
ـ العود : ماجرى فيه الماءُ من الشجر ، ويكون للرطْب واليابس .
ـ الغيطان : ج غَوْط وهو المتسع من الأرض مع طمأنينة .
ـ الأكَم : ج أكَمة وهي الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعاً مما حوله .
(٢٥) أعيا الماشي : تعبَ وكلّ .
(٢٦) البَهَم والبَهْم : ج بَهْمة وهي الصغير من أولاد الغنم والمَعَز والبقر .

خيرٌ من العِلْمِ جهلٌ تستقرُّ به حريةُ الخَلْقِ والأنفاسُ والنَّسَمُ[٢٧]
هل يبعثُ اللهُ نوحاً في سفينتِهِ
حتى يَعُمَّ الورى الطوفانُ والدِّيَمُ[٢٨]
كأنما الروضُ من آثامهمْ يَبِسَتْ فما يُنَضِّرُها وَردٌ ولا عَنَمُ[٢٩]

☆ ☆ ☆

مهلاً فلا تيأسِنَّ اليومَ إن عَبَسَتْ
لكِ الليالي وإن ماجتْ بكِ الظُّلَمُ[٣٠]
ما ضرَّ موكبَكِ الجرّارَ إن طَرَحوا صخراً على دربِهِ فالصخرُ ينحطِمُ
فما يعوقُ ضياءَ الشمسِ إنْ سطعتْ غَيْمٌ على جَنَباتِ الشمسِ يزدحمُ
تمضي الليالي وإسرائيلُ جاثمةٌ على فِلَسْطِينَ لا عاشوا ولا جَثَموا
ذُلٌّ ومَسْكَنَةٌ في كلِّ أَعْصُرِهمْ هذا اللباسُ وهذا الجِلْدُ والأَدَمُ[٣١]
أضحوْا جراثيمَ في الأوطانِ ناخرةً يشتدُّ منها على أوطانِنا السَّقَمُ[٣٢]
تلكَ الثعابينُ إن سالتْ مزاحِفُها
سالَ الذُّعافُ على الأنيابِ والنَّهَمُ[٣٣]

---

(٢٧) النَّسَم : نَفَس الروح . أو هو جمع نَسَمَة وهي الإنسان .
(٢٨) الدِّيَم : ج ديمة وهي المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .
(٢٩) العَنَم : شجر له ثمرة حمراء . يُشبَّه بها البنان المخضوب .
(٣٠) الخطاب في (لا تيأسِنَّ) يعود إلى قوله قبل (١٥) بيتاً (يا أمةً من تراث الدهر خالدة) .
(٣١) يريد اليهود في قوله تعالى : ﴿ وضُربت عليهم الذّلة والمسكنة ﴾ (٢ ـ ٦١) .
ـ الأدَم : ج أدَمة وهي باطن الجلد الذي يلي اللحم .
(٣٢) الجراثيم : ج جرثومة ، وجرثومة الشيء : أصله ، ويستعملها المعاصرون للدلالة على الميكروب لأنه أصل المرض .
(٣٣) الذعاف : السم الذي يقتل سريعاً .
ـ النَهمَ : الشَّرَه وعدم الشّبَع .

فهل تظلُّ سفوحُ القُدْسِ ضائعةً ؟ فأين ما سلبوا منها وما غنِموا ؟
إذا ضحكْنا فما في جِدِّهِمْ ضَحِكٌ وإنْ عبِثْنا بهم فالعابثونَ هُمُ[٣٤]

☆ ☆ ☆

ألهى بني يَعْرُبٍ عن نصرِ إخوتِهمْ شَمْلٌ على غمرة الأحداث مُنْفَصِمُ[٣٥]
على الفُراتَيْنِ من آثارِه ثُلَمٌ فسل عُبابَهما هل سُدَّتِ الثُّلَمُ ؟[٣٦]
كأن دِجلةَ قد ثارتْ أباطحُهُ أما ترى هذه الأمواجَ تلتطمُ ؟[٣٧]
تخالُهُ مُعْرِباً عن نارِ غضبتِه وللخِضَمّ لسانٌ مُعْرِبٌ وفمُ[٣٨]
بيني وبينكِ يا بغدادُ واشجةٌ من الأواصرِ ما تنفكُّ تلتحم[٣٩]
أتصرِمينَ حبالاً حاكَها نَسَبٌ
من العروبةِ يا ويحَ الذي صَرَموا[٤٠]
ماذا تقولينَ للمنصورِ إن لمحتْ
عيناه في حُلْمِه المُلْكَ الذي قَسموا ؟[٤١]
كانت قصورُ بني العباس آمنةً واليومَ ألوَتْ بها الأحقادُ والنِّقَمُ

---

(٣٤) عبث به : استخف .
(٣٥) منفصِم : متصدّع .
(٣٦) الفراتان : دجلة والفرات .
ـ عُباب البحر : موجه .
(٣٧) أباطح : ج أبطح وهو مسيل واسع فيه رمل ودُقاق الحصى .
(٣٨) الخضمّ : البحر العظيم .
(٣٩) واشجة : قرابة متصلة .
ـ الأواصر : ج أصرة وهي ما عطفك على غيرك منَ قرابة أو معروف .
(٤٠) صرم الشيء : قطعه ، ويقال : « صرم حبالَهُ » أي قاطعه .
(٤١) المنصور : هو أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني .

دمٌ يسيلُ على أطرافِها دُفَعاً وأرْبُعٌ مِلْءُ عينِ الناسِ تنهدمُ[42]

فما تنامُ عيونٌ تحتها وَسَنٌ ولا تَبينُ شِفاهٌ فوقَها لُجُمُ[43]

في الليلِ -إن جنحتْ ظلماؤهُ- ظِنَنٌ

وفي الصباحِ على إشراقِه تُهَمُ[44]

كأنما الثورةُ الحمراءُ دَيْدَنُها مُلكٌ على ظلِّهِ الأرواحُ تُخْتَرَمُ[45]

فهل يثوبُ رجالٌ بعدما جهِلوا

أمْ هل يثوبُ رجالٌ بعدما علِموا ؟[46]

متى أرى حُمْرَةَ الراياتِ صائرةً

إلى البياض عليها السِّلْمُ منتظم ؟[47]

☆ ☆ ☆

سيندَمُ العُرْبُ إن طالَ الشِّقاقُ بهمْ وليسَ ينفعُ عضٌّ الكفِّ والندمُ

لم نَبْنِ مُلْكاً ولم نلهَجْ بثورتِه ليهدِمَ العُرْبُ ما نبني ويختصموا

إنَّ الدماءَ التي روّتْ جوانبَهُ يكادُ منها يَشيب الرأسُ واللِّمَمُ[48]

أيذهبُ اليومَ ما ضحَّوْا به هَدَراً ؟ أما لنا من هدى إيمانِنا حكَمُ ؟[49]

---

(٤٢) دُفَع : ج دُفْعة وهي الدفقة من المطر ، أو ما انصّب من سِقاءٍ أو إناء مرةً .

(٤٣) الوسن : النعاس والاستيقاظ (من الأضداد) .

(٤٤) جَنَحَ الليلُ : أقبل .

ـ الظِّنَن : ج ظِنّة وهي التهمة .

(٤٥) الدَيْدَن : الدأب والعادة .

ـ اخترمه : استأصله وأهلكه .

(٤٦) ثاب : عاد .

(٤٧) السِّلْم : بكسر اللام وفتحها : الصلح .

(٤٨) اللِّمَم : ج لِمّة وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٤٩) الهَدَر : الباطل ، يقال : « ذهب دمُه هَدَراً » أي : باطلاً .

أخْبِثْ بهـــا نـــزوةً أملى وســـاوسَهـــا
إبليسُ حتى يرى منــــا الــــذي يَصِمُ[50]

☆ ☆ ☆

هذا فؤادي وقد هاجتْ هوائجُهُ فكانَ مثلَ لهيبِ النارِ يحتدمُ
ليستْ قوافيَ ما غنيتُ سامعَها وإنمــا عَبَراتُ القلبِ تنسجمُ
فهل أرى العُرْبَ أغصاناً يلفُّهمُ على الدّيار بيانُ العُرْبِ والرَّحِمُ ؟
حتى يُعيدوا ضُحى التاريخِ خافقةً
أعـــلامُـــهُ فيرفَّ العـــزُّ والكَرَمُ

١٦ أيار ١٩٥٩

---

(٥٠) وَصَمه : عابه .

(٢٩)

تحيّـــــة القـــــدس

خــــاطرٌ مُصْبِـــحٌ وآخَرُ مُمْسِ ذكّراني السيوفَ من عبد شَمْسِ[1]

مـــا نسيتُ العهـودَ منهمْ ولكنْ موجةُ الدهرِ بالشدائد تُنسي

يا نسيمَ الضحى على المسجدِ الأقـ ـصى لقد هِجْتَ ذكرَهمْ ملءَ نفسي

ليس لي حـــاضرٌ يقيني حِياهُ إنمــا حــاضري نضــارةُ أمسي

عِشتُ حينــاً بـــذكرهمْ فهواهمْ مِــلْءُ قلبي ومِــلْءُ عيني وحسّي

أيعـودُ الـزمــانُ غضّــاً بهمْ أمْ أملي فيهمُ كظُلْمــة يــأسي ؟

مِن فـــؤادي تحيّتي ودمـــوعي بلّغيهمْ يَــاريـحُ أنّــةَ جَرْسي[2]

١٩٤٢

كتب رحمه الله في ذيل هذه الأبيات :

« قيلت هذه الأبيات في إذاعة القدس . »

---

(١) السيوف : استعارة للأبطال .

ـ عبد شمس : يكنى به عن الدولة الأموية . فمعاوية مؤسس هذه الدولة هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

(٢) الجَرْس : الكلام الخفيّ أو الصوت الخفي .

البـــــــاب الثـــــــاني

الطبيعة والمرأة

قصائده (١٠)

(٣٠)

على شـــــــاطئ البحر

مــاجَ الخِضَمُّ وزُلـزِلَ الصـدرُ مـالي ومـالَـكَ أيهـا البحرُ
للعـاصفـاتِ على شـواطئِـه حَنَـقٌ على الأيـام مُحْمَرُّ
فكأنمـا هـاجتْ بـوادرُهُ أممٌ يهـدِّمُ حـوضَهـا الـدهرُ[1]
الجَـزْرُ يطـوي من قـلاقِلـهِ والمـدُّ ينشر مـاطـوى الجَـزْرُ[2]
والمـوج يُفصِـحُ عن لـواعجِـهِ ولـواعجي يـوحي بهـا الشِّعْرُ

☆ ☆ ☆

إني لأهـــدأُ ثم يُقلقُني فكري، أقضَّ مضـاجعي الفِكْرُ
هجستْ هـواجسُ كيف أكتُمُهـا في الصدرِ ضاقَ بكَتْمِها الصـدرُ
مـا ذا أقـول وأمرُنـا عَجَبٌ لا الشعرُ يُـدركُـهُ ولا النثرُ
قَـوْمي أميـةُ إن فخرْتُ بهمْ في الشـام ، حـقَّ لمثليَ الفخرُ
أمروا وكان لأمرهمْ زمنٌ واليـــومَ لا نَهْيٌ ولا أمْرُ
أُوفي بعهـد الشـام إن غـدروا بـالشـام ، كيف لمثليَ الغـدْرُ

☆ ☆ ☆

يـا بحرُ والأيـام تـأخـذنـا قهراً فـلا ألـوى بنـا القهرُ[3]
إنـا لنصبِرُ في هـزاهـزِهـا حتى يَمَـلَّ قلـوبَنـا الصبرُ[4]

١٢ أيار ١٩٢٥

---

(١) البوادر : ج بادرة وهي الحدّة ، أو ما يبدو من الإنسان عند حدّته .
(٢) القلاقل : ج قلقلة وهي شدة اضطراب الشيء وتحرّكه .
(٣) ألوى به : ذهب به وأهلكه .
(٤) الهزاهز : الشدائد .

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص ٣٤ :

« لم أر من البحر إلا هيجانه وعواصفه وحنقه وبوادره ، وهكذا فإن حالة الوطن النفسية ترجع إلى ذهني في كل مشهد من مشاهد الطبيعة ، فأنا إذا أحببتُ أن أتمتع من هذه الطبيعة ، وألهي حواسي بهدوئها أو بثورتها فلا مخلص للشعور الوطني من أن يتخلّل هذه المتعة وهذا اللهو ، فلم أستطع أن أنظر إلى الطبيعة نظرة مجردة ، وإنما الطبيعة في بعض شعري كانت سبيلاً إلى تصوير الشعور الوطني » .

(٣١)

حمام الزيزفون

نــاح الحَمــامُ علــى الغصــو ن مـا ثـار مكتمـن الشـجون![1]

وصبـــا إلى مَضَضِ الهــوى وأنــــا صَبَــوْتُ إلى العيــونِ

لكنّــــه حَبَسَ الـــدمـــو عَ ومــاجَ دمعي بـــالجفونِ

وإذا بَكَيْتُ فليس مَنْ يبكي على دائي الـــــدفينِ

وإذا بكى بكتِ الأزا هرُ بين أفيـــــاء الغصـــونِ

شتـــانَ مــــا قلبي وقلـ ـبُـك يـا حمـامَ الـزيـزفـونِ

أنتَ الطليــقُ فمـــا تـــزا لُ من السهــولِ إلى الحُـــزونِ[2]

ومن السحـــاب إلى الهضـــا بِ إلى الحَبـابِ إلى الـوُكـونِ[3]

وأنـــا المُبَرَّحُ بـــالســـلا سـلِ مثـلَ تبريـح السجينِ[4]

وحصـونُـــك الجـوُّ المـــديـ ـدُ فمَنْ يـدلُّ عَلى حُصـوني ؟

وتقيـــكَ أطرافُ الجبـــا لِ أذى النبـــالِ فَمَنْ يقيني ؟

تطـــوي السماءَ فترتـــوي من كلّ واطفـــةٍ هَتـــونِ[5]

وأنـــا إذا انقطـــعَ السحـــا بُ سَقَيْتُ قلبي من شـــؤوني[6]

مـــالي خـــدينٌ مـــؤنسٌ كيف الحيـــاةُ بـلا خـــدين ؟

سَكَنَ النسيمُ ومـــا لأحـ ـشـــائي نصيبٌ من سكـــونِ

---

(١) اعتلجت الهموم في الصدر : تلاطمت .

(٢) الحزون : ج حَزْن وهو ما غلظ من الأرض .

(٣) الحَباب : الطلّ الذي يصبح على النبات ، وحَباب الماء : موجه أو معظمه أو فقاقيعه .
ـ الوكون : ج وَكْنْ وهو عش الطائر .

(٤) المبرّح : المتعب المجهود .

(٥) الواطفة : السحابة الدانية من الأرض لكثرة مائها .

(٦) الشؤون : العروق التي يجري منها الدمع . يقال : فاضت شؤونه أي : عروق دمعه .

وأَحِنُّ في غَسَــــق الظـــــلا   مِ إلى الهـــــوى : دائي حنيني

٩ شباط ١٩٢١

كتب رحمه الله ـ مايلي مقدمة لهذه القصيدة :

« تغلب النزعة الوطنية على هذه القصيدة ، وهذا من بدائه الأمور . فقد استولى الفرنسيون على ربوع الشام في منتصف سنة ١٩٢٠ ، فكان الناس يذوقون مرارة الاحتلال ، وهذا الشعر يعبّر عن هذه المرارة ، ولكني كنت يومئذ في مقتبل العمر ، معنى هذا أن العاطفة كانت في أشد لهيبها ، فلم أستطع في خاتمة القصيدة التملص من هذه العاطفة ، ولما قلت في هذه الخاتمة : « دائي حنيني » صوّرت العاطفة أصدق تصوير ، فالقصيدة يتنازعها عاملان : عامل وطني وهو الظاهر في أجلى مظاهره ، وعامل عاطفي وهو المختبئ وراء أخيه الوطني »

وكتب في كتابه « أنا والشعر » ص ٢١ في أثناء حديثه عن الشعر الوطني ما يلي :

لجأتُ إلى الطبيعة لعلّي أجد في آفاقها المديدة ما يعينني على التنفس ، فلم أجد في فاتحة الأمر إلا الحمام ، وليست غايتي هديل الحمام ، وإنما كانت غايتي هذا التناسب بين نوحه ونوح البلاد ، كانت غايتي هذا الانسجام في البكاء والألم بين الحمام وبين البلاد .

ثم أورد (٥) أبيات هي (٧ ـ ١١)

وكتب في ص (٣٤) :

« وهل كنت أصغي إلى هديل الحمام إصغاء مجرداً لا أفكر إذا سمعته إلا في الهديل وحده وفي صلته بنفسي ؟ » .

ثم أورد أحد عشر بيتاً (١ ـ ١١) وقال :

« عبثاً أحاول في شعري أن أنفرد بالطبيعة ، وأن أسمع ما تفضي إليّ به من ذات نفسها ، أو أن أُسمعها ما أفضي به إليها من ذات نفسي . فلا بد من ذكر السلاسل والتبريح والسجون والنبال ، وغير هذا من الألفاظ التي توحي بها حالة الوطن الأليمة ، فالشعور الوطني غالب على كل شيء ، حتى على تناجي الشاعر والطبيعة » .

(٣٢)

ليتـــــني !

ليتني يـاحمـامــةَ البــانِ غرّيـ دَ أغني كما يغنّي الحَمامُ
فـأنـاجي الضيـاءَ في وَضَح الصبـ ـحِ ، ونجوايَ في الظَّلام الظِّـلامُ[١]
وأبثَّ الغمامَ مـــايُقلـــقُ الفكـ ـرَ فيـــأوي لمـــا أبثُّ الغَمامُ
وأزجّي إلى النجـــوم ســـلامي هل يغادي تلك النجومَ سلامُ ؟[٢]
غنِّ عني يـــاطيرُ إنْ هـــدأ الليـ ـلُ وإن ماجتْ بـالضحى الأعلامُ
لم يكنْ صخرةً فـــؤادي ولكنْ لم تُحرِّكْ من جـانبيـه المُـدامُ
كان هـذا الكلامُ يُفصحُ عن شجـ ـــوي ومــا يلتــوي عليّ الكــلامُ
عَـزَبَ الـوحيُ يـاحمـامُ فمـا يُفـ ـصِـحُ عني وحيٌ ولا إلهـــامُ[٣]
قَيّـــدوا مطلــقَ البيــانِ وزمّـــو هُ فللــه قيـــدُهم والـزِّمـــامُ[٤]

٣ آب ١٩٢٦

كتب رحمه الله مايلي مقدمة لهذه القصيدة :

« ماأظن أن الأدب يقدّس شيئاً تقديسه للحرية في مجامع صورها ، وهذه الأبيات إنما هي تغنّ بالحرية ، فالأدب لا تنضُر أزاهيره إلا في ظلال الحرية ، والأمـة التي لاتـذوق نفحـة الحرية ، لايلبث الأدب فيها أن تجف ينابيعه . »

---

(١) الظِّلام بكسر الظاء : الظّلم وهو الجوْر ومجاوزة الحد .
(٢) أزجّي : أسوق .
ـ غاداه : باكره .
(٣) عَزَبَ : بَعُدَ وغاب .
(٤) زمّه : شدّ عليه زمامه .

وكتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٣٥) بعد حديثه عن القطعة السابقة (أنا والحمام) :

« وإذا غلب هذا الشعور على القطعة التي ذكرتها ، فظهر عليها أثرُ ألم الوطن ، فقد غلب على القطعة التالية : »

ثم أورد النص الشعري كله (ليتني ..) وقال :

« غلب على هذه القطعة ألم الوطن فظهر مايكابده من التضييق على حرية الرأي والتفكير » .

(٣٣)

الهوى الذاهل

خَطَرتْ ببالكَ يالَها من خَطْرةٍ أتظنُّ أنك قد خَطَرْتَ ببالِها ؟
هيهاتَ ماعرفتْ هواكَ ولادرْتَ بوجيفِ ظِلّك في هدوءِ ظِلالها[١]
عَجِبَتْ لطرفِكَ غارقاً في طَرْفِها متعرِّضاً لقعودها ومَجالها[٢]
لاتستطيع سؤالَها في خَلْوةٍ يوماً ، ولاجادتْ ببعض سؤالها
كم كنتَ تُتْبِعُها خيالَك في الدُّجى
دَرَجَتْ وما احتفلتْ بغير خيالِها[٣]
أقلقتَ نفسَك في ذَراها حائراً في يأسِ جَفْوتِها وأمْلِ وصالها[٤]
لاتحسَبَّنَ صدى هواكَ مُردَّداً في قربِ حَلّتِها وبُعْدَ حِلالها[٥]
لم تخلُ من عَطْفٍ ولا من رِقَّةٍ صاغَ الإلهُ العطفَ من تِمثالها[٦]
لكنها ذَهَلَتْ صباباتِ الهوى فطوتْ جوانحها على تذهالها[٧]
أترعْتَ هذا الشعرَ منها فانثنتْ عن كل قافيةٍ سَرَتْ بدَلالها
لم تَقْضِ من أَمَلِ الهوى ريانَةً جفَّتْ مُناكَ على ثَرى آمالها

---

(١) وجف وجيفاً : اضطرب .
(٢) المجال : مكان الجَوَلان .
(٣) دَرَجتْ : مشت قليلاً .
(٤) الذَّرا : الملجأ وكل ماتستتر به .
ـ الأمْل والأمَل : الرجاء .
(٥) الحَلّة بفتح اللام : المحلّة (المحيط) .
ـ الحِلال : ج حِلّة بكسر الحاء وهي المجلس (المحيط) .
(٦) التمثال : الصورة .
(٧) ذَهَل الشيءَ : نسيه لشُغل ، أو غَفَل عنه .
ـ الصبابة : الشوق ورقة الهوى والولع الشديد .

إنَّ التي مـلأتْ فـؤادك صبـوةً　　قطعتْ حبالَكَ فاعتلقْ بحبـالِهـا[8]

١٩٢٣

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٣٨) :

« وكثيراً مايسألني بعض الصحاب عن شعري في الغزل ، فأخجل من نفي كل الخجل ، وأحسّ بشيء من الضعف ، وأنا أقول لهم : « ليس لي شيء من هذا الشعر ، فلا يكادون يصدقون ماأقول .

سعيت مرة أن أعبّر عن عاطفة الحب في شعري ، وكنت أحفظ الأبيات المشهورة :

إن التي زعمتْ فـؤادك ملّهـا　　خُلِقتْ هـواكَ كما خُلقت هـوىً لهـا[9]

فعارضتُها بالأبيات التالية : » ثم أورد النص الشعري كله « خطرت ببالك ... » ثم قال : « قلت هذه الأبيات ولم أقل غيرها ، ولست أعلم مالذي صدّني عن هذا السبيل ؟ »

---

(٨) الصبوة : جهلة الفتوّة .

(٩) قال عُروة بن أذينة وهو شاعر غزل ، توفي سنة ١٣٠ هـ :

إن التي زعمتْ فـؤادَك ملّهـا　　خُلقَتْ هـواكَ كما خُلقتَ هـوىً لهـا
فبـكَ الـذي زعمتْ بهـا ، وكلاكما　　أبـدى لصاحبـه الصبابـة كلَّهـا
ولعمرُهـا لـو كان حبُّـك فوقهـا　　يـومـاً ، وقـد ضَحِيَتْ إذاً لأظلّهـا(☆)
فـإذا وجـدتَ لهـا وسـاوسَ سلـوةٍ　　شفـع الضميرُ إلى الفـؤاد فسلّهـا
بيضـاءُ بـاكَرَهـا النعيمُ فصـاغَهـا　　بلبـاقـةٍ فـأدقّهـا وأجلّهـا
لمـا عرضتُ مسلّماً ليَ حـاجـةٌ　　أرجـو معـونتهـا وأخشى دَلّهـا
منعتْ تحيتَهـا ، فقلتُ لصـاحبي　　: « مـاكان أكثرهـا لنـا وأقلّهـا ! »
فـدنـا وقـال : « لعلّهـا معـذورةٌ »　　في بعض رِقبتهـا ، فقلتُ : لعلّهـا(☆☆)

(☆) ضحيت : أصابتها الشمس .

(☆☆) الأغاني ج ١٨ ص ٣٣٠ . زهر الآداب ج ١ ص ١٤٩ . ديوان الحماسة لأبي تمام ج ٣ ص ٢١١ .

(٣٤)

مناغاة الطفلة

وميضُ البرقِ من ثغرِكْ فديتُ البرقَ والثغرا
وهذا الشّعرُ من سِحْرِكْ فَمَنْ علّمكِ السِّحْرا ؟
يَحارُ الدُّرُّ في نحرِكْ فضحتِ الدُّرَّ والنَّحرا
فما أسماكِ في طُهْرِكْ ملكتِ العَفَّ والطُّهْرا[1]

☆ ☆ ☆

لئن أمسيتُ من هَمِّكْ أقاسي البثَّ والهمّا
فهذا النجمُ من غمِّكْ يقاسي في الدجى الغمّا
يضيءُ الليل من وهمِكْ فتنتِ الليل والوهما
فما أحلاكِ في يُسْرك جمعتِ العُسْرَ واليُسْرا

☆ ☆ ☆

يذوبُ القلبُ من دمعِكْ فلا تَجني على القلبِ
ويُشجي الكربُ في طبعِك فلا تبقي على الكربِ
ويحلو الحُبُّ في شرعِكْ فذوقي لوعةَ الحُبِّ
فما أعلاكِ في دهرِكْ فكوني في العُلا الدهرا

٤ أيار ١٩٢٣

---

(١) العَفّ بفتح العين : مصدر عفّ .

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٣٩) بعد حديثه عن القصيدة السابقة (الهوى الناهل) مايلي :

« ولقد كنتُ أقرأ في بعض الأوقات قصائد من خفائف الشعر ، وقد أطلق صاحبُ الأغاني هذه اللفظة على الغناء الخفيف الذي نسمّيه في عصرنا « الطقاطيق » فكانت هذه الخفائف توحي إليّ بعض الشعر ، من ذلك قولي ، وعنوان القصيدة : مناغاة طفلة »[٢]

ثم أورد النص الشعري كله (وميض البرق ..) وقال :

« إني لم أعرف في حياتي التي قلت فيها هذا الشعر طفلة على هذا الشكل ، ولكني أردت بهذه الطفلة المرأة نفسها كما تصورتُها ، وعبّرتُ عن هذا الشعور في هذه الأبيات »

وكتب في ص (٩١) :

« هذا وقد نشر مصطفى صادق الرافعي في إحدى صحف مصر من ست وثلاثين سنة قصيدة من خفائف الشعر ولست أذكر مطلعها على وجه الضبط ، وقد يجوز أن يكون المطلع :

ندى الوردِ على فُلِّكْ كَسَفْتِ الوردَ والفُلاّ

فأعجبتني هذه الخفائف ، فعملتُ قصائد على شكلها ، منها قصيدة عنوانها « مناغاة طفلة »

وميض البرق من ثغركْ فديتَ البرق والثغرا »

---

(٢) بعد إصداره كتاب « أنا والشعر » جعل عنوان هذه القصيدة « ترقيص طفلة » .

(٣٥)

لولاكِ

ألقيت في النادي النسائي الأدبي

نـــاديـــكِ محتفـلُ الكـواكبِ في الـــدُّجى
أدبُ النفـــوس يجـــولُ في نـــاديـــكِ

لــولاكِ لم تَطِبِ الحيــاةُ وإنمـــا طيبُ الحياة يَفيضُ من واديـكِ
هُزّي القريضَ فـأنتِ من فُرْسانِـهِ مـا الشِّعرُ إلاّ من بشاشـةِ فيـكِ
إن تحبُكي بُرْدَ القريض فطـالمـا رقّتْ حـــواشي بُرْدِه المحبـوكِ[١]
أو تَسْبِكي غُرَرَ البيـانِ فقـد أرى غُرَرَ البيـانِ بقـولـكِ المسبـوكِ
دفعـــوكِ عن كَنَفِ المكارمِ ليتهمْ عن مـوبقـاتِ شرورهمْ دَفعـوكِ
وصفـوك بـالإعيـاء في دَرَكِ العُـلا هـلا بسبقـك في العُلا وصفـوكِ[٢]
ولو انّهمْ عَلِمـوا بقـدْركِ في الـورى لرأيتِهمْ طيَّ الحشـــا وضعـوكِ
ظلموكِ إذ حَسِبوا الفتـاةَ ضعيفـةً فـالـدهرُ يُنْصفُ إن همُ ظلمـوكِ
فيـكِ انطـوى سرُّ المحـامـد ، إنمـا سرُّ المحـــامـدِ أن يسـودَ بنـوكِ
رُوضي البنينَ على العُلا ، شتانَ ما عِـزُّ الملـوكِ وذلـــةُ المملـوكِ
فـإذا طـويتِ الـدهرَ في تقـويمهمْ كَرُمَ البنـــونَ فلم يَهُنْ أهلـوكِ
ماذا جنيتِ ؟ فضاعَ قدرُكِ بينهمْ فسلكتِ غيرَ سبيلـــكِ المسلـوكِ
راعتْك في الطفلِ الرضيعِ شجونُـهُ والطفلُ في غَلَسِ الدجى يـدعوكِ
فنهكْتِ جسمَـكِ في علاج شُجونـهِ يـــامن يَرِقُّ لجسمـــكِ المنهـوكِ
وأسْـوتِ في قلبِ الجريـح جِراحَـهُ وإذا أُصِبْتِ فليس من يـأسـوكِ
تركـوا كمالـكِ فـاستبـانَ ضَلالُهمْ واهـــاً لـزَهْـوِ كمالـــكِ المتروكِ

---

(١) البُرْد : ثوب مخطط

(٢) الدَّرك : بفتحتين اللَّحاق أو إدراك الشيء ، وبسكون الراء لغة .

إنْ يُكرموكِ فأنتِ في وُكُناتِهِمْ بنتُ المكارم والعفافُ أخوكِ[3]
أو ينبذوكِ من القلوبِ فطالما ضلَّ الذينَ رأيتهمْ نبذوكِ

آب ١٩٢٣

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٤٠) :

« لئن لم أباشر الغزل مباشرة ، لقد جئته من جهة ثانية . كان حديث المرأة في عنفوان الشباب ملء مجالسنا ، ومأذكر أنه كان ينقضي يوم من الأيام دون أن نندفع في هذا الحديث ، ونقلبه على كل وجوهه ، ونأتي على ذكر الزواج والعزوبة ، وعلى ذكر بعض الفتيات اللواتي حرمهنّ أولياؤهن سعادة الزواج لسبب من الأسباب ، كانت صورة المرأة نصب عيني ونصب خاطري ، فلئن لم أستطع أن أتخيّل هذه المرأة في شعري من ناحية حبها واللهج بهذا الحب ، لقد تخيلتها من ناحية مقامها الاجتماعي ، حتى كان هذا التخيّل يخفف عني في بعض الأزمات العاطفية شيئاً من عنف هذه الأزمات .

لقد ألقيتُ سنة ١٩٢٣ في نادٍ من أندية دمشق قصيدة في المرأة ، واسم هذا النادي على ماأذكر : النادي النسائي الأدبي ، فهو يجمع سيدات دمشق ، من هذه القصيدة الأبيات التالية : » وأورد ثلاثة الأبيات الأولى ثم قال :

« إن هذه القصيدة تدخل في الشعر الاجتماعي ، فيها إشارة إلى مقام المرأة في المجتمع ، ولئن عنيت بمقامها الاجتماعي في ظاهر القصيدة ، لقد عُنيت في باطن القصيدة ، وفي باطني أنا نفسي بشيء آخر غير مقامها الاجتماعي ، عنيت بمقامها في قلبي ، فتركتُ تصوير هذا المقام ، وصورّتُ مقامها في المجتمع ، ولقد كنت أجد في مثل هذا الأسلوب بعض العزاء ، فكنت أخفف بهذا العزاء من عاطفة القلب . »

(٣) الوُكُنات : ج وُكنه وهي اسم لكل وكر وعش .

(٣٦)

المـــرأة في الشـــعر

هـــاكِ القريضَ فهُـزي سلكَـــهُ هـــاكِ
نـــاجي الـــذي في سَـوادِ الليـــل نـــاجـــاك[١]

إذا القـوافي أبتْ يـومـاً مطـاوعتي نَحَوتُ في خطراتِ الشعرِ مَنْحـاكِ
أنتِ الحيـاةُ فما تـزهـو محـاسنُهـا إلا إذا طـابَ لـلأحيـاءِ مَـزْهـاكِ
إنْ شئتِ كانت حياةُ الخَلْقِ باسمةً تفيضُ في جَنَبـاتِ الخَلْـقِ نُعماكِ
خُلِقْتِ أنسـاً لعينٍ ليس يـؤنسُهـا إلا التفيُّـؤُ في أفيـاءِ مَغْنـاكِ[٢]
ليس الربيعُ ـ وإن بشَّتْ أزاهرُهُ ـ أحلى على العينِ من رَيَّـا مزايـاكِ
ولا العنـادلُ في الأفنـان هـادلـةً أشهى إلى السمع من رنات ذِكراكِ
يلهـو النسيمُ بغصن البـان في سَحَرٍ فمـا يهيـجُ فـؤادي غيرُ مَلْهـاكِ[٣]
قالوا : عيونُ المها والسِّحْرُ يملؤُهـا فقلتُ : كلاّ ، فإنَّ السِّحْرَ عينـاكِ

ومـــا الضيـــاءُ ضيـــاءُ الشمسِ إن طلعتْ
وإنمـــا النـــورُ فيضٌ من مُحيّـــاكِ[٤]

وهبّـةُ الريـحِ إن لانتْ مـلامسُها فـإنمـا أورثتْهـا اللينَ كفّـاكِ
وهـذه الليلـةُ الليـلاءُ حـائرةً كأنمـا تيّمَ الظلمـاءَ مرآكِ[٥]

---

(١) هاكِ : (ها) اسم فعل أمر بمعنى (خذْ) تلحقه كاف الخطاب ، فيتصرف بحسب المخاطب إفراداً و تثنية وجمعاً ، وتذكيراً وتأنيثاً .
ـ القريض : الشعر .
(٢) المغنى : المنزل .
(٣) السَّحرَ : آخر الليل .
(٤) المُحيّا : الوجه .
(٥) الليلة الليلاء : الطويلة الشديدة السواد .
ـ تيّمه الحب : ذلّله .

يموجُ في الظلمات البرقُ مضطرباً هل لمحةُ البرقِ إلا من ثناياكِ ؟
حُلّيتِ بالخُلُقِ المصقولِ جانبُهُ سبحانَ مَنْ برقيقِ الخُلْقِ حلاّكِ

☆ ☆ ☆

نهضتِ للطفلِ واللأواءُ مائجةٌ في ظلّه ، وفؤادُ الطفلِ مُضناكِ[6]
فما تركتِ به هماً يعالجُهُ
في طلعةِ الفجرِ أو في جُنحِ ممْساكِ
تغدو الرجالُ لاكبادٍ تُجَرِّحُها وإنما لضِمادِ الجُرحِ مَغْداكِ
يبكي الفتى ودموعُ العينِ تُرْمِضُهُ فتمسحينَ دموعَ الواجفِ الباكي[7]
تبكين للمرءِ إنْ ألوى البلاءُ به وإنْ بُليتِ فمنْ يبكي لمبكاكِ ؟[8]
يهفو الرجالُ ومن يُحصي نقائصَهمْ ؟
وإنْ هفَوتِ أقامَ الدهر مَهْفاكِ[9]
فلو ملكتِ زمامَ الأمرِ لارتعدتْ منكِ القلوبُ ولم تلهجْ بمهواكِ
لو علموكِ ـ أضاءَ اللهُ ظُلْمَتَهمْ ـ لبات في هضبة العلياء مَثْواكِ[10]
أسِرْتِ في قَفَصٍ ماجتْ غياهبُهُ فمن يَفُكُّ من الأقفاصِ أسْراكِ ؟
أقولُ ـ والناسُ قد جاشتْ بلابلُهمْ ـ
لولاكِ ما احتملوا الأشجانَ لولاكِ[11]

---

(٦) اللأواء : الشدّة والمحنة .
(٧) أرمضه : أحرقه وأوجعه
ـ وجف : اضطرب .
(٨) ألوى البلاءُ به : أهلكه .
(٩) هفا الرجلُ : زلّ .
(١٠) المثوى : المنزل .
(١١) البلابل : شدة الهم .

إن ينصروك فما أعلى منازلَهُمْ أو يخذلوكِ فعينُ الله ترعاكِ

☆ ☆ ☆

ضَمِنتُ أن يستردَّ الشرقُ بهجتَــــــهُ
إن كان في الشَّرْقِ من يسعى لَمحْيـــاكِ[١٢]
لايسلمِ الشرقُ من خطبِ ألَمَّ بـــه إلا إذا هُــذِّبَتْ فيــه سجـايــاكِ

ألقيت في حفلة **٢٨ كانون الأول ١٩٢٧**

«النادي العربي النسائي»

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٤١) بعد حديثه عن القصيدة السابقة (ضل الذين رأيتهم نبذوك) مايلي :

« ولئن لم يظهر هذا الأسلوب في القصيدة التي ذكرتها إلا قليلاً فأظن أنه في القصيدة التالية كان أظهر : »

ثم أورد ثمانية أبيات من قصيدة (المرأة في الشعر) هي (٣ ـ ١٠)

---

(١٢) المَحْيا : الحياة .

(٣٧)

الفتـــــاة العـــانـــس

نظَرتْ إلى مرآتهـــــــا والسِّحْرُ في نظَراتهـــــا
عَيْنٌ إذا فترتْ قرأ تُ الشِّعْرَ في فَتراتِهــــا[١]
مصقــولـــةُ الخـــدينِ يَرْ وى الطَّرْفُ من نَعَماتهــــا[٢]
لـــــونٌ يَرِفُّ ولا رفيـ ـفَ الشمسِ في طَلَعـــاتهـــا[٣]
نظرتْ إلى مرآتهـــــا والطيرُ في وُكُنـــاتهـــا[٤]
والشمسُ ضـــاحكـــةٌ تنـــا جي الروضَ في ضحكاتهـــا
كتمتْ هـــواهـــا في الفـــؤا دِ فـــلاحَ في لَحَظـــاتهـــا
فتـــــأوّهت حتى حسبـ ـتُ المـوجَ من أوْهـــاتهـــا[٥]
وبكتْ فكِـــدْتُ إخـــالُ أنّ ـ الطـــلَّ من عَبَراتهـــا[٦]
الشمسُ تـــوحشُهـــا إذا طلعتْ على شُرُفـــاتهـــا[٧]
وإذا الضُّحى بسمتْ لهـــا عبَستْ على بَسَماتهـــا[٨]

---

(١) فتر : سَكَن ، وطرف فاتر : فيه فتور وسكون .

(٢) رَوِيَ يروى : شرب وشبع .
ـ الطَّرف : العين .
ـ نَعْمة العيش : رغده وغضارته .

(٣) رفّ لونه : تلألأ .

(٤) الوُكُنات : ج وُكْنة وهي عش الطائر .

(٥) آهَ أوْهاً : شكا وتوجّع .

(٦) تقول في مستقبل (خال) (إخالُ) بكسر الهمزة وهو الأفصح ، وبنو أسد تقول بالفتح وهو القياس (مختار الصحاح) .
ـ الطلّ : الندى .

(٧) الشُرُفات : ج شُرْفة وهي ما أشرف من بناء القصر .

(٨) الضحى : ج ضحْوة وهي ارتفاع النهار بعد طلوع الشمس .

ما الوردُ، ما المنثورُ ما الر ـ يْحانُ في جنّاتها ؟
ما الدر، ما الياقوت ما الـ ـمَرجانُ في جَنَباتها ؟
لاتشتهي إلا القريـ ـنَ يلمٌّ من شَعَثاتها
تُفضي إليه بسرِّها في ليلِها وضحاتها
فيجبُّ من حَسَراتها ويُطيلُ من فَرَحاتها[9]
ويَنُثُّ من حَسَناتها متغمداً هَفَواتِها[10]
عَنَستْ وطالَ مكوثُها في الدار، في ظُلُماتها[11]
أنّ لها زوجٌ يُقَصِّـ ـرُ من مدى لَهفاتها ؟
الزوجُ أروعُ مشهداً في الخِدْرِ من دُرّاتها
تحميهِ في يَقَظاتِها وتقيهِ في نَوْماتها
وإذا بكى جادتْ له من عُمْرِها وحَياتِها
حبسوا الفتاةَ عن الزّوا جِ فأقلقوا ضَجَعاتها
شَرَعوا لها نَهْجاً إلى الْـ إمعَانِ في عَثَراتِها[12]
فإذا كَبَتْ في نَهْجها لاموا على كَبَواتها[13]
الذنبُ ذنبُهُمُ فما قصدتْ إلى سوءاتها
لم تُخْلَقِ الفتياتُ للتـ ـعنيسِ في حُجُراتها
هيهاتَ إن نفوسَها تضبو إلى أخواتها

---

(٩) جبَّ الشيءَ : قطعه .
(١٠) نثّ الحديث : أفشاه .
ـ تغمّده : ستر ماكان منه .
(١١) عَنَست المرأةَ : طال مكثها في بيت أهلها ولم تتزوج .
(١٢) النهْج : الطريق الواضح .
(١٣) كبا : انكبَّ على وجهه .

لتـــــذوقَ من لألائِهـــــا في ليلهـــا وغَـــداتِهـــا[١٤]

٢٨ شباط ١٩٢٨

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٤٢) بعد حديثه عن القصيدة السابقة (المرأة في الشعر) مايلي :

« أجل كنتُ إذا تصوّرتُ مقام المرأة في المجتمع أتصوّر قبل كل شيء مقامها في قلبي ، وإذا أنا حاولتُ أن أصف في شعري بعض مايجنيه عليها أهلها ، فكنت في الحقيقة أحاول أن أصف في هذا الشعر بعض ماأكابده من حبها ، فقد نشرت سنة ١٩٢٨ قصيدة عنوانها (الفتاة العانس) »

ثم أورد (١٠) أبيات هي (١ ، ٦ ـ ١٤) وقال :

« فإذا كنتُ قد عبّرتُ في هذه الأبيات ، وفي القصيدة كلّها عن وحشة الفتاة العانس في دارها ، وعن حنينها إلى قرين يؤنس من هذه الوحشة ، فقد عبّرت في الوقت ذاته عن شيء نظير هذا في بواطن نفسي » .

---

(١٤) اللألاء : الفرح التام .

(٣٨)

نجوى آدم

رمتْ بآدمَ أيدِ ما أُحيطَ بها عن عالمٍ مائجِ الظّلماءِ غِربيبِ[1]

رمتْ به في عَراءٍ كلُّه عَجَبٌ فحارَ آدمُ في تلكَ الأعاجيبِ

أنى تلفّتَ لم تأخذْ نواظرُهُ إلا تحاسينَ من شتى الأساليبِ[2]

شمسٌ تُضاحِكُ من علياءِ هامتِها روضاً يميدُ بريّانِ التعاشيبِ[3]

وأنجمٌ في كَفافِ الأفْقِ لاهيةٌ في أفْقها بين تشريقٍ وتغريبِ[4]

فقال آدمُ : ما للشمسِ باسمةٌ هيهاتَ ما نقصتْ شجوي وتعذيبي[5]

فما الذي في مجال الطَّرفِ يُطربني أصحوةُ الجوِّ أم دَفْقُ الشآبيب ؟[6]

أم نظرةٌ من رفيفِ الفجرِ ناعسةٌ كأنها غَمْزةٌ من عينِ محبوبِ

أم نفثةٌ عن شفاهِ الوردِ ناعمةٌ كأنها فُرْجَةٌ عن صدر مكروبِ

أم موجةٌ في عصيفِ الريحِ صاخبةٌ كأنها غَضْبةٌ في وجه مغضوبِ

أم هبّةٌ من نسيم البانِ لَيِّنَةٌ تناعمُ الخدَّ في صبحٍ وتأويبِ[7]

هوايَ في شبحٍ نشوانَ من مَرَحٍ ألهو به في دجى ليلي ويلهو بي

أعطيه حبي ويُعطيني محبَّتَهُ نذوبُ في مَثَلٍ في الحبِّ مضروبِ

---

(١) الغربيب : الحالك السواد .

(٢) النواظر : ج ناظرة وهي العين .

(٣) التعاشيب : القطع المتفرقة من العشب .

(٤) كَفاف الأفق : نواحيه .

(٥) الشُّجو : الهم والحزن .

(٦) الشآبيب : ج شُؤبوب وهو الدفعة من المطر .

(٧) ناعمه : رفَهَهُ .

ـ التأويب : سير الليل .

نشدو قوافي الهوى في ظلِّ أُلفتِنا حياتُنا في الهوى شِعْرُ المناسيب[8]

☆ ☆ ☆

وبينما آدمٌ في خَلْوةٍ قَلقٌ
في جاحمٍ من أجيجِ الغمِّ مشبوب[9]
يُبعِّدُ الغمَّ عنه أو يُقرِّبُهُ حيرانَ في بُعْدهِ عنه وتقريب
إذ رُوحُ حواءَ في عِطفيهِ وامضةٌ ألعوبة العين ، ويحاً للألاعيبِ[10]
فيها منَ العالمِ المجهولِ أمثلةٌ من كلِّ فنٍ وفيها كلُّ أسلوبِ
فقال آدم لما هاجَ هائجُه مُرَحِّباً بسناها أيَّ ترحيبِ :
ما الموجُ ، ما الفجرُ ، ما الريحانُ منْ أربي
لولاكِ لم أُلْفِ للرَّيْحان مِنْ طيبِ
فما تَنفسَ هذا الوردُ في سَحَرٍ إلا ليفترَّ عنهُ ثغرُ رُعبوبِ[11]
يادُمْيةً حجبتْ عني محاسنَها حتى تذوّقْتُ حُسْناً غيرَ محجوبِ[12]
كأنما وهبتْكِ الشمسُ رونقها ياخيرَ موهبةٍ في خير مَوْهوبِ
ألقتْ شُعاعاً على عينيكِ مؤتلقاً بريقُ عينيكِ مأمولي ومرهوبي
هذي الروائعُ فيها الحسُّ متّقدٌ إذا نَعِمْتُ فلم أنْعَمْ بمكذوبِ
غدائرٌ كصفيحِ اليمّ مائجةٌ تكادُ تلمعُ في سودِ الغرابيبِ[13]

---

(٨) المناسيب : ج منسوب ، والشعر المنسوب الذي فيه نسيب .
(٩) الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال .
ـ الأجيج : شدة الحرّ .
(١٠) عِطْفا الرجل : جانباه .
(١١) السَّحَر : آخر الليل قبل الصبح .
ـ الرُّعبوب : الناعمة الحلوة .
(١٢) الدمية : الصورة المزّينة فيها حمرة كالدم .
(١٣) الغدائر : ج غديرة وهي المضفور من شعر النساء .

وبسمــــــةٌ كحفيفِ الرَّوضِ هـــــادئـــــــةٌ
تحنـــو على لَجِبِ الأشجـــــانِ مشجـــوبِ[14]
حتى تســلَّ من الملْهــوفِ لهفتَــهُ فلستَ تلقى عليـه ظـلَّ تقطيبِ

☆ ☆ ☆

هيهــاتَ مــا ملأتْ عيني ولا أُذُني عـوالمٌ حِسُّهـا حسُّ الأنــاصيب[15]

٦ آب ١٩٣٠

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٤٢) :

« كنت اهتـديت إلى قصيـدة لڤيكتور هـوغـو[16] لم تنشر في ديـوانـه ، فـأسرعت إلى تعريبها شعراً . ولاأذكر أكنتُ أعربّها مع شيء من التقيـدبالأصـل ، أم كنتُ أتصرّف بعض التصرّف في التعريب ، وأنـا لاأحتفـظ بـأصـل هـذه القصيـدة . إلا أن المهم أني بـادرتُ إلى تعريبها ، لأنها كانت تصوّر شيئاً يخالط لحمي ودمي وعظمي ، بادرتُ إلى تعريبها لأن الصور التي اشتملت عليها كانت نصب حسّي وفكري وشعوري ، وسواء عليّ أصـدرت هـذه الصور عن (هوغو) أم صدرت عني ، وهذه طائفة من أبيات القصيدة وعنوانها « نجوى آدم » .

ثم أورد (٨) أبيات هي (٦ ـ ٩ ، ١١ ـ ١٤)

---

(١٤) شَجَبه : أهلكه وحَزَنَه فهو مشجوب .

(١٥) الأناصيب : الأعلام ، ومايجعل على الطريق من العلامات يُهتدى بها .

(١٦) ڤيكتـور هـوغـو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) شـاعر فرنـي يمثـل المـذهب الرومـانـي في الأدب وصاحب (رواية البؤسـاء) التي نقلت إلى العربية .

(٣٩)

نـــابليـــون والشيـــخ

الشـــيخ :

فَـزِعْتُ إليــكَ أبــا الفــاتحينْ أجُرُّ السنينَ وراءَ السنينْ
رســومُ الليـــالي على مَفْرِقي وآثــارُهــا الغُرُّ فـوقَ الجبينْ[١]
أمَضَّ ضلـوعي عقـوقُ البَنينْ فـأشكـو إليـكَ عقـوقَ البنينْ
تخيَّرتُ زوجـاً لبنتي فقـا لتِ البنتُ : زوجي من الطاعنينْ
أحبَّتْ فتىً من بني عمِّهـا وقـالتْ : فتاهـا منَ السـاحرينْ
فـأوْحِ إلى البنت حبّ المسنِّ فـأنتَ القـديرُ على القـادرينْ
إذا شـكَّ جيشُـك في حَمْلـةٍ خلعتَ على الجيش بردَ اليقينْ
وأقحمتَ جُنْـدَكَ وَعْرَ السبيـلِ وخُضْتَ المنـايـا مـع المقحَمينْ

نابليـون :

رويـدَكَ يـاشيخُ هوِّنْ عليـكَ وهـل أنتَ مُصْـغٍ إلى مـاأُبينْ ؟
أنـا الربُّ في الأرضِ ، ربُّ الحروب قطعتُ السبيـلَ على الفـاتحينْ[٢]
إذا مـا غضبتُ على أمـةٍ زحفتُ إليهـا بريْبِ المَنـونْ[٣]
بِرَ جْراجـةٍ مثـلِ مـوج الخِضَمِّ تضيـقُ السهـولُ بهـا والحُـزونْ[٤]

---

(١) الغرّ : ج غرّاء أو أغرّ وهو الأبيض من كل شيء ، ويقصد بآثارها الغُرّ الشَّيب .
(٢) الرَّب : من معانيه السيّد .
(٣) ريب المنون : حوادث الدهر .
(٤) كتيبة رجراجة : تموج من كثرتها .
ـ الحزون : ج حَزْن وهو ماغلُظ من الأرض .

يثـور المهيمنُ بـالصـاعقـاتِ فيطـوي الأوائـلَ والآخرينْ[٥]
وأغضبُ إن شئتَ بـالبـارقـاتِ فـأرمي القـلاعَ بهـا والحصـونْ[٦]
طـويتُ الملـوكَ وتيجـانَهـا وإني بطيٌّ الملـوكِ قمينْ[٧]
وزلـزلتُ مِصْرَ وأهرامَهـا ولكنْ عجـزتُ عن العـاشقينْ
فمـا ليَ في الحُبِّ أمرٌ يطـاعُ ومـا أنـا فيـه من الظـالمينْ
فـأرْخِ لبنتـك قَيْـدَ الهـوى وكُنْ في الهـوى أرحمَ الراحمينْ
فـدعْهـا تَجُـلْ في حمى العـاشقيـنَ ذاتَ الشِّمالِ وذاتَ اليمينْ !

٢٦ كانون الثاني ١٩٢٧

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٤٣) بعد حديثه عن القصيدة السابقة (نجوى آدم) مايلي :

« ومـا جرى في تعريب قصيـدة (هوغو) أو في الاقتبـاس عنهـا ، جرى لي نظيره في تعريب قصيدة ثانية غير منشورة في ديوانه ، عرّبتها وجعلت عنوانها « نابليون والشيخ » .

ثم أورد النص الشعري كله ، وقال :

« إني لم أبال بالشيخ ولا بشكواه ، وإنما باليتُ بالهوى وحده ، باليتُ بـالجـال في هـذا الهوى ذات الشمال وذات اليمين .

هذا آخر ماأحببت الإشارة إليه في هذا الباب ، فإذا سـألني أصحـابي بعـد اليوم : هل قلتَ شيئاً من الغـزل ؟ فـإني أقـول : لا ، ولكني قلت مـايقرب من هـذا الغـزل ، هـذا هـو غزلي . »

---

(٥) المهين : من آمن غيره من الخوف ، وهو من أسماء الله تعالى .

(٦) البارقات : ج بارقة وهي السيف .

(٧) قمين : جدير .

البـــــاب الثـــــالث

التنويه والتأبين والرثاء

قصائده (٢٥)

ذكـــرى الشــــهــــــــداء

قيلت في رثاء الشهداء الذين أعدمهم جمال السفاح في ٦ أيار ١٩١٦ في دمشق وبيروت

دِمَشْقَ الشامِ هل نَفَذَ القضاءُ ؟ ... فَزُلْزِلَتِ الكواكبُ والسَّماءُ
لقد جَلَّ العزاءُ فلا عزاءٌ ... وعزَّ الصبرُ وانقطعَ الرّجاءُ[1]
وماج الماءُ بالأجفانِ طُرّاً ... فلا ماءٌ يَجفُّ ولا بُكاءُ
وأمسى الدمعُ مَجْراهُ خَفَاءً ... وقد يَستنزِفُ الدمعَ الخَفاءُ
ولو خانتْ مآقينا دموعٌ
لفاضت من جوانِحنا الدِّماءُ[2]
عيونٌ ليسَ يَمْلِكُها رُقادٌ ... وليلٌ ما لِظُلمتِهِ انقضاءُ
ترادفَتِ الشدائدُ والرزايا ... فلا صبحٌ يَسُرُّ ولا مَساءُ[3]
وغُيِّبتِ الفراقدُ في الفيافي ... فأوحشَ مُقْلَةَ الساري الضياءُ[4]
ولو علِمَ العَراءُ بما حواه ... تلألأتِ المقابرُ والعَراءُ[5]

---

(١) عزّ الصبرُ : قلّ فلا يكاد يوجد ، فهو عزيز .

(٢) الجوانح : ج جانحة ، وهي الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر ، سُميت بذلك لانحنائها وميلها .

(٣) الرزايا : ج رزيّة وهي المصيبة العظيمة .

(٤) الفرقدان : نجمان في السماء قريبان من القطب ، وقد قالوا فيهما الفراقد كأنهم جعلوا كل جزء منهما فرقداً .
- الفيافي : ج فَيْفاة وهي المفازة لاماء فيها .
- الساري : السائر ليلاً .

(٥) العَراء : الفضاء لايُستتر فيه بشيء .

حـوى غُرَرَ المحامـدِ واضحـاتٍ وآنسَـهُ على الـدهرِ الإبـاءُ[٦]
ثـوى في ظلمـةِ الأجـداثِ قـومٌ يَمَـلُّ غـداةَ يـومِهِمُ الثَّـواءُ[٧]
مِنَ العُرْبِ الـذين لهمْ نفـوسٌ تُـلازِمُهـا المـدائـحُ والثنـاءُ
بَنَـوْا مـالا تطـاولُـهُ سماءٌ ومـا آوى ظِـلالَهُمُ البنـاءُ
أتـاهم حـادثُ الأيـامِ ليلاً يَقِـلُّ بـه التعـاطفُ والإخـاءُ
فسيقـوا للمنـونِ ومـا حَمَتْهُمْ سيـوفُ القـوم والأَسَـلُ الظِّماءُ[٨]
ولـو سُلَّتْ لنصرِهِمُ المَـواضي لمـا وثبَ الـزمـانُ ولا البـلاءُ[٩]
نعى رَيْبُ الـزمـان عَـلاءَ قـومٍ فـلا مجـدٌ يـدومُ ولا عـلاءُ[١٠]
أتَعْجَبُ إن أصـابتْـك المنـايـا ولـولا المـوتُ مـا رَحُبَ الفضـاءُ
نُحـاذِرُ أن تُلِمَّ بنـا الليـالي وتُـدْركَنـا الليـالي والقضـاءُ
ولـلأقـدارِ فينـا كلَّ يـومٍ مَضـاءٌ لا يعـادِلُـهُ مضَـاءُ[١١]
فـلا الميسـورُ تُخْطِئُـهُ مَنـونٌ ولا المعسـورُ يُغْفِلُـهُ فَنـاءَ
وكلُّ النـاس في مـوتٍ سَـواءٌ ومـا هَـوَّنَ المـوتَ السَّـواءُ[١٢]
ولـو يُحيي الرثـاءُ رُفـاتَ قـومٍ لصيـغَ الـدُّرُّ وانتُخِبَ الرِّثـاءُ[١٣]

---

(٦) الغُرَرَ : ج غُرَّة وهي من كل شيء أوله وأكرمه .

(٧) الأجداث : ج جَدَث وهو القبر .

ـ الثواء : الإقامة وهي مصدر (ثوى بالمكان) أي : أقام .

(٨) المنون : الموت .

ـ الأسل : الرماح .

(٩) المواضي : السيوف مفردها ماضٍ .

(١٠) ريب الدهر : صروفه .

(١١) مضى الأمر مضاءً : نفذ .

(١٢) (سواء) الأولى : متساوون ، والثانية : العدل .

(١٣) الرُّفات : الحُطام وهو ما تكسر وبلي .

فـلا شِعْرٌ يُعَـزِّي عن مُصـابٍ ولا نثرٌ يَخِفُّ بـه العَنـاءُ
ولكنْ نـذكُرُ الشهـداءَ منـا لمـا يقضي بـذكرِهِمُ الـوفـاءُ

٨ أيار ١٩٢٠

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٤٩) :

« أقام النادي العربي في دمشق سنة (١٩٢٠) حفلاً لتأبين شهداء العرب الذين قتلهم جمال باشا في خلال الحرب الأولى ، فألقيتُ في الحفلة قصيدة ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ألقي فيها شعراً في مجتمع عام ، كيف كنت أفهم المراثي في تلك الأيام ؟ أي من تسع وثلاثين سنة »

ثم أورد سبعة الأبيات الأولى وقال :

« لستُ أرى في هذه الأبيات شيئاً خاصاً بمن أبكيهم ، فقد تُقال هذه الأبيات في صدر كل قصيدة تشتمل على الرثاء ، وهذا عيب أكثر مراثينا في القديم ، وإذا اشتملت القصيدة على أبيات خاصة بشهداء العرب فالأبيات قليلة »

ثم أورد ثمانية أبيات هي (٩ ـ ١٦) وقال :

« فهذه الأبيات تصحّ في شهداء العرب ، ولا تصح في أي فريق من الناس ، فلا يمكن نقلها من هذه القصيدة وإقحامها في قصيدة أخرى ، ولكني أعترف بأني كنت حديث العهد بالرثاء ، وإن كان لهذه القصيدة بعض الأثر في نفوس الذين حضروا الحفلة »

ذكرى ولي الـــــدين يكن*

ألقيت في المجمع العلمي العربي

هــدأتْ خــواطرُه ونــامَ ضميرُهــا ... هَــوِّنْ عليــكَ فــا أراكَ تُثيرُهــا

وخبـا ضيـاءُ بيـانِـه فـابستحكمتْ ... ظُلَمٌ تراخَتْ في القلوب سُتورُها[1]

يـادولـةً أعيـا الـزمـانَ خضوعُها ... لايستكينُ عميـدُهــا وأميرُهــا[2]

يُلـوي بجبــار الملـوكِ زئيرُهــا ... ويَدِبُّ في جَذْرِ القلوبِ سَعيرُها[3]

تخشى شدائـدَهـا الشعوبُ فترعوي ... عن غَيِّهـا ويَهـزُّهـا تـأثيرُهـا

ثَلَّتْ عروشـاً قـد تَبَسَّـطَ آلُهــا ... في الخافقين وما استبيحَ سريرُها[4]

---

* **ولي الدين يكن** : (١٨٧٣ ـ ١٩٢١) شاعر وكاتب ، ولد بالآستانة ، وجيء بـه إلى القاهرة طفلاً ، فتوفي أبوه وعمره ست سنوات ، فكفله عمه علي حيدر باشا (ناظر المالية بمصر) فمال إلى الأدب وكتب في الصحف ، ثم سافر إلى الآستانـة ، وعيّن عضواً في مجلس المعارف الكبير ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيواس ، فبقي فيها إلى إعلان الدستور العثماني ، ثم انتقل إلى مصر ، وعاد إلى الكتابة فنشر كتبـه « المعلوم والمجهول » و « الصحائف السود » و « التجاريب » و « ديوان شعره » وكان يجيد التركية والفرنسية ، ويتكلم الإنكليزية واليونانية ، توفي بمصر (عن الأعلام للزركلي)

(١) خبا : خمدَ .

(٢) يريد دولة الآداب ، ويشير إلى منزلة الأدب في الأمم

ـ عميد القوم : سيدهم .

(٣) ألوى به : أهلكه .

ـ يدبّ : يسري .

(٤) ثلّ عرشَه : هدّم ملكه .

ـ تبسّط : انتشر .

ـ آل الرجل : أهله .

ـ الخافقان : المشرق والمغرب .

ـ استباح الشيءَ : جعله مباحاً .

ـ السرير : قد يُعبَّر بالسرير عن المُلك والنعمة (مختار الصحاح) .

هي دولـةُ الآدابِ عـزَّ جَنـابُهـا وسما على كَرِّ العُصـورِ نَصيرُهـا[٥]
ويـلٌ لمن يبغي الأذى لرجـالِهـا هيهـاتَ مـاتُبقي عليه نُسـورُهـا
هــذا وليُّ الـدّينِ من أمرائِهـا حَسُنَتْ به أيـامُهـا وشُهورُهـا
مـا انفكَّ مُعْتَلِقَ البيـانِ تُـذيبُـه غُرَرُ البيـانِ نَظيمُهـا ونَثيرُهـا[٦]
سـالتْ على أقـلامِـه نَفَحـاتُهـا فسرى إلى خَلَلِ الضُّلوعِ عبيرُهـا
يـاحـاويَ الآفـاقِ في آيـاتـه كيفَ احتوتْكَ رُموسُها وقبورُها[٧]
وَضَحَتْ لـكَ الظُّلُماتُ في أجوائِنـا فعلمتَ كيف تضيئُهـا وتُنيرهـا
بصحـائفِ بيضٍ تـلألأَ نـورُهـا
تجلـو الظـلامَ عن القلـوبِ سطـورُهـا[٨]
جرّبْتَ مختلِفَ الأمـورِ ولم يَغِبْ عن مقلتيْـكَ صغيرُهـا وكبيرُهـا
وبعثتَ في أبنـاءِ يعربَ رغبـةً في الرُّتبـةِ العَليـاءِ عـزَّ نظيرُهـا
مَنْ للشعوبِ يذودُ عن أكنافِها ؟ ضـاعتْ بهجرِكَ للبيـانِ أمورُهـا
مَنْ للملوكِ يَكُفُّ من غُلَوائِهـا ؟ بيراعـةٍ مـا يستقرُّ صَريرُهـا[٩]
وحُشـاشـةٍ ذابتْ لكثرةِ فكرِهـا إنَّ النفوسَ يُذيبُها تفكيرُهـا[١٠]
عَجَبي ومـا عَجَبي لغيرِ هـواجسٍ فترتْ فهاجَ قـذى العيونِ فتورُهـا

---

(٥) الجَناب : الفِناء ، وما قرب من محلة القوم .
(٦) اعتلقه : أحبّه وهَوِيَهُ .
ـ الغُرر : ج غُرَّة وهي من كل شيء ، أوله ومعظمه وطلعته .
ـ النظيم : المنظوم من الشعر . والنثير ضده .
(٧) الرموس : ج رَمْس وهو القبر مستوياً لا يعلو عن الأرض .
(٨) يشير إلى كتاب (الصحائف السود) لولي الدين وهو مقالات نشرت في جريدة المقطّم انتقد بها بعض مايقع في معترك الحياة ، كما قال هو في مقدمته .
(٩) اليراعة : القلم .
ـ الصرير : صوت القلم على الورق .
(١٠) الحُشاشة : بقية الروح في المريض أو الجريح .

عَطفاً وليَّ الدين إن قلوبَنا   خفاقةٌ ما يستبينَ حُبورُها
أَنِسَتْ بمشهدِكَ اللّحودُ ، وأقفرتْ   منكَ الربوعُ قُصورُها وخُدورُها
قَلِقَتْ لضَجْعَتِكَ الشآمُ فزُلزِلتْ   غيطانُها وسهولُها ووعورُها
منحتْكَ خالصةَ الصدورِ فليتَها
صانتْكَ عن طيِّ القبورِ صدورُها[11]
أرضُ العراقِ وماثلاتُ ديارِهِ   تبكي عليكَ بطونُها وظهورُها
ماجتْ لمصرعكَ الصدورُ وطالما   أودى بأعطافِ الصدور زفيرُها
هذي القبورُ وقد طوتْ أوضاحَهُ   عنا فلا يُصغي إليك أسيرُها[12]
أضحت حُشاشتُهُ رهينةَ تُرْبِها   ما ينجلي للناظرينَ مَصيرُها
لو كانَ دمعُ العينِ يَنْعَشُ روحَهُ   لجرى عليه من الدموعِ غزيرُها

٩ نيسان ١٩٢١

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٥٠) :

« ولم أهتد إلى حقيقة الرثاء وجوهره إلا لما رثيت وليّ الدين يكن سنة ١٩٢١ ، وقد اشترك في تأبينه طائفة من شعراء تلك الأيام ، في جملتهم الشاعر اللبناني قبلان الرياشي ، فقد كان ينشدني قبل الحفلة قصيدته في وليّ الدين ، فمن الإنصاف أن أعترف بأنه ألهمني نمطاً من الرثاء لم يخطر على بالى ، فقد كانت قصيدته في ولي الدين يكن نفسه ، لا في أي كاتب آخر أو شاعر من الناس ، وكانت قصيدتي جاهزة ، إلا أني لما سمعتُ قصيدة الرياشي طويت قصيدتي ، ولم أنشده إياها ، لأني سلكتُ مسلكاً ، وسلك آخر ، وعدتُ إلى داري ، وغيّرت من قصيدتي التي كنت قد أعددتُها ، فحذفتُ منها ماحذفت ، وأضفت إليها ماأضفت ، حتى تكون خاصة بولي الدين يكن ، وكنت من ذلك التاريخ لا أرثي شاعراً أو كاتباً دون أن أرجع إلى طائفة من آثار شعره أو كتابته ، حتى أقتبس عنها ما أضمّنه رثائي ، وحتى يكون هذا الرثاء خاصّاً بالمرثي لا بغيره ، وهذا بعض ما جاء في رثائي لولي الدين يكن : »

---

(١١) الخالصة : الإخلاص .
(١٢) الأوضاح : ج وَضَح وهو الضوء .

وأورد عشرة أبيات هي (١٠ ـ ١٩) ثم قال :

« ولم أكتف بالرثاء وحده ، وإنما كنت أغتنم الفرصة في كل حين حتى أشير إلى منزلة الأدب والشعر في الأمم ، وأول فرصة اغتنمتُها فرصة رثاء ولي الدين »

ثم أورد خمسة أبيات هي (٣ ـ ٧) ثم قال :

« ولست أدري ما الذي كان يُحملني على مثل هذه النزعة ؟ فكأني كنتُ أشعر بأن الأدب فوق كل سلطان ، فتدفعني نفسي إلى الإفصاح عن هذا الشعور ، وقد ازدادت هذه النزعة على الأيام ، فكنتُ أتغنى بمنزلة الشعر في قصائدي في أكثر الأحوال »

أمير البيـــــــــــان*

ألقيت في المجمع العلمي العربي

أميرَ البيـــــــان وربّ الغُرَرْ   بكتْ لهـدوئـــك آيُ السُّــوَرْ[١]
مشى وترامى إليـــك البيـــانُ   يبثُّـــكَ من أمرِهِ مـــاأسرّ
تغلغـلَ وحيُـــكَ في الغـوطتينِ   ودبٌّ إلى كل قلبٍ أثرْ[٢]
فلم تَفْجَـعِ النيـلَ من دوننـــا   ولكن فجعتَ بقـــايـــا مُضَرْ[٣]
ألم يكفنـا أن نُضيعَ الـدِّيـارَ ؟   فرُحنـــا نُضيـعُ رجـــالَ الفِكَرْ
حنـانَيْـكَ يــادهرُ جَـلَّ المُصـابُ   فهـــوِّنْ على الشرقِ بعضَ الغِيَرْ[٤]

☆ ☆ ☆

تطلّبتُ نعيَـــكَ للمعجـــزاتِ   فكابـدْتُ فيـــه فُضـوحَ الحَصَرْ[٥]
لقـد كنتَ تحنـو على البـائسينَ   تُكفكفُ من دمعِهمْ مـــــا هَمَرْ
فكم عَبْرةٍ في سبيـــلِ العـــزاءِ   تَفيضُ فتـــأســـو جراحَ البشرْ

☆ مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦ ـ ١٩٢٤) وُلد في منفلوط بمصر ، وتعلّم في الأزهر ، واتصل بالشيخ محمد عبده، ونشر في جريدة المؤيد مقالات أسبوعية تحت عنوان « النظرات » وله كتب « النظرات » و « العبرات » و « في سبيل التاج » و « الشاعر » و « مجدولين » و « مختارات المنفلوطي » وله شعر جيد ، ويُعَدُّ أول من رقّق النثر العربي في العصر الحديث ، وخلّصه مما علق به من الأدران في عصر الانحطاط .

(١) الغُرَر : ج غرّة ، وهي من كل شيء أكرمه وأفضله ، يريد اللفظ الجميل ، والمعنى النبيل .
ـ الآي : ج آية وهي من كتاب الله كلام متصل إلى انقطاعه .
(٢) الغوطة : مجتمع النبات ، والغوطتان تحدقان بدمشق شرقاً وغرباً .
(٣) مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان وهو كناية عن العرب .
(٤) حنانَيكَ : رحمَتَكَ ، وهو مفعول مطلق تقديره : تحَنَّنْ عليّ حناناً بعد حنان .
ـ غِيَر الدهر : أحداثه .
(٥) الحَصَر : العيّ في المنطق .

وكنتَ تصـــولُ على المَصْعِرينَ   خـــدوداً إلى أن تقيمَ الصَّعَرْ[٦]

فكم ثــورةٍ لرجـــالِ البيـــانِ   يقــومُ ويَقْعُــدُ منهـــا القَــدَرْ

يهــزُّ البيـــانُ عُروشَ الملــوكِ   إذاشبَّ منــــــه شتيتُ الشَّرَرْ

ويَهْـدي الشعـوبَ سـواءَ السبيـلِ   فيبصرُ منهـــــا حسيرُ البَصَرْ[٧]

إذا وردتْ مَـــوْرِدَ المُعْضـــلاتِ   درى الـواردونَ فِجـاجَ الصَّـدَرْ[٨]

☆ ☆ ☆

بكيتَ شبـــابَـــكَ في الأربعينَ   ولم تقضِ منــه نــزيرَ الـوَطَرْ[٩]

وودّعْتَ عُمْراً أطـــافت بـــه   أمـــــانٍ ترفُّ رفيفَ القمرْ

فلم تَشـــكُ فيـــه شَكاةَ المَلول   ولا خـامرَ القلبَ منــك الضَجَرْ

ومـــا كنتَ تخشى وثُـوبَ الرّدى   وإن كان لم يُبــقِ أو لم يَـــذَرْ

ولكنْ جَهلْتَ خفـــايـــا القبـورِ   فراعَ فــؤادَكَ منهـــــا الخَبَرْ

وعــزَّ عليـــكَ شَتـــاتُ البنينَ   ولم تستطـــعْ أن تضمَّ النَّشَرْ[١٠]

فــذاب جَنـــانُــك من حَسْرةٍ   عليهمْ فـــأخنى عليـــكَ الحَسَرْ[١١]

☆ ☆ ☆

---

(٦) أصعر خدّه : أماله تهاوناً وكبراً .

(٧) حسير البصر : ضعيفه وكليله .

(٨) الفجاج : ج فجّ وهو الطريق بين جبلين .

ـ الصَّدَر : الرجوع عن الماء ، والورود ضده .

(٩) الأربعون : عنوان مقال كتبه المرحوم في الجزء الثالث من النظرات لما بلغ الأربعين ، ودّع فيه عهد الشباب ، وكأنما كان يتنبأ بدنو أجله .

النزير : القليل التافه .

(١٠) النَّشَر : القوم المتفرقون يقال : « جاؤوا نَشَراً » أي : متفرقين .

(١١) الحَسَر : التلهّف .

ألا نظرةٌ منكَ توحي البيانَ إليّ فقد كنتَ صَدْقَ النظَرْ[١٢]
وكانَ كلامُكَ دُرَّ النُحورِ يموجُ فيَفْضَحُ سِرَّ الدُّرَرْ
تخيّرتَ منه رقيقَ النظامِ يَهُبُّ عليه نسيمُ السَّحَرْ
فصوَّرتَ أخلاقَ هذا الزّمان وأفصحتَ عما صفا أو كدرْ
فَرَوَّيتَ منا ظِماءَ العُقول كأنّ بيانَكَ صَوْبُ المطرْ[١٣]
تفنّنتَ في اللفظِ حتى غدتْ أفانينُ لفظِكَ وشيَ الحِبَرْ[١٤]
كسوتَ الفصاحةَ ديباجَها وجَدَّدْتَ من رَسْمِها ما دَثَرْ[١٥]
وكم كنتَ تسهرُ في صَقْلِها فما زلتَ حتى طواك السَّهَرْ
فأعيا جنانُك لما استقامَ وقرَّ لسانُكَ لما هَدَرْ[١٦]
وكنتَ تُناجي ضياءَ النجومِ فصِرْتَ تناجي ظَلامَ الحُفَرْ
وكان مقرُّك روضَ البيانِ فأين مقرُّكَ ؟ أينَ المَقرّ

☆ ☆ ☆

عليكَ السلامُ أميرَ الكلامِ يبلّغهُ النَّفْحُ نَفْحُ الزَّهَرْ

---

(١٢) صَدْق النظر : كامله .
(١٣) صوب المطر : نزوله وانصبابه .
(١٤) الفنّ : الضرب من الشيء أو النوع ، جمعه فنون ، وجمع الجمع أفانين .
ـ الحِبَر : ج حَبَرة وهي ضرب من بُرود اليمن .
(١٥) الرسم : ماكان لاصقاً بالأرض من آثار الديار
ـ دثر الرسمُ : بليَ وامّحى .
(١٦) أعيا : تعب وكلّ .
ـ قرّ في المكان : ثبت وسكن .

فما بعدَ موتِكَ إلا الحياةُ وما قولُنا الموت إلا هَذَرْ[17]

تَبَدَّلُ أشكالُ هذي الجُسومِ وتبقى العناصر شتّى الصُّوَرْ

٢٩ آب ١٩٢٤

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٥٢) بعد حديثه عن القصيدة السابقة (رثاء ولي الدين) :

« إذا كنت لم أقتبس عن ولي الدين يكن الشيء الكثير من أفكاره حتى أضمنه رثائي إياه ، فقد كان اقتباسي عن المنفلوطي أكثر ، فما قلته في تأبينه لا يمكن أن يقال في تأبين غيره ، ولا في وجه من الوجوه ، من ذلك هذه الأبيات ، وفيها إشارة إلى بعض أفكاره في نظراته »

ثم أورد سبعة أبيات هي (١٥ ـ ٢١)

وكتب في ص (٢٦) في معرض حديثه عن الشعر الوطني :

« أقام المجمع العلمي العربي بدمشق حفلة لتأبين المنفلوطي ، وذلك في صيف ١٩٢٤ وكلفني أن أهيئ قصيدة في هذا الباب ، ففعلت وجاء في القصيدة هذا البيت :

ألم يكفنا أن نضيع الديارَ فرحنا نُضيع رجال الفكَرْ

وقد أشارت بعض الصحف إلى هذه الحفلة ، ولكنها لم تشأ أن تشير من هذه القصيدة إلا إلى هذا البيت وحده ، وهذا يدلنا على مقدار الشعور الوطني في البلاد »

---

(١٧) الهذر : الهذيان .

(٤٣)

جرح الشبـــــــــــاب*

قيلت في رثاء أحمد كرد علي**

الشـامُ مـائجـةٌ بجرحِ شبـابهـا	هُـزَّ القريضَ ونـاجِهـا بمُصـابهـا[١]
ذهبتْ بشـاشتُهـا وكانت طَلْقَـةً	مثـلَ الربيـع على طرازِ تُرابهـا
خفـاقـةٌ ، والخطبُ مِلْءُ وهـادِهـا	جيـاشـةٌ ، والـدمعُ فـوق هِضـابهـا
مَضَضُ السنينَ على رسومِ ربـوعِهـا	وأسى الـدهورِ على فسيحِ رِحـابِهـا
فكأنمـا للـدهر في أفيـائِهـا	وِتْرٌ يـذلـلُ من رِقـاب صِعـابهـا[٢]

*كتب رحمه الله في ذيل هذه القصيدة « تصدر بمقدمة عن جريدة المقتبس : منزلتها وصاحبها الأول »

مجلة المقتبس : أصدرها مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق العلامة محمد كرد علي سنة ١٣٢٤ هـ حين كان في مصر ، ومجموعتها من أنفس ماتذخر به مكتبتنا العربية الحديثة في علوم اللغة والأدب والتاريخ ووصف المخطوطات في عواصم الشرق العربي ، وقد بلغت تسع مجلدات في (٦٥٠٠) صفحة ، صدر ثلاث منها في مصر ، وسائرها في دمشق .

وفي سنة ١٩٠٨ أصدر المقتبس اليومي وهو جريدة يومية صدرت في دمشق ، وكانت تكتب في الثقافة العامة والأدب والسياحة والشعر ، وتنشر مقالات في وصف المدن السورية ، ورسائل من الغرب ... وكان يعينه في إدارتها أخوه الأستاذ أحمد كرد علي (عن كتاب محمد كرد علي للدكتور سامي الدهان وكتاب خطط الشام ج ٦ لمحمد كرد علي)

** **أحمد كرد علي** (١٨٨٤ ـ ١٩٢٧) هو أبو بسام أحمد بن عبد الرزاق كرد علي ، ولد وتوفي بدمشق ، درس في معهد الحكمة في بيروت ، ثم في المدرسة الإنجيلية ، ثم انتسب إلى كلية الطب ، وتركها وهو في الصف الأول لأنه مال إلى الكتابة والصحافة ، ثم أعان أخاه العلامة محمد كرد علي في جريدة المقتبس ، ورأس تحريرها حتى توفي .

---

(١) القريض : الشعر .

(٢) الوِتْر : الثأر .

لكنَّ جِلَّقَ في ازدحامِ خُطوبِها جبارةٌ بكهولِها وشبابِها[٣]

لم تستنِمْ لأذًى ، فإنْ هاجتْ بها

دُهْمُ الخطوبِ أوتْ إلى أقطابِها ![٤]

عركتْ عروبتُها السنينَ فأقلقتْ عَبَثَ السنينَ بحدِّها ونابِها ![٥]

ظِلٌّ العروبةِ وارفٌ في جِلَّقٍ متمكنٌ في أرضِها وسَحابِها

☆ ☆ ☆

سَلِمَتْ دمشقُ فما تُزحزِحُ نكبةً إلاَّ وتنهضُ نكبةٌ لطِلابِها !

في كلِ يومِ للفواجعِ هبّةٌ

في وَشْيِ غوطتِها ؛ وظلِّ شِعابِها ![٦]

لله ذكرى ما تفارِقُ خاطري طواحةٌ بمضيضِها وعذابِها[٧]

هتف النعاةُ فلم أصدقْ نعيَهمْ والنفسُ تخلطُ صِدْقها بكِذابِها[٨]

حتى استبانَ ليَ الصباحُ فلم أجدْ تلك البشاشةَ في ثُغور صِحابِها

خاطبت أحمدَ ، والمسامعُ دونَهُ مصكوكةٌ لم تستمِعْ لخطابِها[٩]

فُجعتْ أميةُ في عميدِ شبابِها فبكتْ عليه بوحيِها وكتابِها[١٠]

---

(٣) جِلّق : باللام المشددة مكسورة أو مفتوحة ، دمشق .

(٤) دُهْم : ج أدهم وهو الأسود .

ـ الأقطاب : ج قطب وهو سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم .

(٥) الحدّ من السيف : مقطعه .

(٦) الشِّعاب : ج شِعب وهو ماانفرج بين جبلين .

(٧) مضّه الجرحُ مضيضاً : آلمه وأوجعه .

(٨) الكِذاب والكَذِب : مصدران لفعل (كذب) .

(٩) أحمد : هو المرثي أحمد كرد علي .

ـ صكَّ البابَ : أغلقه فهو مصكوك .

(١٠) أمية : يريد دمشق عاصمة الأمويين .

ـ عميد القوم : سيدهم .

أرأيتَ جِلّـقَ ـ والمـواكبُ فخمـةٌ ـ هـوجـاءَ لاتـدري سبيـل صـوابهـا

لبستْ من الأشجـان بُرْداً قـاتمـاً ومشتْ بنعشِـكَ تحت سودِ ثيـابهـا

حضنتْـك جلّقُ في طرائفِ وَشْيِها وسقتْـكَ غـوطتُهـا نميرَ شرابهـا[١١]

فمحضتَهـا وُدَّ القلـوبِ ولم تكنْ نَـزْرَ الهـوى في وُدِّهـا وحُبـابهـا[١٢]

لم أُلفِ وجهكَ في الحوادِث عابسـاً تلهو وتضحكُ في عنيف وِثابهـا[١٣]

لـكَ في عـواقِبهـا مُنىً معسولـةٌ ماكنتَ تيـأسُ في كثيفِ حجـابهـا

كنتَ الضنينَ بأنْ تفوتَـك لـذةٌ لم تشربِ اللألاءَ من أكـوابهـا[١٤]

فشهـدتَ لـذاتِ الحيـاةِ مُغلْغِـلاً

في ضيـق سـاحتِهـا ، ورَحْب وِعـابهـا[١٥]

فـوردتَهـا غضَّ الإهـاب مُمَتِّعـاً

عينيْ « أبيقـورٍ » بغضِّ إهـابهـا ![١٦]

وصدرتَ عن عذبِ الموارد بعدَ أنْ خضبتْكَ وافدةُ الردى بخضابهـا !

والعمر بعـد الأربعينَ مضاضـةٌ تطـأُ النفـوسُ بهـا أديمَ يبـابهـا

ذكرى الشبـابِ ووارفـاتُ ظلالـهِ فتـانـةٌ في جِـدِّهـا ودِعـابهـا

قلّبتَ طرفَـكَ في الحيـاة فلم تجـدْ إلا البشـاشـةَ في سـواد جنَـابهـا[١٧]

فهـزأتَ بـالأيـام لم تَحْفِـلْ بهـا وضحكتَ بين مجيئهـا وذهـابهـا

---

(١١) النير : الطيّب من الماء .

(١٢) النزر : القليل .

ـ الحُباب : بضم الحاء الحُب وبكسرها المحابّة .

(١٣) الوِثاب والوثْب مصدران لفعل (وثب) .

(١٤) اللألاء : الفرح التام .

(١٥) الوعاب : مواضع واسعة من الأرض .

(١٦) أبيقور (٣٤٢ ـ ٢٧٠) ق م فيلسوف يوناني فلسفته عملية : ينال الحكماء السعادة بفضل الملذات ولا سيما العقلية والروحية . ويرى الصداقة أهم اللذائذ العقلية .

(١٧) الـجَناب : الناحية .

وسَخِرتَ بالعمر المديد ولم تقلْ	هذي الحياةُ فَمُدَّ من أسبابها
سِيّانِ إنْ طالتْ وإن قصرتْ فلم	تخدعْكَ يوماً في رفيف سرابها[18]
حتى طوتكَ عن النواظر فَجْأةٌ	عمياءُ آزمةٌ على أنيابها[19]
جدّتْ وكنتَ بأمرها متهاوناً	أحسبتَ أن الجِدَّ من ألعابها ؟!

☆ ☆ ☆

بأبي النفوسَ الساكباتِ على الحِمى	صوبُ العقولِ يَفيض من ألبابها[20]
الرافعاتِ لواءَه بضيائها	الكاشفاتِ خطوبَهُ بشِهابها[21]
الذائباتِ جوًى على أوطانها	لم تستقرَّ من الجَوى بنصابها[22]
الناشراتِ من اليقين جَلابيباً	وَضَحُ اليقينِ يسيلُ من جلبابها[23]
الناسجاتِ من البيانِ مطارفاً	سِحْرُ البيان يذوب في آدابها[24]
وإذا الشعوبُ تنكّبتْ حَرَمَ الهُدى	فالوحْيُ مَهْبطُهُ على كتّابها
كم قوّمتْ عِوَجَ الشعوب يراعُهمْ	حتى استقامَ بسرِّها ولُبابها[25]

☆ ☆ ☆

---

(١٨) الرفيف : التلألؤ .

(١٩) أزم على الشيء : عض عليه .

(٢٠) أي : أفتدي بأبي النفوس ، فهي مفعول به لفعل محذوف .
- الصَوْب : الانصباب والعطاء على التشبيه بصوْب المطر .

(٢١) الشِهاب : شعلة نار ساطعة .

(٢٢) الجوى : شدة الوجد من العشق .

(٢٣) الوضَح : الضوء .
- الجلباب : الثوب الواسع .

(٢٤) المطارف : ج مُطْرَف ومِطْرفَ وهو رداء من خزّ له أعلام .

(٢٥) اليراع : ج يراعة وهي القلم .

وصحيفـةٍ مـلأتْ ديـارَ أميـةٍ　　نـوراً تطـوف بـه على طُـلابهـا[٢٦]
حملتْ لـواءَ بني أميـةَ في الحمى　　وتـدفقتْ في مـوجِها وعُبـابهـا[٢٧]
نشأ الشبـابُ على ضيـاء سطورِها　　فهـداهمُ من مجِّهـا ولُعـابهـا[٢٨]
نذروا لروحِ عميـدها محضَ الهوى　　فنفـوسُهمْ وهـاجـةٌ بلُهـابهـا[٢٩]
فاهدأ « أبا البسام » فالجرحُ الـذي　　أدماك أدمى الشامَ في أحسابها[٣٠]

١١ أيلول ١٩٢٧

كتب في كتـابـه « أنـا والشعر » ص (٢٧) في معرض حـديثـه عن الشعر الـوطني مايلي :

« ولما توفي أحمد كرد علي شقيق الأستاذ محمد كرد علي ، وكان من رجـال الصحـافـة ، رثيته بقصيدة ذكرتُ فيها دمشق وجهاد دمشق . »

ثم أورد ستة أبيات هي (٤ ـ ٩)

وكتب في ص (٥٢) :

« كنتُ أسعى في استكمـال لـوازم الرثـاء في شعري ، ولقـد ملتُ في بعض المراثي إلى صور لا يألفها فريق من الناس ، لأنها تفصح عن طرز خاص من الحياة ، إلا أني لم أجد بأساً بهذه الصور إذا كانت صادقـة ، فهي لا تحـطّ من قـدرٍ مـا ، إنمـا تصوّر الرجل المرثي في بعض حياتـه الواقعـة التي كنـا نعرفهـا ونشهـدهـا كلّ يوم ، وأي نقيصـة في ذلـك ؟ من هـذا النوع رثائي لأحمد كرد علي صاحب جريدة المقتبس »

---

(٢٦) يريد صحيفة المقتبس .
(٢٧) عُباب البحر : موجه .
(٢٨) مجّ الشيءَ من فمه مجّاً : رمى به .
(٢٩) اللُهاب واللّهيب مصدران لفعل (لهب) .
(٣٠) أبو البسام : كنية المرثي .
ـ الأحساب : ج حسب وهو شرف الأصل ، وما يُعدّ من مفاخر الآباء .

ثم أورد سبعة أبيات هي (٢١ ـ ٢٧)

وكتب في ص (٩٧) حول هذا البيت :

فشهـــدتّ لـــذات الحيـــاة مغلغــلاً في ضيـق ســاحتهـا ورحب وعــابهــا

مايلي :

« ومن الغريب أني كنت أراجع هذه القصيدة في خلال كتابتي لهـذه الفصول . فمررت على هذه القافية « وعابها » وقد نسيت معناها ، فاضطررت إلى البحث عن هذا المعنى في المعجم ، حتى علمت أن معناها « مواضع واسعة من الأرض » وهذا أمر لا أقع في مثله اليوم ، فقد دلّتني التجارب الأدبية على أن السهولة هي رأس البلاغة ... »



جبـــــــــار مصر*

نَمْ في ظــلالِ الخـــالــدينْ   جبّـــــارَ مصرَ على السنينْ
في جــــانب الحِرْزِ الحريـ   ـــزِ وفي حمى الحِصْنِ الحَصينْ[1]
في اللبِّ من حَرَم القلـــو   بِ وفي الصميم من العيـــونْ
في حفْـــظِ جبـــارِ السما   ءِ وحُرْمـــةِ الرّوحِ الأمينْ[2]
العبقريـــــــــةُ عن شِما   لــك والخلـــودُ عن اليمينْ
يـــامُرْســلَ السّحرِ الحــلا   لِ يـــذوب في القــول الرّصينْ
ومُـــدبّـــجَ الخُطَبِ الطّـــوا   لِ تفيضُ من وَضَـــحِ اليقينْ[3]

---

* سعد زغلول : (١٨٥٧ ـ ١٩٢٧) م

هو سعد بن إبراهيم زغلول ، ولد بقرية « إبيانة » وتوفي بالقاهرة ، تعلم في الأزهر ، واتصل بجمال الدين الأفغاني ، اشترك في الثورة العرابية سنة ١٨٨١ ، ثم نال إجازة الحقوق ، ومارس المحاماة ، وتولى وزارة المعارف فالحقّانية ، فوكالة رئاسة الجمعية التشريعية . انتُخب سنة ١٩١٩ رئيساً للوفد المصري للمطالبة بالاستقلال ، فنفاه الإنكليز إلى مالطة ثم إلى سيشل . تولى رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩٢٤ ثم رئاسة مجلس النواب سنة ١٩٢٥ ، وانفرد بقيادة الحركة الوطنية بين ١٩١٩ و ١٩٢٧ فكان لسان مصر وقبلة أنظارها ، وأفصح خطبائها .

خالفه بعض أنصاره ، وعارضه آخرون فما ازداد إلا مضاءً ، وهو أول مصري أسمع الغرب صوت العروبة ، فقال مهدداً الإنكليز : « إن مصر تملك زراً كهربائياً إذا ضغطته لبّتها بلاد العرب جميعاً »

(عن الأعلام للزركلي)

(١) الحِرْز : الموضع الحصين ، ويقال : « حرز حريز » أي : حصن حصين منيع .
(٢) الجبار : من صفاته تعالى .
ـ الروح الأمين : جبريل .
(٣) الوضَح : الضوء .

في ثـــــورةِ البحرِ الخضـ ـ مٌّ وزأرِ ضِرغـــامِ العرينْ[(٤)]
الكَهْربـــاءُ إلى الجنَـــا ن دبيبُهـــا وإلى الـــوَتينْ[(٥)]
تلهـو بـــألبـــابِ الـــورى لَهْـــوَ النسيم على الغصـــونْ
فـــإذا أشرتَ إلى المنـــو نِ تفيّـــؤوا ظـــلَّ المنـــونْ
وإذا دعـــوتَ إلى السكـــو نِ مَشَـوْا إلى هـــدفِ السكـونْ
إيمـــاءةٌ تَرمي رجـــا لَـكَ بـالسهـولِ وبـالحُـزونْ[(٦)]
يستقبلـــونَ حُتـــوفَهمْ متهلّلينَ وبـــــاسمينْ
حتى يروْا سَعْـــــداً طليـ قَ الـوجـــهِ وضّـــاحَ الجبينْ
يـــاسعـــدُ كلٌّ في الكِنـــا نـــةِ بـاسِمـكَ الأعلى يَـدينْ
عقـــدوا القلـوبَ على هـــوا كَ مُـــدَلَّهينَ مـــولَّهينْ[(٧)]
قَتَـــلَ الحنينُ نفـــوسهمْ والنفسُ يقتلُهـــا الحنينْ
يترقبـــــون على السبيـ ــلِ رئيسهمْ متهللينْ
فـــإذا طلعت سَعَـــوْا إليـ ـكَ مُـزاحمينَ مُـدافعينْ
واذا نُفيتَ عن المرا بـعِ ثـارَ « بـالبيت » الأنينْ[(٨)]
يـــاسعـــدُ والـــدمعُ الهتـو نُ يموج بـالـدمعِ الهتـونْ[(٩)]
« البيتُ » بعـــدَكَ هـــائـجٌ بـــالأمهـــاتِ وبـــالبنينْ

---

(٤) الصرغام : الأسد .
ـ العرين : مأوى الأسد .
(٥) الجنان : القلب .
ـ الوتين : عرق في القلب يجري منه الدم إلى العروق كلها .
(٦) الحُزون : ج حزْن وهو ما غلُظ من الأرض .
(٧) المُدلَّه : الذاهب العقل منِ عشق ونحوه .
ـ المولَّه : المتحيّر من شدة الوجد .
(٨) البيت : إشارة إلى دار سعد زغلول التي سميت (بيت الأمة) .
(٩) الهتون : المنصبّ .

بـــالنـــاهضـــاتِ من المِــلا حِ وبـــالشبـــابِ النـــاهضينْ
بـــالــــذاكراتِ جهـــادَ سعـ ـــدِ في الحمى والــــذاكرينْ
بـــالحـــافظـــات عهــودَه ريـــانـــةً والحـــافظينْ
بـــالمُخلِصـــاتِ لروحـــــه مَضَضَ الهــــوى والمخلصينْ[10]
بـــالحـــائراتِ الــــذائبـــا تِ من الأسى والــــذائبينْ
زحفـــــوا إلى النعش الكريـ ـمِ مُتَـــــــوِّهينَ مُضلَّلينْ
يتزاحمـــــــونَ على ضريـ حــكَ راكعينَ وســـاجـــدينْ
قُـــدْسُ النصـــارى تُربُـــهُ أو كعبـــــــــةٌ للمسلمينْ
يـــاواردينَ على الـــدفيـ ـنِ وصـــادرينَ عن الـــدفينْ[11]
بـــالنرجِسِ الريّـــانِ والرَّ ـ يْحـــانِ أو بـــاليـــاسمينْ
حَيّـــوا الضريـــحَ على اسم جلَّـ ـقَ هـــادئينَ وخـــاشعينْ[12]
تلكُمْ أميـــــــةُ في دمشـ ـقَ تَحـــارُ في الجُرحِ السخينْ
نبـــأ على الفيحـــاءِ هـــا جَ كهـولهـــا والنـــاشئينْ[13]
سَلِمَتْ دمشـــقُ فلم تـــزلْ نَهْبَ الكـــوارثِ والشُّجـــونْ[14]
إن كفكفت مـــاءَ الجُفـــو نِ جرى بهـــا مـــاءُ الجفـــونْ
أثرُ الفـــواجـــعِ لايـــزا لُ على المنـــازلِ والـــوكـــونِ[15]

---

(١٠) المضض : الوجع والألم .
(١١) وَرَد الماءَ : أتى إليه ، خلاف (صَدَر عنه) .
(١٢) جلّق : باللام المشدّدة المفتوحة أو المكسورة (دمشق) .
(١٣) الفيحاء : لقب دمشق .
(١٤) النَّهب : الغنية وكل ماانتهب .
ـ الشجون : ج شَجَن وهو الهم أو الحزن .
(١٥) الوكون : ج وَكن وهو عش الطائر .

لكنّهــا يــاسعــدُ قــد ذَهَلتْ عن الألمِ الكمينْ[16]
وتــذكّرت ألمــاً بــوا دي النيــلِ هــزّ العــالمينْ
يــاصــورة الــوطنِ الكريـ ـم ورمـزَ مَعْقلـه المَصـونْ[17]
في ذمــةِ الأحقــابِ مــا خلّــدْتَ في وجــهِ القرونْ
طــالبت بــالحــق المُبيـ ـنِ ففـزت بـالحـق المبينْ
في همــة الحــدثِ الغضيـ ـضِ وروعـة الشيـخ الرّزينْ[18]
يــاسعــدُ نجّيتَ الــديــا رَ من الـزّحـوف الغـاصبينْ
طَمَحــوا إلى العِلْــقِ المصــو نِ فغُلْت أيــدي الطــامحينِ[19]
فلمْتَ من شَعَثِ الهـــوى حتى انجلَتْ ظُلَمُ الظّنــونْ
ونهضتَ للخَصمِ الألـــدّ ـ تَكيـــدُ للمستعمرينْ
فبعثتهـــا عميـــاءَ تسـ ـخَرُ بـالقـلاعِ وبـالحصـونْ
النـاشئــونَ وَقــودُهــا يــومَ الــوغى والطـاعنونْ
نهضــواوبــاسم النيـــل نهـ ـضتُهمْ إلى حربٍ زَبــونْ[20]
لم يشهـــدِ الهَرَمُ الجليـ ـلُ كِفـاءَهـا في الأقـدمينْ[21]
لاخيرَ في شعبٍ يُســـا قُ إلى الأذى سَـوْقَ الضّئينِ[22]

---

(١٦) ذَهَل عنه : نسيه وغفل عنه .
(١٧) المعقِل : الملجأ .
(١٨) الحَدَث : الشاب .
ـ الغضيض : الطريّ .
(١٩) العِلْق : النفيس من كل شيء لتعلّق القلب به .
ـ غاله يغوله : أهلكه .
(٢٠) الحرب الزّبون : الشديدة .
(٢١) الكِفاء : المثل والنظير .
(٢٢) الضئين : ج ضأن .

من هـــانَ في طلب الحقــو … قِ قضى بغصّـــاتِ المَهينْ[٢٣]
عــاشتْ لنـــا مِصرٌ وعــا … شَ رجـــالُ مِصْرَ الأكرمـــونْ
النــاهضـــون على شَبــا … بِ الـــدهرِ بـــالكنزِ الثمينْ
بـــالــوارفــاتِ ظِــلالُــهُ … للـــواردين الصـــادرينْ
وَطَنٌ بنـــــــاه كلٌّ تِرْ … بِ للمحـــامــدِ أو خـــدينْ[٢٤]
إنْ سِيمَ خطـــةَ عـــاسفٍ … لايستضـــــامُ ولايلينْ
فـــاهــدأ أبـــا الأحرار فهْـ … ــو مـــوُطَّـــدٌ لايستكينْ
مصرٌ تسيرُ على لـــــوا … ئــكَ في كفـــاحِ الغـــاشمينْ
نمْ مطمئنَّ البـــالِ فـــالْـ … أخــلاقُ مَفْــزَعُهـــا المكينْ[٢٥]
ملتفَّـــــةُ الأهــــواء لم … تعبـــأ بنزغ النـــازغينْ[٢٦]
مرصـــوصـــةُ البنيـــانِ لا … تخشى هجـــومَ الهـــاجمينْ
دَرَجَتْ على سَنَنِ الهـــدى … للـــه في مصرٍ شـــؤونْ[٢٧]
تمشي بسيرتـــــكَ المضيـ … ـئـةِ في دُجُنَّـاتِ الــدُّجونْ[٢٨]
فكأنّ رسَمـــكَ مـــاثـــلٌ … بضيـــائـــه في المـــاثلينْ
وكأنَّ وحيَـــكَ لايـــزا … لُ هـــدًى لقلب المهتـــدينْ

---

(٢٣) المَهين : الحقير .
(٢٤) التِّربْ : من وُلد معك .
(٢٥) المَفزَع : الملجأ .
(٢٦) نزغه : طعنه بيد أو رمح ، أو طعن فيه واغتابه .
(٢٧) السَّنَن : الطريقة .
(٢٨) الدُّجُنَّة : الظلمة ، والغيم المطبّق المظلم .
ـ الدُّجون : ج دَجْن وهو الغيم المطبّق المظلم أو المطر الكثير

فهْــو الضمينُ بـــأن يَعِــزَّ ـ لـــواؤهم فَهْـــوَ الضمينْ[٢٩]

☆ ☆ ☆

يـــا أمَّ مصرٍ والنـــدا ءُ نـــداءُ ملهــوفٍ حــزين[٣٠]
عـــزّ العـــزاءُ فلستُ أعـ ـلمُ مـــاأقــولُ ومـــا أبينْ[٣١]
جرَتِ القــوافي بـــالــدُّمــو عِ فمـــا يجفُّ لهـــا مَعينْ[٣٢]
كادَ القريضُ إذا ترقـ ـرقَ أن يسيــلَ مــع الشــؤونْ[٣٣]
فمن الـــدمــوعِ قصـــائـــدي هيَّـــأتُهـــا لـــلأربعينْ
صبراً فهـــاكِ لـــواءَ مصـ ـرَ فــإن جَـزِعْتِ فــلاتَ حينْ[٣٤]
نـــاجتـــكِ مصرٌ فـــانهضي بلـــوائهـــا النَّهْضَ القَمينْ
حـــاشـــا لعــزمـــك أن يخــو رَ مَعـــاذَ صبركِ أن يخــونْ[٣٥]

---

(٢٩) عزَّ يعزّ : صار عزيزاً
(٣٠) أم مصر : إشارة إلى السيدة صفية هانم زوجة سعد زغلول باشا .
(٣١) عزّ الشيءُ : صَعُب فكاد لا يُقوى عليه .
ـ أبان الشيءَ : أوضحه .
(٣٢) المَعين : الماء الجاري .
(٣٣) الشؤون : ج شأن وهو العرق الذي تجري منه الدموع ، يقال : (فـاضت شؤونـه) أي : عروق دموعه .
(٣٤) هاكِ : اسم فعل أمر بمعنى خذي ، والخطاب لزوجة سعد
ـ لات حين : أي : ليس الحينُ حينَ جَزَع .
(٣٥) حاشا : تكون للتنزيه دون الاستثناء ، فيجر مابعدها باللام « حاشا له »
ـ معاذَ صبرِك : منصوب على أنه مفعول مطلق والمعنى : أعوذ بصبركِ

أصَفيَّـــــــةٌ والنيـــــــلُ فيـ ـ اضّ بخطبِ مـــــــايهــــون[٣٦]
لم يقضِ سعــــــــدٌ نحبَـــــهُ لكنَّـــــهُ في الخـــــالــــدينْ

٣٠ أيلول ١٩٢٧

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٥٣) :

« رثيت زعيم مصر سعد زغلول ، وذلك في ٣٠ أيلول ١٩٢٧ ، إن الذين كُتب لهم أن يعيشوا في تلك الأيام ، وأن يسمعوا بسعد زغلول ، وبمبلغ مدى زعامته في مصر ، يستطيعون أن يقدروا هذه الزعامة حق قدرها ، كان صورة مصر ، صورة آمالها وأفراحها وأحزانها . كان جبّار مصر غير مدافع ، وأظن أن هذا اللقب وحده يدلّنا على علوّ منزلته ، وعلى مبلغ هذا العلّو ، فليس من الهيّن أن يرثي الشاعر رجلاً مثل سعد زغلول ، وما ذلك لضيق آفاق الرثاء ، وإنما لصعوبةٍ ناشئة عن سعة هذه الآفاق ، فلا يعرف الشاعر أية ناحية من نواحي سعد يُشبع الكلام عليها ، لأن كل نواحيه كانت جليلة ، إني أتخطّى النواحي كلّها التي أشرت إليها في رثائي ، وأقف على ناحية واحدة لعلها أبرز نواحيه ، وهي ناحية الزعامة المطلقة التي لا تُنازَع ، وناحية الخطابة التي تستلزمها كل زعامة » .

ثم أورد (١٦) بيتاً هي (٦ ـ ٢١) .

---

(٣٦) صفيّة : زوجة سعد زغلول باشا .

الـــــــوطن اللهيف

قيلت في رثاء فوزي الغزي★

لَبستْ دمشـــــقُ من الخُطـــوب بُرودا
ومشتْ على هـــامِ الخُطـــوب وئيـــدا[1]

مـــدَّتْ عليهـــا من هَشيمِ شَبـــابهـــا
ظـلاً على حَرَمِ الـــديـــارِ مَـــديـــدا[2]

وطنٌ كأنَّ عليـــــه من أشـــلائـــــه
درّاً على تـــــاج الحمى منضــــــودا

ألقى إلى ســـود المنـــايـــا رَبْعَـــهُ
فتقحّمـــوا فيـــه المنـــايـــا الســودا

من كلِّ مهشـــــومٍ على طَرَفِ القنـــــا
أو كلِّ محصـــودٍ يَلُـــزُّ حَصيـــــدا[3]

مـــلأتْ مهـــودُهُمُ الربـــوعَ مَكارمـــاً
واليـــومَ قـــد ملـــؤوا الغَراءَ لُحـــودا

★ **فوزي الغزي : (١٨٩١ ـ ١٩٢٩) م .**

هو فوزي بن إسماعيل بن رضا الغزي ، ولد.وتوفي بدمشق . وتخرّج في المدرسة الملكية في الآستانة ، مارس المحاماة ، وعُيِّن أستاذاً لحقوق الدول العامة في معهد الحقوق بدمشق سنة ١٩٢١ ، وانتُخب رئيساً ثانياً للجمعية التأسيسية سنة ١٩٢٨ ، وكان أحد أعضاء لجنة الدستور المؤلفة منه ومن إبراهيم هنانو وهاشم الأتاسي ؛ سجنه الفرنسيون مرتين ، ومات مسموماً بيد غادرة ، له كتاب « حقوق الدول العامة » في جزأين .

(١) البُرود : ج بُرْد وهو الثوب المخطط .

(٢) هشم الشيءَ : كسره فهو مهشوم وهشيم ، يريد الشهداء .

(٣) لزّه يلُزّه : شدّه .

ـ حصد الزرعَ : قطعه فهو حصيد ، يريد المجاهدين الذين تحصدهم المنايا .

تلـــك الجمـــاجمُ والغـــلاصمُ واللَّهـــا
صرْحٌ يظـــــلّ ممَّرداً مشـــــــدودا[٤]
بَسَطـــوا بحَـــدِّ سيـــوفهمْ أفيـــاءهُ
لم تُلفِ ركنَ بنـــائـــه مهـــدودا
رفـعَ الشُّعـوبُ على الحـــديـــدِ قـــلاعَهم
ودمشـــقُ ترفـع بـــالرُّفـــاتِ حـــديـــدا[٥]
صمـــدتْ لريْبِ الـــدهرِ مـلءَ رجـــالِهـــا
لم ترهبِ التهـــويـــلَ والتهـــديـــدا[٦]
صُحُفٌ بـــأحمرَ قـــانئٍ مكتـــوبـــةٌ
ضَمِنَ الـــزمـــانُ لأهلهـــا التخليـــدا
طلعتْ علينـــا في رفيفِ سُطـــورهـــا
لاتعرفُ التلبيسَ والتعقيـــــدا[٧]
فعلى شبـــابِ الـــدهرِ من حَسَنـــاتِهـــا
أثرٌ يَظـــلُّ على السنينَ حميـــدا
عِظَـــةُ الشعـــوبِ على ظـــلالِ لحـــودهمْ
دَرَجتْ مـــع الصبـــحِ المُبينِ عَمـــودا
تلـــك القبـــورُ على التـــواءِ بيـــانِهـــا
لأجـــلُّ من هـــذا النشيـــدِ نشيـــدا

(٤) الغلاصم : ج غَلْصَمة وهي اللحم بين الرأس والعنق .
ـ اللُّها : ج لَهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .
ـ صرح ممرَّد : قصر مطوَّل مملَّس .
(٥) الرُّفات : الحطام ، وكل ما تكسَّر وبلي ، يقصد عظام المجاهدين .
(٦) ريب الدهر : صَرْفه .
(٧) الرفيف : التلألؤ واللمعان .
ـ التلبيس : ستر الحقيقة وإظهارها بخلاف ما هي عليه .

ذكرى الـــــدَّفينِ وإنْ تقـــادَمَ عهـــدُهُ
تُحيي الـــــدفينَ وتَبعثُ المَـــــؤءودا
طـــوتِ الليـــالي في دمشـــق أميـــةً
والعهـــدُ منهم مـــا يـــزالُ جـــديـــدا
فكأنمـــا « مروانُ » في جَنَبـــاتِنـــا
يَعِـــدُ الـــوعـــودَ ويُنْجـــزُ المـــوعـــودا[8]
تلـــكَ العهـــودُ فـــلا تـــزالُ وكيـــدةً
والشـــامُ تَحفَـــظُ عهـــدَهـــا المـــوكـــودا[9]
إن تَخْفُتِ الأصـــواتُ مـــاجتْ بعـــدَهـــا
ذكرى تَبُـــلُّ عـــوارضـــاً وخُـــدودا[10]
ذكرى الأضـــاحي إن سمعتَ عجيجَهـــا
جـــاب العجيـــجُ تهـــائمـــاً ونُجـــودا[11]

☆ ☆ ☆

نـــدبتْـــكَ جلَّـــقُ للعـــزاء فلبِّهـــا
وانظِمْ من الجَفنِ النـــديِّ قصيـــدا
فمِنَ البيـــانِ مـــدامـــعٌ لـــو أنّهـــا
نطقتْ لكانت لـــؤلـــؤاً وفَريـــدا[12]

---

(٨) مروان بن الحكم : الخليفة الأموي الرابع ، وإليه تنسب الدولة المروانية .
(٩) الوكيدة : الوثيقة الثابتة .
(١٠) خَفَتَ الصوتُ يخْفُتُ : سَكَن .
ـ العوارض : ج عارضة وهي صفحة الخدّ .
(١١) عجّ عجيجاً : صاح ورفع صوته .
ـ التهائم : الأراضي الهابطة إلى البحر ، وتكون منخفضة ، وتقابلها النُجود ج نَجْد .
(١٢) الفريد : الدّر إذا نُظم وفُصِّل بغيره :

خَطْبٌ على الــــوطنِ الأغرّ حَسِبتُـــــهُ
حُلْماً على الليــــل البهيم بعيــــدا
تلــك المــواكبُ قــد شهــدتْ هــزيـزَهــا
نشـــأتْ على حَــوْضِ الربــوع جُنــودا[١٣]
نظمَ الأسى أشتـــاتهَـــا فتــأَلَّفتْ
في النَّيْرَبينِ قـــلائـــــداً وعُقـــودا[١٤]
هــزَّ المُصــابُ كهـولَهــا وشَبـابَهــا
وأمضَّ منهــا النــاعمــاتِ الغيـــدا
فُجعتْ بريــــان الشَّبـــاب مئيــدِهِ
خَلَستْ ليــاليــه الشبــابَ مَئيــدا[١٥]
إنَّ الـــذي مــلأَ المرابــعَ شغْلــةً
مــلأتْ فجيعتُـــهُ الربــوعَ خُمــودا
هـــدأت فُتــوَّتُــهُ النضيرةُ وانطــوى
ذاكَ الشبــابُ مُبَرَّحـــاً مكـــدودا[١٦]
وإذا الشبـــابُ طرحْتَ عنـــك رداءَهُ
لم تُلْفِ بـــاقي عـــودِهِ أملـــودا[١٧]
ليتَ المُهــودَ ومــا تراخى ظلُّهــا
بقيتْ على طـــول السِّنينَ مهُــــودا

---

(١٣) الهزيز : ترددّ صوت الرعد أو دويّ الريح .

(١٤) النَّيْرَب : قرية بدمشق وسط البساتين ، ذكرها وجيه الدولة بن حمدان في شعر لـه ، وسماها « النيربين » (عن معجم البلدان) .

(١٥) المئيد : الناعم .

(١٦) برّح به الأمر : أتعبه وآذاه أذىً شديداً .
ـ المكدود : المتعب والمغلوب .

(١٧) الأملود : الناعم الليّن .

هــلا عطفتَ « أبــا دلالِ » عَطْفَــةً
مــا ضرَّ لــو تَلــوي إلينــا الجيــدا[18]
لم تَشْهَــدِ الفيحــاءُ في آلامهــا
يــومــاً كيــومِــكَ حــافـلاً مشهــودا
زحفَتْ وراءَ النعش مــائجــةَ الأسى
يتلــو وفــودٌ في الــزِّحــام وُفــودا
من كلِّ نــاحيــةٍ حشُــودٌ زَحْــزَحتْ
في ظــلِّ معبــودِ القلــوبِ حشُــودا
حســدوا النَّعيَّ على جــلالــةِ نعشِــهِ
لله نعشٌ لم يــزلْ مَحســودا[19]
تلــك البنــودُ ولم تشــاهــدْ خفقَهــا
طُــويَتْ فكانتْ للسريرِ بُنــودا[20]
لفّــوا بهــا النعشَ اللهيفَ وليتهمْ
لفّــوا بخــافِقِهــا الحمى المخضــودا[21]
لله أيــدٍ في الــذُّعــافِ غميســةٌ
نقضتْ عليــك مــواثقــاً وعهــودا[22]

---

(١٨) دلال : بنت الفقيد فوزي الغزي .
ـ لوى الجيدَ يَلْويه : ثناه وعطفه .
(١٩) النّعي : المَنْعيّ .
(٢٠) البنود : ج بَنْد وهو العلم الكبير ، يشير إلى العلم السوري الذي ورد وصفُه في الدستور ، وقد لُفَّ به المرحوم قبل أن يخفق في السماء .
(٢١) اللهيف : الحزين .
ـ المخضود : المتوجّع ، وخَضَدُ البدنِ : توجُّعهُ مع كسل .
(٢٢) الموت الذّعاف : السريع .

عَظُمتْ جنـــايتُهــا وجـلَّ خِـداعُهــا
فتمثّلتْ فرعــــــــونَ أو نُمرودا[٢٣]
إني ليُعجِـــزُني البيـــانُ لهــولِهــا
هيهــاتَ مــا أجِــدُ البيــانَ عتيــدا[٢٤]
مَكرَتْ وكان الـمَكْرُ منهــا شيمـــةً
من عهــدِ عـــادٍ غـــدرُهـــا وثمــودا
أحبـولـــةُ الشيطـــانِ مــا بليتْ ومــا
فتئَ الختـــالُ يَـزيــدُهـــا تــأييــدا
حَرَمــوا الربــوعَ العبقريـــةَ غضـــةً
فقضيتَ بـــالسُّمِّ الـــدّسيسِ شهيـــدا
الأربعـــون ومـــا طـــويتَ ظـــلالَهـــا
أترعْتَ نـــاعَمهـــا صِبـــاً مجهـــودا[٢٥]
حمّلتَهـــا جهــــدَ السنينَ فغـــادرتْ
قلبـــاً على جهــــدِ السنينَ فريـــدا
فـــلأتَهـــا محمـــودَ سَعْيِـــكَ في الحمى
والـــدهرُ يُكرمُ سعيَــــك المحمـــودا
جـــاهرتَ بـــالحـــقِّ المُبينِ ولم تكنْ
يـــومـــاً عن الحــقِّ المُبين عَنيـــدا
قَلِـقَ الـــديـــارِ مُشَرّداً عن فيئِهـــا
ومن الكرامـــة أن تكـــونَ شريـــدا[٢٦]

---

(٢٣) نُمرود : اسم ملك جبّار من ملوك الكلدانيين .

(٢٤) العتيد : الحاضرّ المهيّأ .

(٢٥) إشارة إلى أنه لم يبلغ الأربعين سنة .

(٢٦) الفيء : الغنيمة .

البيـــــــدُ أطيبُ منزلاً من تربـــــــةٍ
مهضـومـــةٍ بِفـــاطْـوِ الفــلا والبيـــدا
شغلتْـــكَ شـــاغلـــةُ الرُّبـوعِ فخضتَهـــا
لم تخشَ فيهـــا ريبـــــةً ووعيــــدا
فسَنَنْتَ للـــوطنِ الكريم « شَريعـــــةً »
تُنْجي الأسيرَ وتُطلِــــقُ المصفـــودا[27]
ليتَ الجنـــايـــةَ لم تُعْجِّـلْ كيـــدَهـــا
حتى ترى « الـــدستـورَ » والتعييـــدا[28]
ألقيتَ في روعِ الشبـــابِ عقيـــدةً
أغرتْ بنـــاصيـــةِ الردى الرِّعـــديـــدا
هيـــأتَهمْ في الغـــوطتينِ معـــاقـــلاً
تركـوا سبيـلَ زِحـــامهـــا مســدودا
إيمـــانهم مِـــلءُ القلـــوبِ ودينُهم
أن يجعلـــوا حَرَمَ الحِمى معبـــودا
وَلَّـــوْا هـــواهمْ شطرَهُ وتفيّـــؤوا
ظـــلَّ المَرابـــعِ ركَّعـــاً وسُجـــودا
وطنٌ نمـــاه الصّيـــدُ من فتيـــانِـــهِ
فنَمتْ أبـــاطحُـــهُ غطـــارفَ صيـــدا[29]

(٢٧) الشريعة : إشارة إلى الدستور الذي وضعه .
ـ المصفود : الموثَق المقيَّد .
(٢٨) عيّد تعييداً : شهد العيد ، يريد العيد في نشر الدستور .
(٢٩) الغطارف : ج غطريف وهو السيد الجريء .
ـ الصيد : ج أصْيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً .

بدمي وروحي الناهضين على الحمى
الطالعينَ على العرينِ أسودا[٣٠]
الزاحفينَ إلى القيودِ وملؤُهمْ
عزمٌ يَحُلُّ سلاسلاً وقُيودا

المخلصينَ لربعهمْ مَضَضَ الهوى
النازعين سخائماً وحُقودا[٣٢]
طمحوا إلى استقلالِهمْ بدمائهمْ
لم يألفوا التذليلَ والتقييدا
لما رأوْا بابَ الكرامةِ مُغلقاً
جعلوا السيوفَ لبابها إقليدا[٣٣]
أبتِ المكارمُ أن تُذِلَّ رقابَهمْ
وأبتْ أميةُ أن تكونَ عبيدا
ما رابنَي إلا شَتاتُ قلوبِهمْ
فمتى أرى التأليفَ والتوحيدا ؟
إن يجمعوا الشملَ المُفَرّقَ بينهمْ
ردّوا إليهم طارفاً وتليدا[٣٤]

---

(٣٠) أي أفتدي بدمي الناهضين ، فهي مفعول به لفعل محذوف .
(٣١) قلقل الشيءَ : حرّكه .
ـ الصيخود : الشديد الحرّ .
(٣٢) السخائم : ج سخيمة وهي الضغينة .
(٣٣) الإقليد : المفتاح .
(٣٤) الطارف : الحديث ، ويقابله التليد .

هـــــذا « أبـــو خلـــــدونَ » في ظُلَمِ الثرى
يبكي انشقـــاقـــاً في الصفـوف مُبيـــدا[٣٥]

إن نَنْــزِعِ الأحقـــادَ من أحـــزابنـــا
بُعثَتْ حُشـــاشتُـــهُ فعـــاد وليـــدا[٣٦]

فـاهـدأْ ,, أبــا خلـدونَ ,, فــالسُّمُ الــذي
أرداكَ مـــا أردى للـــك التمجيـــدا[٣٧]

إن الـــذي بســـط الخلــودَ لجلَّــقٍ
بسطتْ عنـــايتُـــهُ عليـــكَ خلـــودا

١٨ آب ١٩٢٩

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٥٤) :

« وقد أغتنمُ فرصة الرثاء لأصوّر ناحية قد يكون لها صلة بالمرثي ، ولكنها على كل حال ناحية مستقلة منفردة . لمّا انتقل إلى رحمة الله فوزي الغزي ، وهو من رجالات السياسة في الشام ، رثيته بقصيدة أتيتُ فيها على طائفة من نواحيه ، إلا أني تصورّت ثورة الشام ، فغلب عليّ هذا التصوّر ، فقلت : » .
ثم أورد خمسة أبيات هي (٩ ـ ١٣) .

وكتب في ص (٩٧) :

«كم كنت آسف وأنا أعمل على اضطراري إلى قافية حوشية، لم أتمكن من تبديلها، فقد جاء في إحدى قصائدي هذا البيت:
فكان يجب عليّ أن أطرح هذا البيت كله، وأن أستغني عنه إذا لم أهتد إلى قافية غير هذه القافية الحوشية».

---

(٣٥) أبو خلدون ; كنية فوزي الغزي .
(٣٦) الحُشاشة : بقية الروح .
(٣٧) أرداه : أهلكه .

(٤٦)

ثـــــــــــــورة قريش

قيلت في رثاء الحسين بن علي☆

تلكْ قريشٌ ومـــــا جفَّتْ عـــواليهـــــا
على الحَطيمِ ولم تَنْشَفْ مـــــواضيهـــــــا[١]

مَنْ ذاكرٌ في ظـــلالِ البيتِ ثـــورتَهـــا ؟
والعهــــدُ غيرُ بعيـــد عن ليـــاليهـــا[٢]

نـــارٌ بمكـــةَ أذكاهـــا حُـــلاحِلُهـــا
فهـــاجتِ النـــارَ بـــالفيحـــاءِ تُـــذْكيهـــا[٣]

رَجَعْتُ طرفي إلى المـــــــــاضي فروَّ عني
يـــومٌ بجلَّـــقَ فتـــاكٌ بـــأهليهـــا[٤]

☆ الحسين بن علي : (١٨٥٤ ـ ١٩٣١) م

من حفـــدة أبي نمي الحـــني الهـــاشمي ، أطلـــق رصـــاصتـــه الأولى بمكـــة في ٩ شعبـــان ١٣٣٤ (١٠ حـــزيران ١٩١٦) ، وحـــاصر عـــاكر الترك ، وبـــانتهـــاء الحرب العـــالميـــة الأولى سنـــة ١٩١٨ تم استيـــلاؤه على الحجـــاز كلـــه ، ثم تخلّى عن العرش لابنه عليّ الذي نزل عن الملك لابن سعود ، ثم رحل إلى العقبة التي كانت في ولايـة ابنـه عبـد الله ، فأنذره الإنكليز بالرحيل ، لأن إقـامتـه تحمل ابن سعود على مهـاجمتهـا ، وأتت مـدرّعـة بريطانية نقلته إلى منفاه في قبرس سنة ١٩٢٥ . توفي سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف .

(عن الأعلام للزركلي)

(١) العوالي : الرماح .
ـ الحطيم : حِجْر الكعبة أو جداره أو ما بين الركن وزمزم والمقام .
ـ المواضي : ج ماضٍ وهو السيف .
(٢) ثورتها : إشارة إلى الثورة العربية التي قادها الشريف حسين ضد الدولة العثمانية .
(٣) أذكى النارَ : أوقدها .
ـ الحُلاحِل : السيد الشجاع .
ـ الفيحاء : لقب دمشق .
(٤) يوم بجلق : إشارة إلى شهداء (٦) أيار (١٩١٦) الذين أمر بإعدامهم جمال باشا السفاح .

أكادُ أنسى على الأيـــــــام روعتَــــــــهُ
لــولا تهـــاويــلُ من ذكرى أنـــاجيهـــا[5]
وكيف أبعثُهــــــا والتُّرْكُ جيرتُنــــــا
مـــا بيننــــا اليـومَ أضغــــانٌ نقـــاسيهـــا
فنحنُ في الشرقِ إخــــوانٌ تُـــؤلِّفنـــا
هـــذي الجراحُ وقـــد ســـالتْ دواميهـــا[6]
عـــــداوةُ الترك كانَتْ أمسِ واشجـــــةً
تجري الـــدمـــاءُ على أطراف مُجريهـــا[7]
واليـــومَ أنْقِرةٌ مــــاجتْ مـــواكبُهـــا
بفيصـلٍ واحتفى بـــالعُرْب غـــازيهـــا[8]
ويـحَ السيـاسـةِ مـــا أخفى مَســـاربَهـــا
على العيـــون ومـــا أقصى نـــواحيهـــا[9]
في كل يـــومٍ أســـاليبٌ ملـــونـــةٌ
بحـــائرِاللـــونِ تُخفيهـــا وتُبـــديهـــا

☆ ☆ ☆

قُمْ في قريشٍ وردِّدْ في مضــــــاربهـــا
هـــذي المراثي ومـــا تُغني مراثيهـــا ؟
قضى الحسينُ فهـــاجتْ في خـــواطرنـــا
ذكرى الحسين منًى فُسْحـــاً مراميهـــا[10]

(٥) الرَّوْعة : الفزعة .
(٦) الدّوامي : ج دامية وهي التي يسيل دمها .
(٧) واشجة : متصلة متشابكة .
(٨) (غازي) : ملك العراق بعد وفاة أبيه فيصل .
(٩) المسارب : ج مَسْرَب (اسم مكان) وهو المذهب .
(١٠) الفُسْح : ج أفسح وهو الواسع .

يـــا ابنَ النبيِّ ومـــا الآذانُ ســـامعـــةٌ
فهـــل تلبّي زُحـــوفـــاً أنتَ داعيهـــا[١١]
لمـــــا رأيتَ قلـــوبَ العُرْبِ واجفـــةً
من الشـــدائـــد مـــا تسجـــو ســواجيهـــا[١٢]
وأهـــلَ جِلّـــقَ بـــالأعـــوادِ عـــالقـــةً
أعنـــاقُهم وسيـــوفُ القـــوم تَفْريهـــا[١٣]
مبعثرون على الأوطـــــــان تلحظهمْ
عينُ المنيـــة مـــا تغفـــو غـــوافيهـــا
بعثْتَهـــا ثـــورةً دهـــواءَ مـــائجـــةً
بـــالهـــاشميين مخضـــوبـــاً حـــواشيهـــا[١٤]
حمراءَ أوْقَـــدَ جنبيْهـــا القنـــا ، وسقى
فتيـــانَهـــا من نجيـــع الترك ســـاقيهـــا[١٥]
على الحطيمِ رُفـــاتٌ من حصـــائِـــدهـــا
وأَرْبُـــعُ الشـــامِ ريّـــا من أضـــاحيهـــا[١٦]
أبنـــاؤكَ الغُرُّ ثـــاروا في طـــلائعهـــا
يستعـــذبـــون المنـــايـــا في معـــاليهـــا
مـــازلتَ بـــالقـــوم حتى انجـــابَ ظلُّهمُ
عن الحمى ورمى بـــــالترك راميهـــــا

---

(١١) ابن النبي : إشارة إلى اتصال النسب الهاشمي للحسين بالرسول (ص) .
(١٢) وجف القلبُ : خفق فهو واجف .
(١٣) عالقةً أعناقُهم : إشارة إلى شهداء (٦) أيار .
ـ فرى الجلدَ يَفريه : قطعه ، وأفرى الأوداج يُفريها : شقّها .
(١٤) دَهواء : شديدة . إشارة إلى الثورة العربية .
(١٥) النجيع من الدم : ما كان مائلاً إلى السواد ، أو هو دم الجوف خاصة .
(١٦) الرفات : الحُطام ، وكل ما تكسر وبلي ، يريد أشلاء الشهداء .

صمـــدْتَ صمـــدةَ جبـــارٍ فمـــا اختلجتْ
منـــكَ الجـوانـحُ في جُلّى تعـــانيهـــا[17]
النـــارُ مُحْـــدقـــةٌ بـــالقَصرِ مُلْهِبـــةٌ
وأنتَ في صلـــوات الله تَقضيهـــــا[18]
فلم يَرُعْـــكَ أجيـــجٌ من تلهُّبِهـــا
ولا أثـــاركَ وَهْـــجٌ من ذواكيهـــا[19]
شيخـوخـــةٌ صَقَـلَ الإيمـــانُ طلعَتَهـــا
اللهُ حـــارسُهـــا والبيتُ حَـــاميهـــا[20]
ضحّيْتَ بـــالتـــاج لم تعبـــأْ برونقِـــهِ
ضحيـــةٌ ذُقْتَ في المنفى تـــواليهـــا[21]
فـــأينَ مُلـــكٌ سكبنـــا في فتـــوَّتِـــه
دمـــاً نقيـــاً فكان الملـــكُ تمـــويهـــا
هـــواجسٌ كسراب القـــاع مُلهِيـــةٌ
تفسّـح البـــال حينـــاً في مـــلاهيهـــا
يـــا يـــومَ فيصـلَ طـــاحَ التـــاجُ وانقلبتْ
تلـــك المنى وطـوى الآمـــالَ طـــاويهـــا[22]

---

(١٧) الجُلّى : الأمر الشديد والخطب العظيم .
(١٨) القصر : إشارة إلى إصابة قصره في مكة بمدافع التُرك .
(١٩) ذكت النار تذكو : اشتد لهيبُها ، فهي ذاكية ، وجمعها ذواكٍ .
(٢٠) البيت الحرام وهو الكعبة « جعل اللهُ الكعبةَ البيت الحرام » (٥ ـ ١٠٠) .
(٢١) إشارة إلى جزيرة قبرس التي نُفي إليها .
(٢٢) إشارة إلى وقعة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠ ودخول الفرنسيين دمشق ، وانتهاء حكم الملك فيصل .

مـــا كانَ أعـــذبَ أحـــلامـــاً حَلَمْتَ بهـــا !
وكيف تبقى على الـــدنيـــا أمـــانيهـــا ؟

☆ ☆ ☆

مشتْ إلينـــــا قريشٌ في أراهطِهـــــا
تُملي علينـــا المعـــالي في أمـــاليهـــا[٢٣]
صحـــــائفٌ كاحمرارِ الأفْـــقِ مشرقـــةٌ
يَفيضُ روحُ الأضـــاحي في معـــانيهـــا
تبني الشعـــوبُ على الأشـــلاءِ نهضتَهـــا
فمـــا يُـــزْلَـــزَلُ ركنٌ من مبـــانيهـــا
على المقـــــابرِ أشبـــــاحٌ مُخَلَّـــــدَةٌ
معنى الحيــــاةِ كمينٌ في خـــوافيهـــا
تكادُ تحمـــــلُ أسرارَ السنينَ ومـــــا
تضمنتْـــهُ الليـــالي في دَيـــاجيهـــا
تَهُـــزُّ كلَّ ضعيفٍ في هـــوادِتـــهِ
حتى يثـــورَ ويـــوحي العـــزَّ مـــوحيهـــا
وللشعـــوبِ عظـــاتٌ في غـــوابرهـــا
تَهيـــجُ روحَ المعـــالي في بَـــواقيهـــا[٢٤]
حريـــةُ القـــوم مـــا زالتْ مضرَّجـــةً
بقـــانئ الـــدم مصبـــوغ مطـــاويهـــا

---

(٢٣) الرهط : القبيلة ، وجمعه أرهاط وجمع الجمع أراهط .

(٢٤) الغابر : الماضي جمعه غوابر .

ـ هاج الشيءُ : ثار ، وهِجتُه : أثرته (لازم ومتعدٍّ) .

نمتْ على (السينِ) منهـــا غرســـة رَوِيَت
من الــدمــاء ولم تــذبُلْ نـواميهــا[25]
فروعُهـــا في فِجــاجِ الأرضِ بــاسقَـــةٌ
ينـــالُ كلَّ هضيم من مَجـــانيهــا[26]
فليسَ بــدْعــاً إذا قـــامت على بردى
منهـــا منـــابتُ مُحْمَرٌّ ســواقيهــا[27]
على اعتـلاجِ القنـــا تـــذكـو مغــارسُهــا
وفي اضطرابِ الـوغى تصفـو مســاقيهــا[28]
يبيتُ كلُّ هشيمٍ في جــــوانبِهـــا
مُسَهَّـــداً في الثرى يرعى ضـواحيهـــا
أيَهْــدِمـونَ حِماهـــا بعـــدَ أن مـلأتْ
مــذاهبَ الأرض قــاصيهــا ودانيهــا
في عصفـــةِ الريـحِ حِسٌّ من مَصــارخهــا
وللعُبـــابِ هـــديرٌ من أغـــانيهــا
فليس يُطْفَـــأ نــورٌ من مشـــارِقِهــا
ولا يُهَـــدَّمُ مَسْعًى من مســـاعيهــا

☆ ☆ ☆

آلَ الحسينِ عـــــزاءً في مُصــــابكُمُ
وقـــد تُرَفِّــهُ عن نفسٍ تَعــازيهــا

---

(٢٥) السين : نهر باريس وهو إشارة إلى الثورة الفرنسية التي حطمت الباستيل ونادت بالحرية والمساواة والأخوة .

(٢٦) هضمه : ظلمه وغصبه فهو مهضوم وهضيم .

(٢٧) بردى : إشارة إلى الثورات السورية المتلاحقة ضد الاجتياح الفرنسي .

(٢٨) اعتلاج القنا : تضاربها .

فما انفردتمْ بخطبٍ هزّ بيتَكُمُ
وإنّما الخَطْبُ خطبُ العُرب يَبريها[29]
لله قربى على الأحقابِ خالدةٌ
أميّةٌ جدّدتْ فيكمْ أواخيها
هذي المرابعُ ما تنفكُّ شاغرةً
فهل لهاشمَ أن تحتلَّ واديها[30]

١٥ تموز ١٩٣١

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٥٥) :

« كنتُ في كل مرثية من المراثي التي أقولها في رجال السياسة أتوخى ناحية غالبة . مرة تكون هذه الناحية حياة الرجل الخاصة ، ومرة زعامته ، وحيناً تكون صورة ثورة ، كما جاء ذكرُ ذلك في القصيدة المتقدمة (رثاء فوزي الغزي) أو كما جاء ذكر هذه الصورة في الأبيات التالية ، فإن الحسين بن علي صاحب ثورة العرب الكبرى ، لا يُذكَر اسمه إلا قُرن هذا الاسم بثورة العرب ، والذين كُتب عليهم أن يعيشوا في خلال الحرب العالمية الأولى . وأن يروا بأعينهم ما فعله الترك في الشام ، يستطيعون أن يقدروا ثورة الحسين حق قدرها ، فلما رثيت الحسين سنة ١٩٣١ قلت : »

ثم أورد سبعة أبيات هي (١٤ ـ ٢٠)

(٢٩) براه يبريه : هزله وأضعفه .

(٣٠) شغرت الأرض : لم يبق فيها من يحميها ويضبطها فهي شاغرة .

فيصـــــــــــل*

أرأيتمْ والـمَلِـــكُ في عُنْفـوانِـــهْ ... يتهـادى على شبـابِ زمـانِـهْ ؟[١]
وعليـــــه من النُّبــوةِ والــوحـ ... ـي رفيفٌ يمـدّ في لَمَعـانِـــهْ[٢]
مــلأ الشرقَ من بريــق سنـــاهُ ... كامتـلاءِ الربيــعِ من رَيْحـانِـهْ[٣]
وترامتْ إلى ذَراهُ الأمـــــاني ... بـــاسماتٍ تَهشُّ في أحضـانِـهْ[٤]
أرأيتمْ أيُّ الملـــوكِ تـــوارى ؟ ... واهتزازُ السريرِ في رَيْحـانِـــهْ
كَذَبَ الـدمعُ مـا وفى حَقّـهُ الـدمـ ... ـعُ ولا خَفْقَــهُ على أجفـانِـهْ
إنَّ هـــذا المصـــابَ أعظمُ من أنْ ... تُستثــارَ الـدمـوعُ في إعـلانِـهْ
فــاكتُمِ الجرحَ في الضُّلـوعِ فخيرٌ ... أن تـذوبَ الضُّلـوعُ في كِتْمانِـهْ

---

* **فيصل الأول** : (١٣٠٠ ـ ١٣٥٢) هـ ، (١٨٨٣ ـ ١٩٣٣) م

فيصل بن الحسين بن علي الحسني الهاشمي ، ولد بالطائف . اختير نائباً عن مدينة جُدّة في مجلس النواب العثماني سنة ١٩١٣ ولما ثار والده على الترك سنة ١٩١٦ تولّى قيادة الجيش العربي المحارب في فلسطين إلى جانب القوات البريطانية . ودخل سورية سنة ١٩١٨ بعد جلاء الترك عنها ، ثم نودي به ملكاً على سورية ، وكانت وقعة ميلون في ١٩٢٠/٧/٢٤ فاحتلّ الجيش الفرنسي البلاد ، ورحل الملك فيصل إلى أوربة ، فأقام بإيطاليا ، ثم غادرها إلى إنكلترة ، وكانت الثورة على الإنكليز لا تزال مشتعلة في العراق ، فدعتْه الحكومة البريطانية إلى حضور مؤتمر في القاهرة سنة ١٩٢١ برئاسة (ونستون تشرشل) وتقرّر ترشيحه لعرش العراق سنة ١٩٢١ ، وضع دستوراً للعراق ، وأنشأ مجلساً للأمة ، ثم ذهب إلى سويسرة للاستجمام ، فتوفي بالسكتة القلبية في (برن) ونقل جثمانه إلى بغداد (عن الأعلام للزركلي)

(١) المَلْك والمَلِك : صاحب الأمر والسلطة على البلاد .
(٢) النبوّة : إشارة إلى نسبه الهاشمي الذي يتصل بالشجرة النبوية .
(٣) السنى : الضوء .
ـ الرَّيْحان : كل نبات طيب الرائحة .
(٤) الذّرا : الكنف .

مـــا أرى يـــومَ فَيْصـــلٍ بيسيرٍ أمـــةٌ تنطـوي على أحـزانِـــهْ
يـــا نسيمـــاً على الفُراتِ ترفَّـقْ بـالرُّفـاتِ الريـانِ في أكفـانِـهْ

☆ ☆ ☆

عبقريُّ الملـــوكِ أيَّ بنـــاءٍ هَـدَمَ الموتُ في اضطرابِ بَنانِـهْ ؟
كنتَ في الشرقِ سيرةً في كتـابٍ خـالـداً مَجْدُهـا على عُنوانِـهْ
كيف ينسى الشبـــابُ يـومَـــك فيهمْ ؟
جَـلَّ هـــذا الشبـــابُ عن نِسيـــانِـهْ
بَيْعَـةٌ في أعنـاقِهمْ أبـدَ الـدهـ ـرِ وعهـدٌ على مـدى خَطَرانِـهْ[٥]
يـومَ كنـا نـذوقُ من نَكَـدِ الـدهـ ـرِ فنونـاً ومن مَضيضِ هَوانِـهْ[٦]
لَبسَ النـــاسُ عـزَّهُمْ واطمأنّـوا ولبِسْنـــا الهـوانَ في ألـوانِــهْ
تستغيثُ الـدِّيـارُ من ثِقَلِ القيـ ـدِ ويبكي الرجالُ من حُمْلانِـهْ[٧]
والأحـــاديثُ في المجـالسِ هَمْسٌ خَشْيَـةَ الشَّنْـقِ أو أذى عيـدانِـهْ[٨]
سُـــدَّتِ الأرضُ لا مفرَّ من المـو تِ وأينَ المفرُّ من شَيْطـــانِـهْ ؟
من تَخَطّى الردى تَلقّـــاهُ رُعْبٌ خـــاطِفٌ من فـؤادِهِ في مكانِــهِ
شَهِـدَ ابنُ النبيِّ تلـكَ الأضـاحي فبكتْ عينُـهُ لفرطِ حَنـــانِـهْ[٩]
ودعـا القـومَ في الحجـازِ فثـاروا ثـورةَ الـدهرِ في جِماحِ عِنـانِـهْ[١٠]

---

(٥) البَيْعة : المبايعة والطاعة .
(٦) مضّه الجرحُ مضاً ومضيضاً : آلمه وأوجعه .
(٧) الحُملاْن والحَمْل : مصدران لفعل (حَمَل) .
(٨) الشَّنق : إشارة إلى الشهداء الذين أعدمهم جمال السفاح في دمشق وبيروت ١٩١٦
(٩) ابن النبي : كناية عن (فيصل) لاتصال نسبه بالشجرة النبوية .
(١٠) ثاروا :إشارة إلى الثورة العربيـة التي أعلنهـا شريف مكـة (الحسين بن علي) وتولى ابنـه فيصل قيادة الجيش .

زحفوا بالحديد والليلُ ملآ   نُ بجنح الدجى وظلٌّ جَنانِهْ[11]
ما لهمْ في دُجُنَّةِ الليلِ ضوءٌ   غير لمعِ السيوفِ في إدجانِهْ[12]
خَضَبوا بالنجيع كلَّ مكانٍ   فنما عُودُهُ على فَيَضانِهْ
كم هشيمٍ على بقايا هشيمٍ   من شيوخِ الحِمى ومن فِتيانِهْ[13]
هكذا المُلْكُ عُودُهُ من أضاحٍ   ترتوي من دَمٍ على هَطَلانِهْ

☆ ☆ ☆

ردَّ جبارُ هاشمٍ حوضَ مروا   نَ بطعنِ القنا إلى مروانِهْ[14]
فرأينا ظلَّ النبيِّ على الشا   مِ يباهي كِسرى على إيوانِهْ
عُقِدَ التاجُ في ضَمانِ قريشٍ   واستقلتْ ربوعُنا في ضَمانِهْ[15]
وحَمى المُلْكَ في ديار ابنِ هِنْدٍ   فيصلٌ بالوثيقِ من إيمانِهْ
رُبَّ عرشٍ على دمشقَ تروّى   من سيوفِ الحِمى ومن مُرّانِهْ[16]
ما بَنَتْهُ المُنى ولكنْ بَناهُ   فِتيةٌ هُشِّموا على بُنْيانِهْ
دفعوا مَيْعَةَ الصِّبا ثمنَ العر   شِ فهذي الدماءُ من أثمانِهْ[17]
حُلُمٌ مثلَ لمحةِ البرقِ ولّى   غادَرَ الطَّرْفَ حائراً في عِيانِهْ[18]

---

(١١) جَنان الليل : ظلمته .
(١٢) دُجُنّة الليل : ظلمته .
ـ أدجن الليلُ إدجاناً : اسودّ .
(١٣) الهشيم من النبات : اليابس المتكسّر يقصد به الشهيد في ساحات الجهاد .
(١٤) جبار هاشم : كناية عن فيصل .
ـ حوض مروان : كناية عن دمشق عاصمة الأمويين ، ومروان هو مروان بن الحكم الخليفة الأموي الرابع .
(١٥) التاج : إشارة إلى تتويج فيصل ملكاً على سورية في ٨ آذار ١٩١٩ .
(١٦) المُران : الرماح اللّدنْة في صلابة : مفردها مرّانة .
(١٧) مَيْعة الشباب : أوله وأصله .
(١٨) عاينه عِياناً ومعاينة : رآه بعينه .

ضيَّع الملكَ عُصْبَةٌ حَسِبوا المُلْـ ـك مُجونَ الصّبا ولَهْوَ لَيانهْ[19]
وتناجَوا في خَذْلِهِ مادروا أنَّ ـ رداهُمْ يفيضُ من خِذْلانِهْ
أسرَفوا في الظنونِ رُبَّ ظنونٍ قَرَّبَتْ عارضَ الردى من أوانِهْ
لم يكن للسَّدادِ جولةُ حقٍ وتراخى الهوى على مَيْدانِهْ[20]
ذكرياتٌ تَزيدُ كلَّ فؤادٍ في جَواهُ خَفْقاً على خَفَقانِهْ[21]

☆ ☆ ☆

ما تملَّتْ دمشقُ رَوْعةَ مُلْكٍ مَرِحَ الدهرُ في ظلالِ أمانِهْ[22]
إنما مُلِّيَتْ شجونَ الليالي كلُّ قلبٍ يموج في أشجانِهْ[23]
لمْ تُمَتَّعْ بفيصلٍ طَرْفَةَ العيـ ـنِ ولا مُتِّعَتْ سَنا سُلْطانِهْ
وَدَّعَتْهُ الربوعُ والليلُ داجٍ ما غَفَتْ عينُها على هِجْرانِهْ[24]
لم يَطُلْ ملكُهُ وطالَ أساه ودموعٌ جَرَتْ على فِقْدانِهْ[25]
تَرَكَ الشامَ مثلَ صقرِ قُرَيشٍ مائجاً دمعُهُ على أوطانِهْ[26]
وانتحى الرافدينِ يحمِلُ ذكرى ذاهباً بَرْحُ طَيْفِها بجَنانِهْ[27]

---

(١٩) اللَّيان : رخاء العيش ونعيمه .
(٢٠) السَّداد : الصواب .
(٢١) الجَوى : شدة الوجد من الحزن .
(٢٢) تملاّه : استمتع به .
(٢٣) مُلِّيَ الشيءَ : استمتع به وعاش معه طويلاً .
(٢٤) ودّعته ... إشارة إلى انسحاب فيصل واحتلال الجيش الفرنسي دمشق في ٢٥ تموز ١٩٢٠ .
(٢٥) لم يطل : دام من ٨ آذار ١٩١٩ إلى ٢٥ تموز ١٩٢٠ .
(٢٦) صقر قريش : هو عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس ، ولُقّب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من الأسرة الأموية بعد أن فتك العباسيون بمن بقي منها .
(٢٧) الرافدان : دجلة والفرات وهما كناية عن القطر العراقي .
ـ البَرْح : الشدة .

كلما هاجَ جرحُها نَدِيَتْ أجـ ـفانُهُ في العراقِ من تَحْنانِهْ

جِلّقٌ مِلْءُ قلبِهِ ، وهَواهُ في دمشقٍ يهزُّ مِنْ أركانِهْ

وإذا ناحَ في رُباها حَمامٌ طَرِبَتْ نفسُهُ إلى ألحانِهْ

خفضتْ ميسلونُ من عِزَّةِ العر ش فأعلَتْ بغدادُ عِزَّةَ شانِهْ[28]

رحَّبتْ بالسليبِ مَلْكِ دمشقٍ فرمى ظِلَّهُ على اطمئنانِهْ

وتناهى تاجُ العراقِ إليه يستبينُ الهدى على عِقْيانِهْ[29]

ثورةٌ في الفراتِ أنشأتِ الملـ كَ رحيباً على ظلالِ جِنانِهْ

عرضوه على الحديدِ فأعيا هُمْ مبيتُ العراقِ في قُضبانِهْ

فاستقامتْ لفيصلٍ بهجةُ العر شِ على طولِ حَرْبِهِ وطعانِهْ

وتردى رداءه سابغَ الذيـ ـلِ تَجولُ العُلا على أرْدانِهْ[30]

لم يَفُتْهُ السريرُ بعدَ غِلابٍ هدَّ منه الشبابَ في عنفوانِهْ

إنما فاته التمتعُ بالتا ج فلم يروَ من رفيفِ جُمانِهْ[31]

أيها الثائرُ الذي ملا الأيّـ ـامَ من هَيْجِهِ ومن ثَورانِهْ[32]

أقسم الشرقُ أن يُخَلِّدَ ذكرا كَ فأضحتْ في الشرقِ مِلْءَ لسانِهْ

☆ ☆ ☆

يا فتى هاشم وروحَ قريشٍ كفكفِ الدمعَ عن مدى جَوْلانِهْ[33]

---

(٢٨) يقصد معركة ميسلون (٢٤ تموز ١٩٢٠) التي استشهد فيها يوسف العظمة ، فدخل الفرنسيون واحتلوا دمشق .

(٢٩) العِقيان : الذهب الخالص .

(٣٠) السابغ : الطويل .

ـ الأردان : ج رُدْن وهو أصل الكم .

(٣١) رفّ اللونُ رفيفاً : تلألأ .

ـ الجمان : اللؤلؤ .

(٣٢) الهَيجُ والهَيَجان : مصدران لفعل (هاج) وهاج : ثار .

(٣٣) فتى هاشم : يقصد ابنه غازي (١٩١٢ ـ ١٩٣٩) وقد خلفه سنة ١٩٣٣ .

ما بكتْ وحدَها جفونُكَ فالشّرْ قُ من الجرحِ في لظى نيرانِهْ
عرشُكَ اليومَ في الفتوةِ فاهنأْ بسريرٍ يميسُ في حِدْثانِهْ[٣٤]
حُرِمَ الشرقُ لذةَ الملكِ دهراً كان فيه للدهرِ من عُبْدانِهْ
فَأَذِقْهُ حلاوةَ المُلْكِ قد ذا قَ الأَمرّين من أذى حِرمانِهْ[٣٥]
سبقتْنا بغدادُ في غرة المل كِ وبتْنا على هوى صَولجانِهْ[٣٦]
فمتى تسكبُ العيونُ على الشا م دموعَ السرورِ في مِهْرجانِهْ ؟
فنرى الشرقَ في التفاف هواه من رُبا جِلَّقٍ إلى بغدانِهْ
وَحْدَةً في الشعورِ هيهات ما يطـ ـوي سَداها الزمانُ في دورانِهْ[٣٧]

☆ ☆ ☆

يا أبا غازي والقريضُ عَصِيٌّ ما يوفّي الرثاءُ سِحْرَ بيانِهْ[٣٨]
أنت سِرُّ النبيّ إن شئتَ دمعي هاتِ لي الوحيَ من هُدى قرآنِهْ

١٨ تشرين الأول ١٩٣٣

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٢٨) في معرض حديثه عن الشعر الوطني ، بعد ذكره (الملك الحسين) :

« وذكّرتنا وفاة ابنه فيصل بانبساط ملكه في الشام فقلت : »

ثم أورد أربعة أبيات هي (٦٧ ـ ٧٠)

---

(٣٤) حدْثان الأمر وحداثته : أوله وابتداؤه .
(٣٥) الأمرّان : العُرْي والجوع ، وهما كناية عن الشر .
(٣٦) الغُرّة : من كل شيء أوله ومعظمه وطلعته .
(٣٧) السَّدى من الثوب : ما مُدَّ من خيوطه .
(٣٨) أبو غازي : كنية الملك فيصل .

رثـــاء حــافـــظ إبراهيم☆

ألقيت في مجمع اللغة العربية

ستونَ عاماً على كُرْهٍ تُعانيها … هدأتَ عنها ولم تَهْدأْ لياليها[١]
ما زِلْتَ منها على يأسٍ تغالبُهُ … حتى طواكَ على الأشجانِ طاويها
فاطرَحْ شدائدَها عن كاهلٍ هَدَمَتْ … من جانبيْهِ ، ولم تُهْدَمْ ، عواديها
يا وقفةً لكَ في أفيائها انحدرتْ … عنك العواطفُ مُضنيها ومُشجيها
ناجيْتَ فيها صِباً ولّت نواعِمُه … بُدِّلْتَ شيخوخةً منه تُناجيها
فتوةٌ ملئتْ بُؤساً نَضارتُها … وكَبْرَةٌ أُفعمتْ سُقْماً حواشيها[٢]
أهبْتَ بالموتِ من سُقْمٍ ومن شَجَنٍ … كأنما الموتُ آمالٌ تناغيها[٣]
فنَمْ هنيئاً فلا جسمٌ تراوحُه … تلكَ الشجونُ ولا نفسٌ تُغاديها

☆ ☆ ☆

غنَّتْ قوافيكَ بالأحزانِ مائجةً … تكاد تَنْطِقُ عن بؤسٍ أغانيها
على قريضكَ من أناتِها أثرٌ … أراه يُفْصِحُ عن أقصى مراميها

☆ **حافظ إبراهيم** : (١٨٧٢ ـ ١٩٣٢) م . وُلد وتوفي بمصر ، فقد أباه صغيراً ، فأدخله خاله المدارس ، فملّها في السادسة عشرة مفضّلاً عشرة الأدباء ، ثم اشتغل بالمحاماة ، ثم دخل المدرسة الحربية ، وأضحى ضابطاً في الجيش . ثم سافر إلى السودان في الحملة التي قادها اللورد كتشنر ، وقد تبرّم من عمله بالسودان ، وأكثر من الشكوى ، ثم اتهم مع بعض الضباط بتحريض الجنود على العصيان ، فسُرِّح وعاد إلى مصر ، وقاسى مرارة الفقر ، ثم عُيّن رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية . ولبث فيها عشرين عاماً ؛ توفي بعد إحالته على المعاش بأربعة أشهر .

(١) إشارة إلى بيت حافظ :

وقد وقفتُ على الستين أسألها … أسوّفتْ أم أعدّتْ حُرَّ أكفاني

(حُرّ كل شيء : خالصه)

(٢) الكَبْرة : الكبر في السنّ . وعليه كَبْرة أي : أسنّ .

(٣) ناغاها : كلمها بما يعجبها ويسرّها .

ما في أغاريدِها إن ناحَ نائحُها إلا تهاويلُ من شكوى تُزَجّيها[٤]
تجهَّمتْكَ الليالي في تصرُّفِها ففاضَ شِعْرُكَ في الآفاق تأويها[٥]
فما تملَّيْتَ في يومٍ مضاحكَها ولا تمهَّلتَ إلا في مباكيها
أمعنتَ في طلبِ الدنيا فما ابتسمتْ لكَ الحياةُ ولا هشّتْ أمانيها
سَعَتْ بكَ القدمُ المشؤومُ طالعُها فلم تُؤَدِّ إلى نُجْحٍ مساعيها
على نِعالِكَ من تبريحها دُفَعٌ من قانئِ الدمِ لم تَنْشَفْ جواريها[٦]
حتى وَدِدْتَ لو انَّ النفسَ عادَ بها من قبلِ أن تسأمَ الأشجانَ باريها
أو كان في مسبحِ الحيتان مَطرَحُها أو في مسارحَ من هُلْكٍ مآويها[٧]
المانَوِيَّةُ لم تَعْتُقْ مذاهبُها على قوافيكَ رسمٌ من أماليها[٨]
لله شِعرُك كم هاجتْ هوائجُهُ بضيقةٍ في حواشي النفسِ تُضنيها
قذفْتَ منه على السودان طائفةً صوَّرتَ بلواكَ تصويراً يُجلّيها[٩]
لو لَحَّنوا البؤسَ في شعرٍ نردِّدُهُ لكانَ بؤسُكَ ألحاناً نُغنّيها
ودَّعْتَ دنياكَ توديعاً ترقرقُهُ شكوى يذوبُ على الآلام شاكيها

---

(٤) زجّاه : ساقه .
(٥) أوّه تأويهاً : شكا وتوجع .
(٦) إشارة إلى بيت حافظ :
وما أعذرتُ حتى كان نعلي دماً ووسادتي وجه التراب
(ما أعذرت : ما قصّرت)
ـ الدُّفَع : ج دُفعة وهي الدفقة من المطر ، أو ما انصبّ من سقاء .
(٧) مسبح الحيتان : كناية عن البحر .
(٨) المانوية : نسبة إلى (ماني) (٢١٥ ـ ٢٧٦) م ، ومن تعاليمه الدعوة إلى الزهد ، والرغبة عن ملاذّ الدنيا ، والصوم سبعة أيام في كل شهر ، وعدم ذبح الحيوان ، واستعجال الفناء (عن فجر الإسلام)
(٩) إشارة إلى سفره إلى السودان ، وتبرّمه من عمله ، وشكواه إلى أصدقائه ، وحسرته على ليالي الأنس في مصر وعيشها الناعم .

فمــا لعينيــكَ في لألائِهــا أنَسٌ — وإنما الأُنْسُ في أدجى دياجيها[10]

كأنمــا قبرُكَ المــأنــوسُ متســعٌ — لعيشِكَ الـمُرِّ من جُلّى تقاسيها[11]

العبقريــةُ مــا زالتْ معــذَّبــةً — في الشرقِ ما جمدَتْ يوماً مآقيها

☆ ☆ ☆

لكنَّ نفســكَ لم تَصْرَعْ جــوانبَهــا — ظلماءُ من خيبةِ الآمــال تَبْريهــا[12]

هَــزَأْتَ بــالعمْرِ لم تعبــأْ بغُمَّتــهِ — وعشْتَهــا عيشــةً طَلْقــاً نــواحيهــا

داويتَ بــالكأسِ آلامَ الحيــاةِ وهل — بغير إشراقِهــا قلبٌ يُــداويهــا

لقَّبْتَهــا ضَرَّةَ الأحــزانِ زاكيــةً — غِراسُها مُستطــابــاتٌ مجــانيهــا[13]

الكأسُ والطــاسُ والصهبــاءُ مــاثلــةٌ

في شِعرِكَ الطَّلْــقِ تُــزْهى في مــزاهيهــا[14]

شَتَّتَّ شَمْـلَ الليــالي في تنــاوُلِهــا — على رخيمٍ من الأنغــامِ تُحييهــا

لئن نظرْتَ إلى الــدنيــا وبهجتِهــا — بمقلــةٍ مــا رأتْ إلا مســاويهــا

لقــد خلعْتَ على الأحــزان مشرقــةً

من الحُبــور طــوتْ من شجــو شــاجيهــا

وما الحيــاة إذا اسودتْ جوانبُهــا ؟ — وما الليالي إذا لم يَصْفُ صافيها ؟

خيرٌ من العمرْ ممــدوداً سُرادِقُــهُ — على الأسى لحظــةٌ تحلو ثــوانيهــا[15]

---

(١٠) اللألاء : الفرح ، ولألاء السّراج : ضوءُه .
ـ الأنَس والأُنْس : الطمأنينة أو خلاف الوحشة .

(١١) الجلّى : الأمر الشديد ، والخطب العظيم .

(١٢) الظلماء : الظُلْمة أي : ذهاب النور .

(١٣) ضرّة الأحزان : كناية عن الخمرة ، وإشارة إلى بيت حافظ :

يــا زوجــةَ ابن الـمُزْنِ يــا أختَ الهنــا — يــــا ضَرَّةَ الأحــزان في الأحشـــاء

(١٤) إشارة إلى بيت حافظ :

بـــالكأس أو بـــالطـــاس أو بـــاثنيهما — أو بـــالـــدِّنـــان فـــإن فيـــه شفـــائي

(١٥) السُّرادق : الذي يُمَدّ فوق صحن البيت (الخيمة) .

للهِ مجلِســـكَ المحشـوكُ كم طَرِبَتْ　　فيـه القلوبُ وكم بشَّتْ بواكيهـا[١٦]

فقـد تكـونُ حـزينَ البـال مُتْعَبَـهُ　　وقد نراكَ ضحوكَ العين سـاجيهـا

تلكَ الأحاديثُ قد ذُقْنا حلاوتَهـا　　في كلِّ نـــادرةٍ سِحْرٌ يُحلّيهــــا

تـزدادُ حُسْنـاً اذا ازدادَتْ روايتُهـا　　رقيقـةٌ سُكِبَتْ من روحِ راويهــا

☆ ☆ ☆

لكنّ روحـــــكَ إن جَـــدّتْ وإنْ هَـــزَلَتْ
لم تنسَ مِصْرَ ولم تُهْمِـــلْ مغـــــانيهـــــا

غنّتْ بـوادي الحمى في فجرِ نهضتِـهِ　　وخــاضت النهضــةَ المحمرَّ واديهـــا

قـد كنتَ بلبلهـا الغِرّيـدَ هيّجَـهُ　　غُـولٌ على مصر مُحْتَـلٌّ روابيهـا[١٧]

أحببتَ مصرَ وسـارت في محبّتِهـا　　قصـائدٌ من عُبـابِ النيلِ تَرويهـا

يجولُ فيها هوى الفُسْطاطِ مزدحماً　　على فـؤادٍ عَنـاه خطبُ أهليهـا[١٨]

أيقظتَ منهـــا غُفـــاةً في مضــــاجعهمْ
والشِّعْرُ يـوقـــظُ في الأقـوام غـــافيهـــا

كم أمـةٍ رسفتْ في القيـدِ أطلقَهـا　　من القيـود فلم تملـكْ نـواصيهـا[١٩]

أمضَّـكَ الجرحُ في أحشـاءِ عِترتِهـا　　فكنتَ في شعركَ الريانِ آسيهـا[٢٠]

أردتَهـــا حرةً لا النيرُ يثقلُهـــا　　إذا تهادتْ ولا الأصفـاد تـوهيهـا

---

(١٦) المجلس المحشوك : المتلئ بالزائرين ، من الناقة المحشوكة التي لم تُحلَب حتى يجتمع لبنها .

(١٧) الغول : الداهية ، وحيوان لا وجود له ، وكل ما زال به العقل ، وهو إشارة إلى الإنكليز المحتلّين .

(١٨) الفُسطاط : عَلَم لمصر القديمة التي بناها عمرو بن العاص .

(١٩) النواصي : ج ناصية وهي مقدم الرأس أو شعر مقدم الرأس إذا طال .

(٢٠) عِتْرة الرجُل : نسله ورهطه الأدنوْن .
ـ الآسي : الطبيب المداوي .

فمــا تخــوفْتَ إلاّ لِعْبَ لاعبهــا ولا تخشَّيْتَ إلا لهــوَ لاهيهــا[٢١]

فكم بكيْتَ على مصرٍ وحــاضرِهــا وكم حنــوْتَ على مصرٍ وبــاقيهــا

جادتْ لها عينُك الريــا محــاجُرُهــا باللؤلؤِ الرطبِ من حــال تعــانيهــا

إذا سكتَّ فلم تــأمنْ هــوادتَهــا وإن نطقْتَ فلم تــأمنْ منــافيهــا

آسيتهــــا يـــوم دِنْشـــوايٍ ورَوْعَتِـــــهِ

يــا يــومَ دِنشــوايَ مــا أبقى الأذى فيهــا[٢٢]

جَلْــدٌ وشَنْــقٌ وفي الأمرين مَهْزَلَــةٌ تلكَ الجناياتُ باسمِ العَدْلِ جانيهـا

كشفْتَ عنهـا غِطـاءً كان يسترُهـا حتى تمثَّــلَ للعينين قــاسيهــا

ضَحَّــوْا بشعبٍ بــديـلاً من قتيلهمُ تلك الجراحـاتُ لم تُضْمَدْ دواميهـا

ويحَ الحضـارةِ كم راقتْ ظواهرُهـا هذي العيونَ وكم ســاءتْ خوافيهـا

في طيِّهـا المـوتُ خفـاقٌ سبـائبُــهُ مكشوفةٌ عن ضحاياهُ مَحاييهـا[٢٣]

ذئبٌ تلفّفَ في جِلـدِ الشِّيـاهِ وهلْ يُخْفي الذئابَ طِلاءٌ في مغـاطيهـا

خيرٌ من العلمِ جَهْــلٌ لا يشنِّعُـــهُ عَسْفُ الشعوبِ وهُزْءٌ من أضاحيها

☆ ☆ ☆

مــا كانَ شعْرُك الاَّ وحيَ عــاطفـةٍ ظِلُّ الجَزيرة والأَهرامِ مـوحيهـا[٢٤]

---

(٢١) اللَّعْبُ واللَّعِبُ واللِّعْب : مصادر لفعل (لَعِب) .

(٢٢) في سنة ١٩٠٦ ذهب خمسة ضباط إنكليز إلى بلدة (دنشواي) بمديرية المنوفية لصيد الحمام ، فأصيب بعض الأهلين . فاصطدموا بالإنكليز ، فأُصيب ضابط إنكليزي بإصابة أفضت به إلى الموت . فثار ثائر عميد الدولة البريطانية ، وعُقدت المحكمة فقضت بإعدام أربعة من الأهلين . وجلْد ثمانية منهم وحبسهم ، ونُفِّذ الحكم على مرأى ومسمع من أهل دنشواي .

(٢٣) السبائب : ج سبيبة ، وهي شُقة كتان رقيقة ، يريد رايات العرب .

(٢٤) يريد (بالجزيرة والأهرام) جزيرة العرب ومصر .

عليـــه منْ مُضَرِ الحمراءِ منزعـــةٌ محبوكةُ الوشْيَ مرصوصٌ مبانيها[٢٥]

لئنْ جَفَتْ مصرُ أرضَ الشـــــامِ واطَّرحتْ

هـــوى العروبـــةِ كم أنَّبتَ جـــافيهـــا

صـافحتَ جلّقَ لم تَنْقُضْ مـواثِقَها على البعـادِ ولم تَنْكُثْ أواخيها[٢٦]

فـإنْ بكتْـكَ على جُرْح تعـالجُـه فقـد رأتْـكَ على الأهرام تبكيهـا

٦ تشرين الأول ١٩٣٢

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٥٥) بعد حديثه عن رثاء الحسين ما يلي :

« وبعد هذا النحو من المراثي التي كنت أسعى في تصوير نواحٍ فيها غير حياة المرثي ، كنتُ أعود إلى المراثي ، فأصور فيها حياة المرثي على نحو ما هي واقعة ، لقد عرف حافظ إبراهيم بالبؤس ، ولذلك اضطررت إلى تصوير هذا البؤس في رثائي له سنة ١٩٣٢ »

ثم أورد سبعة أبيات هي (٩ ـ ١٤ ، ٢٢)

---

(٢٥) قبيلة مضر : من أمهات القبائل العربية ، وقيل لمضرَ الحمراءُ ، ولربيعةَ الفرسُ ، لأنهما لما اقتسما الميراث ، أُعطي مضرُ الذهبَ ، وربيعةُ الخيلَ ، و (مضرُ الحمراءِ) بالإضافة (اللسان ـ حمر) .

(٢٦) إشارة إلى بيت حافظ :

هـذي يـدي عن بني مصرٍ تصـافحكمْ فصـافحوهـا تصـافحْ نفسَهـا العربُ

(٤٩)

في ظلال كرمة ابن هانئ☆

قيلت في رثاء أحمد شوقي☆☆ **ألقيت في مجمع اللغة العربية**

يـــاكرمـــةً ذوِيَتْ فيهـــا أمـــانينـــا
لاالظـلُّ ضـــافٍ ولا الأفنـــانُ تُنـــدينـــا[١]

يـــانـــائـحَ الكرمـــةِ الـولهى ظـلائلُهـــا
سقتْ غصـونَـــكِ أجفـــانُ الشجيينـــا

كانت ليـــاليـــكَ بيضـــاً في دُجُنَّتِهـــا
يرِفُّ فيهـــا الهـوى ريّـــانَ مجنـونـــا[٢]

مـــاضـــاع عمرُكَ إلا في مضـــاحكِـــهِ
ولا تمليّتَ إلا الخَفْضَ واللينــــــــــا[٣]

☆ كرمة ابن هانئ : دار أحمد شوقي ، أنشأها في ناحية المطريّة .

☆☆ **أحمد شوقي** : (١٨٦٨ ـ ١٩٣٢) م

ولـد وتوفي بمصر ، واستظـلّ برعـايـة البيت المـالـك ، وتعلّم في مـدارس القـاهرة ، ثم أرسله الخـديوي توفيق إلى فرنســة ، فنـال إجـازة الحقوق ، وفي الحرب العـالميـة الأولى خلعت إنكلترة « الخديوي عباس » لاتصاله بالأتراك ،وأبعدت شاعره عن مصر ، فاختار الأندلس ، ثم عـاد إلى مصر بعـد استقرار الـسلام . وفي سنـة ١٩٢٧ عُقـد مهرجـان لتكريمـه ، فجـاءت وفود الأدب من الأقطار العربية ، وبايعته بإمارة الشعر .

له ديوانه (الشوقيات) في أربعة أجزاء . و (أسواق الذهب) و (عنترة) و (مجنون ليلى) و (كليوباترة) ...

(١) أنداه : جعله ندياً ، والندى هو البلل أو مايسقط آخر الليل .

(٢) الدُّجنّة : الظلمة .

(٣) الخَفْض : لين العيش وسعته .

لاهٍ عن الـــدهر مشغــولٌ بنـــاعمــةٍ
من الشبيبـــة في أفيـــاءِ لاهينـــا

يـــاعيشــةً في حمى اللـــذات فيَّأهـــا
سكرُ الهـــوى والغـــواني والخليّنـــا

مــلأتَ جـــانبَهـــا لِعْبـــاً وتسليـــةً
خيرُ الليـــالي التي بـــاتت تُسلّينـــا

ومـــاالحيـــاةُ إذا طـــالت مســـافتُهـــا ؟
وأنتَ تــدرجُهـــا ولهـــانَ مشجــونـــا[٤]

فمـــاأبـــالي وعينُ المـــوتِ ســـاهرةٌ
أعشتَ عشرينَ أم عشتَ الثمانينـــــا

☆ ☆ ☆

قُمْ نـــاجِ كرمتَـــه واســـألْ منـــابتَهـــا
أمـــا على مصرَ غريـــدٌ يغنينـــا ؟

قـــد كنتَ بلبلَهـــا في عـــزِّ نهضتهـــا
وفَّيتَهـــا الحـــقَّ في رأس المـــوفّينـــا

جعلتَ تمثـــالَهـــا شعراً تميس بـــه
أبقى على الـــدهرِ من آثـــار آمـــونـــا[٥]

---

(٤) دِرَجَ الشيءَ : طواه .

(٥) آمون : هو توت عنخ آمون ، فرعون من السلالة المصرية الثامنة عشرة ، في القرن الرابع عشر ق . م ، كُشِفَ قبرُه ومومياؤه سنة ١٩٢٢ وهو عنوان لقصيدة شوقي التي مطلعها :

قفي يـــاأختَ يــوشــعَ خبّرينـــا   أحـــاديثَ القرون الغـــابرينـــا

وحيٌ من الله لم يهبِطْ على ملأٍ
من ألفِ عامٍ ولم ينزلْ مثاوينا[٦]

دمُ الجهادِ على عِطفَيْه منسجمٌ
يُريكَ في ثورة النيل الميادينا[٧]

يُخلّدُ النهضةَ الميمونَ طالعُها
في ظلِّ قومٍ على الجُلّى ميامينا[٨]

غنيّتَ بالنيل في شجوٍ يباكرُنا
على الكنانة أو عيدٍ يغادينا

صُغتَ القوافي له في كلِّ نازلةٍ
محبوكةَ الوشْيِ من وشيِ اليمانينا[٩]

لمّا نَفَوْك عن الأهرامِ رقَّ لها
وافٍ يناجي ذُرا الأهرام محزونا[١٠]

فما سلوتَ ظلالَ النيلِ في بلدٍ
أرخى ظِلالتَهُ يُسْرى أيامينا[١١]

☆ ☆ ☆

يا ناظمَ الشرقِ في شعرٍ يُطافُ به
على حمى الشرقِ روحاً أو رياحينا

---

(٦) المثاوي : ج مثوى وهو المنزل
(٧) عطفا الرجلُ : جانباه .
(٨) الجُلّى : الأمر الشديد والخطب العظيم .
(٩) اليمانون : ج يمانٍ ، وهو المنسوب إلى اليمن .
(١٠) الأهرام : كناية عن مصر .
(١١) الظّلالة : ماأظلّك كالسحاب ونحوه
ـ اليمين : خلاف اليسار ، وجمعه أيمان ، وجمع الجمع أيامين

قـــــد كنتَ تعــزيـــــةَ الإســـلامِ في ألمٍ
يشتــدُّ حينـــاً وتطـويــه الأُســـا حينـــا[١٢]

كم نــوحـــةٍ لـــــك في خطبٍ أصيبَ بـــــه
يخفُّ في نَغْمهـــــا جرحُ الُمصـــابينــــــــا[١٣]

مـــازلتَ تـــدفـعُ عنـــه كلَّ عـــاديـــةٍ
حتى تمـــزَّق لادُنيـــــا ولا دينـــــــــا

مستعبَـــــدٌ في ربــوعٍ كان سيـــــدَهـــا
ومستضــــامٌ بـــأيـــدي الأجنبيينـــــا

في كلِّ نـــــاحيــــةٍ عَسْفٌ يُهـــدمِّهـــا
تكادُ تَطْفَـــحُ بـــالشكـوى نـــواحينـــــا

أين الخـــلافـــــةُ في الإســـلام مشرقـــةً
تُلقي على هـامـةِ الـدنيـا التحـاسينـا ؟

مشتْ لهـــا الأرضُ وانقــادتْ لطـــاعتِهـــا
فـمـــا ترى فــوقَهـــا إلا مَـــذاعينــــــا[١٤]

يـــاصرخـــةً في شتـــات التُّركِ صـــادقـــةً
تكاد تُسْمـــع في التُّرب الســـلاطينـــــا

بكيتَهمْ في مُصـــابٍ هـــدَّ جـــانبهمْ
على أدِرْنَـــــةَ يضنيهمْ ويُضنينــــــــا[١٥]

---

(١٢) الأسا : ج أسوة وهي مايأتسي به الحزين .

(١٣) النَّغْم والنغَم : التطريب في الغناء .

(١٤) المذاعين : ج مِذعان وهو السهل الانقياد .

(١٥) أدرنة : من أمهات المدن العثمانية في مقدونيا ، وبها مقابر كثير من سلاطين آل عثمان ، وقد انتزعها البلغار حرباً سنة ١٩١٢ . وقصيدة شوقي في « أدرنة » عنوانها « الأندلس الجديدة » ومطلعها : =

تلـــك المنـــاكرُ مـــازالت فظـــاعتُهـــا
مــلءَ الخــواطرِ والأنظـــارِ تُـــدمينـــا[16]

وصفتَ آثـــارَهـــا في أختِ أنـــدلسٍ
وصفـــاً يُهجِّن أهــلَ الغرب تهجينـــا[17]

بينـــا نراهمْ على سِلمٍ مـــلائكـــةً
نلقى الرجـــالَ على حربٍ شيـــاطينـــا

أضحتْ حضـــارتُهمْ غِشـــاً وَمكْـــذَبـــةً
فعــلَ الـــذئـــابِ وأقــوالَ النبيينـــا

مـــازلتُ أُحْسِنُ ظنـــاً بـــالـــذي زعمـوا
حتى أســـأتُ بـــدعــواهم أظـــانينـــا[18]

هـــذي الظــواهر لم تصـــدُقْ بــواطنُهـــا
أمستْ على الـــدهر سرّاً في عــوادينـــا[19]

☆ ☆ ☆

يـــاويــحَ قلبِـــكَ لم تهـــدأْ جــوانبُـــهُ
عن عبـــدِ شمسٍ ولم تهـــدأْ جــوانينـــا[20]

يـــاأختَ أنـــدلسٍ عليـــكِ ســلامُ   هــوتِ الخــلافـــةُ عنـــكِ والإســلامُ

(١٦) المنـاكر : ج منكر ، وهو كل فعل ليس فيـه رضى الله ، وهـو إشـارة إلى بيت شـوقي في قصيدة « الأنـدلس الجـديـدة » وهو يتحـدث عن جيش اليونـان والرومـان والبلغـار والصرب الذين تحالفوا على حرب الدولة العثمانية :

تمشي المنـــاكرُ بين أيـــدي خيلـــهِ   أنّى مشى ، والبغيُ والإجرامُ

(١٧) أخت أندلس : كناية عن أدرنة .

(١٨) الأظانين : جمع الجمع للظنّ .

(١٩) عوادي الدهر : عوائقه وصروفه .

(٢٠) الجواني : الجوانب .

أملتْ عليكَ بقايَاهمْ بأندلسٍ
مخلَّداتِ القوافي في أمالينا
بَنَوْا وهدَّمتِ الأيامُ بنيَتُهمْ
وكم بُناةٍ لهدمِ مايُبَنّونا[٢١]
ملكٌ شتيتٌ وتيجانٌ مبعثرةٌ
لم يبقَ من عزِّها إلا تأذّينا
شفتْكَ منهم قصورٌ فنُّها عجبٌ
يكدْنَ بعدَ انحدارِ المُلْكِ يَهوينا[٢٢]
كانت لنا في خوالي الدهرِ تهنئةً
فأصبحتْ في بواقيهِ تعازينا
لمستَ فيها عظاتِ الدهرِ دارجةً
على بقايا رسومٍ من أمانينا
مشتْ عليها الليالي في شدائدها
فبُدِّلتْ عزَّها الوضاحَ تهوينا
فلا القصورُ قصورٌ إن نزلتَ بها
ولا الملوكُ إذا ناديتَ واعونا
حُلْمٌ مَرِحنا به حيناً ، وتَمْنِيَةٌ
ظلّتْ على زحمةِ الأحقاب تُشجينا
ياوقفةً في ظلال الطّلحِ تسألها
نشجى لواديك أم نأسى لوادينا[٢٣]

---

(٢١) بنّاه بمعنى بناه ، وشُدّد للكثرة .

(٢٢) إشارة إلى بيته في قصيدته السينية التي عنوانها : « الرحلة إلى الأندلس »

وعظَ البحتريَّ إيوانُ كسرى   وشفتني القصورُ من عبد شمس

(٢٣) إشارة إلى مطلع قصيدته التي عنوانها « أندلسية » =

نـــاجيتَ نـــائحَهـــا نجـوى هـززْتَ بهـــا
تلـــك الريـــاحينَ حتى كِـــدنَ يبكينـــا
فـــأين في الطلـح تيجـــانٌ تُظَلِّلُـــهُ ؟
وأين فيـــه سـلاطينٌ يحـــامـونـــا ؟
بعثتَ فينـــا هـوى المـــاضي وروعتَـــهُ
والنفس تهتزُّ من رَوْعـــاتِ مـــاضينـــا
تكادُ تَلْمِسُ جنبيْـــهِ أنـــاملُنـــا
إذا وصفتَ فتُـــدنيـــه وتُـــدنينـــا
على نشيـــدكَ من تخليـــده صـــورٌ
زهتْ حضـــارتُنـــا فيهـــا أفـــانينـــا
في كلِّ نـــاطقـــةٍ فنٌّ يُفرِّحُنـــا
وكلِّ هـــامســـةٍ سِحْرٌ يُبْكّينـــا
صحـــائفٌ خلّـــدوا فيهـــا منـــاقبَهمْ
فهـل ترى بعـــدَهـــا إلا عنـــاوينـــا ؟
كنـــا معـــانيَ في الأحقـــاب لامعـــةً
مضت ومـــا بقيتْ إلا أســـامينـــا

☆ ☆ ☆

يـــادمعـــةً لـــكَ في الفيحـــاءِ هيّجهـــا
مُلـــكٌ لمروان مغصـوبٌ ينـــاجينـــا
غنيتَ بـــالمُلـــك ، والتيجـــانُ هـــاويـــةٌ
حتى لمسنـــا مهـــاويهـــا بـــأيـــدينـــا

يـــانـــائـحَ الطّلـحِ أشبـــاهٌ عـوادينـــا نشجى لـواديـك أم نـــأسى لـوادينـــا

فأين مسجدُكَ المحزونُ ؟ تسألُهُ :
هل قامَ مروانُ في حَشْدِ المصلّينا ؟[٢٤]
وأينَ من عبدِ شمسٍ سادةٌ دَرَجوا
عالينَ كالشمسِ لاعاباً ولا هونا ؟[٢٥]
هِجْتَ العروبةَ في أفياءِ غوطتِنا
حتى حنوْنا عليها عبشميينا
بعثْتَها في الحمى من بعد هَدْأتِها
حيناً من الدهر نطويه ويطوينا
نامتْ خواطِرُنا عنها فأيقظَها
سِحرُ القوافي فجاشت في أغانينا
من بعدِ ماذهبتْ عنا خيالَتُها
حنَّتْ إلينا خيالاتٌ تُناغينا
ذكرى أميةَ لم تبرحْ حواضرَنا
لما بكيتَ ولم توحشْ بوادينا
ناجيتَ جلَّقَ في وحيٍ تُردِّدُه
على اعتلاج الأذى فيها مغانينا[٢٦]

---

(٢٤) إشارة إلى قوله في قصيدته « دمشق » .
مررتُ بالمسجد المحزون أسأله ... هل في المصلّى أو المحراب مروان ؟
(٢٥) إشارة إلى قوله في قصيدته « دمشق » .
كانوا ملوكاً سريرُ الشرق تحتهمُ ... فهل سألتَ سرير الغرب ماكانوا ؟
عالين كالشمس في أطراف دولتها ... في كل ناحية ملك وسلطانُ
ـ العاب : العيب .
(٢٦) إشارة إلى بيته في قصيدته « دمشق » :
قم ناج جلّقَ وانشد رسم من بانوا ... مشت على الرسم أحداث وأزمانُ
ـ اعتلجت الهموم في الصدر : تلاطمت .

على بيـــانِـــك وشيٌ من خمـــائلنـــا
وفي قـــوافيـــكَ طيبٌ من روابينـــا
لم تنسَ نكبتَهـــا واللهُ حـــارسُهـــا
لمـــا صبغْنـــا ثَراهـــا من أضـــاحينـــا
هبّتْ تحيتُـــك الريّـــا يمـــوجُ بهـــا
صَبـــا الأصـــائـل في ريّـــانِ نـــادينـــا[27]
فضـــــجَّ كلُّ أبيٍّ من شكائِمنـــــا
وثـــارَ كلُّ كريمٍ من تغـــاضينـــا[28]
غمَـــزْتَهـــا غمـــزةً هـــزّتْ جـــوانبَهـــا
فـــانصـــاعَ في غفيـــةِ الأجفـــانِ غـــافينـــا[29]
قصـــائـــدٌ بـــدمِ الأحرارِ مـــائجـــةٌ
من وحي جلَّـــقَ نُعليهـــا وتُعلينـــا
مغمـوسَـــةٌ في نجيـعٍ من حصـــائـــدِنـــا
مصبـــوغـــةٌ بصبـــاغٍ من مـــواضينـــا
فيهـــا من الثـــورة الحمراء أمثلـــةٌ
تمثلتْ في مجـــاليهـــا معـــالينـــا[30]

---

(٢٧) إشارة إلى مطلع قصيدته التي عنوانها « نكبة دمشق » :

سـلامٌ من صبـا بردى أرقُّ ودمـعٌ لايكفكف يـادمشـقُ

(٢٨) الشكية : الأَنَفَة .

(٢٩) انصاع : انفتل راجعاً مسرعاً .

ـ الغَفْيَةُ والغَفْوة : النومة الخفيفة .

(٣٠) إشارة إلى بيته في قصيدته « دمشق » :

وللحريـة الحمراء بـابٌ بكل يـد مضرَّجـة يُـدقُّ

تلكمْ أميـــــةُ كرَّمْنـــــا منـــــازلَهـــــا
فلن ترانـــــا عليهـــــا مُسْتَـــــذَلّينـــــا

☆ ☆ ☆

يـــــابنتَ فرعـــونَ والأشجـــانُ مـــــائجـــــةٌ
هـــــلا صبرتِ وبعضُ الصبرِ يُسلينـــــا[31]
لـــــوكانَ يشفي رثـــــاءٌ في مُلِمَّتِنـــــا
صُغْنـــــا الجـــوانـــحَ شِعراً في مراثينـــــا
يكفي النعيَّ خلـــوداً في قـــلائـــــده
هـــذا الرثـــاءُ الـــذي أعيـــا قـــوافينـــا[32]
فنمْ على الـــــدهرِ شـــوقي في هـــواجسِنـــــا
مُـــوَرَّفَ الظـــلِّ لانـــامتْ ليـــاليـنـــا
العبقريـــاتُ في الـــدنيـــا مخلـــدةٌ
ومن يســـدُّ سبيـــلَ العبقريينـــــا ؟
مـــاكان خطبُـــكَ إلا أمـــــةً درجتْ
وقـــد يعـــادلُ شعرٌ أمـــــةً فينـــــا

☆ ☆ ☆

هـــذي أميـــةُ لم تهـــدأْ وســـاوسُنـــا
على دمشـــقَ ولم تَنْشَفْ مـــــآقينـــــا

٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٢

---

(٣١) بنت فرعون : كناية عن مصر .
(٣٢) النَّعيّ : المَنْعيّ .

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٥٦) بعد حديثه عن رثاء حافظ إبراهيم مايلي :

« وكما اشتهر حافظ إبراهيم ببؤسه ، فكان لهذا البؤس نصيب في مرثيتي فيه ، فكذلك اشتهر شوقي بنعيمه ، فكان لهذا النعيم نصيب في رثائي إياه سنة ١٩٣٢ »

ثم أورد سبعة الأبيات الأولى من القصيدة .

(٥٠)

المتنبي☆

ألقيت في مهرجان المتنبي
في الجامعة الأميركية ببيروت

خَضِلُ الظلِّ غضّةٌ أعوادُهْ	أرفيفُ الربيعِ أم أعيادُهْ ؟
أتراهُ قصيدةً في فمِ الدهـ	ـرِ يُغنّي بشعرِها أفرادُهْ ؟[1]
دَرَجَ الرومُ وانطوى آلُ حَمْدا	ن وأرخى شبابَهُ ميلادُهْ[2]
في سماعِ الزمانِ منه دويٌّ	ترك الشعرَ خالداً إنشادُه[3]
وَرِثتْهُ الآبادُ فهو ربيبٌ	في حماها مديدةٌ آبادُهْ[4]
جمع السِّحرَ والقوافيَ والآ	لامَ حتى تناسقتْ آحاده

☆ أبو الطيب المتنبي : (٣٠٣ ـ ٣٥٤) هـ

ولد بالكوفة ، وخرج إلى بادية الشام ، فأحاط بسرّ اللغة ، ثم جمح به طموحه ، فادّعى النبوّة . فحبسه أمير حمص ، ولما خرج من السجن ، قصد سيف الدولة الحمْداني بحلب ، فمدحه وشهد معه أكثر وقائعه مع الروم ، ولما جفاه ذهب إلى كافور الاخشيدي في مصر ، ومدحه راجياً أن يقلّده إحدى ولاياته ، فلما خاب ظنه هجاه وسافر إلى عضد الدولة بن بويه بفارس ، ثم عاد إلى بغداد ، وحين ذهب إلى الكوفة ترصّده فاتك بن أبي جهل مع جماعة من قومه ، وكان المتنبي هجاه فيما مضى ، فقاتلهم أبو الطيب حتى قُتل هو وابنه وغلامه .

(١) إشارة إلى قول المتنبي :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي	إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

(٢) درج القومُ : انقرضوا وماتوا .

ـ آل حمدان : من قبيلة تغلب بسطوا سلطانهم على حلب والشمال السوري ، واشتهر منهم سيف الدولة وأبو فراس .

(٣) إشارة إلى قول المتنبي :

وتركُكَ في الدنيا دويّاً كأنما	تداولَ سمعَ المرءِ أنمُلُه العشرُ

(٤) الآباد : ج أبد وهو الدهر .

وتـولّى القلـوبَ فهـوَ صـداهـا   كلٌّ قلبٍ بشعرِه تَهْـــــوادهْ(٥)

☆ ☆ ☆

مــاتملى هـوى الشبــابِ ولا لا   نَ على نـاضرِ الحيـاةِ مِهـادُهْ(٦)
وتلقى أيــامــهُ هرِمــاتٍ   فنما غُمّــهُ وطــالَ سُهــادُهْ
المَهــا والمــدامُ والـوَتَرُ المِــطـ   ـرابُ لَغْـوٌ يعـافـهُ تـوءادُهْ(٧)
خُلُــقٌ غيرُ خُلْقنــا وشعــورٌ   واهــجُ النــارِ هــدُّه وقّــادُهْ
لم يـذُقْ في حيـاتـه هـدأةَ البــا   لِ ولا طـابَ في الـدجى تهجـادُهْ
ذوّب الحسُّ جسمَــــهُ فتراه   نـاحلَ الجسم كالصَّبـا أجلادُهْ(٨)
تترامى بـــه المُنى والفيـــافي   جَـلَّ مــايبتغي وعـزَّ مُرادُهْ(٩)

☆ ☆ ☆

أمــلٌ كالفضـاء لفَ بــه الــدنـ   ـيا فضاقت وضـاقَ فيهـا امتـدادُهْ

---

(٥) التهواد : الصوت الضعيف الليّن الفاتر .
(٦) تملّى هوى الشباب : تمتع به طويلاً .
ـ المِهاد : الفراش .
(٧) المهاة : البقرة الوحشية جمعها مهاً ومَهَوات ، يُشبّهُ بها في حسن العينين ، وهي إشارة إلى قوله :

وغيرُ فــؤادي للغــواني رَميَّـــةً   وغيرُ بنـــاني للــزُّجـــاج رِكابُ

ـ التوءاد : الرزانة والتأني .
(٨) الصَّبا : ريح مهبّها الشرق .
ـ الأجلاد : ج جِلْد وهو غشاء جسد الإنسان .
(٩) الفيافي : ج فيفاة وهي المفازة لاماء فيها . والبيت إشارة إلى قوله :

أبـــداً أقطـــعُ البـــلاد ونجمي   في نحـــوسٍ وهمتي في سُعـــودِ

فكأني على العِقـــــاب أراه   خـائضـاً غَمْرةَ الثلوج جـوادُه[10]
أمــةٌ في قصيــدةٍ يتهــادى   فـوق لبنـانَ ، والبـلادُ بـلاد
يَنْشُدُ الـدربَ والضبـابُ يغطي   واضحَ الـدربِ مـايَبينُ رَشـادُ
وبيـاضُ الثلـوج مثـلُ سواد اللـ - ـيلِ خـافٍ بضـوئهـا مِرْصـادُ

☆ ☆ ☆

أو كأني بـــــأرض مصرَ أراه   ملَّـهُ الطَّرْفُ حين طـارَ رقـادُه
يتلـوّى على الفراشِ وقـــد قـلَّ - بمصرٍ على الضَّنى عُــــوّادُهْ[11]
تُجْهِدُ الحمى جسمَـهُ فتـذيبُ اللَّـ - ـحمَ منـه ومـا يـذوبُ فـؤادُه
مـايبـالي بزحْمـةِ المـوتِ منهـا   زحمـةُ المـوتِ طبعُـه واعتيـادُه

☆ ☆ ☆

أو كأني على دمشـــــقَ أراهُ   مــاجَ من هَــدْلَـةِ الحَمامِ ودادُه
أوحشتْـــهُ بشِعـبِ بـوّان أرضٌ   لم ينـاسبْ جُـدودَهـا أجـدادُهْ[12]

---

(١٠)العِقاب : ج عَقبة وهي المرتقى الصعب من الجبل ، وهـذا البيت وثلاثـة بعـده إشـارة إلى قوله :

وعِقــابُ لبنــانٍ وكيف بقطعهــا ؟   وهُــو الشتـــاءُ وصيفهنّ شتــــاءُ
لَبَسَ الثلـوجُ بهـــا عليّ مســـالكي   فكأنهـــا ببيـــاضهـــا ســـوداءُ

(١١) هذا البيت وما بعده إشارة إلى قوله حين أصيب بالحمّى في مصر .

وملّنيَ   الفراشُ   وكان   جنبي   يمـــلّ لقـــاءَه في كل عـــامِ
قليــلٌ عـــائـــدي ، سَقِمٌ فـؤادي   كثيرٌ حـــاســـدي ، صعْبٌ مرامي
عليـــلُ الجسمِ ممتنـــعُ القيـــامِ   شـــديـــد السكر من غير المـــدامِ

(١٢) الشّعب : المنفرج بين جبلين ، يريد شعبَ بوّان وهو موضع عنـد شيراز يعـدّ من جنـان الدنيا ، وهو إشارة إلى قوله :

=

فتفنى بجلّقٍ مـــا ثنـــاه الشِـ ـعْبُ عن حبّهـــا ولا أكرادُهْ
ونبـــا عن مـــلاعبِ الجِنّ قلبٌ لِعْبَـةُ المجدُ والـدّعـابُ جِهـادُهْ[١٣]
فتراه من العروبـــــة مـــــلآ نَ هـوىً فهْي دينُـه واعتقـادُهْ[١٤]
لقيَ الرومُ من قنـاهـا على الهيـ ـجاءِ طعنـاً مُبْرّحـاً إنفـادُهْ[١٥]
فمن العُرْبِ وحيُـــه وهَـــواهُ وإلى العُرْب خـالـدٌ إخـلادُهْ[١٦]
وإذا القلبُ لم يكن عربيّـــــاً أوشـكَ الشِّعرُ أن يشيـعَ فسـادُه

☆ ☆ ☆

قلمٌ قـــادَ مُعْـوِصـــاتِ القـوافي طَوْعُ تصـويره الـدقيـق قيـادُهْ[١٧]
مـــــاتعَصى على قريحتـــــــه الفكـ
ـرُ وإن كانَ في السماءِ اصطيـــــــادُه[١٨]

= ولـــو كانت دمشـــقَ ثنى عِنـــاني لبيـــقُ الثُرْد صينيُّ الجفــــان
أي لو كانت مغاني شعب بوان في دمشق ، لاستضافني رجل كريم لأن دمشق من بلاد العرب ، وأمرهم في الكرم مشهور .

(١٣) إشارة إلى قوله في شِعْب بوّان :

مـلاعبُ جِنَّـــةٍ لـو ســـار فيهـــا سليمـــانٌ لســـار بتَرْجُمان

ـ اللَّعْبُ واللَّعْبُ واللِّعِبُ : مصادر لفعل (لَعِب) .

(١٤) إشارة إلى قوله في مدح علي بن إبراهيم التنوخي :

وإنمـــا النـــاسُ بـــالملوك ومـــا تُفلـــح عُرْبٌ ملـــوكُهـــا عجمُ

(١٥) برّح به الأمر : أتعبه وأجهده، وآذاه أذىً شديداً .

(١٦) أخلد إليه : مال وسكن .

(١٧) أعوص في الكلام : أتى به غامضاً .

(١٨) إشارة إلى قوله :

أنـــام مِـلْءَ جفـوني عن شـوارِدهـــا ويسهر الخَلْـــقُ جرّاهـــا ويختصمُ

لاتراهُ على خِضَمِ المعـــــاني يترُكُ الـموجَ فـائتـاً تعـدادُهْ
فجَّر الحربَ بـالـمـداد دمـاءً فتـلاقتْ دمـاؤهـا ومِـدادُهْ
فترى الجـوَّ ملهبـاً منْ لظـاهـا وترى الأُفْـقَ مـائجـاً أطـوادُهْ
وتحسُّ الـدمـاءَ تقطرُ من جـا نب سيفٍ تنـدى بهـا أغمـادُهْ[19]
وتظنُّ الجريـحَ أودى بـه الجر حُ ونادى من الـوِجـاعِ ضمادُهْ[20]
وكأنَّ الأسيرَ في ذلَّـةِ الأسـ ـرِ تشـاكتْ من الأذى أقيـادُهْ
تحسبُ الليـل كالضحى وترى الصُّبـ
ـحَ يغطّي على البيـاض سـوادُهْ
يَشْغَـلُ الرومَ طيفُ حَمْـدانَ في الليـ
ـلِ فيُلـوي بنـومهمْ أجنـادُهْ[21]
فكأني أرى الـدُّمُسْتُـقَ في الفَرِّ ـ أحـاطت بخيلـه أعضـادُهْ[22]
فـانثنى الجيشُ في التـلاعِ فِراراً تحتـويـه تِـلاعـه ووِهـادُهْ
هكـذا الـوصفُ سمعـةً وعِيـانٌ وحيـاةٌ يهتزُّ منهـا جَمادُهْ[23]
ورديءُ القريضِ يَـدْرُجُ كالمـو جِ وتبقى مثـلَ الخضمِّ جِيـادُهْ

☆ ☆ ☆

شـاعرَ المجـدِ لـو تطلبّتَ مجـداً كان منـه طريفُـه وتـلادُهْ

---

(١٩) إشارة إلى قوله في سيف الدولة :

ألقتْ إليـك دمـاءُ الروم طـاعتَهـا فلـو دعـوتَ بـلا ضربٍ أجـاب دمُ

(٢٠) الوَجَع : جمعه وِجاع وأوجاع .

(٢١) ألوى به : ذهب .

(٢٢) الدُّمُسْتق : لقب إمبراطور القسطنطينية ، إشارة إلى قوله :

سرايـاكَ تترى والـدمستـقُ هـاربٌ وأصحـابُـه قتلى ، وأمـوالـه نهبى

(٢٣) العِيان : المشاهدة .

للمعــــالي تغريـــــدُهُ وأغــــانيـ ـــهِ حرامٌ في غيرهـــا إغراده[٢٤]
يجـــدُ القلبُ عِـــزةً في قـــوافيـ ـه ويضفـو من الكرامـةِ زادُه[٢٥]
ليس فيها غُنْجُ الخيالِ ، ولا التخـ ـنيثُ نَغْمٌ يَلَـــــــذُّهُ تَردادُهْ
مِـلءُ أشعـاره البطـولـةُ ريّـا من بيـــانِ طريـــةٍ أعــوادُهْ
طـاعنَ الـدهرَ وحــدَهُ ، كلٌّ أيـا مـــه طَعْنٌ ولم يُـزلْـزَلْ عِمادُهْ[٢٦]
ســار سيرَ الكرامِ في كنفِ الـدهـ ـرِ فلم تُلْـوِ عُنْقَــهُ أصفــادُهْ[٢٧]
إن أتـــاه الأذى على رَغَــدِ العيـ ـشِ تـولّى وطـالَ عنـه بعـادُهْ
سلْ « أبا المسكِ » هل تحّمل منـهُ كَرَمَ الغــدرِ أم شَجــاهُ شِرادُهْ[٢٨]
لـو تملّى الفتى بيـــانَ أبي الطيِّـ ـبِ مــا تمَّ لـلأذى استعبــادُهْ

☆ ☆ ☆

صـاحبُ الحكمـة التي تمـلأُ الـدهـ ـرَ فتَـزهى بحَلْيهـا أجيـادُهْ[٢٩]
يتخطّى مـــدى القلـوب فتلقـ ـــاهُ محيطـاً بهمسهـا تنقـاده

---

(٢٤) أغرده الطائر إغراداً : أطربه بتغريده .

(٢٥) ضفا يضفو : كثر .

(٢٦) إشارة إلى قوله :

أطـاعن خيـلاً من فـوارسهـا الـدهرُ وحيـداً ومـا قـولي كـذا ومعي الصبرُ

(٢٧) البيت وما بعده إشارة إلى قوله :

عش عــــزيـــزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنـــا وخفْــق البنـــودِ
فـــاطلب العــزّ في لظى ودع الـــذ ـ لّ ولـــو كان في جنـــان الخلـــودِ

ـ الأصفاد : ج صَفَد وهو القيد .

(٢٨) أبو المسك : كنية كافور الإخشيدي لسواده .

ـ الشّراد والشُّرود مصدران لفعل (شَرَدَ) .

(٢٩) الحَلْيُ : ما يزيَّنُ به من المعادن الثمينة أو الحجارة الكريمة .

ـ الأجياد : ج جيد وهو العنق .

فكأن الرجـــــالَ من كثرةِ التجـ ـريبِ في كَشْفِ خُلْقهمْ أولادُهْ
مـوقَــدُ الــذهنِ إنْ ألَمَّ بطبـعٍ أنطـقَ الطبـعَ ذهنُـه وانتقـادُهْ

☆ ☆ ☆

أيهـا الشـاعرُ الـذي مـلأ الـدنـ ـيـا دويـاً ممـاتُـه وولادُهْ[30]
تعبَ الــدهرُ من نِكادِكَ للــدهـ ـرِ ولم يُتْعِبْ أصغرَيْـكَ نِكادُهْ[31]
نَمْ هنيئاً ، لـكَ الخلودُ الـذي انقا دت على مـلءِ طـوعِهـا آمـادُهْ
كلُّ نبتٍ إلى الحِصـــــادِ ولكنْ شِعرُكَ الغضُّ لن يحينَ حِصـــادُهْ
كاخضرار الربيعِ في لـونـه الطَّلْـ ـقِ تـدلَّتْ على الضحى أورادُهْ
حســــــدوهُ على السماءِ التي حلَّـ ـقَ فيهـا ثمَّ انقضى حُسّـادُهْ[32]

☆ ☆ ☆

أيهـا المـولعـونَ بـالهـدْمِ مهـلاً ربَّ هــــدمٍ تهشَّمتْ أوتـــادُهْ
البنـاءُ العتيــدُ يبقى عتيــداً سـاخراً بـالمهـدِّمين عَتـادُهْ[33]

حزيران ١٩٣٥

---

(٣٠) إشارة إلى قول صاحب العمدة ابن رشيق .
« ... ثم جاء المتنبي ، فلأ الدنيا وشغل الناس » .
ـ الوِلاد والولادة : مصدران لفعل (وَلَد) .
(٣١) ناكده : عاسره .
ـ الأصغران : القلب واللسان .
(٣٢) إشارة إلى قوله يخاطب سيف الدولة :
أزلْ حســـدَ الحُسّـــاد عني بكبتهمْ فــأنتَ الـــذي صيَّرتهمْ ليَ حُسّـــدا
(٣٣) العتيد : الجسيم .
ـ العتاد : ماأُعِدَّ لأمرٍ ما .

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٥٦) :

« ... إلا أني في الحقيقة لم أنسّق المراثي حقّ التنسيق ، وأضع لها مخططاً في ذهني حتى لأحيد عنه إلا في قصائدي في المتنبي والمعري وفي مهرجان شوقي الأخير .

أقامت الجامعة الأمريكية في بيروت مهرجاناً للمتنبي سنة (١٩٣٥) فألقيتُ في المهرجان قصيدة ، ولم تكن قصيدتي من باب المراثي ، أي من باب الشعر الذي يكثر فيه النوح وتسيل فيه الدموع ، وإنما حاولت على قدر ماأعان عليه الإمكان أن أبعث المتنبي من مدفنه ، حتى أراه ماثلاً لعيني ، ولم يتم لي ذلك إلا برجوعي إلى شعره ، فقد كنت أبحث عن صورته في تضاعيف هذا الشعر ، وكنت أحصي بعض حوادث من حياته كما رأيتها في قصائده ، متتبعاً في ذلك أطوار حياته من أولها إلى آخرها .

لاحاجة بي إلى الاتيان على ذكر كل النواحي التي أشرت إليها في قصيدتي في المتنبي ، وإنما غايتي ذكر بعض نماذج من هذه النواحي ، وعلى هذا يتبين الفرق بين هذا النحو من الشعر ، وبين شعر المراثي التي قلتها من قبل ، كما تتبيّن في الوقت نفسه الأطوار التي دخل فيها كل من هذين النوعين من الشعر .

لقد كنت أتصوّر المتنبي في صورة رجل تقتله أعصابه من فرط حسّها ، فهو كثير الألم ، شديد القلق والاضطراب ، هذا من ناحيته النفسية ، أما من الناحية الخلقية فقد كان همه المعالي ، ولذلك بَعُد عن لذات الجسم كالشراب والطرب والنساء ، وانصرف إلى لذات العقل والنفس ، هذه هي الصورة التي نشأت له في ذهني من هذه الناحية ، ولايهمني أن أكون مخطئاً في هذا التصوّر أو مصيباً ، وإنما الذي يهمني أن أبرز هذه الصورة في شعري كما تخيلتها » .

ثم أورد سبعة أبيات هي (٨ ـ ١٤) وقال :

« أجل لقد تخيلت المتنبي مفرط الحس ، فدفعه هذا الإفراط إلى الإمعان في المنى ، ثم دفعه هذا الإمعان إلى الضرب في مناكب الأرض ، فهو يوماً في لبنان ويوماً في دمشق ، وحيناً في مصر ، وحيناً في العراق وفارس » .

ثم أورد خمسة أبيات هي (١٥ ـ ١٩) وقال :

« وقد كنت أحاول أن أدمج في شعري في كل أرض زارها شيئاً من الأثر الذي أبقته في نفسه ، ففي مصر أصيب بالحّمى ، وفي دمشق تذكر العروبة ، فحاولت بحسب مابلغته القدرة أن أجعل لهذه الحّمى ولهذه الذكرى أثراً في قصيدتي ، وماغايتي في هذا كله إلا أن أرى المتنبي

ماثلاً لعيني في كل طور من أطوار حياته ، وحسبي أن أستشهد بنموذج واحد من هذه النماذج ، لقد تصوّرته في دمشق فقلت : » .

ثم أورد ثمانية أبيات هي (٢٤ ـ ٣١) .

وكتب في ص (٦٧) في معرض حديثه عن وحدة القصيدة :

« ... إني كنت أعمل الشعر دون شيء من التنسيق ، وما اهتديت إلى هذا التنسيق إلا في قصيدتي في المتنبي ، وبعد هذه القصيدة كنت لاأعمل قصيدة إلا وضعت كل أجزائها في ذهني ، ورتّبت هذه الأجزاء حتى لايدخل بعضها في بعض .

يرجع تاريخ قصيدتي في المتنبي إلى سنة ١٩٣٥ أي إلى أربع وعشرين سنة ، فقد أقامت الجامعة الأميركية في بيروت مهرجاناً للمتنبي كما أشرت إلى ذلك من قبل ، وقد تكلم في هذا المهرجان كتّاب وشعراء ، في جملتهم حسين هيكل والرصافي .

اشتملت قصيدة المتنبي على عشرة مقاطع ، كل مقطع منها منفرد بنفسه ، منفصل عن الآخر ، له موضوع خاص ، ولماذا ملت إلى هذا الشكل من التقسيم والترتيب بعد أن كان الشعر ثورة تشبه ثورة الشباب ؟ السرّ في ذلك على ماأرى أني في قصيدتي في المتنبي وفي القصائد التي جاءت بعدها كنت أتصدّى لموضوعات واسعة الآفاق ، وأيّ أفق أوسع من آفاق المتنبي والمعرّي وشوقي . أم أي أفق أوسع من أفق مولد النبي ، فأنا إذا لم أرتّب أجزاء الآفاق ترتيباً ، وأنسقها تنسيقاً ذهبت عني أشياء كثيرة ، وتعاظلت الأفكار فركب بعضها بعضاً ، فلا تتراءى للذهن على حقائقها ، وعلى محاسن هذه الحقائق ، فالتنسيق يحدّد أجزاء القصيدة وأقسامها ، والذهن يستطيع في كل جزء وقسم أن يلم بالصور ، أو بأكثر هذه الصور على الأقل ، فإذا انتقلتَ من جزء إلى آخر جهدتُ على قدر الإمكان في تحديد صور هذا الجزء حتى تظهر في أكمل وجه ، ولاريب في أن القصائد التي كنت أعملها قبل هذا الشكل كانت أكثرها ناقصة في موضوعها ، فهي لم تستوف الموضوع الذي أعالجه على الوجه الذي أريد ، أو على الوجه الذي يستحقه هذا الموضوع ، فكانت تأتي الأبيات متتالية ، حتى إذا وصلتُ إلى المقطع الثالث أو الرابع من القصيدة أنهيت القصيدة ولم استوعب موضوعها .

ماعليّ بعد هذا إلا أن أستشهد بمقطع من مقاطع قصيدتي في المتنبي وهو مقطع الكلام على عبقريته » .

وأورد (١٤) بيتاً هي المقطع السادس كله (قلم قاد ...) ثم قال :

« لقد اشتهر المتنبي بوصف المعارك حتى قال فيه ابن الأثير : « إذا خاض في وصف

معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا ، فطريقه في ذلك يضل بسالكه ، ويقوم بعذر تاركه ، ولاشك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ماأداه عيانه » .

إني أعتقد أني وفيت المتنبي حقه في هذا المقطع في وصفه المعارك ، ولست أقول هذا على سبيل الفخر ، فإني عرضة لكل نقد ، والشاعر إذا قال شعره ، ودفعه إلى الناس ، أصبح الحكم عليه ملك الناس وحدهم ، فلو تركتُ القصيدة على سجيتها ، ولم أبال بوحدتها ، ولم أحصر الموضوع حصراً لجاءت أبيات في وصف عبقرية المتنبي ، ثم جاءت أبيات ثانية في تضاعيفها في وصف أمر آخر ، فيختّل الموضوع على هذا الشكل ، فحاسن التخطيط أن القصيدة تشتمل على وحدتها من جهة ، وتشتمل هذه الوحدة من جهة ثانية على أكثر ما يعن للشاعر من الأفكار . » .

وكتب في ص (٩٦) بعد حديثه عن رأي معروف الرصافي بقصيدة « وثب الردى والليل لائل ... » ذات الرقم (١٨) .

« ... واتفق أنا اجتمعنا مرة ثانية في الجامعة الأمركية في بيروت في مهرجان المتنبي ، وأنشد قصيدته التي جاء مطلعها :

كان أبـــو الطيب امرأ قُـــوَلَـــــهْ

وقد عارض بها قصيدة المتنبي

لاتحسبـــوا ربعَكُمْ ولا طَلَلَـــــهْ أوّلَ حيٍّ فراقُكُمْ قَتَلَـــــهْ

ولما عاد إلى دمشق بعد المهرجان ، سأله المرحوم معروف الأرناؤوط صاحب رواية (سيّد قريش) كيف كان مهرجانكم ؟ فقال له الرصافي : لم يصفقوا لي ، ولكنهم صفّقوا لشفيق جبري .

وكتب في ص (٩٨)

« ... إلا أني كنتَ أشعر بأن الألفاظ هي التي تدفع الصور المخزونة في ذهني ، فتظهرها وتبرزها من ذلك مثلاً قولي في مطلع قصيدتي في المتنبي :

خضـــل الظـــلّ ، غضّـــة أعـــوادُهْ أرفيفُ الربيـــع أم أعيـــادُهْ ؟

لقد جاءني قبل كل شيء هذا التركيب : خضل الظل ، فجرّت هذه الجملة إلى أخواتها المناسبة لها ، ولاريب في أن الصلة مستحكمة بين الخضل وهو الندى ، وبين الظل والغضاضة

والعود ، ثم إن الصلة مستحكمة بين هذه الأمور كلها وبين الربيع والرفيف والأعياد ، فهذه بأجمعها صور متجانسة ، فلا تخطر على البال صورة منها إلا أخطرت الصور الثانية ، فتلتحم كلها وتتناسق وتتلاحق ، والمرء لايعرف كيف التحمت وكيف تناسقت وكيف تلاحقت . وإنما العقل وحده هو الذي عمل هذه الأعمال العجيبة ، إني في فاتحة الأمر لم أفكّر إلا في صورة واحدة وهي خضل الظل أو نداه ، فإذا بالصورة تجيء بعدها ، فيدفع كل لفظ من الألفاظ ماينا سبه من هذه الصور ، وكأني لا أشعر بمجيء الصور ، وإنما الذي أشعر به بعد إتيانها إنما هو تناسقها الغريب » .

أبـــو العـــلاء المعري☆

ألقيت في مهرجان المعري في مدرج الجامعة السورية

هتفــوا ، والحِمى تمــوجُ جِنــانُــهُ
مــا ضجيــجُ الحِمى ؟ ومــا مِهْرجــانُــهْ ؟
أهشــــــامٌ على السرير وعـــــزُّ الـ
ملـــكِ يَطـوي لَمْـعَ الضحى لمعــانُــهْ ؟[1]

أم وفـودُ الحجـاجِ تُطري فَتـاهـا وابنُ مروانَ وارفٌ سلطـانُـهْ[2]
أم خيـالٌ من آل جَفْنـةَ كالفجـ ـر يغنّي بطيفــه حَسّانُــهْ[3]
فكأنّ النُّعمانَ قــد حشــدَ العُرْ بَ ، وكسرى زاهٍ بــه إيـوانُــهْ[4]
مــادرى الهـاتفـونَ أيـةُ ذكرى هيجتْ رَبْعَهمْ ؟فرفَّ حَنـانُــهْ

☆ **أبو العلاء المعرّي (٣٦٣ ـ ٤٤٩) هـ**

ولد بمعرة النعمان ، ولما بلغ الرابعة ذهب الجدري بنور عينيه ، كان ذكياً ، عجيب الحافظة ، تنقّل في بلاد الشام ، ثم ذهب إلى العراق ، ثم عاد إلى المعرة ، فزهد في عشرة الناس ، ورهن نفسه في داره أكثر من خمسين عاماً ، قضاها في التفكير وتدريس بعض الطلبة ، محرماً على نفسه الزواج ، لا يأكل ولا يلبس مما ينتج الحيوان ،وكان التين والعدس أكثر غذائه . توفي بالمعرة ، وأوصى أن يكتب على قبره :

هــــذا جنــــاه أبي عليّ - ومــــا جنيتُ على أحـــــدْ

من آثاره :« سقط الزند ، ولزوم مالا يلزم ، ورسالة الغفران ... »

(١) هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي العاشر .
(٢) أطراه : أحسن الثناء عليه ، وبالغ في مدحه .
ـ عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس .
(٣) آل جفنة : هم الغساسنة ، سُموا بذلك لأن أول من تولى قيادتهم كان ابن جفنة ، وقد سكنوا حوران وبادية الشام .
ـ حسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول ، وقد اتصل أول أمره بالغساسنة فمدحهم .
(٤) النعمان بن المنذر : ملك الحيرة في الجاهلية ، ورث الملك عن أبيه ، وأقرة عليه كسرى . وقد مدحه النابغة الذبياني .

تلك ذكرى أبي العلاءِ وما ذكـ ـراهُ إلاّ الربيعُ أو رَيْعانُهْ[٥]
دارَ والدهرُ وحيَهُ ، فتراه فَلَكاً ليس ينقضي دَورانُهْ

☆ ☆ ☆

كذب الشِّعرُ ما وفَى حقَّه الشِّعْـ ـرُ ، ولا أدىّ فضلَهُ إتقانُهْ
هيكلٌ من نعومةِ الحسِّ بالٍ لم يُطقْهُ من البِلى جُثْمانُهْ[٦]
وأديمٌ مرمَّمٌ هدَّه الضعْـ ـفُ فكادتْ تمجُّهُ أردانُهْ
ذابَ حتى تخالَهُ العينُ وهماً أمِنَ الوهمِ شفَّهُ ذَوَبانُهْ ؟
عصبٌ ثائرٌ ولا ثورة النا رِ ، وفكرٌ لم يتَّئِدْ هيجانُهْ
أركبْتَ الخضمَّ في عصفةِ الريـ ـح ، فما موجُهُ ؟ وما طُغْيانُهْ ؟
يطمئنُّ العُبابُ بعد مُثارٍ أين منه على الدُّجى اطمئنانُهْ ؟
لو أصابتْ مَلْكاً عضوضاً قوافيـ ـهِ لمادت من وقعها أركانُهْ[٧]

☆ ☆ ☆

إنما الشعرُ ثورةٌ من صميم الـ ـقلبِ ؛ مالحنُهُ ؟ وما أوزانُهْ ؟
إن لويْتَ الحديدَ عن عاتقِ الشعـ ـبِ تلوَّتْ بسحْرِهِ قُضْبانُهْ[٨]
دُولٌ كا لأحلامِ تَدْرُجُ في الأر ضِ وتبقى نديّةً أفنانُهْ
هَدَمَ الدهرُ مشمخرَّ المباني وسماعن تهديمِهِ بُنيانُهْ
ربَّ تاجٍ على جوانبه الدرُّ ـ نضيدٌ أزرتْ به تيجانُهْ
اِبْنَ صوبِ القلوبِ والفِكَرِ الغُرِّ ـ تعالى مثلَ السماءِ مكانُهْ
ثورةٌ في اعتسافِ كلِّ عنيدٍ تتلظىّ في وجههِ نيرانُهْ

---

(٥) الريعان من كل شيء : أوله وأفضله .
(٦) الجُثمان : الجسم .
(٧) المَلْك والمَلِك : صاحب المُلك .
(٨) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

وهـدىً في الأنـامِ يلمـحُ كالصبـ ـحِ فتمشي بضـوئِـهِ عُميـانُـهْ
أيُّ سَمْـعٍ لم ينبسِـطْ لأغـانيـ ـهِ ؟ وقلبٍ ماهـزَّهُ تَحنـانُـهْ ؟
يَطْرَبُ البلبـلُ المغردُ في الرو ضِ فتنـدى من صوتِـهِ أغصانُـهْ
ويَفيضُ القريضُ في المَحْفِلِ الظمـ ـآنِ حتى يروى بـه ظَمآنُـهْ
لا يُعـزُّ اللهُ العـزيـزُ رِجـالاً لم يكرَّم في ظلِّهمْ فُرسـانُـهْ

☆ ☆ ☆

يـا ضريحـاً على المعرةِ مـا استو حشَ منـه في ليلـة جيرانُـهْ
عـافَ ربُّ الضريـحِ كلّ نعيمٍ في حـواشيـهِ ذُلُّـهُ وهـوانُـهْ
لم يُفَجِّـعْ أمـاً بمـا تُرْضِـعُ الأمُّ ـ فغـذّت رضيعَهـا ألبـانُـهْ[٩]
يَمْـرَحُ الطـيرُ فـي ذَراهُ آمنـاً ملءُ عينيْه في الفضاء أمانُـهْ[١٠]
حَسْبُـهُ المـاءُ والقَفـارُ من الخبـ ـزِ فهـذا نعيمُـهُ ولَيـانُـهْ[١١]
مـا رفيفُ القصـورِ ؟ مـاترفُ السلـ
ـطانِ ؟ما تـاجُـهُ ، ومـا صولجـانُـهْ ؟[١٢]
ربَّ كـوخٍ أشهى إليـه من القصـ ـرِ وإن مـاجَ أنسُـهُ وقيـانُـهْ
عيشـةُ الفكرِ لا حيـاةُ جمـادٍ مـات إحساسُـهُ وطاح كيـانُـهْ

---

(٩) إشارة إلى قول المعرّي في اللزوميات :

ولا تفجعنَّ الطيرَ وهي غـوافـلٌ بمـا وضعتْ فـالظلم شرُّ القبـائـح

(١٠) إشارة إلى قول المعرّي يخاطب الديك :

ولـو كنتَ لي مـا أُرهفتْ لـك مـديـةٌ ولا رام إفطـاراً بـأكلـك صـائمُ

ـ الذَّرا : الملجأ .

(١١) القَفار : الخبز بلا أدم يقال « أكل خبزه قَفاراً »

ـ اللَّيان : رخاء العيش ونعيمه .

(١٢) هذا البيت وما بعده إشارة إلى قول المعري :

أغنى الأنـام تقيٌ في ذُرا جبـلٍ يرضى القليل ويأبى الوشيَ والتـاجـا
وأفقرُ النـاس في دنيـاهمُ ملـكٌ يُضحي إلى اللجب الجرار محتـاجـا

عيشـــــــــةُ الحسِّ والعـــــــــواطفِ والفنِّ
ـ ففيهـــا صِراعُـــه وطِعـــانُـــهْ

هكـــذا المرءُ فكرةٌ وشعـــورٌ لاجمـــادُ العرا ولا حَيَـــوانُـــهْ

☆ ☆ ☆

يفخرُ النـاسُ بـاللآلىءِ من كَسْـ ـبٍ حرامٍ ، وفخرُهُ ديــوانُـــهْ
لم يَضِرْهُ فقــدُ النـواظرِ فـالقلـ ـبُ بصيرٌ تفتّحتْ أجفــانُــهْ[13]
قـد يرى المرءُ بـالفطـانـة مـاليـ س تراهُ على النـوى أعيـانُــهْ[14]
كم بصيرٍ أعمى الجَنـــانِ إذا أمَّـ ـسبيـلاً ضـلَّ السبيـلَ جنـانُـهْ

☆ ☆ ☆

فلسفيُّ التفكيرِ إنْ رامَ فِكراً في عَنـانِ السماءِ لان عِنـانُـهْ[15]
يتهـــادى على خِضمِّ المعـــاني لم يَفُتْـهُ مـوجٌ ولا حُسْبـانُـهْ
وزَنَ الـدهرَ والخـلائـقَ والنـا سَ ولم يخطئ شعرةً ميزانُــــهْ
لمسَ الـدنيـا بـاليـديْنِ وجـالتْ في خبـايـا رجـالِهـا آذانُـهْ
فتخطىّ القلـوبَ حتى وعـاهـا فجلاهـا مثـلَ الضحى تِبْيـانُـهْ
فترى اللـؤمَ أصفرَ اللـون يُخفي نهشـةَ المـوتِ والأذى ثُعبـانُـهْ
وترى الكِـذْبَ جـائـلاً في مَـداهُ ثم تغـدو قصيرةً أشطـانُــهْ[16]
وترى الخُبْثَ ثعلبـــاً يتلـــوّى لم يَطُـلْ مَكرُهُ ولا رَوَغـانُـهْ
ويظـلُّ الغبيُّ بـالـزَّهـوْ يهـذي مـازُهُـوُّ الغبيِّ ؟مـا هَـذَيـانُـهْ ؟
صُـوَرٌ أوحـاهـا الـزمـانُ إليـه فرواهـا كما رواهـا زمـانُـهْ

---

(١٣) ضارَهُ يَضيره : أضرّبه .
(١٤) الأعيان والعيون : ج عينْ وهي الباصرة .
(١٥) عَنان السماء : ما ارتفع منها .
(١٦) الأشطان : ج شَطَن وهو الحبل .

يَهْرَمُ الدهرُ ، والتصاويرُ باقٍ سرُّها ، لايَمَسُّهُ حِدثانُهْ[17]

☆ ☆ ☆

راحةُ القبر لحنُهُ وأغانيـ ـه فما التذَّتْ غيرَها ألحانُهْ
ماشِفاءٌ كأنّها الروحُ والرَّيْـ حانُ ؟ في دفنِ جسمِهِ ريحانُهْ
ماثُدِيٌّ كأنها حبُّ رُمّا نٍ على الصدرِ ؟ في الثرى رُمّانُهْ
ما عيونُ الغِزْلانِ والسِّحرُ فيها ؟ فالمنايا في شِعْره غِزْلانُهْ
فكأن الفناءَ دِفْءٌ من البَرْ دِ وقد طالَ قَرْسُهُ وأوانُهْ[18]
أو كأنَّ الهلاكَ ظِلَّـ ـةُ حَرٍّ يتلاشى في ظِلّها وَهَجانُهْ[19]
أملٌ ذاهبٌ ، ويأسٌ مقيمٌ طالَ في جانبيْها خَطَرانُهْ

☆ ☆ ☆

أذعنَ الناسُ للسلاسلِ فانقا دوا وأعيا أصنامَهم إذْعانُهْ
ثارَ من زُخْرُفِ السياسة فيهمْ فتحدّى طُغاتَها شَيْطانُهْ[20]
كلُّ علْجٍ في ظِلّها عربيٌّ من مَعَدٍ يسمو به عدنانُهْ
ما رأى منها مُحْسِناً يَسَعُ الأمَّـ ـة في ليلِ ظُلْمِها إحسانُهْ
ذهب الصادقونَ منها على الدهـ رِ فجاشتْ لفقدِهمْ أحزانُهْ
وتمطّى في جَنْبِهِ كلُّ دجّا لٍ توالى على الورى بُطلانُهْ
نَهَبَ الشَّعبَ واستباحَ حمى الشعـ ـبِ ، فمنه قصورُهُ وجنانُهْ
ضجَّ منه أبو العَلاءِ ومن غَفْـ ـوةِ شعبٍ ما هاجَهُ عُدوانُهْ

---

(١٧) حدْثان الدهر وحَدَثانه : نوائبه .

(١٨) القرْس : البرد الشديد .

(١٩) الظّلة ما أظلّك كالسحاب وغيره .

(٢٠) هذا البيت إشارة إلى قول المعري :

مُلَّ المُقام فكم أعاشر أمة أمرتْ بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوْا مصالحها وهم أُجراؤها

صاحَ : أين الإمامُ في الوطنِ الحرّ ـ تُغنّي بعَدْلِهِ أوطانُهْ
أينَ أينَ الإمامُ في أمةٍ يصـ ـدُقُ فيها فؤادُهُ ولسانُهْ
لاتراه يذوبُ في كلِّ لونٍ لم يَحُلْ عهدُهُ ولا ألوانُهْ[21]
إنما المُلْكُ خدمةٌ مِلؤها الصد قُ وقلبٌ ما يلتوي إيمانُهْ

☆ ☆ ☆

فَسَدَ الخَلْقُ من قديمِ الليالي واستوتْ في فسادِهِ أزمانُهْ[22]
فكأن الإنسانَ في الغارِ من أمـ سِ ولم تَنْخَسِفْ به غيرانُهْ[23]
أفلا نشهدُ الزِّحامَ على الأر ضِ وهذي جروحُهُ وأنانُهْ[24]
كم بكى الجنُّ والأناسيُّ من هو لِ ألحّتْ عليهما أشجانُهْ[25]
لم يبدِّلْ غرائزَ الناسِ علْمٌ بدّلَ الأرضَ والسّما مَيْدانُهْ
وعَظَ الواعظونَ مِنّا طويلاً ما شفى وعظُهُمْ ولا برهانُهْ
ليت نِوحاً على السفينةِ والكو نُ غريقٌ يَعُمُّهُ طُوفانُهْ[26]
فلعلَّ الأيامَ تأتي بجيلٍ لم تُرَوِّعْ سِخالَهُ ذُؤبانُهْ[27]

☆ ☆ ☆

---

(٢١) حال الشيء يحول : تحوّل من حال إلى حال .

(٢٢) إشارة إلى قول المعري :

كذاك كان بنو الإنسان مذ خُلقوا فلا يظُنّ جهولٌ أنهم فسدوا

(٢٣) الغيران : ج غار وهو الكهف .

(٢٤) أنّ أنيناً وأناناً : صوّتَ لألمٍ وتأوّه .

(٢٥) الأناسيّ والأُناس : البشر ج إنسيّ .

(٢٦) إشارة إلى قول المعري :

والأرض للطوفان مشتاقةٌ لعلها من دَرَنٍ تُغْسَلُ

(٢٧) السخال : ج سَخْلةَ وهي ولد الشاة .

خَفِف الهَمسَ ما أظنّ رُفات الشّـ ـيخِ يرضى بضجةٍ لُقيانُهْ[28]
عاشَ في عُزلَةٍ ومات عليها في هدوءِ اعتزالِهِ رِضوانُهْ
لم نُكَرّمْ أبا العلاء ولكنْ كرَّمتْهُ آياتُهُ وبيانُهْ
بعثت جِلَّقَ روائعَ ماضيـ ـهِ ، وهذي آثارُهُ وعِيانُهْ
قسماً بالحمى وما نَسَجَ الفجـ ـرُ عليه فلألأتْ أحضانُهْ
ليس يفنى شعبٌ تغنى بماضٍ ملأ الدنيا نعمةً عُنفوانُهْ
أرأيتمْ والمِهْرجانُ صداهُ كيفَ هبَّتْ سهولُه ورعانُهْ[29]
يتناجى شبابُها في هوى الما ضي ونجواهُمْ ضَمَّهُ وضمانُهْ
فمتى يَنْظِمُ الحِمى عَلَمَ يحـ ـمِلُ بشرى التفافهم خفقانُهْ ؟

١ تشرين الأول ١٩٤٤

كتب في كتابه « أنا و الشعر » ص (٥٨) :

« وقد نهجتُ في قصيدتي في المعري النهج نفسه ، فاجتهدتُ أن أرى المعري على قدر ما يسمح به خيالي ، وقد كنت أرى شبهاً كبيراً بين حسّ المتنبي و حسّ المعري ، فكنت أتصوّر إفراطَ كل واحد منهما في الحسّ ، لقد ألم كل منهما في حياته أشدّ الألم ، ولا عبرة في نظري بإقبال المتنبي على الدنيا ، وبإدبار المعري عنها ، فلم يكن ألم المتنبي وهو مفكر في نعيم الدنيا أقل من ألم المعرّي وهو مفكر في بؤسها وشقاوتها ، المهم في هذين الأمرين أن كلاً من المتنبي والمعري كان دقيق الشعور لطيفه ، فهل استطعتُ أن أصور هذه الدقة وهذا اللطف لما قلتُ في المعري ؟ : »

ثم أورد ستة أبيات هي (١٠ ـ ١٥) وقال :

« إلا أن الناحية التي غلبت على المعرّي في حياته إنما هي ناحية التقشف والزهد في الدنيا ، فقلت في هذه الناحية : » .

---

(٢٨) هذا البيت في تركيب ألفاظه ينظر إلى قول المعري :

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد

ـ الرُّفات : الحطام وكل ما تكسرّ وبلي .

(٢٩) الرِّعان : ج رعْن وهو الجبل الطويل .

ثم أورد (١٠) أبيات هي (٢٩ ـ ٣٨) وقال :

« هكذا كان همي في المراثي التي قلتها . أو في القصائد التي عملتها على ذكر كبار الشعراء . كان همي أن أصبغ كل رجل وكل شاعر باللون المناسب له بحيث يصحّ الشعر فيه ولا يصحّ في غيره .

وكتب في ص(٧٠) في معرض حديثه عن وحدة القصيدة مايلي :

« وما فعلته في قصيدتي في المتنبي ، فعلته في قصيدتي في المعري سنة ١٩٤٤ أي من خمس عشرة سنة ، فقد أقام المجمع العلمي العربي في دمشق مهرجاناً للمعري دام أسبوعاً اشترك فيه أئمة الأدب في بلاد العرب كلها . لا أرى بي حاجة إلى إعادة ما قلته في المعري . إنما لا أجد مندوحة لي عن الإشارة إلى أمر ، فإني في قصيدتي في المعري . تَصوّرت نواحيه كلها أو بعض نواحيه على الأصح ، وتكلمت عليها بحسب ما استطعت ، غير أن الشاعر في بعض الأوقات تغلب عليه وهو يعمل الشعر نزعة خاصة ، سببها أمر نفسي ، والأمر الذي غلب عليّ وأنا أعمل قصيدتي في المعري يرجع إلى اعتقادي أن بعض رجال الحكومات يكرهون الشعر والشعراء ، أو يكرهون شعراء بأعيانهم ، فاغتنمت فرصة القصيدة لأرفع من منزلة الشعر ، وما أظن أن وصف الشعر في قصيدة تقال في المعري أو في شوقي مثلاً تخرج عن الموضوع أو تنبو عنه ، وهذا هو المقطع الذي جاء فيه وصف الشعر : » .

ثم أورد المقطع الثالث وهو (١٢) بيتاً (إنما الشعر ...) .

وقال في ص (٩٩) :

« وإذا انتقلتُ من قصيدتي في المتنبي إلى قصيدتي في المعري ، وجدت الأمر نفسه . فمن قولي في قصيدتي في المعري : »

ثم أورد خمسة الأبيات الأولى ، وقال :

« فإذا عمدتُ إلى بيت من هذه الأبيات بلغت النتيجة ذاتها التي بلغتها في مطلع قصيدتي في المتنبي ، فلنعمد إلى البيت التالي :

فكأنَّ النعمان قد حشد العُرْ ... بَ ، وكسرى زاهٍ به إيوانُهْ

فإن لفظة النعمان أوحت إليَّ حشد العرب ، ثم إن حشد العرب أوحى إليّ لفظة كسرى . ثم إن لفظة كسرى أخطرت على البال الإيوان ، وهكذا نجد أن الصور يدفع بعضها بعضاً من غير أن يُحسّ صاحبها بهذا التدافع ، ولكنها لا تتدافع على شكل فوضى ، وإنما تتلاحم كما قلت وتتناسق حتى يصبح البيت كأنه بناء مستقل . » .

(٥٢)

شَــــــــاعرُ العرَب☆

ألقيت في مهرجـان أسبـوع شـوقي في القاهرة سنة (١٩٥٨)

مـا الـذي هيَّـج الحمى والعُرْبـا ؟ أنسيمٌ من شـاعرِ العُرْبِ هبَّـا ؟
فمشَـوْا في مـواكبِ الفنِّ زَهْـواً وتهـادَوْا على المـواكبِ عُجْبَـا
أخـذتْ فيهمُ الأغـاريـدُ واللحـ ـنُ فراحـوا منهـا نشاوَى شَرْبـا[1]
سـائل العُرْبَ يـوم كان دويُّ الشِّـ ـعْرِ يُـزجي إلى المعـالي العُرْبـا[2]
كتبـوا المجدَ بـالسيوفِ وبـالشعـ ـرِ فكان القريضُ أخلـدَ كَتْبـا[3]
لغـةُ القلب طـالمـا خـاطبَ القلـ ـبَ فهـزَّ الشعـورَ جنبـاً جنبـا
تـارةً يمـلأ المـدراكَ جِـدّاً وتراهُ يفيضُ حينـاً لِعْبـا[4]
يبسـطُ السِّلْمَ إنْ أردتَ سـلامـاً ويَشُبُّ الحروبَ إنْ شئتَ حربـا
قد تَحولُ الصحراءُ في روعة الشعـ ـرِ فتغـدو منـه حدائـق غَلْبـا[5]
كرَّمَ اللّهُ دولـةً كرَّمتـهُ فنما في ظـلالِهـا واستتبَّـا

☆ ☆ ☆

إيـه شـوقي ! لـو كان للشعر ربٌّ جعلتـكَ الأذواقُ للشعرِ ربَّـا

☆ ورد التعريف بشوقي في قصيدة (في ظلال كرمة ابن هانئ) ذات الرقم (٤٩) .

(١) الشَّرْب : ج شارب .

(٢) يزجي يسوق

(٣) الكتْبُ والكتابة : مصدران لفعل (كتب) .

(٤) اللِّعْب و اللَّعْب و اللَّعِبُ : مصادر لفعل (لعب) .

(٥) حال الشيُ يحول : تحوّل من حال إلى حال .
ـ الغُلْب : ج غلباء وهي الحديقة المتكاثفة الشجر

يا غذاءَ القلوبِ إن تُجْدبِ الأر ضُ فلسنا نظنُّ فيك الجَدْبا[6]

شاعرَ العرْب كان شعرُك حيناً كنسيم الصَّبا وحيناً عَضْبا[7]

كلما طالَ عهدُهُ وتراخى رفَّ في مِسْمَعِ الزمان وشبَّا[8]

☆ ☆ ☆

كم هززتَ الرجالَ في ثورة الشا مِ فثاروا ولم يبالوا الخَطْبا[9]

نفختْ فيهمُ القلائدُ روحاً جعلتْ في الشدائدِ الموتَ عذْبا

فاستطاروا مثلَ الرياحِ إلى المو تِ فكانوا فيه رياحاً نُكبْا[10]

فنفضنا عن المرابعِ ضَيْماً سالَ فيه النجيعُ مُزناً وسُحْبا[11]

غصبوا الشامَ واستباحوا حِماهُ ثم طاحوا وما تملَّوْا غَصْبا[12]

كيف ننسى في غوطةِ الشامِ يوماً كنتَ فيه نوراً وكنتَ اللَّهْبا[13]

جُلتَ بالشعرِ جولةً فحسِبْنا طيفَ مروانَ في النواظر دبَّا[14]

وكأنّا نرى الخلافةَ تختا لُ وملكاً مع الخلافة صُلبا

(٦) أجدب المكانُ : انقطع عنه المطر فيبست أرضه .

(٧) العَضْب : السيف القاطع .

(٨) المِسْمَع : الأذن .

(٩) إشارة إلى قصيدة شوقي في الثورة السورية التي عنوانها (نكبة دمشق) ومطلعها :

سلام من صبا بردى أرقُّ ودمع لايُكَفكَفُ يادمشقُ

(١٠) النكبُ : ج نكباء وهي ريح انحرفت ووقعت بين ريحين .

(١١) النجيع من الدم : ما كان مائلاً إلى السواد
- المُزنة : السحابة البيضاء ، والجمع مُزن .

(١٢) الواو في (غصبوا) تعود على المستعمرين الفرنسيين .
- تملاّه : تمتع به طويلاً .

(١٣) اللَّهْبُ واللَّهَب واللَّهيب : مصادر لفعل (لهب) .

(١٤) عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس .

هكـذا الشعرُ ثـورةٌ كلمـا هـا ، جتْ شعوبٌ أوحى إليهم غَلْبـا[15]

☆ ☆ ☆

ضَحِـكَ الشعرُ في بيـانِـك وابيضَّ ـ ـتْ حـواشيـه مـا نشـاهـدُ كَرْبَـا
فغـدا مسرحُ الظبـاءِ إذا مـا نَـدَّ سِربٌ فتنتَ منهـا سِرْبـا[16]
غَـزلٌ يَنْفُـذُ القلـوبَ فتلقى بهـواهـا فيصبـحُ القلبُ صَبّـا[17]
فتظـلُّ العيـونُ تَغْمِـزُ غمـزاً وتظـلُّ الشفـاهُ تَرْضُبُ رَضْبـا[18]
ويكادُ النسيبُ ينطِـقُ سِحراً ويكادُ الهـوى يَشُـقُّ الحُجْبـا
وترى قُبلـةَ الثغـور على الخـدّ ـ وتلقى مِـزاحَهـا والـدَّعْبـا[19]
يتـلاقى العنـاقُ والضمُّ والشمُّ ـ وهُـدْبٌ يلـزُّ فيهـا هُـدْبـا[20]
لا تلمَّ الشَّبـاكَ من كل دربٍ لم تغـادرْ في غمرةِ الحبِّ دَرْبَـا
لـو يسيـلُ الهوى خـلالَ القـوافي سلسبيـلاً غمرتَ منـه الهَضْبـا[21]
قد ملأتَ الشبـابَ حبّاً وفـاضت جـارةُ الـوادي في فـؤادِكَ حُبّـا[22]
فـإذا جفَّ في الشيـوخِ هـواهمْ هِجْتَ فيهم هوى الشيوخِ فـأبّـا[23]

---

(15) الغَلْب والغَلَب والغَلَبة : مصادر لفعل (غَلَب) .
(16) ندّ الظبيُ : نفر وذهب شارداً .
(17) الصب : العاشق ذو الولع الشديد .
(18) رَضَبَ الريقَ يرضُبهُ رضْباً : رشفه وامتصه .
(19) الدَّعْب والدَّعابة : مصدران لفعل (دَعَبه) أي : مازحه .
(20) هُدب العين : ما ينبت من الشعر على أشفارها .
(21) الهَضْب والهِضاب : جمعان للهضبة وهي ما ارتفع من الأرض .
(22) إشارة إلى قصيدته (زحلة) التي غنى محمد عبد الوهاب بعض أبياتها
يـا جـارة الـوادي طربتُ وعـادني مـا يشبـه الأحـلام من ذكراكِ
(23) أبّ للشيء : تهيأ له وتجهز .

فتنــادَوْا إلى الكؤوسِ وصــاحـوا   هـاتِهـا يـا نـديمُ صِرْفـاً وصُبّـا[٢٤]
أنتَ لاتــدري مــا تَكِنُّ الليــالي   إن توالتْ ومـا تكـونُ العقبى ![٢٥]

☆ ☆ ☆

أدمــوعٌ بــأرضِ أنــدلسٍ جُــدْ   تَ بها ، رَوَّت رَوْضَهـا وَالتربـا[٢٦]
فكأنّ العيــونَ تلمــحُ شَجْــواً   وكأنَّ الآذانَ تسمـع نَــدْبــا
أم غنــاءٌ كالعنـدليبِ طـوى الأر   ضَ فخِلْنــا بعُـدَ المنــازل قُرْبــا
فكأنَّ السنينَ لمــــا ترامتْ   وثبتْ نُصْبَ أعينِ القـومِ وثبـا
فرأينـــا القصـورَ تلمـعُ في الليـ   ـل فتَهدي فوق البطـاحِ الرَّكْبـا[٢٧]
وقطعنـا الريـاضَ بين رفيفِ الـدَّ   ـوْحِ نجتــازُ سرْوَه والـدُّلْبـا[٢٨]
ولمسنـــا النعيمَ في جنـــة الأر   ضِ يُروّي الربـوعَ شعبـاً شعبـا
فبكينــا مُلكاً قِــذافَ الليــالي   غرسـوا فـوقـه القنـا والقَضْبـا[٢٩]
ركبـوا الموجَ والعُبـابَ وطـاروا   يقطعـونَ العُبـاب كُثبـاً كُثْبـا
رفعـوا الملـكَ والحضـارةَ والفنَّ   ـ وكانـوا الرحى لهــا والقُطْبـا

---

(٢٤) إشارة إلى قصيدته التي مطلعها :

رمضــانُ ولّى هــاتهــا يــا ســاقِ   مشتــاقــةً تسعى إلى مشتــاق

(٢٥) كنّ الشيءَ : ستره وغطاه وأخفاه .

(٢٦) إشارة إلى سينيته (الرحلة إلى الأندلس) التي مطلعها :

اختــلاف النهــــار والليــل يُنسي   اذكرا لي الصِّبــا وأيــــام أنـي

(٢٧) الركْب : جماعة الراكبين .

(٢٨) الدلب : شجر يعيش على ضفاف الأنهار ومجاري المياه .

(٢٩) القذاف : ما قبضتَ بيدك مما يملأ الكف فرميت به .
- القنا : ج قناة وهي الرمح أو عوده .
- القضْب : شجر تُتخذ منه القسيّ .

فهوى الملك والدموعُ تروِّيـ ـه وساءتْ تلك الأوائلُ غِبّا
وكذاك الأيامُ تعصِفُ بالنا س ويبقى ما أودعوه الكُتْبا
صورٌ تقطُرُ البلاغةَ حتى تحسبَ الصدقَ في البلاغةِ كِذْبا
كلما رَثٌّ أو تقادمَ عهدٌ جدَّدَ الشعرُ وشيَه والعَصْبا[٣٠]

☆ ☆ ☆

كذبَ الدمعُ ما وفى حقَّك الدمـ ـعُ وإنْ ماج كالخضمِّ وأرْبى[٣١]
قد حبوتَ التاريخَ ماليس يبلى لؤلؤاً من لآلىء الشعرِ رَطْبا[٣٢]
فشهدنا فرعونَ قد نفضَ القبـ ـرَ وهزَّ الأحقابَ حُقباً حُقبا[٣٣]
وأتَوْهُ بالأكلِ والشربِ حتى رأتِ العينُ أكلَهُ والشُّرْبا
لبستْ مصرُ من بيانك بُرداً لم تَزِدْهُ الأيامُ إلا رَحْبا
هدرتْ كالعُبابِ تَحطِمُ قيداً أنْقَضَ الظهرَحَمْلُهُ والصُّلْبا[٣٤]
فتغنيتَ بالهديرفهاجتْ لم يفلَّ الحديدُ منها غَرْبا[٣٥]
وقفتْ كالأهرامِ في ثورة الضيـ ـمِ وطالت سماءَها والشُّهْبا
وانثنى الضيمُ عن حِماها ونالت من رقابِ العدوِّ طعناً وضَرْبا

---

(٣٠) العصب : ضرب من البُرْد سُمي بذلك لأن غزله يُعْصَب أي يُجمع ويُشدّ .
(٣١) أربى عليه في كذا : زاد عليه فيه .
(٣٢) الرطب : الناعم .
(٣٣) إشارة إلى قصيدة شوقي (توت عنخ آمون والبرلمان)ومنها :

فقال والحسرةُ ما أشدَّها ليت جدار القبر ما تدهدها

ـ الحُقْب : ثمانون سنة أو أكثر ، أوالدهر ، وجمعها أحقاب .
(٣٤) انقض الظهر : أثقله ،والبيت وما بعده إشارة إلى ثورة مصر .
(٣٥) فلّ الحديدَ : ثلمه .
ـ غَربُ كل شيء : حدّه .

ثورة في الديارِ غنى بها الشعـ رُ وألقى غِراسَها والحبَّا
فزكا غَرْسُها وطابَ ثراها وسقاها الإيمانُ هَطْلاً وسَكْبا
أكلتْكَ الذئابُ إن لم تكن في ثورةِ العُرْب والعروبةِ ذئبا

☆ ☆ ☆

إيه شوقي ! أسامعٌ صيحةَ العُر بِ وقد دوّى الصوتُ شرقاً وغربا
ما دعوْنا إلهامَكَ السمحَ إلاّ حَشَدَ السحرَ والبيانَ ولبّى
ليتكَ اليومَ في الجماهيرِ والشعـ بِ تغني جمهورَنا والشَّعْبا
فإذا ما سجا فؤادٌ ولبٌّ هِجْتَ منا فؤادَنا واللُّبّا
اِرْمِ عنكَ الأكفانَ واطرحْ ثرى القبـ
رِ وشاهِدْ مُلْكاً على النيل رَحْبا
تلتقي الشامُ فيه تِرْباً لمصرٍ كلُّ تِربٍ يَشُدُّ في الملكِ تِربا[٣٦]
وغداً تزحفُ الديارُ ديارُ الـ
ـعُربِ تحت الدِّرَفْسِ روحاً وقلبا[٣٧]
إنما العُرْبُ وَحْدةٌ فإذا صَا لَ عدوٌّ كانوا عليه إِلْبا[٣٨]

☆ ☆ ☆

درجوا حِقْبةً وأوطانُهمْ أيـ
ـدي سبا والخيراتُ في الأرض نُهْبى[٣٩]

---

(٣٦) إشارة إلى الوحدة بين سورية و مصر، وقيام « الجمهورية العربية المتحدة » .
(٣٧) الدِّرَفْس : العَلَم الكبير .
(٣٨) الإلْب : القوم تجمعهم عداوةٌ لواحد ، يقال : « هم إلْب عليه » أي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة .
(٣٩) سبا : لغة في سبأ ، والمثل يقول : « ذهبوا أيدي سبا » أي : تفرقوا تفرّقاً لا اجتماع بعده ، وأصله أن أهل بلدة سبأ لما أُنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين .
ـ النُّهبى : اسم من النهب وهو الغنيمة .

وعليهمْ سلاسلٌ من حديدٍ　　تمنع الأُسْدَ صولةً ومهبّا
فكأن التاريخَ لم يملؤوه　　روعةً أو لم يملؤوا الدهرَ رُعبا
لا تُعَدُّ السيوفُ غير فتوحٍ　　لهمُ في مناكبِ الأرضِ ذنبا
صحبوا اليمَّ والبطاحَ وهمُّوا　　أن تكونَ الجوزاءُ يوماً صَحْبا[٤٠]

☆ ☆ ☆

سيدَ الشعرِ ! هل ترى رَبعَكَ اليو　　مَ يشقُّ الحديدَ إرْباً إرْبا[٤١]
بعثوا من مدافن العزّ تاريـ　　خاً نما عزُّه غَناءً وخِصبا[٤٢]
فكأنا نرى ابن حَمدانَ يَثْني الرّ　　ومَ جرّاً عن الحمى أو سَحْبا[٤٣]
هكذا المجدُ هبّةٌ سلكَ العُر　　بُ إليها دَرْباً على النار صَعْبَا

☆ ☆ ☆

نمْ هنيئاً يا مُرْسلَ الشعر نوراً　　شَبِعَ القلبُ من سناهُ وعبّا
أرأيتَ البيانَ والسحرَ منهُ　　أيَّ مجدٍ بنى وجيلٍ ربَّى !

٧ تشرين الأول ١٩٥٨

كتب في كتابه « أنا والشعر ، ص (٣١) في معرض حديثه عن الشعر الوطني :

« وفي قصيدتي في مهرجان شوقي في القاهرة سنة ١٩٥٨ مثلت لعيني وحدة العرب ، فقلت : » .

ثم أورد ثمانية أبيات هي المقطع الخامس كله(إيه شوقي أسامع ...)

وكتب في ص (٦٠) بعد حديثه عن قصيدة المعري مايلي :

« وآخر قصيدة عملتها في هذا الباب قصيدتي في مهرجان شوقي في القاهره في ١٥

---

(٤٠) الجوزاء : برج في السماء :
(٤١) الإرْب : العضو .
(٤٢) الغَناء : اليسار وما يُغتنى به .
(٤٣) هو سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي .

تشرين الأول سنة ١٩٥٨ . لم أبال كثيراً بحياة شوقي في قصيدتي هذه ، وإني أقر بأن البيئة كان لها تأثير في هذه القصيدة ، وأقصد بالبيئة الأحوال السياسية .فالأيام التي نعيش فيها هي أيام ثورة وقومية ، فلا بد من أن تظهر في قصيدتي في شوقي آثار هذه الثورة وهذه القومية ، ولا سيا إذا علمنا أن شوقي لم يكن غريباً في شعره عن الثورات والقوميات .

لقد تغنى شوقي في شعره بثورة الشام فقلت : »

وأورد سبعة أبيات هي (١٥ ـ ١٧ ، ٢٠ ـ ٢٣ ـ) ثم قال :

« وكما تغنى بثورة الشام فقد تغنى بثورة مصر ، فقلت : »

وأورد ثمانية أبيات هي (٥٥ ـ ٦٢) ثم قال :

« أحببت أن أبعث في قصيدتي أثر هاتين الثورتين ، ولما كنا نعيش في عصر نمجد فيه القومية ، لم أجد مندوحة عن الإشارة إلى هذه القومية في شعري في شوقي ، وقد كنت ذكرت الأبيات التي اشتملت على هذه الإشارة في كلامي على الشعر الوطني فلا حاجة بي إلى إعادة ذكرها .

وكتب في ص(٦٣) في معرض حديثه عن وحدة القصيدة مايلي حول مطلع قصيدة (مهرجان شوقي) :

« .... وقليلاً ما يتيسّر مجيء المطلع ، فإني لما عملت آخر قصيدة من قصائدي في (مهرجان شوقي) استعصى عليّ المطلع ، كنت بدأت بقولي :

« ما على العرب في الحمى أن تهبّا »

وكنت أرضى بهذا المطلع كل الرضا ، إلا أن ورود هذا الفعل في إحدى قوافي القصيدة حملني على تغيير المطلع ، ومازلت أبدّل وأغيّر حتى اعتمدت على قولي :

« ما الذي هيجّ الحمى والعُرْبا »

وكتب في ص(٧١) :

« وما صنعتُه في قصيدتي في المعري صنعته في قصيدتي في مهرجان شوقي ، فإني تصديت لوصف غزله ، ولكنْ في الحقيقة تصدّيت لوصف الغزل بحسب ما أراه أنا أكثر مما يراه شوقي . »

وأورد (١١) بيتاً هي (٢٦ ـ ٣٦) ثم قال :

« لقد فتح لي شوقي باب الغزل ، فألهمني وصفه ، فتذكرت السنّ التي أنا فيها ، وتذكّرت الأيام التي قضيتها في نضارة الشباب ، فتحسرتُ عليها ،وألمتُ أشد الألم ، فلم أجد ما يخفّف عني هذا الألم إلا التعبير عن خوالج نفسي ، ولما قلت :

فـــــإذا جفَّ في الشيـــــوخ هـــــواهُ   هجت فيهم هـوى الشيـوخ فـــأبّــــا

لم أقصد شيوخاً بأعيانهم ، وإنما قصدتُ نفسي قبل كل شيء ، فأنا لم أسمع (يا جارة الوادي) يغنيها محمد عبد الوهاب إلا أحسست بشيء في قلبي لا يمكن تصويره .... وهكذا نجد أن الشاعر لا يستطيع التفلّت من حقيقة روحه ، ولو حصر موضوعه ، وبالغ وشدّد في هذا الحصر ، إلا أن هذه الجمحات لا تخلو من صلة بموضوعه ، فالشاعر في الحقيقة يُعنى بنفسه قبل عنايته بموضوعه » .

(٥٣)

صيحة النبي !..

ألقيت في حفل المولد النبوي في الجامعة السورية ، وأذيعت من محطة راديو دمشق

سرتْ في بطاح البيدِ صيحةُ صائحِ
فماجت بمسراها بطونُ الأباطحِ
ترامتْ فَدَوَّت فاستطالَ بها المدى
وقد طرحتْها البيدُ أقصى المطارحِ[1]
فمرّتْ على الرَّكْبِ الحيارى فأمسكوا
بحُمْر المطايا بينَ غادٍ ورائحِ[2]
وألقَوْا بآذانٍ إليها طليحةٍ
وقد صَعِقوا فوقَ الرِّكاب الطلائحِ[3]

---

(١) طَرَح الشيء : رماه وألقى به ، والمطارح : ج مَطْرَح وهو المكان يُطرَح إليه .

(٢) الرَّكْب : رُكبان الإبل أو الخيل .

ـ البعير الأحمر لونه كلون الزعفران ، والعرب تقول : « خير الإبل حُمْرها وصُهْبها » وهي أصبر الإبل على الهواجر (اللسان)

(٣) آذان طليحة : مُتْعبة ، مِنْ (طَلَحه : أتعبه)

ـ صَعِق : غُشي عليه .

ـ الركاب : الإبل واحدتها راحلة .

ـ الطلائح : ج طليحة وهي الناقة التي جهدها السيرُ وأتعبها

تراهمْ سُكارى في الفيـــافي ومـــا مشت
حُمَيّـا كـؤوسٍ في خـلالِ الجـوانـح .[٤]
مضَـوْا يسـألـونَ الريـحَ عن صيحَـةِ الفـلا
فمـا الصـوتُ في عصفِ الريسـاحِ ببـارحِ[٥]
ينـادي منـاديهمْ هـل الأرض زُلـزلتْ ؟
فـأجْفَلَتِ الآرامُ مـلءَ المسـارحِ[٦]
أم المـلأ الأعلى تـدلّتْ نجـومُـه
فكلٌّ سبيـلٍ في الـدجى غيرُ واضـحِ
أصيحـةُ إنسٍ في الجبـال دَوِيُّهـا
أمِ الجنُّ صـاحتْ في رِحـاب الصحاصـحِ[٧]
فـلا الصـوتُ صـوتُ الإنسِ في كلّ هضبـةٍ
ولا الحسُّ حسُّ الجِنِ فـوقَ الصفـائـحِ[٨]

☆ ☆ ☆

ولمـا ألـحَّ اليـأسُ في الرَّكْبِ أدلجـوا
يَطيحـونَ في الظلمـاء كلَّ المطـايـحِ[٩]

---

(٤) سُكارى : بضم السين وفتحها .
ـ الحميا : الخمر .
ـ الجوانح : أضلاع الصدر .
(٥) برِح المكان : زال عنه ، فهو بارح .
(٦) أجفل البعيرُ وجَفَل : نفر وشرد .
ـ الآرام : ج رئم وهو الظبي الأبيض
(٧) الرِّحاب : ج رَحْبة وهي الأرض الواسعة .
ـ الصحاصح : ج صَحْصاح وهو ماستوى من الأرض وكان أجرد .
(٨) الصفائح : ج صفيحة وهي وجه كل شيء عريض .
(٩) أدلج القومُ : ساروا الليل كلّه أو في آخره .

ومـــــالَ بهم غُمضُ الليـــــالي من الـــونى
وما النـومُ في جُنْـح الليـالي بجـانـحِ[10]

فنـــاجى خليـــلٌ في الشجـــونِ خليلَـــــهُ
مضى الليـــلُ في نجـوى الشجـــونِ الفـــوادحِ

فبينــــا رجـــــالُ الرَّكْبِ في غمرة السُّرى
وأجفـــانُهمْ تهفـــو إلى أيِّ ســـانـــحِ[11]

إذِ الفجرُ في البيـــداءِ قـــد زحـزحَ الـــدُّجى
وهَبَّ نسيمُ الفجرِ دونَ اللـــــوافـــــحِ[12]

ولاحَ خيـــــالٌ يقطرُ الأُنسَ طيفُـــــهُ
فـــدبَّ دبيبَ الروحِ في كلِّ طـــائـــحِ[13]

مـــلامـــحُ نـــورٍ في العَراءِ رفيفُهـــا
ومطلِـــعُ وحيٍ من رفيف المـــلامـــحِ

تَصيـــــحُ بهم : إني النبيُّ محمـــــدٌ
بُعِثتُ ولم أُبعثْ إليكم بفـــــادحِ[14]

☆ ☆ ☆

- طاح يطوح ويطيحُ : تاه في الأرض .

(١٠) الغُمض : النوم .

- الونى : الكلال والإعياء .

- جُنح الليل : طائفة منه .

- جنَح : مال .

(١١) السُّرى : السير ليلاً .

(١٢) لفحته السُّموم بحرها : أحرقته . والسَّموم : الريح الحارة .

(١٣) طاح يطوح : أشرف على الهلاك فهو طائح .

(١٤) الفادح : الصعب المُثقل من (فدحه الأمر : أثقله وبهظه) .

حملتُ الهـــدى أجلــو بضــوءِ سراجـــــه

عن العُرْبِ مـــا أعيــا ضيـــاءَ المصـــابـحِ

أُضمِّـــــــدُ من جَرْحى السيـــوفِ جروحَهمْ

وأمسَــحُ مـــانـــاءتْ بـــه كفُّ مـــاســحِ

تعـــالَـوْا ، تعـــالَـوْا أَجْمَـعِ الشمـلَ بينكمْ

فـلا كاشــحٌ يعـــدو على حــوضِ كاشــحِ[١٥]

تسيـــحُ دمـــــاءُ العُرْبِ من كل نخـــوةٍ

لقـــد مُلئتْ منهـــا صِفـــاحُ المســايـحِ[١٦]

أروح على جَهْــــدٍ من اهمِّ جـــاهـــدٍ

وأغـــــدو على بَرْحٍ من الحـــزن بــــارحِ[١٧]

أمـــا ضجَّتِ الأخـــلاقُ من ظُلمِ أهلِهــــا

أمــــــــا رَزَحَتْ في الظلم بينَ الروازحِ[١٨]

فمـــا نفرةٌ تَلْــوي بــــأعنـــاقِ رهطِكمْ ؟

ومــــا وحشــــةٌ تُخْني على كلِّ زائــح ؟[١٩]

فـــأينَ قلـوبٌ كالغصـونِ التفـــافُهـــا ؟

إذا ســـامحتْ غـــالتْ بروح التســـامــح

---

(١٥) الكاشح : الذي يطوي كشحه على العداوة ، والكَشْح : ما بين السُّرَّة ووسط الظهر .

(١٦) ساح الماءُ يسيح : جرى على وجه الأرض .

ـ الصِّفاح : ج صفح ، وصَفْحُ كل شيء جانبه .

(١٧) الجهد : المشقة ، ويقال : « جهد جاهد » للمبالغة

ـ البَرْح : الشدة والأذى والشر ، و « بَرْحٌ بارح » للمبالغة

(١٨) رَزَحت الناقةُ : سقطت إعياءً أو هزالاً ، وإبل روازح : مهزولة ضعيفة .

(١٩) ألوى به الدهر : أهلكه .

ـ أخنى عليه الدهر : أهلكه .

ـ زاح عن المكان : تباعد وزال .

تعـالَـوْا ، تعـالَـوْا أمـلإِ الأَرضَ بـالهـدى
وأزْحَفْ بقرآني إلى كل نـازحِ[٢٠]
فهـذا بيـاني كالضُّحى غيرُ زائفٍ
وهـذا شعـوري كالصَّبا غيرُ جـارحِ[٢١]

☆ ☆ ☆

تَمَهَّـلَ هـذا الرَّكْبُ في الـوحي بُرهـةً
وأمعنَ في وجـهٍ من الظنِّ طـالـحِ[٢٢]
أتنبُتُ في هـذي الفيـافي نُبُـوَّةٌ ؟
وأُفْـقُ الفيـافي كالـحٌ أيُّ كالـحِ[٢٣]
فـلا الرمـلُ ريـانٌ يسُحُّ بـه النـدى
ولا التُّرْبُ خفـاقٌ بظـلِّ الـدوائـحِ[٢٤]
فمـا تُـدركُ الأبصـارُ في البيـدِ بهجـةً
ولا تسمـعُ الآذانُ صَـدْحَ الصـوادح
فمـا في سـوادِ الليـلِ أنسٌ لمقلـةٍ
ولا الأُنسُ بـادٍ في بيـاضِ الصبـائحِ[٢٥]

---

(٢٠) النازح : البعيد .
(٢١) الصَّبا : ريح مهبّها جهة الشرق .
(٢٢) الطالح : خلاف الصالح
(٢٣) كَلَح وجهُه : تكشّر في عبوس ، فهو كالح .
(٢٤) سحَّ الماءُ يَسُحُّ : سال من فوق إلى أسفل .
ـ الدوائح : ج دائحة وهي الشجرة العظيمة .
(٢٥) الصبائح : ج صبيحة ، وهي الفجر أو أول النهار .

فكيفَ يجيشُ الـــوحيُ في ظـــلِّ قفرةٍ ؟
فما ظلُّهــا للـوحيِ يـومــاً بصـــالـحِ

☆ ☆ ☆

لسرعـــانَ مـــاجلّى اليقينُ ارتيــابَهمْ
فَهشّــوا إلى طيبٍ من الـــوحي فـــائـحِ
مشى الـــوحيُ فيهمْ مِشْيَـــةَ البُرْءِ في الضنى
فـــأيُّ فتىً من سحرهِ غيرُ طـــافـــحِ ؟
فطـــاروا إلى الـــدنيـــا بـــدينِ محمـــدٍ
وقـــد فتحـــوا الـــدنيـــا كلمحـــةِ لامـحِ
كأنَّ الريـــاحَ الـــذاريـــاتِ مطيُّهمْ
يَلفّـونَ وجـــهَ الأرضِ لفَّ الـوشـــائـحِ[٢٦]
فمـــا عـــاقتِ الصحراءُ عن طيٍّ رملِهـــا
ولا ردّتِ الأمـواجُ خـوضَ الجحـــاجـحِ[٢٧]
تجـــوز بهمْ رَمْضـــاءَ كلِّ تنـــوفـــةٍ
ســـوابـحُ خيـــلٍ تهتـــدي بســـوابـــحِ[٢٨]
ففي كلِّ برٍّ منهمُ زحفُ زاحفٍ
وفي كل يمٍّ منهمُ سبـــحُ ســـابـــحِ

---

(٢٦) ذَرَت الريحُ التراب : أطارته وفرّقته .
ـ الوشـائـح : ج وشـاح وهـو نـيـج عريض مرصّع بـالجـوهر ، تشـده المرأة بين عـاتقهـا وكشحها .
(٢٧) الجحاجح : ج جَحْجاح وهو السيد .
(٢٨) الرمضاء : شدة الحر .
ـ التنوفة : البرية لاماء فيها ولا أنيس .
ـ السوابح : الخيل السريعة .

كأنَّ دويَّ النحـــــلِ مثـــــلُ دويِّهمْ
إذا ارتفعتْ أصـــواتُهمْ بـــالفـــواتـــحِ[29]

يجـــولُ بهمْ إســـلامُهمْ كلَّ جـــولـــةٍ
ويُلقي بهمْ إيمـــانُهمْ في الطـــوائـــحِ[30]

فمـــا المـــوتُ في الإيمـــانِ مُرٌّ مـــذاقُـــه
ولا الحتفُ في الإســـلامِ صعبُ الجـــوائـــحِ[31]

فقـــادوا على أرمـــاحهمْ كلَّ مُصْعَبٍ
وراضـــوا على أسيـــافهمْ كلَّ جـــامـــحِ[32]

فـــلا قيصرٌ يـــزهـــو على الشـــامِ تـــاجُـــهُ
ولا تـــاجُ كسرى كالنجـــومِ اللـــوامـــحِ[33]

تنـــاثرتِ التيجـــانُ تحتَ خيـــولهمْ
وأهـــوى إلى أقـــدامهم كلُّ طـــامـــحِ

رواشـــحُ بـــالمـــوتِ الـــذُّعـــافِ سيـــوفُهمْ
مضى مـــابنـــوْهُ بـــالسيـــوفِ الرواشـــحِ[34]

☆ ☆ ☆

---

(٢٩) الفواتح : ج فاتحة ، وفاتحة الشيء : أوله وفواتح القرآن : أوائل السور ، وسورة الفاتحة في القرآن الكريم مكية وآياتها سبع .

(٣٠) الطوائح : القواذف وهي حوادث الدهر .

(٣١) الجوائح : ج جائحة وهي البلية والداهية العظيمة .

(٣٢) الرَّجُل المُصْعَب : المسوَّد .

ـ الجامح من الرجال : من يركب هواه .

(٣٣) البيت إشارة إلى واقعتي اليرموك والقادسية التي انتصر فيهما العرب على الروم والفرس .

(٣٤) الرواشح : ج راشح وهو الجبل الذي ينـدى ، والسيوف الرواشح بالـدم هي التي نـديتْ به .

ـ الموت الذُّعاف : السريع .

فـــأينَ رســولَ الله يشهـــــد أمـــةً
تئِنُّ أنينَ الطيرِ من كلِّ ذابــــــــــحِ ؟
تعــالتْ فطــاحتْ فــاستكانتْ فــأصبحتْ
لإذلالهـــا يلهــو بهـــا كلٌّ مـــازحِ[35]
فــلا ملكُهـــا في الأرضِ مشتبـــكُ العُرا
ولا عيشُهـــا في الخَلـقِ عيشُ الصحــائحِ[36]
على مثِلهــــا من ذلـــةٍ بعـــدَ عِــزَّةٍ
تَفيضُ جفـونٌ بـــالــدمـوعِ الســوافـحِ
فهــــــذي فلسطينٌ تنـــــوحُ من الأذى
فمـــا نَضَحتْ عنهـــا عيـونُ النــوائـحِ[37]
فهـــل صيحــــــةٌ في العُرْبِ تبعثُ ملكَهمْ
ألا ربَّما هبّــوا بصيحـــةِ صـــائـــحِ !

٣ شباط ١٩٤٧

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٣٨) في معرض حديثه عن الطبيعة بعد ذكر رثاء الزهاوي :

« ماوقع لي في وصف الصحراء في رثاء الزهاوي وقع لي في قصيدتي « صيحة النبي »

ثم أورد خمسة أبيات هي (٣٠ ـ ٣٤)

وكتب في ص (٦٨) في معرض حديثه عن وحدة القصيدة :

« السر في ذلك على ما أرى أني في قصيدتي في المتنبي وفي القصائد التي جاءت بعدها كنت أتصدّى لموضوعات واسعة الآفاق ، وأيّ أفق أوسع من آفاق المتنبي والمعرّي وشوقي ؟ أم أي أفق

---

(٣٥) طاح : أشرف على الهلاك .
(٣٦) الصحائح : ج صحيح وهو ذو الصحة أو البريء من كل عيب وريْب .
(٣٧) نَضَحت العينُ : فارت بالدمع .

أوسع من أفق مولد النبي ، فإذا أنا لم أرتّب أجزاء الآفاق ترتيباً وأنسقها تنسيقاً ، ذهبت عني أشياء كثيرة . وتعاظلت الأفكار ، فركب بعضها بعضاً . »

وقد وردت هذه السطور في ذيل قصيدة المتنبي ذات الرقم (٥٠)

وكتب في ص (٧٣) في معرض حديثه عن وحدة القصيدة أيضاً :

« وإذا انتقلت إلى قصيدتي « صيحة النبي » وجدتني في عالم يختلف عن العالم الذي كنت فيه في قصائدي في المتنبي والمعرّي وشوقي ، لقد حدّدتُ موضوعي في قصيدتي « صيحة النبي » ولكنّ هذا الموضوع مترامي الأطراف ، ومن الذي يستطيع أن يحيط بحياة نبي غيّر عالماً بأسره ، وخلق عالماً بجذافيره ؟ خلق ديناً ووحّد أمة ، ثم فتح هذا الدينُ دنيا بأجمعها ، وما أظن أن في أدبنا موضوعاً اتّسعت آفاقه اتساع آفاق الكلام على النبي ، لمّا قلت هذه القصيدة لجأت في المقاطع الأوَل إلى شيء من الخيال لم ألجأ إليه في شعري عادة ، وقد أعانني هذا الخيال على التفلّت من سعة الأفق التي يستلزمها مثل هذا الموضوع ، لقد تصوّرت الجزيرة وبطاحها وركبانها قبل الإسلام ، وتصوّرت جاهليتها الجهلاء ، ثم فاض على خاطري ضياء النبي الذي ملأ جزيرة العرب ، فمن أبيات هذه القصيدة : »

وأورد (١٠) أبيات هي المقطع الأول كله ، ثم قال :

« وعلى هذا الشكل استغنيت عن كثير من أقسام الموضوع وأجزائه ، وانحصرت في موضوع واحد ، هو موضوع الفتح الإسلامي ، وليتني أُلهمت هذا النحو من الخيال في أكثر شعري »

نـــــــــــــداء عيسى

ألقيت من محطة الإذاعة البريطانية
ونشرت في الأيام والهلال (ومجلة المعرفة) ١٩٧٨

أمـــا تنفـــكُ من ألمٍ تَنــوحُ ؟ وقـد ، على الـدنيـا المسيـحُ[١]
يُبَرِّدُ من جراحِـــكَ مـــاتلظّى ويمسَح من دمـوعِـكَ مـا يسيـحُ[٢]
لقـــد نَعِمَتْ بمـولـدِهِ البرايــا فــلا جرحٌ يسيــلُ ولا جريـــحُ
كأنَّ الأرضَ قــد نفضَتْ حُـلاهـا فــأشرقتِ الأبـاطـحُ والسفـوحُ[٣]
ولــو بـــاحتْ بنُعماهـــا عيـونٌ سمعتَ العينَ بـــالنعمى تبـوحُ !

☆ ☆ ☆

حنـانَـكَ يـــابنَ مريمَ لا تـؤاخـذْ رجــــالاً همُّهُمْ جَفنٌ قريـــحُ[٤]
أمنْ أجـلِ الفتـوحِ جرتْ دمـاءٌ ؟ تروَّتْ من مَجــاريهــا الفتــوحُ
ألــلأشجـان زُيّنت الصبــايـا ؟ وللنيرانِ مُرِّدت الصُّروحُ[٥]
فمــا ســاغتْ بشِرعتِـكَ الرزايـــا تُطيـحُ من البريــة مــا تُطيـحُ[٦]

---

(١) أوفى على المكان : أشرف وأتى .
(٢) ساحَ الماءُ يَسيح : جرى على وجه الأرض .
(٣) الحُلى : ج حِلْيَة وهي مايزيَّنُ به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة الكريمة .
- الأباطح : ج أبطح وهو مسيل واسع فيه رمل ودُقاق الحصى .
(٤) حنانَكوحنانَيْكَ بمعنى واحد أي : (رحمتَك) (مختار الصحاح)
- القريح : الجريح
(٥) مرّد البناء : سوّاه وملّسه أو طوّله .
- الصُروح : ج صَرْح وهو القصر أو كلّ بناءٍ عالٍ
(٦) الشِّرْعة : الشريعة وهي ما شُرِع من السنن والأحكام
- أطاحه : أهلكه وأفناه .

فمـا فيهـا على الجُلّى طليـحٌ ولا فيهـا من الهيجـا كسيـحُ[٧]
فكلُّ الخَلـقِ في دنيـاك أهـلٌ وكلُّ الأهـلِ جُثمانٌ وروحُ[٨]

☆ ☆ ☆

فـديْتَ العـالَمَ المحـزونَ سمحـاً وهل يَفـدي الـورى إلا السميحُ[٩]
فقـاسيتَ الشـدائـدَ عن أنـاسٍ كأنـكَ بينهمْ حَمَـلٌ ذبيـحُ
فمـا كنتَ الشحيـحَ على حيـاةٍ ومـا من أهلهـا إلا الشحيـحُ
فهـل نسيَ الأوادمُ منْ فَـداهمْ وأعمـاهمْ هـوىً عنـه جَمـوحُ[١٠]
وذَمَّ الـدينُ في الأقـوام حتى كأن عبـادةَ الـدنيـا مَـديـحُ
فهـذا ليس يُرويـه غَبـوقٌ وهـذا ليس يَنْقَعُـهُ صَبـوحُ[١١]
فمـا كالشـكِّ مَتْعَبَـةٌ لقلبٍ ضَنٍ ، لا يستريـحُ ولا يُريـحُ[١٢]

☆ ☆ ☆

أخـوكَ محمـدٌ وأخـوك مـوسى وهل بعدَ الإخـاء دمٌ سطيحُ ؟[١٣]

---

(٧) الجُلّى : الأمر الشديد ، والخطب العظيم .
- الطّليح : التَّعِب .
- الهيجا والهيجاء : الحرب .
(٨) الجُثمان : الجسم .
(٩) السَّمْح والسَّميح : الجواد الكريم .
(١٠) الأوادم : ج آدم وهو أبو البشر ، وتُطلق على أفراد الجنس أي : البشر
- الجَموح من الرجـال : من يركب هواه فلا يمكن ردُّه والهوى الجَموح : الـذي يتغلّب على إرادة الإنسان فلا يستطيع مقاومته .
(١١) الغبوق : ما يُشرَب في العشيّ ، وهو خلاف الصَّبوح
- نَقَع الماءُ العطشَ : سكّنه وقطعه .
(١٢) المَتْعَبة مصدر ميمي كالتعب ، أو مايسبّب التعب ويحمل عليه .
- الضَّني : المريض تمكّن منه الضعف والهزال .
(١٣) السَّطيح : المبسوط على الأرض أي : الدم المُراق المسفوح

إذا ائتلفتْ مرامي الـدينِ يومـاً رأيتَ الـدينَ رَيْحـانـاً يفـوحُ
فـلا ذئبٌ يُشيـحُ على سِخـالٍ ولا سَخْـلٌ يُرَوِّعُهـا المُشيـحُ[14]
فـأين الأنبيـاءُ وأين فيهمْ نـذيرٌ أو بشيرٌ أو نصيـحُ ؟
ألا هبّتْ علينـا الريـحُ منهم عسى أن تَنْعَشَ الأرواحَ ريـحُ

☆ ☆ ☆

على يـدِكَ الكريمـةِ كلُّ خيرٍ لـه في الأرضِ آثـارٌ تلـوحُ
نسجْتَ الحبَّ محبـوكَ الحـواشي وأفْـقُ الحبِّ مَيْـدانٌ فَسيـحُ
وغنيتَ الســلامَ ديـارَ قـومٍ عليهـا الحقـدُ يغـدو أو يَروحُ
فـأين الحبُّ ؟ والبغضـاءُ دينٌ توغَّلَ في القلوبِ فما يَـزيحُ[15]
وأين السِّلْمُ ؟ والآفـاق نـارٌ تُـؤجِّجُها ضغـائنُ مـا تطـوحُ[16]
فما الأنجيـلُ عنـوانُ التعـادي بكلِّ يـدٍ مهفهفـةٍ يُليـحُ[17]
على آيـاتـه روحُ التـآخي ومن آيـاتــه الحبُّ الصريـحُ
ولـو سَمِـعَ الأنـامُ نـداءَ عيسى لما فـاضتْ على الـدنيـا الجُروحُ
ولكنَّ النفـوس على عَماهـا تُبيـحُ من المظـالم مـا تُبيـحُ
فهـذا من فظـائعهـا سليبٌ وهـذا من دواهيهـا طليـحُ[18]

---

(١٤) أشاح عليه : أقبل ، والمُشيح : المُقبل عليك .
ـ السِّخال : ج سَخْل وهو ولد الشاة .
(١٥) زاح يزيح : تباعد وذهب .
(١٦) السِّلم بكسر السين وفتحها : الصُّلح والسّلام .
ـ طاح السهمُ يطوح : خرج وتاه عن غرضه .
(١٧) الجارية المهفهفة : الضامرة البطن الدقيقة الخصر ، واليد المهفهفة : الدقيقة الناعمة .
ـ ألاح : أضاء وبدا وتلألأ
(١٨) الدواهي : ج داهية وهي المصيبة أو الأمر المنكر .
ـ الطَّليح : التَّعِب .

أكلَّ الـدهرِ في الـدنيـا صراعٌ   أمـا للسِّلْمِ مصبـاحٌ صَبيـحُ[19]

تنـافستِ الخليقـةُ في التفـاني   مُبـاحٌ للسيـوفِ ومُستبيـحُ[20]

ترى الأقـوامَ فيهـا كالأفـاعي   لهـا في كلِّ مَـدْرجَـةٍ فَحيـحُ[21]

لقـد طرحـوا السلامَ ولم يُبـالـوا   فَنـاءَ الخلـقِ إن فنِيَ الطَّريـحُ[22]

إذا صرختْ صـواريـخُ المنـايـا   سمعتَ الأرض من ذعرٍ تصيـحُ[23]

فـلا شَبَـحٌ تضيءُ بـه الليـالي   ولا ليـلٌ تضيءُ بـه الشُّبـوحُ

كأن الأرضَ في طـوفـانِ نـوحٍ   يغطِّيها العُبابُ ، فأينَ نوحُ ؟[24]

عيد الميلاد (سنة ١٩٦٣)

---

(١٩) الصبيح : المشرق المنير .

(٢٠) استباح الشيءَ : جعله مباحاً فهو مستبيح .

(٢١) المَدْرَجة : الطريق .

- الفحيح : صوت الأفعى .

(٢٢) الطريح : المطروح .

(٢٣) الصاروخ : كلمة حديثة وُضعت للسلاح الحربي المحشو بالقذائف المتفجرة ، وهو أسطوانة ضخمة مخروطية الشكل ذات جناحين صغيرين يثبتانها في خط مجراها ، وقد اشتُقت هذه اللفظة من (الصرخة) وهي الصيحة الشديدة عند الفزع

(٢٤) العُباب : ارتفاع السيل ، أو موج البحر .

(٥٥)

أبو تمام☆

ألقيت في مهرجان الشعر الثاني

بدمشق سنة ١٩٦٠

هدي يدي ! لفّي الذراعَ على يدي
لمن المواكبُ كالخضمّ المزبدِ ؟[١]
من آل يعربَ والبيانُ يهزُّهمْ هَزَّ النسيمِ بغصنه المتأوِّدِ[٢]
زحموا البطاحَ فخِلْتَ لألاءَ الضحى
ليلاً يموجُ بجُنحِهِ المتلبِّدِ[٣]
أوَ ماسمعتَ على الزِّحام ضجيجَهمْ ما بينَ مضطرب الرَّواح ومغتدِ[٤]
فكأنما هبَّ الوليدُ بجلَّقٍ أو معبدٌ غنّى خفائفَ مَعْبدِ[٥]

☆ ☆ ☆

☆ **أبو تمام :** (١٩٠ ـ ٢٣١) هـ

هو حبيب بن أوس الطائي ، ولد بجاسم من قرى حَوْران ، وكان أبوه فقيراً ، فأخذه إلى دمشق ، واحترف الحياكة ، ثم غادرها إلى مصر ، فكان حبيب يسقي الماء بالجرّة بجامع عمرو ، ويستقي من أدب علمائه ، فحفظ مالا يحصى من شعر العرب ، وكان ذكياً حاضر البديهة ، فأقبل عليه عشاق الأدب والمدح ، فمدح الملوك والأمراء والزعماء ، متنقلاً بين مكة وخراسان وإرمينية ونيسابور والموصل ، واتصل بأحمد بن المعتصم ، فمدحه ، وأجازه ، وولاّه بريد المَوْصل ، فبقي فيه أقل من سنتين ثم توفي ودفن هناك .

(١) أزبد البحر : أخرج الزبد وقذف به ، والزبد هو الرغوة تعلو الماء .

(٢) تأوّد : اعوجّ وانحنى .

(٣) لألاء السراج : ضوءه .

(٤) الرّواح : العشي .

(٥)هو الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي السادس .

لبستْ دمشقُ من الربيعِ حِلالِها — ما بين أبيضَ ضاحكٍ ومُوَرَّدِ[٦]
بردى وقاهرةُ الملوكِ ونيلُها — والغوطتانِ على الصفيحِ الأملدِ[٧]
زحفتْ إلى ذكرى فتىً من طيىءٍ — ملأ السنينَ ونجمُهُ لم يَخْمَدِ[٨]
أوَ ما رأيت على الثغورِ بشاشةً ؟ — جَدِّدْ كؤوسَكَ إن صحوتَ وعَرْبِدِ

☆ ☆ ☆

فكأنما انتفضتْ قبائلُ يَعْربٍ — في الشام تسمعُ من نشيدِ المُنْشِدِ
هذي مواكبُهمْ وهذا حشدُهمْ — فقُلِ السلامُ على التفاف المَحْشَدِ[٩]
العُرْبُ ما بَعُدَ المزارُ وما دنا — أهلٌ على قُرْبِ المزارِ ومَبْعَدِ

☆ ☆ ☆

للعبقريةِ ما زهتْ أعيادُهمْ — الْمَحْ بعينِكَ بِشْرَ كُلِّ مُعيِّدِ
دَرَجَ الزمانُ على الملوك فغالَهمْ — فهوتْ قصورُهمُ وراءَ الأوْهُدِ[١٠]
وتناثرتْ تيجانُهمْ تحتَ الثرى — من بعدِ ما رفَّتْ رفيفَ الفرقدِ[١١]

ـ معبد بن وهب : نابغة الغناء العربي ، عاش في الحجاز زمن بني أمية .
ـ الخفائف : أطلق صاحبُ الأغاني هذه التسمية على الغناء الخفيف الذي نسميه في عصرنا (الطقاطيق) (أنا والشعر لجبري)
(٦) الحلال والحُلَل : ج حُلّة وهي الثوب الجديد .
(٧) قاهرة الملوك : كناية عن القاهرة
ـ الأملد والأملود : الناعم الليّن من الغصون .
(٨) فتىً من طيىء : هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي
(٩) المَحْشَد : المَحفِل يجتمع فيه الناس .
(١٠) الأوْهُد : ج وَهْد وهو الأرض المنخفضة .
(١١) رفّت : تلألأت .
ـ الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ، وهما الفرقدان .

وأتى حبيبٌ في قلائدِ شعرِه فطوى الزمانَ بشعرِه المتمرِّد[١٢]
العبقريةُ للخلودِ ظلالُها تمشي وتَدْرُجُ فوقَ كلِّ مخلَّدِ

☆ ☆ ☆

إن كنتَ يومَ المِهْرجانِ لسانَهُ فاملأْ سماعَ المِهْرجانِ وغَرِّدِ
حتى تموجَ الطيرُ في وُكُناتِها ويُفكَّ عنه القيدُ كلُّ مقيَّدِ[١٣]
أيفوتُني تمجيدُهُ في جِلَّقٍ وأنا الذي غنّى بكل مُمجَّدِ
يابنَ القوافي ما ركبتَ عِنادَها إلا لتكبحَ من جماحِ العُنَّدِ[١٤]
قلّبتَها لما بنيتَ صروحَها فبنيتَ كلَّ مُمَلَّسٍ ومُمَرَّدِ[١٥]
طوراً يُنيف على النجومِ ، وتارةً يجري بوادٍ في الأباطحِ أغيدِ[١٦]
فكأنما رَوَّتْ قريشٌ روضَهُ حتى تَروّى من فصاحةِ أحمدِ ![١٧]

☆ ☆ ☆

أبلى الرجالَ على السنينَ بيانُهمْ وأتَوْا بكل مكرَّرٍ ومردَّدِ

---

(١٢) حبيب : هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي .
ـ قلائد الشعر : الأبيات المحفوظة لاتُنسى لنفاستها
(١٣)الوكنات : ج وُكْنة وهي عش الطائر .
(١٤) ابن القوافي : كناية عن الشاعر أبي تمام .
ـ عنادها : يشير إلى غوص أبي تمام على المعاني البعيدة التي لاتُدرك إلا بكدّ الذهن ، واعتماده على الفلسفة والبراهين المنطقية .
ـ العُنّد : ج عاند وهو المخالف .
(١٥) البناء الممرّد : الطويل أو المملّس ، والملاسة ضد الخشونة .
(١٦) أناف عليه : زاد عليه ارتفاعاً .
ـ الوادي الأغيد : الكثير النبات .
(١٧) محمد وأحمد : من أسماء رسول الله ﷺ .

سئمتْ مسـامعُـهُ دمـوعَ جفـونِهم فوقَ الطلول وفوقَ بُرْقـةِ ثَهْمَـدِ[١٨]
حتى اهتديتَ إلى الجـديـدِ وزَهْوِهِ تَهدي القريضَ سبيلَ كلِّ تَجدُّدِ[١٩]
من كلِّ فكرٍ في الظـلامِ مهـذَّبٍ أو كلِّ لفـظٍ في السُّهـادِ مُسـدَّدِ[٢٠]
فكسـوتَـهُ حُلَـلاً تميس بحُسنِهـا تُـزهى بُـدرٍ كالسّنـا أو عسجـدِ[٢١]
فتــــوارثَتْـــــهُ أعصرٌ عن أعصرٍ
داني العصـورِ علي الــزمـــانِ السَّرمــــدِ ![٢٢]

☆ ☆ ☆

إن يُنْشـدِ الـولهـانُ سِحْرَ بيـانِـهِ طَرَحَ الشُّجـونَ ورامَ كلَّ تجلُّـدِ[٢٣]
أو يقصـدِ الظمآنُ مـوردَ مـائِـهِ نَقَـع الغليـلَ على صفـاء المَوْرِدِ[٢٤]
لو يضرِبُ السـاري بـأجوازِ الفـلا لطـوى بـه الأجـوازَ غيرَ مُـزَوَّدِ[٢٥]

---

(١٨) البُرْقة : كل رابية فيها رمل وطين ، وبرقة ثهمد : موضع لبني دارم . يشير بهذا البيت إلى وقوف الشعراء على الأطلال ، ويشير إلى بيت طرفة :

لخـولــــة أطــلالٌ ببرقـــــة ثَهْمَـــــدِ تلـوحُ كبــاقي الـوشم في ظــاهر اليـــد

(١٩) هداه الطريقَ : بيّنه له وعرّفه به .
- القريض : الشعر

(٢٠) مهذّب : يشير إلى قول أبي تمام يُهدي قصيدته إلى ممدوحه مالك بن طوق التغلبي :

خــذْهــا ابنــةَ الفكر المهـذّب في الـدجى واللّيـــلُ أســودُ رقعـــــةِ الجلبـــــاب

(٢١) العسجد : الذهب .
(٢٢) السرمد : الدائم .
(٢٣) الولهان : من حزن حزناً شديداً كاد يذهب بعقله .
(٢٤) نقع الماءُ العطش : سكّنه وقطعه .
- الغليل : حرارة العطش .
(٢٥) الساري : السائر ليلاً .
- الأجواز ج جَوْز ، وجَوْز الشيء : وسطه

أو يشربُ الصَّحْوانُ طِيبَ مُدامِـهِ لنشى وعربدَ فوقَ كلِّ مُعَرْبِدِ ![٢٦]

☆ ☆ ☆

هــــذا التجـــدُّدُ لا رطــــانـــــةُ أعجمٍ
يَهـــذي ويــــدْلِفُ في الظـلام الأسـودِ[٢٧]

لغـةٌ كأنَ نسيجَهــا من بــابـلٍ ولـدتْ وليت نسيجَها لم يولـدِ[٢٨]

ليس الكلامُ إذا صفـا يَنبـوعُـهُ شروى كـلامٍ مُلْغَـزٍ ومُعقَّــدِ[٢٩]

وإذا العروبـةُ نـدَّ عنـك بيـانُهـا فَسَدَ الفؤادُ مع البيانِ المفسـدِ ![٣٠]

☆ ☆ ☆

لـــو تنطِــقُ البيضُ الصــوارمُ في الـــوغى
أنطقتَ كلَّ مُثقَّفٍ ومُهنَّـــــــــــــدِ[٣١]

حتى سمعتَ من السيوفِ صليلَها ، فـوقَ الجماجم صوتَها والأَزْنُـدِ[٣٢]

مـابين مسلولٍ على كَنَفِ العِـدى يشقى العــدوُّ بحــدِّه أو مُغْمَــدِ

سَـلْ يـومَ عَمّـورِيّـةٍ هـل خلّـدتْ آيــاتُــهُ غيرَ القــوافي الشُّرَّدِ ؟[٣٣]

---

(٢٦) نشى : سكر (المحيط)

(٢٧) الرّطانة : الكلام بالأعجمية .
ـ الأعجم : من ليس بعربي ، أو من لايفصح ولا يبيّن كلامه .
ـ دلَف يدلِف : مشى كالمقيّد

(٢٨) بابل : مدينة على الفرات قرب الحِلّة يُنسب إليها السّحْر والخمر .

(٢٩) الشروى : المثل .

(٣٠) ندّ : نفر وذهب شارداً .

(٣١) البيض : ج أبيض وهو السيف .
ـ المُثقَّف : الرمح المقوّم المسوّى .
ـ المهنَّد : السيف المطبوع من حديد الهند .

(٣٢) الأزنُد : ج زند وهو مَوْصِل طرف الذراع في الكف .

(٣٣) عمورية : إشارة إلى بائية أبي تمام في فتح عمّورية

فكأنما نيرانُه تحتَ الدجى ... جلّتْ بهمَ الليل للمُسترشِدِ
فالليلُ صبحٌ في ضياءِ لهيبهِ ... والصُبحُ ليلٌ في الدخانِ الأربَدِ[٣٤]
فَتْحُ الفُتوحِ أما سمعتَ دويَّهُ ... بينَ الجنادلِ والصعيدِ الأجردِ[٣٥]
غنتْ به الأيامُ في دَورانها ... فَسَجتْ به أنغامُ كلِّ مُغرِّدِ[٣٦]
حَصَدتْ فوارسَهُ سيوفُ محمدٍ ... لله ما حَصَدَتْ سيوفُ محمدِ[٣٧]
من كلِّ رخْوٍ بالرِّماحِ مُهَشَّمٍ ... أو كلِّ هَشٍّ بالظُّباتِ مُخَضَّدِ[٣٨]
أين البُروجُ وأين ما شادوا بها ؟ ... ذهبتْ كتائبُهُ بكل مشيَّدِ[٣٩]
لم يَحْمِ مَعْقِلَهُمْ تشدُّدُ رهطِهِ ... أفنى أبو إسحقَ كلَّ تشدُّدِ[٤٠]
ما كان معتصماً بغيرِ سيوفِهِ ... بعدَ الإلهِ وغيرِ إيمانٍ ندِ

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحدُّ بين الجِدّ واللَّعِبِ

- القافية الشرود : السائرة في البلاد .

(٣٤) إشارة إلى قول أبي تمام في البائية :

غادرتَ فيها بهيمَ الليل وهْو ضحىً ... يشلّه وسطَها صبحٌ من اللهب
ضوءٌ من النارِ والظلماء عاكفة ... وظلمة من دخانٍ في ضحىً شَحِبِ

- الأربد : ماكان فيه رُبْدة وهي لونٌ إلى الغُبْرَة .

(٣٥) إشارة إلى بيت أبي تمام :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به ... نظْمٌ من الشعر أو نثر من الخُطَبِ

- الجنادل : ج جندل وهو الصخر العظيم .

(٣٦) سجا يسجو : سكن ودام .

(٣٧) محمد هو المعتصم محمد بن الرشيد بن المهدي بن المنصور .

(٣٨) الظُّبات : ج ظُبة وهي حدّ السيف .

(٣٩) إشارة إلى بيت أبي تمام :

رمى بكَ اللهُ بُرْجَيها فهدّمها ... ولو رمى بكَ غيرُ الله لم تُصِبِ

(٤٠) أبو سحق : كنية المعتصم .

لم يَبْنِ راحتَه على نوم الضحى ... والرومُ خلفَ ربوعِه بالمَرْصَدِ[41]
ليس المقيمُ على الحمى في رعشةٍ ... مثلَ المُغيرِ على الحمى المستأسِدِ
هذي وقائعُنا فلو غنَّيْتَها ... شيخاً لعادَ إلى الشبابِ الأمردِ !

☆ ☆ ☆

شرفٌ أبا تمامَ هزَّ قلوبَنا ... لما عطفتَ على القلوبِ الهُمَّدِ
إن تُصبحِ الأوطانُ مَعْبَدَنا فقد ... بشَّرْتَ قبلَ زمانِنا بالمعبدِ
فبنيتَ من حُبِّ الديار عقيدةً ... سَجَدوا لها ، وَيْحَ الذي لم يَسْجُدِ
فاذا نزحْتَ تركتَ في حَرَمَ الحِمى ... قلباً يذوبُ على الحمى لم يَجْمُدِ
فكأنَّ دمعَك في تباريحِ النوى ... نارٌ على ظلِّ الحشى لم تَبْرُدِ[42]
في الشام أهلُكَ ماجحَدتَ عهودَهمْ ... ليت العهودَ على النوى لم تُجْحَدِ[43]
لم تنسَ في الفسطاطِ إخواناً لهم ... ذكرى تَفيضُ من الزمانِ الأبْعَدِ[44]
أو تنسَ في بغدادَ سِربَ ظبائِها ... ويلَ الشجيِّ من الظِّباءِ النُهَّدِ[45]
هذا الوفاءُ وما طرحْتَ ذمامَهُ ... في غُربةٍ شحطتْ ولا في مَبْلَدِ[46]

---

(٤١) إشارة إلى بيت أبي تمام :

بَصُرْتَ بالراحة الكبرى فلم تَرَها ... تُنال إلا على جِسرٍ من التعب

(٤٢) التباريح : ج تبريح وهو المشقة والشدة .

(٤٣) هذا البيت والبيتان بعده إشارة إلى قول أبي تمام

بالشام أهلي ، وبغدادُ الهوى ، وأنا ... بالرَّقَّتَيْن ، وبالفُسْطاط إخواني

(٤٤) الفسطاط : مدينة مصر القديمة التي بناها عمرو بن العاص .

(٤٥) الظباء : ج ظبي وهو الغزال ، واللفظة استعارة للفتيات الحسان .

ـ الناهد : البنت التي نهد ثدياها .

(٤٦) المَبْلَد مصدر ميمي لفعل (بَلَد) وبلَد بالمكان : أقام به

ما زلتَ تُمعنُ في المفاوزِ كادحاً تَطوي ركابَك فَدْفداً في فدفدِ[٤٧]
حتى فقدتَ من الشَّباب نضيرَهُ ليتَ الشبابَ على الهوى لم يفقدِ
ما فتنةُ الدنيا إذا جف الصِّبا فغدتْ طراوةُ عودِه فَوْتَ اليدِ
هذا الشبابُ وقد طويْت رداءَهُ حُلْمٌ أروح بطيفِه أو أغتدي !

☆ ☆ ☆

لملْمتَ في التاريخِ عِقْدَ نظامِه حتى وصلْتَ طريفَه بالمُتْلَدِ[٤٨]
قلْ للذينَ يبدِّدونَ عقودَهُ هيهات يَنْعَمُ بالُ أيِّ مُبَدِّدِ
ما بين بدرٍ والوقائعِ بعدَهُ نسبٌ كحاشيةِ الضّحى المتوقِّدِ[٤٩]
تلك الدماءُ وإن تقادَمَ عهدُها متلاقياتٌ في اشتباكِ المَحْتِدِ[٥٠]
اضِربْ بعينِك هل ترى في سفكِها إلا شهيداً في ذَرا مستشهدِ[٥١]
رِمَمٌ على حدِّ السيوفِ تمهَّدَتْ بَنَتِ المكارمَ فوقَ كلِّ مُمَهَّدِ[٥٢]

---

(٤٧) إشارة إلى تنقله بين الشام ومصر ومكة وخراسان وإرمينية ونيسابور والموصل .
ـ الفدفد : الفلاة .
(٤٨) الطريف : الحديث
ـ المُتْلَد والتالد : القديم .
(٤٩) يشير الى قول أبي تمام وهو يرى صلة القربى بين بدر وعمورية :

إن كان بين صروف الدهر من رَحِمٍ موصولةٍ أو زمامٍ غيرِ مُنْقَضِبِ
فبين أيامكَ اللاتي نُصرتَ بها وبين أيام بدرٍ أقربُ النسبِ

(٥٠) المحتد : الأصل .
(٥١) الذُّرا : الكنف .
(٥٢) الرِّمَم : ج رمّة وهي مابلي من العظام .

سِيّـــــانِ من أضحى ببــــدرِ لحــــــدُهُ
أو في جبــالِ القـــدسِ بـــاتَ بمُلْحَـــدِ ![٥٣]

☆ ☆ ☆

وطنٌ على زحفِ السنينَ مـوحّـدٌ ... مــالي أراه اليـومَ غيرَ مُـوحَّـدِ
ألقت بـه الأهـواءُ في ظلمـاتِهـا ... حتى رثيتُ لمُلْكِــه المتـوطّـــدِ
في كلِّ يـــوم ألسُنٌ بتّـــــارةٌ ... خلفَ العُبابِ وفوقَ تلكَ الأنْجُـدِ
هـلا اهتـديْنـا والحـوادثُ عِبْرَةٌ ... مـا روعـةُ التـاريخ ان لم نَهْتَـدِ
أفـلا نرى في أرضِ أنـدلسٍ لنـا ... عِظـــةً تُهيب بشملِنـــا المتبـــدِّدِ
شَرَدَتْ قلوبٌ عن هـدى أوطـانِها ... ليتَ القلـوب عن الهـدى لم تَشْرُدِ
هـــذا أبـو تمّـامَ في ملكـوتِــهِ ... يــأوي لجرحٍ في الحمى لم يُضْمَـدِ
مـا للديـارِ تعـدّدتْ رايـاتُهـا ... تـؤذي العيـونَ بلـونهـا المتعـدِّد
ليتَ البُنـودَ على الجـزيرة خَفْقُها ... تُطـوى ببَنْـدٍ في الجـزيرة مُفْرَدِ[٥٤]
ليس المغيرُ على العـدى في قـومِـه ... مثــلَ المغيرِ على العــــدى المتفرِّدِ

☆ ☆ ☆

إنْ لم يلمَّ ديـــارَ يَعْرُبَ في غــــدِ ... عَلَمٌ فـلا خفقتْ بنـودٌ في غَـدِ !

أيلول ١٩٦٠

كتب رحمه الله مايلي مقدمة لهذه القصيدة :

لم تدركني الحيرة في يوم من الأيام ، كما أدركتني في اختيار مطلع لهذه القصيدة ، فإني فضلاً عن جهدي فيها وتعبي ، وشدة تنقيحي لها وتهذيبي ، وطول المدة التي اشتغلت فيها بهذا

(٥٣) المُلْحَد : القبر عُمِلَ له لحد ، واللَّحْد : شقٌ في جانب القبر .
(٥٤) البنود : ج بَنْد وهو العَلَم الكبير .

التنقيح وهذا الترتيب ، أقول : فضلاً عن هذا كله : جهدت كثيراً ، وتعبت في اختيار المطلع ، فقد كان مطلعها الأول :

ضجّ العراءُ وحار كلُّ مسهَّدِ

ثم لاحظت أن كلمة (ضج العراء) وردت في قصيدة سابقة ، ولم أفطن إلى ذلك ، فانتخبت المطلع الآتي :

ارمي بطرفكِ في الرماد الأرمدِ

فلاحظت أن (الرماد الأرمد) قد يصعب فهمها على الجماهير ، فجئت إلى المطلع التالي :

سدّوا النجوم على عيون الهُجَّدِ

فنفر ذوقي من كلمة (الهُجَّد) فاخترت مطلعاً آخر :

هذي يدي لفّي الذراع على يدي

فوجدت أن هذا المطلع فيه شيء من روح الشباب ، وأنا جاوزت الستين ، فخفت التصنع ، فقلت أخيراً

دمع على خدٍّ وورد في يدِ

فقلت : هذا المطلع أصلح مايكون للمواكب : دموع الفرح والسرور ، وحمل الورد والزهر ، وبقيت حتى إنشاد القصيدة حائراً في اختيار مطلع من هذه المطالع كلها ، ولما أُعلن اسمي ومشيت إلى المنبر ، وجدتُ أن عدد السيدات والأوانس كاد يفوق عدد الرجال ، فقلت « هذي يدي ... » أصلح لهذا الحشد والمجتمع وهكذا كان .



(٥٦)

مـــــــــع البحـتري☆

أعدت لتُلقى في مهرجان البحتري في
٢٨ أيلول ١٩٦١ ، ولم تُلقَ . نشرت في مجلة (المعرفة)..

مـــادرى الليــلُ ولا الفجرُ درى   أيُّ صــوتٍ في الفيــافي هَــدَرا[١]
أعــزيفُ الجنِّ مــــانسمعُــــهُ   زَمــزمَتْ في الرمــلِ حتى ذُعِرا[٢]
أم ضجيــــجُ الإنس في مُعْتَرَكٍ   فَجَّرَ الأرضَ دمــــاً فــــانفجرا
مــــاأظنُّ الصــوتَ في هَبَّتِـــهِ   غيرَ وحيٍ في الليــــالي خَطَرا[٣]
مِنْ بَـــوادي بُحْتُرٍ مَطْلِعُـــــهُ   بمن الــدنيــا تُبــاهي بُحتُرا ؟[٤]

☆ ☆ ☆

حَسْبُـــهُ من طيِّئٍ مـــا وَهَبَتْ   وهبتْ للعُرْبِ نــــــوراً نَيِّرا[٥]

☆ البحتري (٢٠٥ ـ ٢٨٤) هـ :

هو الوليـد بن عُبَيْـد الطـائي ، وُلـد في منبج بين حلب والفرات ، ونشـأ في البـاديـة فغلبت عليه فصاحة العرب ، لازم وهو فتىً أبـا تمـام ، فكان يرشـده ويعضـده ، لأنـه طـائي مثلـه ، ثم ذهب إلى حلب وأحبّ (عَلْـوة) ثم إلى العراق ، فـلازم المتـوكل ووزيره الفتـح بن خاقان ، إلى أن قُتلا في مجلس كان هو حاضرَه ، فرجع إلى منبج ، ثم عاد إلى العراق ، واتصل بالخلفاء ، ثم رجع إلى مسقط رأسه ، وتوفي بالسكتة القلبية .

(١) الفيافي : ج فيفاء وهي المفازة لاماء فيها .
(٢) عزيف الجن : صوت يُسمع في المفاوز في الليل ، وهو من انهيال كثبان الرمل .
ـ زمزم الشيءُ : سُمع صوته من بعيد ، وله دوي .
(٣) خطر : لاح .
(٤) بُحْتُر : عشيرة البحتري وهي من قبيلة طيء .
(٥) طيّىء : قبيلة عربية هاجرت من اليمن إلى شمال الجزيرة بعد خراب سدّ مأرب ، ومنها حاتم الطائي وأبو تمام والبحتري .

فاهتدتْ بالنورِ في إدلاجها تَصْدَعُ الليلَ وتُزْجي السَّحَرا[6]
زحفتْ والأُفْقُ فضفاضُ الدجى يملأُ الأرضَ ظلاماً أكدرا[7]
ورفيفُ المجدِ في موكِبها يَزْحَمُ المَعْشَرُ منه معشرا
تحمِلُ العِطْرَ إلى من نَشِقتْ من قوافيهِ البيانَ العطرا

☆ ☆ ☆

عَصَر الشِّعرَ على ألبابِنا فشربنا الخمرَ مما عَصَرا[8]
روحُهُ منه ، ومنه دمُهُ أمِنَ الشِّعرِ تراهُ فُطِرا
نَثَر السِّحْرَ على أنغامه أشهِدتَ السحرَ كيف انتثرا ؟
يأسُرُ القلبَ إذا طاف به من يَفُكُّ القلبَ مما أُسرا ؟
لم تكنْ ألفاظُهُ من أحرفٍ إنما الألفاظُ كانت صُوَرا
فإذا استنطقَ عيناً نطقتْ فبدا من سِرِّها ما استترا
مقلةً تُخفي هواها خُدعةً فإذا هزَّ بلفظٍ ظهرا

☆ ☆ ☆

كابدَ الحُبَّ فألفى ورِدَهُ صافياً يوماً ، ويوماً كَدِرا[9]
يطرَحُ القلبَ على أشواكِهِ ومِن الأشواكِ يَجني الثَّمَرا

---

(٦) أدلج القومُ إدلاجاً : ساروا في الليل .
ـ تزجي : تسوق .
ـ السَّحَر : آخر الليل قبيل الصبح .
(٧) الأكدر : من الكُدْرة وهي عدم صفاء اللون وميله إلى السواد والغُبْرة .
(٨) الألباب : ج لب وهو العقل .
(٩) وَرَد الماءَ وروداً : بَلغَه ، والاسم الوِرْد .
ـ الكَدِر : نقيض الصافي ، والبيت يشير إلى قول البحتري :

أغتدي راضياً ، وقد بتُّ غضبا نَ ، وأمسي مولىً ، وأُصبح عبدا

مـا يبـالي مـا جَنَتْ لـوعتُـهُ 		مَتَّـــــعَ القلبَ ورَوّى النظَرا
من خـــدودِ الحِبِّ يلقى بَرْحَـــهُ 		ومن الأعينِ يلقى السَّهَرا[١٠]
بين كأسٍ ومُـــــدامٍ ليلُـــــه 		وإذا أضحى بكى واستغفرا[١١]
إنمـا العيشُ صَبـابـاتُ الهـوى 		أتظنُّ القلبَ منــــا حَجَرا ؟[١٢]

☆ ☆ ☆

جِلِّـقٌ ـ والله يحمي أرضَهـــا ـ 		لمتْ من حُبِّـــهِ مــــابَعْثَرا[١٣]
ملكتْ منـــه الهـوى غـوطتُهـا 		وبراه مِنْ هـواهـا مـابرى[١٤]
كلمــا غَرَّدَ في جنـــاتِهـــا 		بلَّـلَ الروضَ ونـــدّى الشجَرا
لم يكنْ إلا غِنـــــاءً شِعرُهُ 		أضحــكَ العـودَ وأبكى الـوترا[١٥]
فترى الليــلَ على إيقــاعـــه 		من صفاءِ اللحنِ صُبحاً مُسْفِرا[١٦]
هـذه الشـامُ ! وهــذهْ روضُهـا 		كَرُمَتْ تُرْبـاً وطـابت عُنْصُرا[١٧]

☆ ☆ ☆

---

(١٠) الحِبّ : المحبوب .
ـ البَرْح : الأذى والشر .
(١١) هذا البيت وما بعده إشارة إلى قول البحتري :

فـاشربْ على زهر الريـاض يشـوبُـهُ 		زهرُ الخـــدودِ وزهرةُ الصهبــــاءِ

(١٢) الصَّبابة : رقة الهوى والولع الشديد .
(١٣) هذا البيت وما بعده إشارة إلى حنين البحتري إلى الشام في قوله :

أأتخـــــذ العراقَ هـــوًى وداراً ؟ 		ومن أهــــواه في أرض الشــــآم

(١٤) براه يبريه : هزله وأضعفه .
(١٥) إشارة إلى قول ابن الأثيرْ في البحتري « أراد أن يشعر فغنىّ » .
(١٦) أسفر الصبحُ : أضاء .
(١٧) (ذي) بكسر الذال للمؤنث وفيه لغات « ذي وذِهْ » والهاء بدل من الياء ، يقـال : « ذي أمَةُ الله ، وذِهْ أمةُ الله » (اللسـان) .
ـ الروض : ج روضة وهي الأرض المخضرة بأنواع النبات .

يهـــدأُ المـــاءُ على أنهـــارِهـــا　　فـــــإذا حَسَّ بضيمٍ زمهَرا[١٨]
لا يَغُرَّنْـــكَ نسيمٌ ، خلفَـــهُ　　عـــاصفٌ مـــاهبَّ إلا عَفَّرا[١٩]
أَعْصُرٌ تمضي وتـــأتي أعصرٌ　　وجبـالُ الشـامِ تطـوي الأَعْصُرا
أين غـاراتُ العِـدى في ظلِّهـا ؟　　مضتِ الغـاراتُ ريحـاً صَرْصرا[٢٠]
طـوتِ الرومَ على أنجـــادهـــا　　وطـوتْ تحتَ ثراهـا قيصرا ![٢١]

☆ ☆ ☆

خلَّـــدَ الشِّعْرُ على أفيـــائهـــا　　مِنْ أضــاحي العُرْبِ ذِكراً خيِّرا
إنمـــا الشعرُ شِفـــاءٌ وهُـــدًى　　صـــاغَـــهُ اللّهُ عـزاءً للـورى
اسقِنيـــهِ كلّما دُرْتَ بـــــه　　بُحْتُريَّ الطعمِ حتى أَسْكَرا
وإذا غَنَّيْتَ منـــــــه نَغَماً　　فـابسُـطِ الأنغـامَ حتى تَهْـدِرا[٢٢]
رُبَّ بيتٍ في غـــزالٍ أحـــورٍ　　كان أحلى من غزالٍ أحـورا ![٢٣]

☆ ☆ ☆

نبتت في طيِّئٍ أغراسُـــــــه　　وسقـاهُنَّ الـوليـدُ الكـوثرا[٢٤]
يصف المنظرَ إن مرَّ بــــــه　　فترى عينُـــــك ذاك المنظرا

---

(١٨) حسّ بالشيء وأحسّ به : شعر .
ـ زمهرت العينُ : احمرّت غضباً .
(١٩) عفّره بالتراب : مرّغه فيه .
(٢٠) الصرصر من الرياح : الشديدة الهبوب والبرد .
(٢١) قيصر : لقب من مَلَكَ الروم (المحيط) .
(٢٢) هَدَر الحمامُ يَهدِر : صوّت .
(٢٣) يشير إلى وصف البحتري لعَلْوة :

بيضـاءُ يعطيـكَ القضيبُ قـوامَهـا　　ويُريـك عينْهـا الغـزالُ الأحـورُ

(٢٤) هو الوليد بن عبيد البحتري .

فـــإذا صَـوَّرَ ليثـــاً خِلْتَـــهُ هَمَّ في جُنْـحِ الـدُّجى أن يـزأرا[٢٥]
فسمعتَ الصـوتَ في غـــابتِـــهِ ولمحتَ الليثَ لمـــــــــا كَشَّرا

☆ ☆ ☆

أَلْبَسَ المَلْــــــــكَ رداءً كالسَّنى مـــــارآهُ الطَّرْفُ إلا حَسَرا[٢٦]
يتهـــادى جعفرٌ في وَشْيِـــــهِ أيعيـدُ الحُلْمُ يـومـاً جعفرا ؟[٢٧]
يعتلي المنبرَ في خُطبتــــــــه فـــــإذا زمجرَ هـــزَّ المنبرا[٢٨]
أينَ عِـزُّ الملـــكِ في عِتْرتِـــهِ ؟ يمـلأُ الـدنيـا ضيـاءً أزهرا[٢٩]
بين خَيْـــلٍ وسيـــوفٍ وقنـــاً كَتَبَ اللهُ لهـــــــا أن تُنْصرا
مـــاتغـــادي الرومَ في مَعْقِلِهِمْ يـومَ غـزوِ الرومِ إلا انكـدَرا[٣٠]
وإذا العربُ إلى الشَّمسِ مَشَـــوا زلـزلـوا الشمسَ ورجّـوا القمرا

☆ ☆ ☆

ذهب الملـــــكُ وأودى جعفرٌ أينَ مَنْ هلّـــلَ أو من كَبَّرا ؟[٣١]

---

(٢٥) يشير إلى وصفه للأسد حين بارزه الفتح بن خاقان :

غـــداةَ لقيتَ الليثَ والليثُ مُخْـــدِرٌ يُحـــدِّدُ نـــابـــاً للّقـــاء ومِخْلَبـــا

(٢٦) السّنى : ضوء البرق .
ـ حَسَرَ البصرُ : ضعف وكلّ
(٢٧) جعفر : اسم الخليفة العباسي العاشر المتوكل على الله .
(٢٨) إشارة إلى قول البحتري يصف موكب المتوكل في عيد الفطر :

فلـو انَّ مشتــاقــاً تكلف فـوق مـــا في وسعـــــه لـسعى إليـــــكَ المنبرُ

(٢٩) عِتْرة الرجل : ذريته ، أو عشيرته ممن مضى .
ـ الأزهر : المشرق النيّر .
(٣٠) غاداه : باكره .
ـ انكدرت النجوم : تناثرت .
(٣١) هلّل : قال : لا إله إلا الله

فـــانبرى الشعرُ على آثـــارِهِ	فـــأرى الأعينَ مـــاليس يُرى
من قصـورٍ سَقَفـوهـا ذهبـاً	وصحـونٍ فَرَشـوهـا مرمرا[٣٢]
يَنْفَـحُ المسـكُ على حَصْبـائِهـا	خَـالَـطَ المسـكُ عليهـا العنبرا[٣٣]
وإذا الطرفُ رأى لألاءَهـــا	حَسِبَ الليــلَ عليهــا مُقْمِرا
شمختْ في الجـــوِّ حتى زاحمت	في أعــاليــه السحــابَ المُمْطِرا[٣٤]
تحتهـا المـاءُ ينـاغي رَوْضَهـا	نـافسَ المـاءُ عليهـا الأبحرا[٣٥]
وجنـانُ الخُلْـدِ في حـافـاتِهـا	نفحتْ ورداً وفـــاحتْ زَهَرا
هكــذا الشـاعرُ في ألحـانِــهِ	ينفضُ الأكفــانَ عمــا غَبرا[٣٦]

☆ ☆ ☆

أين كسرى ! أين منـه تـاجُـهُ ؟	حُلُمٌ من بينِ أحـــلامِ الكرى
درجَ الفُرْسُ على أعقــــابِهمْ	وَغَـــدَوْا من بعـــدِ عَيْنٍ أثرا[٣٧]

ـ كبّر : قال : الله أكبر .

(٣٢) إشارة إلى وصف البحتري للقصر المعروف (بالكامل) الذي بناه الخليفة المعتز بالله بن المتوكل :

لبستْ من الـذهب الصقيـل سقـوفُـه	نـوراً يضيء على الظـلام الحـافـل

(٣٣) نفح المسكُ : انتشرت رائحته .

ـ الحصباء : الحصى ، والبيت يشير إلى وصف البحتري (للجعفري) وهو القصر الذي بناه الخليفة جعفر (المتوكل على الله) :

في رأس مشرفـةٍ حصـاهـا لـؤلـؤٌ	وترابُهـا مسـكٌ يُشـابُ بعنبر

(٣٤) إشارة إلى وصف البحتري للقصر نفسه :

مـلأتْ جـوانبـهُ الفضـاءَ وعـانقتْ	شُرُفـاتُـه قِطَـعَ السحـاب الممطرِ

(٣٥) ناغى المرأة : غازلها .

(٣٦) غَبَر : مضى .

(٣٧) العَيْن : المعاينة ، يقال : « لاأطلب أثراً بعد عَيْن » أي : بعد معاينة .

فتراختْ بعـــــدهم « سينيـــــةً » جَـدَّدتْ من ملكهم مـا انـدثرا[٣٨]
فـاستـوى كِسرى على إيـوانـهِ يتمطّى في لبـــــاسٍ أخضرا[٣٩]
والمنـــايــــا حــولَـــهُ نـــاشرةً في صفـوفِ الرومِ مـوتـــاً أحمرا
تلمَـــحُ العينُ على أطرافِـــــهِ عسكراً يـــدفَـعُ عنـــه عسكرا !

☆ ☆ ☆

كم جريــحٍ يتلظّى جرحُــــــهُ وقتيــلٍ جعلــوه هَـــــدَرا[٤٠]
أشَهـدْتَ الحربَ في تـدميرهـا ؟ مـــاتبـــالي مـــا امّحى أو دُمّرا
فترى الرأفـــــةَ فيهـــا هُـــزُؤاً وترى الرحمـــةَ فيهـــا خَـــوَرا[٤١]
ضلـــلَّ اللهُ رجـــــالاً بَشَّروا بلظـاهـا واستثـاروا الـذَّعَرا[٤٢]
وأعَـــــدّوا للـــورى معرفـــــةً تطحن الخَلْـــــقَ وتُفني البشرا !

☆ ☆ ☆

البطـولاتُ وقـــــد غنّى بهـــــا بعثتْ فينــــا الشَّبـــابَ الأنضرا
تجـــــدُ العُرْبَ على هيجـــائهم شربـوا المـوتَ وعـــافـوا العُمُرا

---

(٣٨) إشارة إلى سينية البحتري في وصف إيوان كسرى ومطلعها :

صُنتُ نفسي عمـــا يـــدنّسُ نفسي وترفَّعتُ عن جَـــــدا كلِّ جِبْسِ

(٣٩) هذا البيت وتاليه إشارة إلى وصف البحتري صورة في القصر تمثل معركة أنطاكية بين الفرس والروم :

والمنـــايـــا مـــواثـــلٌ وأنـــوشر وان يـزْجي الصفوف تحت الـدّرفْسِ
في اخضرارٍ من اللبـــاس على أصـ ـفر يختـــالُ في صبيغـــة وَرْسِ

(٤٠) الهَدَر : مايبطل من دم وغيره ، و « ذهب دم فلان هدراً » أي باطلاً ليس فيه قَوَدٌ ولايُدرك بثأره .

(٤١) هَزَأ بفلان هُزُءاً وهُزُؤاً : سخر منه .
ـ الخَور : الضعف .

(٤٢) ذَعِرَ ذَعَراً : دهش .

ركبوا اليمَّ وخاضوا هولَهُ دُرَّعاً طوراً ، وطوراً حُسّرا[٤٣]
يتبارَونَ إلى دفع العدى وكأنَّ الصَّيْدَ في جَوْفِ الفَرا[٤٤]
زجرَ النوتيُّ في أصحابِهِ فاستفزَّ اليمَّ لما زجَرا[٤٥]
فكأنَّ البحرَ في ضَجّتهمْ من لهيبِ النارِ أضحى سَقَرا[٤٦]
فترى أُسطولَهُمْ في زحفِهِ جبلاً فوق عُبابٍ شَمّرا
وإذا اليمُّ طغى في وجهِهِ دفع الطغيانَ عنه وجرى
فتراه ساعةً مرتفعاً وتراهُ ساعةً منحدِرا
هكذا العُرْبُ على أخلاقِهمْ لايَرَوْنَ الموتَ دَرْباً وَعِرا
طبعوا النصرَ على أسيافِهمْ وجَنَوْا فوق العوالي الظَّفرا

☆ ☆ ☆

راعه من مُلْكِهِمْ ماراعه حين أعمى الملكُ هذا البَصَرا
وردوا مَوْرِدَ طيشٍ فمَضَوا لم يَرَوْا بعدَ ورودٍ صَدَرا[٤٧]

---

(٤٣) اليّم : إشارة إلى وصف البحتري لمركب غزا به أحمد بن دينار بلاد الروم :

يسوقون أسطولاً كأنّ سفينة سحائبُ صيفٍ من جَهامٍ وممطر

- الدارع : ذو الدرع .
- الحُسَّر : الذين لادروع لهم ، والحاسر خلاف الدارع .
والبيت ينظر إلى قول البحتري في القصيدة نفسها :

وحولَكَ ركّابون للهولِ عاقروا كؤوس الردى من دارعين وحُسَّرِ

(٤٤) الفَرا : حمار الوحش ، والمثل « كل الصيد في جوف الفرا » أي : من ظفر به أغناه عن كل صيد .
(٤٥) النوتي : الملاح في البحر ، والبيت ينظر إلى قول البحتري في القصيدة نفسها :

إذا زجر النوتيُّ فوق علاته رأيت خطيباً في ذؤابة منبر

(٤٦) سَقَرُ : علم لجهنّم (ممنوعة من الصرف) .
(٤٧) ورد الماءَ وروداً : صار إليه والورود خلاف الصَّدَر .

فخَلَت داراتُهمْ من أهلِهــــــا وغـــدا الرَّبْـعُ عليهـــا مُقفِرا
أَرْبُـعٌ كانَ حمـــاهـــا مَعْقِـلاً أصبحتْ بعـــدَ انشقـــاقٍ أقْبُرا
فبكى العُرْبُ وقــــــد شتَّتَهمْ طمـعُ الملــكِ على وجــهِ الثرى
قتــل الملــكُ قـديمـاً جُرْ همـاً فـــاستطــاروا ثم أفنى حِمْيرا[٤٨]

☆ ☆ ☆

مــا نسينــا تغلبــاً لمــا سقى دمُهــا البــدْوَ وروَّى الحَضَرا[٤٩]
فتــلاقى الــدمُ والــدمـعُ معــاً كَبِــدٌ ســالتْ وجَفْنٌ قَطَرا[٥٠]
هيَّجَتْ من قلبِــه هيجــاؤهـــا فجرى القلبُ أسىً وانفطرا
هــالَــهُ حِقْــدٌ على أحشــائهــا يــأكُــلُ اليــابسَ والمُخْضَــوضِرا
إنمــا الحقــــدُ ذُعــــافٌ أصفرٌ يتنزّى فــوقَ وجــــهِ أصفرا[٥١]
يَكْمَــدُ الـوجـهُ إذا أخفى الأذى وإذا فَشَّ أذاه نَضَرا[٥٢]
لم تَنَمْ تغلبُ حتى همـــــــدَتْ مُهَـجٌ طــارَ شجــاهـــا شَرَرا
فتصـــافى القــومُ في أحقـــادهِمْ وتنـــاسَــوْا من دمٍ مـــاانهمرا
إنمـــا العُرْبُ يـــدٌ مُلْتفَّـــةٌ بيـــدِ والشمــلُ محبــوكُ العُرا

☆ ☆ ☆

(٤٨) جرهم : قبيلة عربية قديمة جاءت من اليمن وأقامت بمكة ، وهلكت كما هلك أهل عاد وثمود .
ـ حِمْيَر : أبو ملوك اليمن ، وإليه تنتمي قبيلة حمير .
(٤٩) تغلب : قبيلة يمنية الأصل ، انتقلت إلى نجد والحجاز فإلى حدود الشام فإلى ما بين النهرين ، وهذا البيت إلى آخر المقطع إشارة إلى قصيدة البحتري في الاقتتال بين بطون تغلب :

إذا احتربتْ يوماً ففاضت دماؤهـا تـذكّرت القربى ففـاضتْ دمـوعهـا

(٥٠) قَطَرَ الماءُ : سال وجرى .
(٥١) الذُّعاف : السم الذي يقتل من ساعته .
(٥٢) كَمِدَ يكْمَدُ : تغيّر لونُه .

ليت في العُرْبِ فتىً من بُحْتُرٍ يَعِـــظُ العُرْبَ فيُبكي الصَّخَرا[53]
ليتَـــهُ اليـــومَ على أكنـــافِهِمْ ليرى من أمرِهِمْ مـــــا حَيّرا
يستفيضُ الحـــزنُ في أكبـــادِنـــا مُضْمَراً حينـــاً وحينـــاً مُظْهَرا
والشماتـــاتُ على أسماعِنـــا تمـلأُ السمـعَ صـــدىً مستنكرا

☆ ☆ ☆

أترى في خطبِنـــــا مُعْتَبراً فكأني لا أرى معتبرا ![54]

٢٨ أيلول ١٩٦١

(٥٣) الصَّخَر والصَّخْر والصُّخور : جموعٌ للصخرة .

(٥٤) المعتبر : مصدر ميمي لفعل (اعتبر) ، واعتبر به : اتعَّظ .

(٥٧)

فـــــــــــارس العرب☆

ألقيت في مهرجان الشعر

لــو يَشْكَرُ الـــدهرُ من ذكراكِ يــــاحلبُ
لكانَ للـــــدهرِ منـــــكِ الخمرُ والعنبُ
هـــذا دَويُّـــكِ والـــدنيـــا تُردِّدُهُ
تكادُ تهتزُّ من أهـــوالـــــهِ الحِقَبُ(١)
مـــاكانَ أمْسُــكِ إلاّ امسَ مَلْحَمـــةٍ
غنى بهـــا السيفُ والأقـــلامُ والكُتُبُ(٢)

☆ أبو فراس الحمداني (٣٢٠ ـ ٣٥٧) هـ :

هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة ، نازل الروم في عدة مواقع ، وقهر قبائل كعب وكلاب ونُمَيْر وقُشَيْر التي ثارت على ابن عمه ، ثم أسره الروم في بعض المواقع جريحاً ، فسجنوه بخرشنة ثم بالقسطنطينية ، وماطَلَ سيفُ الدولة بفدائه ، لأنه كان قد أحسّ منه طمعاً في الاستيلاء على الحكم ، وقد ظهرت أشعاره الروميات في الأسر ملأى بعتاب ابن عمه ، وبعاطفة الحنين إلى أهله ، ثم كان الفداء ، فأطلقه الروم ، ولما توفي سيف الدولة خلفه ابنه سعد الدولة ابن أخت أبي فراس ، فحاول شاعرنا أن يقتطع حمص من ابن أخته سعد الدولة ، فوجّه إليه هذا قائده التركي ومولى أبيه قرغويه ، في جيش تغلّب عليه وقتله .

(١) الحِقَب : ج حِقبة ، والحقبة من الدهر : مدة لاوقت لها ، أو هي السنة .

(٢) أمس : ظرف زمان مبني على الكسر ، فإذا أضفته أو نكّرته أو أدخلت عليه الألف واللام أجريته بالإعراب (اللسان) .

ـ الملحمة : الوقعة العظيمة القتل ، وقيل موضع القتال (اللسان) ثم حملتْ معنىً حديثاً فكُني بها عن عمل شعري طويل يتألف من أناشيد عدة ، نُظمت في وصف حرب ، وما يتصل بها من جيوش وأبطال وأماكن ، وتتخللّها الأساطير .

لـولا الليـالي التي كابـدتِ ظُلمتَهـا
مـاكان للعُرْبِ بين الروم مُضْطَرَب[٣]

فلـو سـألت دُروبَ الروم عن بلـدٍ
ذلَّتْ بـه الروم قـالت : حَسْبُكُمْ حَلَبُ ![٤]

أعـدتِ ذكرى بني حَمْـدانَ وارفـةً
ذكراهُمُ الجـودُ والعليـاءُ والأَدَبُ[٥]

كانـوا الملـوكَ وتـاجُ الملـكِ فـوقهُمُ
تُـزْهى بـه الأرضُ والأفـلاكُ والشُّهبُ

حِصْنُ العروبـةِ لم يَهْـدِمْ عروبتَهُمْ
نـومٌ على الضيمِ والـداراتُ تُغْتَصَبُ[٦]

مـاكان إلاّ سروجَ الخيـلِ مَرْكَبُهُمْ
لنُصرةِ العُرْبِ مـا جرُّوا ومـا ركبـوا

رَدّوا البطـاريـقَ عن أظـلال مملكـةٍ
يفئ على ظلّهـا فتيـانُهـا النُجُبُ[٧]

تُرْوى من الأحمر القـاني منـابتُهـا
ويَنْضُرُ العـودُ بـالأشـلاءِ والعُشُبُ[٨]

☆ ☆ ☆

---

(٣) مضطرب : اسم مكان من (اضطرب) ، واضطرب : تحرّك وماج .

(٤) الدرب : كل مدخل إلى الروم .

(٥)بنو حمْدان : من قبيلة تغلب امتّد سلطانهم على الموصل والجزيرة وحلب ، واشتهر منهم سيف الدولة وأبو فراس .

(٦) الدارات : ج دارة وهي كل أرض واسعة بين جبال .

(٧) البطاريق : ج بِطريق وهو القائد من قواد الروم .

(٨) الأحمر القانئ : الشديد الحمرة . ولُيِّنت الهمزة للشعر .

إذا نسبتَ فتى الفتيـــــانِ فـــــارسَهمْ

أبـــــا فراسٍ حسبتَ المجـــــدَ ينتسبُ

زينُ الشبـــــابِ ولم تَمْـــلأْ شبيبتَــــهُ

إلاّ المعـــــالي وإلاّ الخيــــلُ والخَببُ(٩)

ضربُ السيـوفِ ورايـــاتٌ يُليحُ بهـــا

في مُلْـــكِ قيصرَ : هـــذا الهمُّ والأربُ(١٠)

لم يَرْوَ من عُمُرٍ هـــدَّتْ نضـــارتَــهُ

مضــــــارِبُ السيفِ والنيرانُ واللَّهَبُ

فلم يُمَتَّـــعْ من الأيـــام مُتْعَتَــهُ

ولا تملّى شبــــابـــاً كلُّـــه تَعَبُ(١١)

مـــامنزلُ اللهـوِ واللّـــذاتِ منزِلَـــهُ

وإنمـــا لهـــوُه الهيجـــاءُ والجَلَبُ(١٢)

فـــأين منـــه ظهـورُ الخيـل سـابحـةً ؟

وأين منـــه ضجيـــجُ الحربِ والصَخَبُ ؟

إن راح يـــومٌ ولم تَرْسُبْ صـــوارِمُـــهُ

في أرؤس الرومِ ضـــاع اليـــومُ والرَسَبُ(١٣)

☆ ☆ ☆

---

(٩) زين الشباب : إشارة إلى بيت أبي فِراس يخاطب ابنته عند موته :

قـــــولي إذا كلمتِني وعييتَ عن ردِّ الجـــــوابْ

زينُ الشبــــاب أبـــو فرا سٍ لم يُمتَّـــعْ بـــالشبـــابْ

ـ خبّ الفرس في عدوه خَبَباً : راوح بين يديه .

(١٠) ألاح بسيفه : لمع به .

ـ قيصر : لقب من مَلَك الروم (المحيط) .

(١١) تملّى عمرَه : استمتع به .

(١٢) الجَلَب : اختلاط الأصوات والصياح .

(١٣) رَسَب الشيءُ في الماء : سقط إلى أسفله .

يــــافـــــارسَ العُرْب كم غــــادرتَ من أثرٍ
على مَـــــدارجِـــــهِ الفرســـــــانُ تَنْسَحِبُ
زحفتَ بـــالجيش والرايـــاتُ خـــافقـــةٌ
لم يحمِ قيصرَ منهـــــا جيشُـــــه اللَّجبُ
فضـجَّ منـــكَ كِفـــافُ الأُفــقِ واختلجتْ
غيـــاهبُ الليــلِ حتى مـــادتِ الرَّحَبُ[14]
لــو كنتَ للمـوتِ هيَّـــابـــاً لمـــا ظَفِرتْ
بـــك السيــوفُ ونـــالتْ وجهَــك الشُّطَبُ[15]
هـــذي الجراحُ على الخـــدّين شـــاهـــدةٌ
أنَّ الرجـــالَ إذا مـــا استُغْضِبـوا غضِبــوا
مـــافي الجراحِ على الهيجـــاءِ من عَجَبٍ
نجـــاةُ فُرســـانِهـــا منهـــا هي العَجَبُ
لم تُخْلَـــقِ الحربُ الا للسيــــوفِ فمـــا
يَليــقُ بـــالحرب إلاَّ الفـــارسُ الـــدَّرِبُ ![16]

☆ ☆ ☆

يـــابنَ الملــوكِ ! وكم أذللتَ من مَلِـــكٍ
لم يَحْمِـــهِ في الفيـــافي مَعْقِـــلٌ أَشِبُ[17]

---

(١٤) كِفاف الأفق : نواحيه .
ـ الرَّحَب والرّحاب : جمعان للرَّحْبة وهي الأرض الواسعة .
(١٥) الشُّطَب : ج شُطْبة وهي الخط في متن السيف ونحوه .
(١٦) الدَّرب بالأمر : العالم به .
(١٧) الفيافي : ج فيفاة وهي المفازة لاماء فيها .
ـ الأَشَب : شدة التفاف الشجر وكثرته ، حتى لايستطاع الاجتياز فيه ، ويُراد بالمعقل الأَشِب : المحصَّن الذي لايستطيع العدّو أخذه .

نـزعتَ عنـه وشـاحَ المُلْـكِ فـانخسفتْ
بـه القِفـارُ ومـاجَ اليمُّ والعُبُبُ[18]
إن دلَّ لـونٌ على خـوفٍ تكنَّفـه
دلَّ الشحـوبُ فبـانَ الخـوفُ والرَهَبُ[19]
ألقتْ اليـكَ شيوخُ العرب طـاعتَهـا
لّمـا ألـحَّ على أشيـاخِهـا الرُعُبُ[20]
فمـا نـزا شـاغِبٌ منهمْ على جَبَـلٍ
إلا بطشتَ بـه حتى انقضى الشَغَبُ[21]
إذا تـولّى فـذُلٌّ الخـوفِ لاحقُـهُ
وإن تـدلّى ثنـاه الشـكُّ والرَّيَبُ[22]
خـلِّ المفـاخرَ والألقـابَ نـاحيـةً
فمـا يحيـط بمـا أعليتَـهُ لَقَبُ !

☆ ☆ ☆

---

(١٨) العُبُب : المياه المتدفقة .

(١٩) الرّهَب : الخوف .

(٢٠) صدر هذا البيت ينظر إلى بيت المتنبي في سيف الدولة :

ألقتْ إليـك دمـاءُ الروم طـاعتَهـا   فلـو دعـوتَ بـلا ضربٍ أجـاب دمُ

وهـذا البيت والبيتـان بعـده إشـارة إلى أن أبـا فراس قهر قبـائل كعب وكلاب ونُمير وقُشير التي ثارت على ابن عمه سيف الدولة .

(٢١) نزا : وثب .

ـ شَغَب القومَ شَغْباً وشَغَباً : هيّج الشر عليهم فهو شاغب .

(٢٢) تدلى : زاد في القرب (اللسان) .

يـومـــاً أميرٌ ويـومـــاً في سـلاسِلِـــه
يطـوي الليـــاليَ ، والأشجـــانُ تضطرب[٢٣]
يصيـــحُ في كلِ يـــومٍ فـــوقَ مضجعِـــهِ
ألا فـــؤادٌ على أقيــــادِنــــا حَـــدِبُ[٢٤]
أمــــا ترقُ قلـــوبٌ كنتُ حــــارسَهــــا
والملـــــكُ معتلـــجُ الآفــــاق مُنْتَهَبُ[٢٥]
ألا فـــداءٌ وسيفُ الـــدولـــة امتـلأتْ
منـــه الخـــزائنُ والأعـــلاقُ والـــذَّهَبُ[٢٦]
لقــــد تملَّتْ قلـــوبُ النـــاس عطفتَــــهُ
وعَطْفُـــــهُ دون هـــــذا القلب مُحْتَجِبُ
إذا عَتَبْتُ فلم أَعْتَبْ لَمبْخَلَــــــــــــةٍ
وإنمـــا العَتْبُ للعهـــدِ الـــذي قلبـــوا

---

(٢٣) إشارة إلى قول أبي فراس حين حُمل إلى خرشنة جريحاً :

إن زرتُ خرشنـــــــــةَ أسيراً فلقــــد حللتُ بهــــا مُغيرا
من كان مثلي لم يبتْ إلا أسيراً أو أميراً

(٢٤) إشارة إلى قول أبي فراس يخاطب ابن عمه وهو أسير عند الروم :

يــاراكبَ الخيـل لـو بَصُرت بنـــا نحمـل أقيـــادنـــا وننقلُهـــا
رأيتَ في الضُرّ أوجهـــــاً كرمتْ فـــارق فيـــكَ الجمـــالَ أجملُهـــا

ـ حَدِبَ عليه حَدَبا : تعطّف وحنا فهو حَدِب .

(٢٥) إشارة إلى بلائه في قتال القبائل التي ثارت على سيف الدولة .

(٢٦) كان يتوقع أبو فراس من سيف الدولة أن يعجّل افتداءه ، فلما استبطأه أرسل إليه يحثه :

فـــإن تفتـــدوني تفتـــدوا لعُـلاكُم فتىً غيرَ مردود اللســـان ولا اليـــدِ
يـــدافـع عن أعراضكمْ بلســـانـــه ويضربُ عنكمْ بـــالحســـام المهنَّـــدِ

ـ الأعلاق : ج عِلْق وهو النفيس من كل شيء ، لتعلّق القلوب به .

إني أَضِنُّ بتـــــــاجٍ أن أُزاحَمَـــــــهُ
على سَنـــــاه فمـــا في التـــاجِ مُرْتَغَبُ
لكن طربتُ إلى نـــــــارٍ أُسعِّرهـــــا
في وجـــــــه قيصرَ حتى شفني الطَّرَبُ[٢٧]
فكلُّ همٍّ على الأحشـــــــاءِ منبســـــطٌ
وكلُّ نـــــومٍ من الأَجفـــــــان مُسْتَلَبُ
تلقى العيـــونُ على الأعيـــادِ فرحتَهـــا
أفراحُـــــهُ الحـــزنُ في الأعيـــاد والكُرَبُ
يمرُّ بـــــالعيـــــدِ والأغـــلالُ حُلَّتُـــــهُ
وكانَ تُـــزهى بـــه أثـــوابُـــــهُ القُشُبُ
فـــــالعينُ خلفَ خِضَمِّ الرومِ مـــوحشَــــةٌ
لا أعينُ الرومِ سلَّتهــــا ولا الُهـــدُبُ ![٢٨]

☆ ☆ ☆

أين الـــديـــارُ ؟ وأين الشـــامُ لـــذَّتُـــهُ ؟
نـــأتْ بـــه الـــدارُ والبطحـــاءُ والكُثُبُ[٢٩]
خيـــالُـــهُ في ربـــوعِ الشـــامِ مُنْسَرِحٌ
وطَرْفُـــــهُ في ديـــــارِ الرومِ منقلِبُ
فمـــا ثنتْـــه قصـــورُ الرومِ عن وطنٍ
على مشـــارفـــه الأَهلـــونَ والصَحَبُ

---

(٢٧) شفَه الهم : أوهنه .
(٢٨) الُهدُب : شعر أشفار العين .
(٢٩) الكُثُبُ : ج كثيب وهو التل من الرمل .

إذا سجـــا الليـــلُ لم يَحْلُمْ بغيرِهِمُ
وفي الضُحيَّـــا هُمُ الأحـــلامُ والرَغَبُ[٣٠]
فكمْ إلى حَلَبٍ حنَّتْ خـــواطرُهُ
وكم إلى مَنْبِـجٍ أسرى بـــه الحَـــدَبُ[٣١]
فـــإن تـــذكَّر بين الروم ذِلّتـــه
نفى المـــذلّـــة عـــزُّ الملـــكِ والحسبُ
فهـــزَّ رأســـاً على الجـــوزاء قُمَّتُـــهُ
وكادَ يـــأكلُ من أضـــلاعـــه الغَضَبُ[٣٢]
لـــولا العجـــوزُ ولـــولا صبيـــةٌ سَرَحـــوا
مثـــلَ الفراخِ على أطرافِهـــا الـــزَغَبُ[٣٣]
لمـــا تطـــامَنَ من عليـــائـــه كنَفٌ
ولا تقطَّـــعَ من أسبـــابـــه سَبَبُ[٣٤]
سحـــابُ صيفٍ وبعـــد الأسر مُعْتَرَكٌ
تشقى بـــه الرومُ أو يروى بـــه التُرُبُ[٣٥]

☆ ☆ ☆

---

(٣٠) سجا الليلُ : سكن ودام .

(٣١) أسرى به : سيّره ليلاً .

(٣٢) الجوزاء : برج في السماء .

(٣٣) إشارة إلى بيت أبي فراس يطلب من ابن عمه الفداء من أجل أمه العجوز :

لـــولا العجـــوزُ بمنبـــجٍ　　مـــاخفتُ أسبـــاب المنيّـــهْ

(٣٤) الكَنَف : الجانب ، وكنف الإنسان : صدره .

(٣٥) سحاب صيف : كناية عن قرب الوقت لأن سحابة الصيف لاتلبث طويلاً ، ومنه المثل « سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعُ » .

ـ التُرُب : التراب ، وحرّكت الراء الساكنة بالضم ، وذلك من الضرورات الشعرية التي تجوز للشاعر .

يـــــــاحسرةً من وراءِ اليمّ تحملُهــــــــا
يظـــلُّ قلبُـــــكَ من لأوائِهــــــا يَجِبُ[٣٦]

لـــو يُفصِـــحُ الشعرُ عن دمـــع تُكَتِّمُــــــهُ
لكان من شِعرِكَ الرَّيـــــــــــانِ مُنْتَحَبُ

عليلــــــةٌ في ظـــلالِ الشـــامِ والهـــــةٌ
هــــذا معلِّلُهــــــا في القيــــدِ مُنْتَشِبُ[٣٧]

يُضني جـــوانحَهـــــا جرحٌ يـــؤجِّجُـــــــهُ
شـــوقٌ إليـــكَ على جنـــحِ الــــدّجى يَثِبُ

فجُرْحُهــــــا في بيــــاض الصبـــح ملتهبٌ
ودمعُهـــــا في ســــوادِ الليــــلِ منسكبُ

إذا اطمأنتْ إلى الأحــــــداثِ مهجتُهــــــا
ثـــــارتْ بهــــا ذِكَرٌ كالمـــوج تصطخبُ[٣٨]

---

(٣٦) إشارة إلى بيت أبي فراس في الأسر :

يــــاحسرةً مـــا أكاد أحملهــــا   آخرهـــا مـــزعـــجٌ وأوّلهـــا

ـ اللأواء : الشدة والمحنة .

ـ وَجَب القلبُ يَجِبُ : خفق ورجف . .

(٣٧) إشارة إلى قول أبي فراس عن أمه :

عليلــــــةٌ بـــالشــــآم مفردةٌ   بـــات بـــأيـــدي العِـــدا مُعلّلها

ـ الواله : من حزن حزناً شديداً حتى كاد يذهب بعقله .

ـ انتيشب : اعتلق .

(٣٨) إشارة إلى قول أبي فراس يصف حال أمه :

إذا اطمأنتْ وأين ؟ أو هـــــدأتْ   عنّتْ لهـــا ذُكْرَةٌ تقلقلُهـــا

تهفـــو إلى الرَّكْبِ إن عجَّتْ مـــواكبُهمْ
وتســألُ الرَّكبَ مــا جــاؤوا ومــا ذَهَبــوا[٣٩]
هــلِ الأميرُ ربيبُ المُلْـــكِ مــائجــةٌ
بـــه الشجــونُ فـــلا لهـــوٌ ولا لَعِبُ
وهـــل أليف العـــوالي في ســلاسِلِــــهِ
مُشتَّتُ الفكرِ من أغــــلالِـــــهِ كَئِبُ
واللهِ مــــا هــــدأتْ عيني ولا انقطعتْ
دمـــوعُهـــــا وحبيبُ القلبِ مُغْتَرِبُ

☆ ☆ ☆

مــا أقسى قلبــكَ في الهيجــاءِ ترسلُــهُ
خلفَ العــدوِ فمــا ينجــو بــه الهَرَبُ[٤٠]
ومــــا أرقَّ فـــؤاداً إن ذكرتَ لــــه
أمّــاً على صــدرِهــا الأشجــانُ تلتهبُ
تَظَــلُّ صــورتُهـــا في الأسر مـــاثلـــةً
لقلبـــك الغضِّ تُـــدنيهـــا فتقتربُ
فيهــا الصَّفــاءُ ، صفــاءُ الــدين مـؤتلـقٌ
فـــلا هَـــوادةَ في التقـــوى ولا كَـــذِبُ
لــو تجمــعُ الأرضَ في الـــدنيــا وزينتَهـــا
لفــــاقتِ الأرضَ أمٌ في الــــورى وأبُ

☆ ☆ ☆

---

(٣٩) الرَّكْب : ركبان الإبل ، والبيت إشارة إلى قول أبي فراس :

تســأل عنــا الركبــان جَــاهــدةً   بــأدمــعٍ مــاتكاد تُمهلُهــا
يـــامن رأى لي بحصن خرشنــــةٍ   أُسْـــدَ شرًى في القيــود أرجلُهــا

(٤٠) ما أقسى : تُقرأ السين بالفتحة فقط دون مدّها بالألف المقصورة لإقامة الوزن العروضي

ويحَ البطولةِ ما كانت عواقبُها ؟
هل العواقبُ الاّ القتلُ والعَطَبُ ؟
لَمّا رأى جَنَباتِ المُلْكِ خاليةً
حلا له التاجُ والراياتُ والغَلَبُ[41]
ما كاد يطلبُها والعينُ طامحةٌ
حتى تفلَّت منه الملكُ والطَّلَبُ
مشتْ إليه سيوف التُّرْكِ غادرةً
لله ما صرعوا منه وما شَطَبوا[42]
نجا من الرّومِ والأسيافُ تَضرِبُهُ
ومانجا من سيوفِ التُّركِ ماضربوا
لم يَنْكُبوا من بني حَمدانَ فارسَهُمْ
وإنما العُرْبُ في آثارِه نُكبوا
كانتْ سيوفُ بني حمدانَ تحجبُهُمْ
واليومَ لا حاجبٌ يحمي ولا حُجُبُ
وهكذا درجتْ في الشامِ دولتُهُمْ
من بعدِ أن ملؤوا الدنيا بما غلبوا
لو يُعْرِبُ الدمعُ عن مأساةِ فارسِهِمْ
لفاضتِ الأرضُ مِمَّا سحَّتِ السُحُبُ[43]

☆ ☆ ☆

---

(٤١) إشارة إلى محاولة أبي فراس اقتطاع حمص من ابن أخته بعد وفاة أبيه سيف الدولة .

(٤٢) سيوف الترك : إشارة إلى القائد التركي قرغويه الذي تغلّب عليه وقتله .

ـ شطبه: قطعه أو شقّه .

(٤٣) سحّ : سال وانصبّ غزيراً .

سـلِ الــديــارَ ، ديــارَ العُرْبِ كم نُكِبَتْ
في كلِّ يــوم شِقــاقــاتٌ ومُنْتَكَبُ
إن تنطـــــقِ الأرضُ عن قتلى شبيبتهمْ
أبكاكَ مَنْ درجــوا فيهــا ومن سَرَبــوا[٤٤]
لم تُسْـقَ منهم سيــوفُ الروم مــاسُقيت ،
منهم أسنَّتهم والبيضُ والقُضُبُ[٤٥]
شِقــاقُهم في ضحى التــاريـخِ مَثْلبــةٌ
وعهــدهُمْ في دجى تــأريخهمْ ثَلِبُ[٤٦]
فمــا تــألَّفَ بعــدَ الفتــحِ شملُهمُ
حتى تبعثرتِ الأهــواءُ فــانشعبــوا[٤٧]
بينــا يُغِــذُّ بنــو حَمْــدانَ سَيْرَهُمُ
للرومِ إذ نجــدُ الأعرابَ تنقلبُ[٤٨]
أمــامهمْ وَثَبــاتُ الرومِ تَشْغَلُهمْ
وخلفَهمْ وثبــاتُ البــدوِ والسَلَبُ[٤٩]

---

(٤٤) دَرَج الصبيُّ : مشى .
ـ سَرَب الرجلُ : ذهب على وجهه .
(٤٥) البيض : ج أبيض وهو السيف .
ـ القُضُب : ج قضيب وهو السيف القطّاع .
(٤٦) المَثْلَبة : العَيْب .
ـ ثَلَبه : عابه ، والثَّلِب : المعيب .
(٤٧) انشعب عنه : تفرّق .
(٤٨) أغذّ السير وفي السير : أسرع .
ـ الأعراب تنقلب : إشارة إلى قبائل كعب وكلاب ونُمير وقُشير التي ثارت على ابن عمه سيف الدولة .
(٤٩) سَلَبَ الشيءَ سَلْباً وسَلَباً : انتزعه من غيره قهراً .

لــولا شبـــابٌ بسيفِ الــــدولــــة اعتصمــوا
لراعَ قلبَــــــك حَـــوْضٌ في الحمى خَرِبُ
فللمالـــــكِ مـــــا سلُّــوا صــوارمَهمْ
وللمكارِم مـــا أعطَـــوْا ومـــــا وَهَبـــوا
فهـــل تُعيـــدُ لنــــا الأيّــــامُ دولتَهمْ ؟
والشرقُ مبتهــــــــــــــجٌ والغربُ مكتئبُ

☆ ☆ ☆

أبــــا فراسٍ ! ومـــاقلتُ الــــذي اختمرتْ
بـــــه القـــوافي ، وبعضُ القـــول مُقْتَضَبُ
تَظَـــلُّ ذكراكَ بينَ العُرْبِ خـــالـــــدةً
مـــــادارَ دهرٌ ومـــــادارتْ بــــه العَرَبُ

١ نيسان ١٩٦٤

يـــــــــــــابن النبي☆

أرسلت لتلقى في مهرجـــان الشريف الرضي ، ونُشرت في مجلة الإخـاء التي تصـــدر عن دار (اطّـلاعــات) في طهران

أعيتْ دمـوعُ الغـوطتين بيــاني ... حتى تمرّد سِحْرُهُ فعصــــــاني

مــا كانَ يَعصيني إذا نـاديتُـــهُ ... لـولا شجونٌ قـد مـلأْنَ زمـاني

فغــدوْت مُعتلِـجَ الجنَــانِ كأنني ... في زَحْمَةِ الأحـداثِ دونَ جَنـانِ[1]

سـاهٍ عن الـدنيـا كأنَّ ضيـاءَهـا ... ظلمــاءُ لابــدةٌ على أجفـــاني

إني لأمســح عن لســـاني همَّهــا ... فـأرى الهمـومَ تَفيضُ فـوقَ لسـاني

وإذا شكـوتُ إلى أخٍ بُرَحـاءَهـا ... سبقتْ إليَّ شكايـــةُ الإخـوانِ[2]

عَمَّ البـــلاءُ فكلُّ أفْـــقٍ في الحمى ... مـادتْ جـوانبُـهُ من الحِـدْثـانِ[3]

☆ **الشريف الرضي** : (٣٥٩ ـ ٤٠٦) هـ

هو أبو الحسن محمد بن الطـاهر ينتهي نسب أبيـه إلى جعفر الصـادق ، ونسب أمـه إلى الحسين بن علي بن أبي طـالب ، ويلقّب بـالشريف الرضي الموسـوي ، وُلـد وتـوفي ببغـداد . ودرس العلم طفـلاً ، وقـال الشعر صغيراً ، ولمـا بلـغ التـاسعـة والعشرين خلف أبـاه في نقـابـة الطالبيين ، والنظر في المظالم ، والحج بالناس .

كان أبيّ النفس طموحاً حتى إلى الخلافة ، وكان عفيفاً لم يقبل صلـة أو جـائزة . قـال الشعر في أكثر فنونه .

(١) اعتلجت الهموم في صدره : تلاطمت .

(٢) البُرَحاء : شدّة الأذى .

(٣) حِدْثان الدهر وحَدَثانه : نوائبه .

لاالفجرُ فضفــاضُ الضحى فــوقَ الرُّبــا
مِــلْءُ العيــونِ ولا العيــونُ روانِ[٤]

فاحبِسْ لسانَك دونَ تبيانِ الأذى　　أغنتْ ظــواهرُهُ عن التِّبيــانِ
وانسَ الـزمـانَ ومـا تجرُّ خطـوبُـهُ　　الخَطْبُ مَصْرَعُــهُ مـع النسيـانِ

والجـأْ إلى مــاضي الليــالي إنّهــا
أُنْسُ اللهيفِ وَفَرْجَــةُ الـولْهــانِ ![٥]

☆ ☆ ☆

أَوَ ما تذوقُ مع (الرَّضِيِّ) بشاشـةً　　أَوَ مــا تُحِسُّ نضــارةَ الأفنـان ؟
لـولا قـلائـدُهُ التي مـاجت بهـا　　مُتَـعٌ تُخفِّفُ من أسى الأَسْـوانِ[٦]
لَسَرَبْتُ في طـولِ البـلادِ وعَرضِها　　علّي أرى منــأىً عن الطُّغيـانِ[٧]
يـابنَ النبيِّ أمـا سمعتَ ضجيجَنـا　　مَـلأَ السماءَ وهـزَّ كلَّ عَنـانِ ؟[٨]
أبنـاءُ عمِّـكَ مـا تنـامُ عيـونُهمْ　　في الشامِ ، أين منامة الأعيانِ ؟[٩]
هـلا بكَيْتَ مـع العنـادلِ شجوَهُمْ　　عبراتُ شعرك أسوةُ اللهفانِ ؟[١٠]

---

(٤) رنا إليه : أدام النظر بسكون طرف .
(٥) اللهيف : المتحسّر المكروب .
ـ الفَرْجة : الخلوص من الشدة والهم ، وتُضم فاؤها .
ـ الولهان : من حزن حزناً شديداً كاد يذهب بعقله .
(٦) قلائد الشعر : الأبيات المحفوظة لاتُنسى لنفاستها .
ـ الأسوان : الحزين .
(٧) سَرَب سروباً : ذهب على وجهه .
(٨) ابن النبي : إشارة إلى نسبه المتصل بالشجرة النبوية .
ـ عَنان السماء : ماارتفع منها ، وما بدا لك منها إذا نظرتها
(٩) الأعيان والعيون : جمعان للعيْن وهي الباصرة .
(١٠) الأُسوة : مايُتَعزّى به .
ـ اللهفان : المتحسر المكروب .

كم فاضَ سِحرُكَ في مراثي عُصبةٍ — من هاشمٍ دَرَجوا مع الأزمانِ[11]
نَفَضَ الرثاءُ عن الثرى أكفانَهمْ — فكأنهمْ مَثَلوا بلا أكفانِ
فكأنَّ صورتَهمْ على أجفاننا — وكأنّ نغمتَهمْ على الآذانِ
وكأن جُثْمانَ الشهيدِ وروحَهُ — خَلَلَ القوافي الغُرِّ يلتقيانِ[12]
فاذا رثيتَ على البديهةِ فارساً — دبّتْ شجاعَتُهُ مع الشجعانِ
فكأنهُ بين الفوارسِ ماثلٌ
يبغي الطِّعانَ ولاتَ يومَ طِعانِ[13]
وكأنَّ صارمَه على جَنَباتِهِ — يروي الأباطحَ من دمِ الفرسانِ[14]
وكأن سابحَهُ خلالَ رِهانِهِ — يُزجي المنونَ أمام كلِّ رِهانِ[15]
وإذا بكيْتَ على بلاغةِ كاتبٍ — سَدَّ البكاءُ مَسَدَّ كلِّ عِيانِ[16]
فكأنَّ أسْطُرَهُ لسِحْرِ بيانِها — نورٌ يُفَتِّحُ أعينَ العُميانِ
وإذا عكفتَ على النسيبِ سجتَهُ — حُللاً تتيهُ بزهوةِ الألوانِ[17]
غزلٌ تُذَوِّبُهُ النواظرُ عِفَّةً — وتذوبُ فيه نواظرُ الغِزلانِ
ما كان عِشْقُكَ غيرَ نظرةِ ناظرٍ — لم تنفرجْ عن فُحْشِهِ الشفتانِ

☆ ☆ ☆

---

(١١) يشير إلى رثائه آل البيت كرثاء الحسين في خمس قصائد طوال .

(١٢) الجُثمان : الجسم .

ـ الخَلَل : الفرجة بين الشيئين . وجمعه خِلال .

ـ الغُرّ : ج أغرّ أو غرّاء وهو الحسن من كل شيء

(١٣) لات يومَ طعان : أي : ليس اليومُ يومَ طعان .

(١٤) الأباطح : ج أبطح وهو مسيل واسع فيه رمل ودُقاق الحصى .

(١٥) السابح من الخيل : السريع .

(١٦) يشير إلى رثائه صديقه الكاتب أبا إسحق الصابىء ، نابغة كتّاب جيله .

(١٧) يشيرإلى حجازيات الشريف الرضي . وفيها قصائد غرام أشهرها :

« ياظبية البان ترعى في خمائله ... »

إني لأنْشَقُ من بيانِكَ نفحةً | من سِحْرِ أحمدَ أو هدى القرآن[١٨]
لما بكيتَ على الحسينِ ورَهْطِهِ | بكتِ السماءُ لدمعِكَ الهتّان[١٩]
ما كان دمعُ العينِ يخفقُ وحدَهُ | كانتْ دماءُ القلبِ في خَفَقان
إني وإن كانتْ أميةُ عِتْرَتي | أرثي لجُرحٍ إن براكَ براني[٢٠]
إن لمْ يَهِجْ يومُ الحسينِ وآلِهِ | دمعي فما أنا من بني مَروان[٢١]
تلكَ الفجيعةُ لا فجيعةَ مثلُها | نزلتْ على الإسلام والإيمانِ
سفكتْ دماءَ العُرْبِ في لأوائِها | ورمتْ ربوعَ الشامِ عن بغدان[٢٢]
لم تطفئِ الأحقابُ جَذْوه نارِها | فمتى نرى إطفاءةَ النيرانِ[٢٣]
قل للذينَ يؤجّجونَ لهيبَها | في أرْبُعٍ سَلِمَتْ من الأضغانِ
بعضَ الجهالةِ هل يروقُ عيونَكم
مرأى الدماءِ تفيضُ في الأوطان ؟[٢٤]
لستمْ أرقَّ على الحسينِ حُشاشةً | أين الحُنوُّ وأين قلبُ الحاني[٢٥]

---

(١٨) لعله اراد بأحمد النبي محمداً ص أو أحمد بن الحسين الجعفي (المتنبي)

(١٩) رهط الرجل : قبيلته .

(٢٠) عِتْرة الرجل : رهطه وقومه .

ـ براه : هزله وأضعفه .

(٢١) هاجه يهيجه : أثاره .

ـ من بني مروان : يقصد أنه شامي لأن دمشق كانت عاصمة الأمويين ، ومروان بن الحكم هو الخليفة الأموي الرابع .

(٢٢) اللأواء : الشدة والمحنة .

(٢٣) الجَذوة : مثلثة الجيم ، الجمرة الملتهبة .

(٢٤) بعضَ الجهالة : منصوب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره : احذروا أو تجنبوا بعضَ الجهاله .

(٢٥) الحُشاشة : بقية الروح في المريض أو الجريح .

والله مـاهـدأتْ جـوانِحُنَـا ولا سكَنَتْ خواطِرُنـا من السُّلوانِ[٢٦]
أينـام جفنٌ والحسينُ وآلُـهُ جُثَثٌ مبعثرةٌ على الكُثْبـانِ[٢٧]
كانت على هـامِ النجـومِ قبـابُهُمْ فغـدتْ قِبـابُهُمُ على القيعـانِ
لم ينفردْ قلبُ (الرّضيِّ) بحُـزنِـهِ فـاضتْ قلوبُ العُرْبِ بـالأحـزانِ
لكنّهـا تطـوي القلـوبُ جراحَهـا حتى تظـلَّ منيعـةَ الأركانِ
يـانغمـةً طلعتْ على حَرَمِ الحِمى ترمي الحِمى بمَـذَلَّـةٍ وهَـوانِ
لم يَـدْرِ صـاحبُها جنـايةَ حُمقِـهِ والحمـقُ أبغضُ مـا جنـاهُ الجـاني
جَمَحَ القريضُ ومـا أردتُ جِماحَـهُ ولعلّهـا من نَـزوةِ الشيطـانِ ؟

☆ ☆ ☆

اِرْجِعْ إلى ذكرى (الرضيِّ) فـإنهـا روحٌ يَرِفُّ ونَفحـةُ الرَّيْحـانِ
يابنَ النبيِّ وقد رويتَ من الهـدى هل أرتوي من قلبكَ الرَّيّان ؟[٢٨]
ظمآنُ أَنْهَـلُ من بيـانِـكَ نَهلَـةً فـإذا نَهِلْتُ فلستُ بـالظمآنِ[٢٩]
إن كنتَ من زينِ الخلافةِ عـاطلاً فلقـد أراكَ تمـوجُ بـالأزيـانِ[٣٠]

---

(٢٦) السُّلوان : النسيان ، أو هو دواء يُسقاه الحزين فيسلو .
(٢٧) الكثبان : ج كثيب وهو التل من الرمل .
(٢٨) رَوِيَ من الماء يَروى : شرب وامتلأ .
(٢٩) نَهِل ينهَل من الباب الرابع : شرب أول الشرب .
(٣٠) الزَّيْن : ضد الشَّيْن وجمعه أزيان .
- وصدر البيت إشارة إلى طموح الشريف الرضي إلى الخلافة فقد قال في مدح القـادر بـالله وهو الخليفة العباسي :

عطفـاً أميرَ المـؤمنين فـإننـا في دوحـة العليـاء لانتفرّقُ
مـا بيننـا يـومَ الفخـار تفـاوتٌ أبـداً كـلانـا في المعـالي مُعرقُ
إلا الخـلافـة ميّـزتـك فـإنني أنـا عـاطـلٌ منهـا ، وأنتَ مُطَـوَّق

فـانعمْ بتـاجـكَ من ذُؤابـةِ هـاشمٍ   غلبَتْ مفـاتنُـهُ على التّيجـانِ[٣١]
نـورُ النبـوَّةِ من قريشٍ فيضُـهُ   مـلأ الـديـارَ وعمَّ كلَّ مكانِ
لمـا فَخَرْتَ فَهَـل تركتَ لفـاخرٍ   سراً يَصـولُ بـه على الأقرانِ ؟
مـاذا أردتَ من الخـلافـة إنهـا   تعبُ القلـوبُ وغُمَّـةُ الأذهـانِ
لم يبـقَ منهـا غيرُ دعـوةِ مِنبرٍ   تُلهيـكَ بضعَ دقـائـقٍ وثوانِ[٣٢]
أيَسُرُّ قـومَكَ من قريشٍ سجنُهـا   بعـد امتـدادِ الظـلِّ والسلطـانِ ؟
بيـدِ الملوكِ زمـامُهـا وعِنـانُهـا   ملكـوا على الخلفـاءِ كلَّ عِنـانِ
ضـاعت قريشٌ والخـلافـةُ بينهمْ   فتقلّبـوا في مُلكِهمْ بـأمـانِ
مـاكنتَ تطمعُ في حـلاوِهِ طـاعـةٍ   إلا جنيْتَ مرارةَ العِصْيـانِ
حَسْبُ الخليفـةِ موكبٌ يُـزهى بـه   حتى تَقَرَّ بـزهـوِهِ العينـانِ
بئسَ السيـاسـةُ في ظـلالِ عِصابـةٍ   تلهـو وتعبَثُ عبثـةَ الصبيـانِ
مـاتـوا بشهـوةِ بُطْلِهـا هـلا دَرَوْا   مـا هـدّمتْـهُ شهوةُ الشهـوانِ !

☆ ☆ ☆

ان فـاتَـكَ المُلـكَ المـديـدُ فـإنـه   حُلُمٌ يطـوفُ بمقلـةِ الـوَسْنـانِ
ولقـد حبـاكَ اللهُ أكرمَ حَبـوةٍ
مـا المُلْـكُ ؟ مـا كسرى على الإيـوانِ ؟
ما الصولجانُ ومـا المواكبُ ؟ إنهـا   هـزءُ اللبيبِ وضحكـةُ اليقظـانِ
الشِّعرُ أرهبُ في الممالـك سطـوةً   من سطـوةِ الأسيـافِ والمُرّانِ[٣٣]

---

(٣١) هو ذؤابة قومه : أي : المتقدم فيهم .
(٣٢) هذا البيت وما يليه إلى آخر المقطع إشارة إلى أن الخليفة العباسي لم تبق لـه بعـد المتوكل سلطة فعلية ، إنما كان زمام الأمور في أيدي الملوك أو المماليك .
(٣٣) المُرّان : الرماح اللَّدْنة في صلابة . والواحدة مُرّانة .

لغـةُ القلوبِ إذا القلوبُ تخـاطبتْ وترى إشـارتَـهُ بغيرِ بَنـانِ
ولقـد بنيتَ من القـوافي بِنْيَـةً شَمَخت روائعُهـا على البُنْيـانِ[٣٤]
ولأنتَ أرسـخُ في الخلـودِ بنـاضرٍ من عبقريـةِ شِعرِك الفينـانِ
تَمضي العصـورُ ولا يـزالُ بيـانُـهُ فـوقَ العصـورِ وفـوقَ كلِّ بيـانِ

☆ ☆ ☆

لـو كنتَ تسمـعُ مـايمرُّ بسمعِنـا من فـاسـدِ الأنغـامِ كلَّ أوانِ
لبكيْتَ من لغـةٍ أضـاعتْ حُسنَهـا جهـلاً بـه زُمَرٌ من الفِتيـانِ[٣٥]
مسخوا اللسانَ فلستَ تُـدركُ سِرَّهُ فكأننـا نحيـا مـع العجمانِ
ما هـاشمٌ ، مـاسحرُهـا وبيـانهـا ؟ خـلِّ القـديمَ فلستَ من عـدنـانِ
دَرَجَ الـزمـانُ ، لكلِّ عصرٍ رسمُـهُ من صيغـةٍ أو لفظـةٍ ومعـانِ
هـذي الـوسـاوسُ في الصـدورِ رواسـخٌ
وكأنهـا دينٌ من الأديـانِ
إني أخـافُ تفـاقمـاً من خطبِهـا يُلـوي بحُسنِ لسـانِنـا وحسـانِ

☆ ☆ ☆

أتخـافُ مَفْسَـدةَ البيـانِ وسحرِهِ واللهُ حـافظُـه مـع الفُرْقـانِ[٣٦]
ومِنَ (الرَّضيِّ) بقيـةٌ من سرِّهِ فيهـا على الأيـامِ كلَّ ضمانِ
يـابنَ الأئمةِ من قريشٍ هـاكَهـا أنشـودةً من أدمعي وحَنـاني[٣٧]

---

(٣٤) البِنية بكسر الباء وضمها : مابنيته .
(٣٥) يريد بهذا البيت وإلى آخر المقطع الشعر الحديث الذي خرج به أصحابه . عن ضوابط اللغة والصرف والنحو والعروض والقافية .
(٣٦) الفُرقان : القرآن الكريم .
(٣٧) هاكَها : خذْها (اسم فعل أمر) .

يجرى الهوى والـدمعُ في أعطـافِها		فيهـا الهـوى والـدّمـعُ منسجمانِ
أمــويـــــةَ الأعراقِ إلا أنهـــــا		عَلَـويـةُ الأوتـــارِ والألحـــانِ !

١٩٦٤ : ٢ ت ا

تُنشر قصيدة ـ الرَّد ـ
للأستاذ عباس الخليلي نشرت في مجلة الإخاء
كانون الأول ١٩٦٤ طهران

إلى شاعر الشام شفيق جبري

شعر الأستاذ: عباس الخليلي ـ طهران

جد يا شفيق بدمعك الهتان ... واشف الصدور به من الأضغان
واغسل بدمع أمية ما سال من ... دم هاشم سفحا على الأفنان
وابك الحسين بعبرة نرضى بها ... لك أن تكون له الرضى الثاني
لم يرض مروان أبوك بقتله ... كلا ولا يحيى أخو مروان
وهو الذي ندب ابن بنت محمد ... ورثاه عند بني أبي سفيان
ترك الشريف مكانة لأمية ... وأتى الشفيق لهاشم بمكان
شرف توارثه الكرام وشاعر ... ورث المكارم ومن يد ولسان
فالشاعر العلوي خلف منعما ... للشاعر الأموي سحر بيان
هو من قريش أفصح الشعراء، أو ... هو أشعر الفصحاء من عدنان
فرسا رهان في الفضائل سابق ... أو لاحق يجري بغير رهان
أعيى قريشاً فقده فتنهنهت ... فملكت أنت قيادها بعنان
وركبت طرفا للبلاغة صائلا ... بالشعر لا بمهند وسنان
شعر تضوع نشره في جلق ... فشممت منه العرف في طهران
وبه دموع الغوطتين تفجرت ... فجرت إلى الحرمين بالعرفان
شعر أرق من الدموع ونفثة ... من صدر أكرم شاعر ولهان
بحران يلتقيان من دمع ومن ... شعر وعندك يستوي البحران
فتبيت وتنثر من دموعك لؤلؤاً ... وتظل تنظم منه عقد جمان
دمع جرى في مقلة أموية ... أم نظم در في نحور غواني
أبيات شعر فصلت آياتها ... وقصائد كقلائد العقيان
وعواطف تحكي النسيم بلطفها ... ولطائف كروائح الريحان
ونوافج بالشام طاب عبيرها ... فجرى الحنان بها إلى إيران

أنــا فارســـي هزنـــي شـــوقي إلى ... مغنــاك هــز الرمــح يــوم طعـــان

فاشفق على قلب يذوب صبابة ... من حر وجد في حشاشة عاني

وغريرة طرقت فقلت لها انزلي ... بالرحب بين شوارف ودنان

نزلت فجاء الضغن ينفث سمه ... ورنت بطرق حاقد فتان

جلست وقالت ليس لي أن التهى ... أو تنتهي عن رشف بنت ألحاني

ساغت معاقرة الدنان لمسلم ... أم حل شرب الراح في القرآن؟

باتت تسائلني فكنت أجيبها ... باللثم من فم واله سكران

سكران من خمر ومن ريق فقل ... شتان بينهما وقل سيان

فالخمر من ضمه دون الحشا ... والريق حلو دنه الشفتان

لكن من الراح أحلى عندنا ... من مر قول هاج بالعدوان

قالت أظنك رافضاً فابتعد ... عني فمن نابذت ليس يدان

فأجبتها ما الرفض من ديني ولا ... نصب العداوة بالخنى من شأني

ما الدين إلا الحب أين وجدته ... والحب نعم الدين للانسان

إني لأسخر من أناس بدلوا ... في الغي دين الحب بالشنآن

فتيانهم بالعجز مثل شيوخهم ... وشيوخهم بالجهل كالصبيان

أحن وتقادم عهدها فتفاقمت ... وأتى (الشفيق) يرضها بجنان

أعيى بياني قوله متوجعا ... أعييت دموع الغوطتين بياني

طهران ـ الأستاذ عباس الخليلي

جريدة الإخاء

كانون الأول جريدة الإخاء ١٩٦٤

بغـــــــــــــداد

ألقيت في بغداد

في حفلة رثاء الزهاوي☆

أحمرةُ الفجر بين النخــلِ مـــا يَقِـــد
أم وجهُــكِ الطلْـقُ يــابغــدادُ منفردُ ؟[1]
أم لقَني الليـــلُ والأحـــلامُ فـــاختلجتْ
عينــايَ في الليـلِ مــاأدري الــذي أجــدُ
نفضتُ نـــــــومَ الضحى عن مقلتي لأرى
هــل ذكريــاتُ بني العبــاس تحتشــدُ ؟
أعــادَ عهــدُكِ والــدنيــا تضــاحكُــهُ ؟
للعبقريـــةِ والتخليـــدِ مـــا يلـــدُ

☆ ☆ ☆

قـــالت دمشــقُ وقــد نــاجيتُ غـوطتَهــا
ومـــائـــجُ الـــدَّوْحِ في جنبيَّ مُطَّرِدُ
أتتركُ الروضَ ، والأنغـــامُ تملـــؤهُ
وتنتحي البيــــدَ لا روضٌ ولا غَرِدُ[2]

☆ **جميل صدقي الزهاوي** (١٨٦٣ ـ ١٩٣٦) م

من شعراء العراق ، تقلّب في مناصب عديدة من أستاذ للفلسفة والتشريع الإسلامي في إستانبول في العهد الحميدي ، إلى عضو في مجلس الشيوخ في عهد الحكومة الوطنية بالعراق ، أتقن الفارسية والتركية ، واستقى معظم ثقافته العلمية والفلسفية من الكتب المترجمة ، ونظم الشعر في السياسة والاجتماع والغزل والعلم والفلسفة وغير ذلك .

(١) وقد يقد تلألأ

(٢) الغرد المغرّد .

مـا أنتَ والبيدَ تطويها وتنشُرُها ؟
كأنها اليمُّ منزوح به الأمَدُ[٣]
ماتسمعُ الأذْنُ حِسّاً في مسارحِها
كأنما الموتُ في أطرافها لَبِدُ[٤]
إلاّ سحائبَ في الآفاق كامدةً
والأُفْق مُمْتَقَعٌ من لونها كَمِدُ[٥]
كأنها سُفُنٌ في الجوِّ لابدةٌ
تحدو بها الريحُ لاتجري ولا تَخِدُ[٦]
خَلِّ الفلا والمَها والشيحَ إن لها
رَكْباً من الجنِّ لايأوي لهمْ أحَدُ[٧]
فقلت : مهلاً وراءَ البيد مُنْحَدَرٌ
للرافدَيْنِ عليه الأهلُ والوَلَدُ[٨]
قد تبعُدُ الأرضُ إلا عن جوانحنا
فليس دون اهتزاز القلب مُبتَعَدُ
مهلاً دمشقُ فإنْ أزحفْ إلى بلد
يزحفْ اليَّ بنو العبّاسِ والبَلَدُ[٩]

---

(٣) نُزَح به : غاب عن دياره غيبة بعيدة.
ـ الأمد : السفينة المشحونة .
(٤) اللَّبِد : من لايبرح منزله .
(٥) امتُقع لونُه : تغيّر من حزن أو فزع .
ـ كَمِد يكْمَد : تغيّر لونه . فهو كَمد .
(٦) وَخَد البعيرُ يَخِد : أسرع ورمى بقوائمه كالنعام .
(٧) الشيح : نبات طيب الرائحة ترعاه المواشي .
(٨) الرافدان : دجلة والفرات .
(٩) بنو العباس : إشارة إلى أن بغداد كانت عاصمة العباسيين .

أطـــوي السنينَ فتلقـــاني خيـــالتُهمْ
كأنني بينهمْ دانٍ وقـــد بَعُـــدوا[١٠]

أكادُ ألْمِسُ في جنبي خـــلافَتَهمْ
كأنمـــا الليـــلُ من لألائهـــا يَقِـــدُ

وتـــوشـــكُ العينُ أن تلقى قصـــورهُمُ
يموج فيهـــا الهوى والعيشـــةُ الرَّغَـــدُ[١١]

كأنني وحمى المـــأمـــون مـــزدحِمٌ
أرى الـوفـودَ إلى أفيـــائـــه تَفِـــدُ[١٢]

مـــاضٍ من الـــدهر لمْتْنـــا أواصرُه
لا الغَـــوْرُ يطرَحُـــهُ عني ولا النُجُـــدُ[١٣]

العنـــدليبُ إذا غنّى بـــدجلتِـــهِ
غنّى على بَرداهُ الطـــائرِ الغَرِدُ

تـــألّفتْ فيها الـــذكرى على وطنٍ
كما تـــألّفَ روحُ المرءِ والجسَـــدُ

أيـــوجِـــعُ الجرحُ في بغـــدادَ مهجتَهـــا ؟
وتَجْمُـــدُ الشـــامُ لاتبكى ولا تَجِـــدُ ![١٤]

☆ ☆ ☆

يـــانـــائـحَ النخـلِ غنِّ القـومَ إن هجعـوا
لحنـــاً يفيضُ على أنغـــامـــه السَّهَـــدُ

---

(١٠) خيالة الرجل : شخصه وطلعته .

(١١) العيشة الرَّغَد : الواسعة الطيبة .

(١٢) المأمون بن هارون الرشيد : الخليفة العباسي السابع .

(١٣) النُجدُ : ج نَجد وهو ما ارتفع من الأرض .

(١٤) تَجِد : تحزن .

واسكُبْ على دجلـــةٍ قلبـــاً تمــوجُ بـــه
قلبي على دجلـــةٍ كالمــوج مُحْتَفِـــدُ[١٥]

كانت عليـــه جِراحـــاتٌ مَضَمَّـــدَةٌ
لله مـــا جَرحـــوا منـــه ومـــا ضَمَـــدوا[١٦]

أين الـــذي وسَّـــع الأفـــلاكَ خـــاطِرُهُ
وفُتِّحَتْ لحـــواشي فكرِه السُّـــدَدُ[١٧]

يـــاحـــاشـــدَ الأرضِ في شعرٍ تضيـــقُ بـــه
مذاهبُ الأرضِ ، هل ضاقت بـك الصُعُدُ ؟[١٨]

قـــد كنتَ تُسرِفُ في قـــولٍ تلفُّ بـــه
هـــذا الفضـــاءَ فـــأنت اليـومَ مقتصـــدُ

وكان شعرُك دنيـــا في عـــوالِمهـــا
ينـأى القَريبُ ويـدنـو النـازحُ البَعَـدُ[١٩]

طـــاولتَ كلّ سماءٍ مـــا يطـــاولُهـــا
فكرٌ يغطّي عليـــه الـــوَهْمُ والفَنَـــدُ[٢٠]

حتى تقحَّمتَ بـــالأسرارِ فـــانكشفتْ
لـــذهنـــك الفرْدِ وانقـــادتْ لـــك الشُرُد[٢١]

---

(١٥) احتفد : أسرع

(١٦) ضَمد الجرحَ وضمّده : شدّه بالضماد .

(١٧) السُّدَد : ج سُدّة وهي باب الدار .

(١٨) الصُعُد : ج صعيد وهو ما ارتفع من الأرض .

(١٩) البَعَد : البعيد .

(٢٠) الفَند : ضعف العقل والعجز .

(٢١) الشُرُد : ج شرود ، وشَرَد البعيرُ : نَفَر أي : أن الأسرار الغامضة انقادت إليك وأصبحت طوع فكرك .

لـــو صُـــوِّر الكـــون في شعرٍ ترقرقَـــــهُ
رفّتْ تصـــــاويرُهُ كالروض ترتئـــــــد[٢٢]

كشفتَـــــهُ وهْـــو بـــــالألغـــازِ ملتفِـــعٌ
فبـــــاتَ وهْـــو عن الألغـــازِ مُنْجَرِدٌ[٢٣]

كأنَّ كلَّ بعيــــــد من غـــــوامضِـــــه
دانٍ يُمَـــــدُّ إليـــــه نــــاظرٌ ويـــــدُ

لمـــــا رأوا منــــك مــــاأعيــــا قرائحَهُمْ
قـــالـــوا : ضـلالٌ ، معـــاذَ اللهِ بـل رَشَـــدُ

مـــــــاكان شعرُك إلحـــــــاداً ولا أوَداً
وإنمـــــا فَهْمُنـــــا أودى بـــــه الأوَدُ[٢٤]

أغــــايـــــةُ الـــدينِ تكفيرٌ وألسنــــةٌ ؟
ترمي الـــذُعـــافَ فمـــا يجري بهـــا السَّـــدَدُ[٢٥]

لـــو أدركَ النقـــدُ مـــاتحـــويـــه من طرَفٍ
مـــاعـــاب شِرعتَـــك الفيحـــاءَ منتقـــدُ[٢٦]

تركْتَ كلَّ عتيـــقٍ في مــــــدافنـــــه
ينبـــو بـــه الـــذوقُ أو آثـــارُه الجُـــدُدُ[٢٧]

---

(٢٢) أرتأد الغصنُ : تمايل .

(٢٣) التفع بالثوب : اشتمل به وتغطّى .

(٢٤) إلحاداً : إن نزعته إلى تجديد المجتمع سببت حنق الكثيرين عليه ، وأبناء زمانه لم يحتملوا بعض آرائه فأنكروا عليه دينه ، ورموه بالإلحاد .
ـ الأود : الاعوجاج .

(٢٥) الذُعاف : السم الذي يقتل من ساعته .
ـ السَّدَد : الصواب والاستقامة .

(٢٦) الشِرعة : الشريعة .
ـ الفيحاء : الواسعة .

(٢٧) الجُدُد : ج جديد .

هـــذا الجحيمُ وقـــد ألهبتَ ثـــورتَـــهُ
تكادُ من هـــولِهـــا الأفـــلاكُ ترتعـــدُ[28]

مـــاذا لقيتَ من المـــوتى وعـــالَمِهمْ ؟
فهـــل حَمِـــدتَ جـــوارَ القـــومِ أم حَمِـــدوا ؟

هـــل استرحْتَ من الـــدنيـــا وزحمتِهـــا ؟
أم راحـــةُ البـــال بعـــدَ المـــوت تُفْتَقَـــدُ

قـــالـــوا : غَـــدٌ ، وحيـــاةُ اليـــومِ مثـــلُ غـــدٍ
شبيـــهُ أمسِـــكَ يـــومٌ دارجٌ وغَـــدُ

☆ ☆ ☆

يـــاويـــحَ قلبـــكَ إن هـــاجتْ بجـــانبـــهِ
ريـــحٌ على دِجلـــةٍ هـــاجتْ بـــك الكَبـــدُ[29]

كنتَ النَّجِيّ لمـــوج المـــاءِ تـــؤنسُـــهُ
يشكـــو فتُنْصِتُ للشكـــوى وتَتَّئِـــدُ[30]

اذا طغـــا المـــاءُ حـــولَ النخـــلِ من غضبٍ
غنّتْ على شعرِكَ الأمـــواجُ والـــزَّبَـــدُ[31]

لـــو بكّرت نخلـــةٌ في قطفِ زهرتِهـــا
لـــذابَ منهـــا على أبيـــاتـــك الشّهَـــدُ

---

(٢٨) الجحيم : إشارة إلى ملحمته (ثورة في الجحيم) وهي (٤٣٥) بيتاً التزم فيها قافية الراء نظمها متأثراً برسالة الغفران للمعري ، وقد حنق عليه المؤمنون ، وقيل : إن الملك فيصلاً لامه عليها .

(٢٩) دجلة : بكسر الدال وفتحها .

(٣٠) النجيّ : من تسارّه .

(٣١) طغا يطغو ويطغى : جاوز الحدّ .

أو داعبَ الطيرُ في فجرٍ خمــــائلَـــــهُ
كنتَ الصـــدى فتسلّى الـــداعبُ الـــدَّدِدُ[٣٢]

أو الخريفُ تعرّى في منـــــابتــــــهِ
من كامـــدِ المـــوتِ أضنى شِعْرَكَ الكَمَـــدُ

أو الربيـــعُ تهـــادى في بشـــاشتـــه
ســالت معـــانيــكَ بـــالرّيْحـــانِ تنجَردُ

أرى الجمــــــادَ على شعرٍ تفيض بــــــهِ
يكاد ينْبضُ منـــه اليـــابس الخَضِـــدُ[٣٣]

هـــــذا هـــو الشعرُ لا جرداءُ ممحِلـــــةٌ
من القـــوافي عليهـــا المـــوتُ مُلْتَبـــدُ[٣٤]

تفنى كما فَنِيتْ أجـــلادُ صـــاحبِهـــا
للعبقريـــة هـــذا الخُلْـــدُ والأَبَـــدُ

☆ ☆ ☆

غمستَ قلبـــك غضّـــاً في هـــوى وطن
يـــؤذى فتَحْرَدُ عـــاشَ الشـــاعرُ الحَرِدُ[٣٥]

غضبتَ للـــدمِ يجري في أبـــاطحـــه
وغضبـــةُ الشعرِ تُعطي الملـــكَ أوْ تَعِـــد

ســـل الرُّمَيْثَـــةَ عن شعرٍ تردِّدُه
كأنـــه في حمـــاهـــا النـــارُ والجَمَـــدُ[٣٦]

---

(٣٢) الدَّدُ : اللهو والعبث ، والصفة منه (دَ دِ دٌ) .

(٣٣) خَضَد الغصنَ : كسره ولم يَبِن فهو خَضِد .

(٣٤) التبد : تلبّد ، وتلبّد الطائر بالأرض : جثم عليها .

(٣٥) حَرِد يَحْرَد : غضب .

(٣٦) الرُّمَيْثَةَ : ناحيـة في قضـاء السماوة في العراق ، منهـا انطلقت الرصـاصـة الأولى في الثورة

أين الجَحــاجــحُ في حمراءِ ثــورتهــا ؟
وأين من برقــوا منهمْ ومن رَعَـــدوا ؟[٣٧]
على الرُّميثَــــــة أشــــلاءٌ مبعثرةٌ
للهِ مَن دَرَجــوا فيهـــا ومَنْ رَقــدوا[٣٨]
تكادُ تسمـــعُ أذْني هَمْسَ هـــامِسِهمْ
وتـــأخـــذ العينُ قتــلاهمْ وإن هَمَـدوا
تلــك الأضــاحي على الأوطــان ســاهرةٌ
كأنَّ أعينَهـــا في جَــوِّنــا رَصَـــدُ[٣٩]
لاتحسبــوا ظلمــةَ الأكفــانِ مــانعـــةً
طَرْفــاً يرى مَن غَــووْا منــا ومن رَشَــدوا[٤٠]
لم ينشـــأِ الملــــكُ في بغـــدادَ عن عَبَثٍ
الصَّــوْلجــانُ حمــاهُ الثــائرُ النَّجِـــدُ[٤١]
دمُ السيـــادةِ مصبــوغٌ بحمرتِـــــهِ
هـــذا الفراتُ وهـــذا السهـلُ والجَلَـــدُ[٤٢]

= التحريرية سنة ١٩٢٠
- الجَمَد : الماء الجامد .
(٣٧) الجحاجح : ج جحْجاح وهو السيد المسارع إلى الكرم .
(٣٨) أشلاء الإنسان : أعضاؤه بعد البلى والتفرق مفرده شِلْو .
(٣٩) الرَّصَد : الذين يرصدون ويرقبون ، والراصد : الرقيب . وجمعه رَصَد .
(٤٠) رشَد : اهتدى واستقام .
(٤١) الصولجان : العصا المعقوفة الرأس ، ومنها صولجان الملك .
- النِّجد : الشجاع الماضي فيما يُعجز غيره .
(٤٢) الجَلَد : الأرض الصلبة المستوية المتن .

سقى النخيـــلَ ولم تظمأ مغـــــارِسُـــــهُ
في كل جِـــذْعٍ شبـــابٌ عـودُهُ حَصَـــدُ[٤٣]
الملـــكُ مـــامـــاجتِ الهـــامـــاتُ في دمِـــهِ
والملـــك لـــولا دمُ الهـــامـــاتِ مُعْتَبَـــدُ[٤٤]
لـــولا دمـــــاءٌ يسيـــل الرافـــدان بهـــا
لنـــاءَ بـــالعُنْـــقِ هـــذا القيـــدُ والصَّفَـــدُ[٤٥]
ســـــاد العراقُ ولم يحمـــلْ عبـــودتَـــــهُ
هيهـــات مـــاتستـــوي الســـاداتُ والعُبُـــدُ[٤٦]
ولـــو سبكتَ قيـــود الأُسْـــــدِ في ذهبٍ
مـــاكان يُغضي على أقيـــادِه الأســـــدُ[٤٧]

☆ ☆ ☆

هـــــذي دمـــوعُ دمشـــقٍ جئتُ أسكُبُهـــــا
في دجلـــــةٍ وفـــؤادي بينهـــــا فَرِد
لله من شرَّدَتْ بغــــــدادُ نـــــومتَـــــهُ
وكان يُعْـــوِزُهُ الإغفـــــاء والمُهُـــــدُ[٤٨]

---

(٤٣) الحَصَد : ماحان حصاده من النبات وجفّ .

(٤٤) اعتبده : اتخذه عبداً .

(٤٥) الصَّفَد : القيد والوثاق .

(٤٦) العُبُد والعبيد : جمعان للعبد .

(٤٧) أغضى على الأمر : سكت وصبر .

(٤٨) أعوزه الشيءُ : احتاج إليه ولم يقدر عليه .
ـ المُهُد ج مِهاد وهو الفراش .

قضى الليــــاليَ لم يهــــدأ لـــــه خَلَـــدٌ
أيهـــدأُ اليـومَ في ليـلاتـــه الخَلَـــدُ ؟[٤٩]
خلـوا هـواجسَـــهُ في الخُلْـــدِ ســاجيـــةً
كفى الهـواجسَ مــا ألـوى بهــا الجَهَـــدُ[٥٠]

☆ ☆ ☆

عـــــاش العراقُ وغـــــازيـــــه ولا بَرِحَتْ
روحُ العروبـــــةِ في بغـــــدادَ تَتَّقـــــدُ[٥١]

١٢ آذار ١٩٣٧

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٣٧) في معرض حديثه عن الطبيعة .

« ولقـد أولعت بـالصحراء ولعي ببسـاتين دمشق وغـابـات لبنـان . وضربت في جزء عظيم من صحارى جزيرة العرب ، تمتّد من الشـام إلى العراق إلى نجـد إلى الحجـاز ، وشهـدت كآبة هذه الصحارى ووحشتها في النهـار ، وظلمتهـا ورهبتهـا في الليل . وكـدت أسمع في هـذا الليل صوت جنّها في فلواتها الراعبة ، فما الذي أوحت إليّ هذه الصحارى ؟ »

ثم أورد (١٠) أبيات هي (٥ ـ ١٤) وقال :

« لقد أوحت إليّ الصحراء بعض الصور ، وقد تكون هذه الصور صـادقـة ، ولكني كنتُ أفضّل أن يكون شعوري بالطبيعة شعوراً خاصاً منفرداً ، إلا أن هـذا الشعور في القصيـدة كان مجـازاً إلى رثاء الزهاوي ، وقـد دعتني حكومـة العراق سـنـة ١٩٣٦ إلى الاشتراك في هـذا الرثـاء فكان وصف الصحراء في مطلع القصيدة عنوان شعور قومي يؤلف بين الشام والعراق .

---

(٤٩) الخَلَد : البال والعقل .

(٥٠) جَهَدُ العيش : اشتداده ونكده .

(٥١) الغازي الأول (١٩١٢ ـ ١٩٣٩) وُلد بمكـة وتوفي ببغـداد ، صـار ملكا للعراق سنـة ١٩٣٣ خلفاً لأبيه الملك فيصل .

وكتب في ص (١٠٠) في معرض حديثه عن صيغة القصيدة :

« ... أذكر أني ذهبت إلى بغداد للاشتراك في رثاء الزهاوي ، وكنت قد هيأت قصيدتي وأنا في دمشق ، ولكني في الطريق وقد طالت مسافته كنت أرى في السماء غيوماً كثيرة ، وكانت هذه الغيوم تشبه السفن المرسية في البحر . لاتتحرك ولا تجري ، فالتقط الذهن هذه الصور ، واحتفظ بها ، ولكنه لم يحتفظ بها إلا يوماً واحداً ريثما جاءت الألفاظ لتظهرها فأظهرتها ، فنشأت عنها الأبيات في وصف الصحراء وقد تقدم ذكرها :

قالت دمشق وقد ناجيت غوطتها ومائج الدوح في جنبيّ مطّردُ

ولما وصلتُ إلى ضواحي بغداد طلعت علينا الشمس ، ونحن على أبواب بغداد ، وتخلّل ضياؤها الحمر شجر النخيل المنبسط على هذه الأبواب فرسخت هذه الصورة في الذهن فقلت :

أحمرة الفجر بين النخل مايقد أم وجهكِ الطلْقُ يابغداد منفردُ ؟

ولا شك في أن النسبة بين حمرة الفجر وبين طلاقة الوجه أكيدة الأسباب ، فصورة حمرة الفجر هي التي أوحت إليّ طلاقة الوجه ، وهكذا نشهد مرة ثانية أن الصور يدعو بعضها بعضاً ، فأنا لا أعنى بالبحث عنها ، وإنما تجيء بطبعها على شرط واحد ، أن تكون الألفاظ مهيأة لضم شتاتها وإبرازها ، حتى تصبح في إطار واحد منسق »

(٦٠)

أنشـــــــــودة القلب

ألقيت في مهرجان خليل مطران☆ في القاهرة☆☆

لِمَنِ المِهْرجـانُ عبَّ عُبـابُـهْ ؟ وترامتْ إلى السحـابِ قِبابُـهْ[1]

لجريرٍ أم للفرزدقِ والأخـ ـطـلِ للهِ أفقُهمْ ورِحـابُـهْ

مـوكبُ إثْرَ مـوكبٍ يتغنَّى طَرباً بـالسِّحْرِ الحلالِ صِحَـابُـهْ

أمَّـةٌ شـادَ مجـدَهـا الشعرُ والسيـ ـفُ ، همـا المجـدُ : لُبُّـهُ ولُبـابُـهْ

منهما فـاضت المكارمُ في العُرْ بِ ، فـأزهى تـاريخُهمْ وشبـابُـهْ[2]

حرَّكا القلبَ فـاشرأبَّ هـواهُ أين كاسـاتُـه ، وأين شرابُـه ؟

أين غنجُ العيون ؟ تلهو بـه العَيْـ ـن ، فقـد لجَّ في الفـؤاد اضطرابُـه

أنسيبٌ وقـد طـويتُ شبـابي وتراختْ أحـلامـهُ وسرابـهُ ؟[3]

وعـــــلاني المشيبُ أبيضَ كالثلـ ـجِ ، وهـل يـدفـع المشيبَ خِضـابُـهْ ؟

☆ **خليل مطران** (١٨٧١ ـ ١٩٤٩) م

شـاعر لبنـاني وُلـد في بعلبـك ؛ هـاجر إلى مصر ولقب بشـاعر القطرين ، كان رائع الخيال بـديع التصوير ، من آثـاره « ديوان الخليل » في أربعـة أجزاء و « الأسـد البـاكي » و « آثـار بعلبك » .

☆☆ راجع مقدمة القصيدة التي قيلت في تأبين (هاشم الرفاعي) ذات الرقم (٦٣) .

(١) عبّ البحرُ : كثر موجه وارتفع .

(٢) أزهى الثمرُ : احمرّ أو اصفرّ أي : بلغ الدرجة القصوى من النضج .

(٣) النسيب بالنسـاء : التغزّل بهن .

غيرَ أنّ الفــؤادَ مــازالَ غضّــاً   مترعـاتٌ من الصّبـا أكـوابُـهْ !

☆ ☆ ☆

خفِّف اللـومَ مـا استبـدَّ بقلبي   نَغَمُ العـودِ والهـوى ودعـابُـهْ
إنَّما هــزَّني الخليــلُ وشــاقتْ   مِسمعي مـا سَمَتْ بـه آدابُـهْ[٤]
مـا شربتُ المـدامَ من غيرِ سِحْرٍ   في معـانيـه صـوبُـه وانصبابُـهْ[٥]
نُخْبـــةُ اللهِ في سماءِ القـــوافي   ولقـد كرَّم القوافي انتخـابُـهْ ![٦]

☆ ☆ ☆

فكأني في بعلبـــــــكَّ أراهُ   حـائراً فيهـا جَيْئُـهُ وذهـابُـهْ[٧]
شـاردَ البـالِ بينَ آثـارِهـا البيـ   ـضِ ومُلْكٍ ملءُ البحار شِعـابُـهْ[٨]
كلَّما جـــالَ فكرُهُ في ذُرَاهــــا   دَهِشَ الفكرُ واستفاضَ ارتيـابُـهْ[٩]
معبـــدٌ فيـــه كلُّ فنٍّ عجيبٍ   تمـلأُ الـدنيـا روعـةً أعجـابُـهْ[١٠]
أمِنَ الإنسِ صُنعُـــهُ أم مِنَ الجنِّ   ـ أمِ السرُّ لم يُكشَّفْ نِقـابُـــه ؟

---

(٤) الخليل : هو المرثي الشاعر خليل مطران .
ـ المِسْمع : الأذن .
(٥) صاب المطرُ صَوْباً : انصبّ ونزل .
(٦) النُخبة : المختار من كل شيء .
(٧) هذا البيت وما بعده إشارة إلى طفولة الشاعر في بعلبك .
ـ الجَيْء والمجيء : مصدران لفعل (جاء)
(٨) الشِّعاب : ج شِعْب وهو ماانفرج بين جبلين .
(٩) الذُّرا : الملجأ .
(١٠) شُيِّد في بعلبك معبد (جوبيتر) وبقيت منه الأعمدة الستة المعروفة . وشُيِّد معبد آخر للإله (باخوس)
ـ الأعجاب : ج عَجَب وهو انفعال نفسيّ يعتري الإنسان عند استعظامه مايراه .

خلِّ عنك السؤالَ هيهاتَ يَشْفي حَيْرةَ السائلِ الملحِّ جوابُهْ !

☆ ☆ ☆

ذهبَ المُلْكُ بين سَمعِ الليالي وانطوى تحتَ أرضِهِ أقطابُهْ[11]

وتوالى على الرسومِ عفاءٌ حَجَبَ الرسمَ واستطالَ حِجابُهْ[12]

فأتاها الخليلُ بالشعرِ حتّى انـ ـتفضَ الرسمُ واستبانَ نِصابُهْ[13]

سَلِسَ الفنُّ في قوافيه فانقا دَ لهالفنُّ : سهلُه وصِعابُهْ[14]

فسرى في بيانِهِ مُعْجِزُ الوصـ ـفِ ، وجلّى بديعُهُ وعُجابُهْ[15]

أنطقَ المعبدَ الذي أنعبَ الدهـ ـرَ ، وحارتْ في أمرِهِ أحقابُهْ

فتخالُ النقوشَ تهمسُ همساً كلُّ نقشٍ على الشفاهِ خِطابُهْ

ويكادُ التمثالُ يَفْغَرُ فاه فينـدّي صُلبَ الصخورِرُضابُهْ

لو أثرتَ الليثَ المصورِ على الصخـ
ـرِ لهمَّتْ بعضِّها أنيابُهْ

تحسَبُ الليلَ في الطَّلالات فجراً مائجاً فوقَ تِرْبِهنَّ لُعابُهْ[16]

وترى الدُّرَّ والعقيقَ على السقـ ـفِ وقد مادتْ تحتَهُ أطنابُهْ[17]

ورفيفُ الحريرِ يملأُ عينيـ ـكَ وقد رثَّتْ كالطلولِ ثيابُهْ

كيفَ لا تَسمعُ الضحايا على المَذْ بَحِ يلهو بنَوْحِها أربابُهْ

---

(11) الأقطاب : ج قُطب وهو سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم .

(12) عَفَت الدار عَفاءً : امّحت ودرست وبليت .

(13) إشارة إلى قصيدة مطران التي عنوانها « قلعة بعلبك ـ تذكار صبي » وفيها يتحدث عن ذكريات صباه وآثار بعلبك .

(14) سَلِسَ الفنُّ : كان ليّناً منقاداً .

(15) العُجاب : ما جاوز حدّ العجب .

(16) الطَّلالة : الشاخص من آثار الديار .

(17) الأطناب ج طُنُب وهو حبل طويل يُشدّ به سرادق البيتِ .

من فتـاةٍ هـدَّ الضلوعَ هـواهـا أو مريضٍ طـاحتْ بـه أوصـابُـهْ
أنـــذورٌ وليس تُغني فَتيـــلاً صـاغهـا الوهمُ للـورى وخِـلابُـهْ[18]
لـو تعيشُ العقـولُ من دون وهمٍ لـذوَى عيشُهـا وجفَّ جنَـابُـهْ
هكـذا الفنُّ ! نفحـةُ اللهِ يبقى خـالـداً بعـدَ كلِّ ملكٍ كتـابُـهْ !

☆ ☆ ☆

ليتـكَ اليـومَ يـاخليـلُ على النيـ ـلِ تُغنّي والنيـلُ طـامٍ عُبـابُـهْ
أينَ شـوقي وأين حـافـظُ إبرا هيم ، فـالشعرُ طـالَ عنَّـا غيـابُـهْ
أصبح القـولُ بعـدكمْ كامـدَ اللـو نِ غريبـاً يَزْري عليـه اغترابُـهْ[19]
هبَّ في الشعر مـذهبٌ فـإذا طـا لَ عليـه أذى السماعَ هِبـابُـهْ[20]
مَنْ أبـو الطّيبِ الـذي جرَّع الرُّو مَ ذُعـافـاً بيـانُـه ولُهـابُـهْ[21]
مَنْ أبـو تمَّـامٍ وإنْ جـدَّدَ الشعـ ـرَ فـأضحتْ قشيبـةً أثـوابُـهْ ؟
أمْ مَنِ البحتريُّ والشعرُ منــــه عَسَلٌ طـابَ في المذاقِ مُذابُـهْ ؟
خَفَتَ العنـدليبُ والسجـعُ في الرو ضِ ودوَّى من الغراب نُعـابُـهْ
قِفْ رويـداً سيَرجِـعُ الشعرُ حراً صـافيَ اللـون لا يطـولُ إيـابُـهْ
هَـوَسٌ ثمَّ ينجلي وبيـــانُ الْـ
ـعُرْبِ أبقى على الليـالي غِـلابـه ![22]

☆ ☆ ☆

---

(١٨) خَلَبه خَلْباً وخِلاباً : خدعه بلطيف الكلام .

(١٩) يَزري عليه : يَعيبه .

(٢٠) المذهب : إشارة إلى الشعر الحديث الذي كسر قيود الصرف والنحو واللغة والعروض والقافية .

ـ الهِباب : النشاط والسرعة

(٢١) الذُّعاف : السم أو سم ساعة .

ـ اللُهاب واللَهيب : مصدران لفعل (لَهَب)

(٢٢) غالبه غلاباً : قاهره ونازعه .

أرأيتَ الخليـــلَ في الجَبَــلِ الأســ ودِ لَّمـا هبَّتْ وثـارتْ كَعـابُـهْ[٢٣]

خلَّــدتْــه قصيــدةٌ تُلهبُ القلــ ـبَ وأيُّ القلوبِ بـاخَ التهـابُهْ[٢٤]

فترى في سطــورِهـــا لَعِبَ السحــ ـرِ ، وكم حرّكَ الورى تَلْعابُهْ[٢٥]

فكأنَّ الأســـــودَ تـــــزأرُ زَأراً وكأنَّ العَراءَ تعـوي ذئــــابُــــهُ

جبــلٌ ثــائرٌ وحُمْرُ المنــايــــا ثــائراتٌ بِهـولِهنَّ عِقـــابُـــهْ[٢٦]

كلُّ ليثٍ على صِـــلابٍ من الصخــ ـرِ سـواءٌ نيـوبُــه وصِــلابُــهْ

وفتــاةُ الحِمى أمـــامَ فتــاهـــا مــا تبـالي والجسمُ غضٌّ إهـابُـهْ

تركتْ خِـدْرَها وعـافتْ حِـلاها همُّهـا اليـومَ ربعُهـا ومُصـابُـهْ

هـالَهـا أن يَستعبِـدَ الـوَطنَ الحرَّ ـ رجــالٌ تحلـو لهم أسـلابُـــهْ[٢٧]

لبستْ دِرْعَهـا وهـزَّتْ يــداهـــا صـارمـاً يكتمُ المنـايـا قِرابُـهْ[٢٨]

أقسمتْ ألاّ تُغمِــــــــــدَ السيفَ حتَّى

يستقــــلَّ الحِمى فيُغســـلَ عــــــابُــــــهْ[٢٩]

فسقتْــهُ السرورَ كأسـاً دِهـاقـــاً بعـدَ أن أحرق الحـلاقيمَ صـابُـهْ[٣٠]

---

(٢٣) إشـارة إلى قصيـدة مطران « فتـاة الجبل الأسـود في حـادثـة جرت قبـل استقـلال ذلـك الجبل » وفيها يتحدث عن فتاة تنكّرت في زيّ فتّى وقاتلت الأتراك قتـال الأبطـال . و (الجبل الأسود) إقليم على شاطىء بحر الأدرياتيك إلى الشمال من ألبانيا .

ـ بنت كَعاب : نهد ثدياها .

(٢٤) باخت النار : سـكنت وخمدت .

(٢٥) التَّلعاب واللَّعِب : مصدران لفعل (لَعِب)

(٢٦) الجبل الثائر : هو الجبل الأسود .

ـ العقاب : ج عقبة وهي المرقى الصعب من الجبال .

(٢٧) الأسلاب : ج سَلَب وهو ما يُسْلَب .

(٢٨) الصارم : السيف القاطع .

(٢٩) العاب : العيب .

(٣٠) كأس دهاق : طافحة .

ـ الصابة : شجر مرّ ، وجمعه صابٌ

كان من ذُلّـهِ انتحـابُ بنيـه　　فغـدا من عـزّ البنينَ انتحـابُـهْ
هكـذا هكـذا دروبُ المعـالي　　مـا احتمالُ الأذى ومـا إرهـابُـهْ ؟

☆ ☆ ☆

لم يَضِعْ يـاخليـلُ منـك بيـانٌ　　سـارَ في العُرْب هَـدْيـه وصوابُـهْ
قـــد غَرَسْتَ الغِراس في النشء حتَّى
نبت الغرسُ واستـوتْ أهـدابُـهْ
قُمْ تـأمَّـلْ تجـدْ من العُرْب شعبـاً　　زَحَمَ الأرضَ والسماءَ وِثـابُـهْ[٣١]
مـا الـذي نـامَ عن طِلاب المعـالي　　كالـذي غُرَّة المعـالي طِـلابُـهْ
فِمنَ المجـد وحيُـهُ وهُـداهُ　　وإلى المجـدِ زحفُـهُ وانسيـابُـهْ
وَرِثَ الفنَّ والحضـارة والعلْـ　　ـمَ ، فهـذا ميراثُـه واكتسـابُـهْ
طَرَحَ القيـدَ والحـديـدَ فحلَّتْ　　منهما دورُه وفكَّتْ رقـابُـهْ
فمشى مُطْلَـقَ الخُطـا مـا ثنتْـهُ　　عن مـداهُ وهـادُهُ وهِضـابُـهْ
حَسِبَ الغربُ قهرَه شَرْبـةَ المـا　　ءِ ، وهيهـاتَ قهرُهُ واغتصـابُـهْ
لم يَرُعني غيرُ انشعـابٍ يسيرٍ　　ولقـد فجَّر الـدموعَ انشعـابُـهْ[٣٢]
إن يكنْ في العتـابِ عنـوانُ ودٍّ　　مشرقٍ كالضُّحى فهـذا عتـابُـهْ
فمتى تلتقي الـديـارُ ؟ ولا را　　يـةَ إلاَّ التفـافُـهُ واعتصـابُـهْ
أحرامٌ أن يستريـحَ حمى العُرْ　　بِ ؟ فقد طال في الشقاقِ عـذابُهْ

☆ ☆ ☆

هـاكهـا يـاخليـلُ أنشـودةَ القلـ　　ـبِ عليهـا وِدادُهُ وحِبـابُـهْ[٣٣]

---

(٣١) الوِثاب والوَثب : مصدران لفعل (وثب)
(٣٢) الانشعاب : الافتراق والتباعد .
(٣٣) الحباب : الحُب .

إن يكنْ في خلالها الوُدُّ صِرْفاً بلغَ القلبُ ماشتهاه ارتغابُهْ

لَمْلَمتنا الأنسابُ في الشعر، والشِّعْـ ـرُ مِلَمٌّ قريبةٌ أنسابُهْ[٣٤]

كلَّما ندَّ أو تباعدَ شَمْلٌ هتفَ الشعرُ فاستجاب اقترابُهْ[٣٥]

ما الذي آخى بين مصرٍ وبين الـ ـشامِ إلاَّ ضياؤُهُ وشِهابُهْ

قد تُفَلُّ السيوفُ في غمرةِ الرَّوْ عِ وتبقى سيوفه وحرابُهْ ![٣٦]

ت ١ : ١٩٥٩

---

(٣٤) رَجُلٌ مِلَمٌّ : يجمع قومه وعشيرته .

(٣٥) ندّ البعيرُ : نفر شارداً ، وندّت الكلمة : شذّت .

(٣٦) فلّ السيفَ : ثلمه .

- الرَّوْع : الحرب .

إبراهيم هنـــــــانــــو☆

ألقيت في المهرجان الكبير في مدرج الجامعة السورية

لمن النعشُ مـائجـاً بعصـابـهْ ؟ زاحفـاً بـالحمى وزَهْـوِ شبـابِـهْ
مشرفـاً كالهـــدى يَرِفُّ عليــه وطنٌ مُشرقٌ بعـزِّ رقـابِــه[1]
يـذهبُ الخـائنُ المغمَّسُ في الخَوْ نِ ولم يهتِفْ هـاتفٌ بـذهـابِـهْ[2]
ويغيبُ الأمينُ في ظُلمـــةِ الأر ضِ فيهتزُّ وجهُهـا لغيـابــهْ
أترى في مواكبِ النعشِ سيفَ الد ولةِ العضبَ مُفْلتاً من قِرابهْ ؟ [3]
نفضَ القبرَ نفضــةً هــزّت الشـا مَ فسـالتْ بطـاحُهـا بركابــهْ
يَـزْحَمُ الرومَ والمنـايـا تُـزَجِّي غمرةَ الرومِ عن ظـلالِ قِبـابِـهْ[4]

☆ **إبراهيم هنانو : (١٨٦٩ ـ ١٩٣٥)م :**

أبو طارق إبراهيم بن سليمان ، ولد بكفر تخاريم غربيّ حلب . من كبار المجاهدين في الثورات الاستقلالية بسورية ، تعلّم في المدرسة الملكية بالآستانة ، ولما دخل الجيشُ العربي مدينة حلب فاتحاً انتُخب عضواً في (المؤتمر السوري) بدمشق ، وعضواً في جمعية (الفتاة الـرية) ، ولما احتلّ الفرنسيون دمشق وحلب ، امتنع إبراهيم بشمالي حلب بقوة من المتطوعين الوطنيين ، فقاتله الفرنسيون فظفر ، ثم خاض سبعاً وعشرين معركة في الشمال السوري ، لم يُصَبْ فيها بهزيمة ، ثم اعترضته قوة فرنسية ، فقاتلها ونجا ، وبلغ عاصمة الأردن ، ثم زار فلسطين ، فاعتقله البريطانيون في القدس ، وسلّموه إلى الفرنسيين ، فسيق إلى حلب ، وحوكم محاكمة انتهت بأن عدّوا ثورته سياسية مشروعة ، ثم تحوّل إلى الميدان السياسي وكان منهاجه « لا اعتراف بالدولة المنتدبة فرنسا ولا تعاون معها » .

(عن الأعلام للزركلي)

(١) الرّقاب : ج رَقَبة وهي العنق ، وجُعلت كناية عن جميع ذات الإنسان .
(٢) الخَوْن والخيانة : مصدران لفعل (خان) .
(٣) سيف الدولة علي بن عبد الله بن حَمْدان أمير حلب وممدوح المتنبي .
ـ العَضْب : السيف القاطع .
(٤) تزجّي : تسوق .

في لفيفٍ من آل حَمْـدانَ غَطّـوْا   سَعَـةَ الأفـقِ وامتـدادَ جَنـابِـهْ[٥]
أم أتـــاهُ على الضحى نعي إبرا   هيمَ فـانصـاعَ في حِـداد ثيـابِـهْ[٦]
ومشى في كآبـــةِ النَّعْي ولهـــا   نَ يُناجي النَّعِيَّ نجوى اكتئابِـهْ[٧]

☆ ☆ ☆

أمـــةٌ في جِنـــازةٍ لَمَّهـــا القبـ   رُ ترامتْ على ضيـــاءِ تُرابِـــهْ
في التفـافٍ من القلـوبِ تُنـادي   يـالسلبِ الحِمى ويـا لاغتصابِـهْ
زحفَتْ كالخِضَمِّ والحـــزنُ يطفـــو   هـادئـاً كالنسيمِ فـوقَ عُبـابِـهْ[٨]
في خشوعِ الأسى وفي كَمْـدَةِ الحـز   نِ غَنـاءٌ عن دمعهـا وانصبـابِـهْ[٩]
أين مَنْ قـــال : ليس في الشــــام حِسٌّ ؟
هَــــدأَ الشــــامُ عن قُيــودِ صِحـــابِـــهْ
أو لم يُبصروا الـــوفـــودَ على القبـ   رِ ؟ فهـذي الوفودُ رمـزُ اضطرابِـهْ
أَوَ لم يسمعـوا على النعشِ ألحـــا   نَ اهتزازِ الحمى بهَـولِ انقـلابِـــهْ
لَهَبٌ في القلـوبِ ضـاقَ بـه القلـ   ـبُ فـألقى بنـارِهِ ولُهـابِـهْ[١٠]
هـل تنـامُ الـديـارُ والـوطنُ المغـ   ـلوبُ تلهـو بـه نُيـوبُ ذئـابِـهْ ؟

☆ ☆ ☆

---

(٥) آل حمدان : من قبيلة تغلب بسطوا سلطانهم على الشمال السوري ، اشتهر منهم سيف الدولة وأبو فراس .
(٦) انصاع : انفتل راجعاً مسرعاً .
(٧) النَعيُّ : المَنْعيّ .
(٨) عُباب البحر : موجه .
(٩) الغَناء والغِنى : مصدران لفعل (غَنِي) .
(١٠) اللُّهاب واللَّهيب : مصدران لفعل (لَهَبَ) .

حلبٌ والـوفـودُ في رحمــةِ القبـ ـرِ هُدى الحقّ في أجيجِ شِهابِهْ[11]
بِنْتُ حَمْـدان لم تُضِعْهـا الليـالي في يَـدَي حَمْـدانٍ وفي أعقـابِـهْ[12]
مَعْقِــلٌ ، في حِرابِـــهِ اشتبـــكَ الرّو
مُ ، سَـل الرومَ عن حــديــدِ حِرابِــهْ[13]
كابَـدوا في طِـلابــه أحمرَ المـو تِ وولّى شبـابُهُمْ عن طِـلابِــهْ
علقتْ إبراهيمَ في نصرةِ الحـ ـقّ وحـامتْ على هُـدى مِحرابِـهْ
لفهـا اللّهُ مَـوْئـلاً في يـــديــهِ وتحامى الردى مـوالِجَ بـابِـهْ[14]
سَكَبَ النـورَ والهـدى في جـوانيـ ـها فَـاجَتْ بنـورِهِ وانسكابِـهْ[15]
هَمْســةٌ تُلهِبُ الربـوعَ ويسجـو لَهَبُ النـارِ من هـديرِ خِطابِـهْ[16]
كلُّ أذْنٍ لصـوتِـــهِ وصـــداهُ كلُّ قلبٍ لـودِّهِ وحُبـــابِــــهْ[17]
هكـذا المُلْــكُ طــاعــةٌ وسماعٌ في اقتحـامِ الهَلاكِ أو في اجتنـابِـهْ

☆ ☆ ☆

يـا أبـا طـارقٍ وهـذي الأضـاحي تحتَ غَوْرِ الحمى وفوقَ هِضـابِـهْ[18]
نَبَتَ الـدوحُ واستطــالَ عليهـا وتـدلّى النبـاتُ في أهـــدابِـــهْ

---

(١١) الأجيج : الاضطرام وشدة الحَر .
ـ الشهاب : الكوكب وكل مضيء متولد من النار .
(١٢) بنت حمدان : كناية عن (حلب) .
(١٣) المَعْقِل : الملجأ أو الجبل المرتفع .
ـ الروم : إشارة إلى الحروب بين سيف الدولة والروم التي سجلها المتنبي في شعره .
(١٤) الموئل : الملجأ .
ـ المَوالج : ج مَوْلج وهو المدخل .
(١٥) الجواني : الجوانب .
(١٦) سجا يـجو : سكن ودام .
(١٧) الحُباب : الحُبّ والود .
(١٨) أبو طارق : كنية إبراهيم هنانو .

نــــاعمٌ من شرابـــــهِ متروّ كاحمرارِ الغَـــداةِ لـونُ شرابـــهْ

وسَـواءٌ أجـــادَهُ الغَيْثُ أم ضَنَّ ـ على تِرْبــهِ بفيضِ سَحــابـــهْ

من دمـــاء الشَّبـــابِ رِيٌّ ثَراهُ ورفـاتُ الشيوخِ طيبُ رِحـابـهْ

ثـــــــورةٌ كالجحيمِ ألهبتِ الأفْـ ـقَ فمارتْ سماؤهُ بـالتهـابـهْ[19]

غَمَسَتْ في نجيعِهـــا وطنَ الخُلْـ ـدِ فسال النَّجيعُ سَيْلَ شِعابـهْ

كَتَبَ المجـدَ في لظـاهـا هنـانـو يقطُرُ المجدُ من دِمـاءِ كتـابـهْ[20]

في شبابٍ على الأباطحِ كالـدهـ ـرِ ضِرابـاً ويـالهـولِ ضِرابـهْ !

كيف يمحونَ نـورَهـا ولعـابُ الـ ـفجرِ مـلآنُ من رفيفِ لعابِـهْ ؟

☆ ☆ ☆

أمـــةٌ تَنْشُـــدُ الحيـــاةَ ومـــاضٍ مـلأ الـدنيـا منْ دويٍّ وِثـابـهْ[21]

سَحَبَ المجــــدَ كالخِضَمِّ على الأر ضِ فضاقتْ فِجاجُها بانسحابـهْ

حـاولـوا صَدْعَ شَمْلِها واستثـاروا كلَّ رَذْلٍ لصَـدْعِـهِ وانشعـابـــهْ

حَجَبَ اللهُ كيـــدَهُمْ عن مغـــانيـ ـهـا فعـاشتْ منيعةً في حِجـابـهْ

عفشـوا أجلاب الحثـالات فيهـا كلُّ رَبْعٍ يَضِـجُّ من أجـلابـهْ[22]

خلـــقَ اللهُ للعمارةِ قـــومـــاً واصطفـاهم لهـدمِـهِ وخرابـهْ

يَعْمُرون الجيـوبَ ، والـوطنُ المحـ ـزونُ تبكي عيونُـهُ من يَبابِـهْ[23]

---

(١٩) ثورة : إشارة إلى المعارك المتلاحقة في الشمال السوري ضد الفرنسيين .

ـ مار يمور : ماج واضطرب .

(٢٠) الكِتاب والكتابة : مصدران لفعل (كتب) .

(٢١) الوِثاب والوثب : مصدران لفعل (وثب) .

(٢٢) عَفَش الشيءَ يَعْفِشه : جمعه .

ـ الأجْلاب : ج جَلَب وهو ما تجلبه من بلد إلى بلد .

ـ الحُثالات : ج حُثالة ، وحُثالة الناس : رُذالتهم .

(٢٣) اليباب : الخراب .

أيُّ لصٍ لم يَحْرُســـوه على السلـ ـــبِ ولم يَشْرَكوه في أسلابِهْ ؟[24]

لـو يسيـلُ الحيـاءُ في أوجُـهِ القـو مِ انطـوى كلٌّ منهمُ في نِقـابِـهْ

عَصَبٌ مـائـعٌ ووجـهٌ صَفيـقٌ لاتهـزُّ المفلـوجَ في أعصـابِـهْ[25]

قيـدّوا الرأي خشيـةً أنْ يفيض الـ ـقلمُ الحرُّ في أليمِ حِســـابِــهْ

يَلْهَفُ العنـدليبُ في خفتـةِ الصـو تِ ويلهـو الغُرابُ في تَنعـابِـهْ[26]

☆ ☆ ☆

في سبيـلِ الخلـودِ شيخـوخـةُ الحمـ ـــدِ حَمَتْ إبراهيمَ ذُلَّ غِـلابِـــهْ

نَـذَرَ الروحَ والـدمَّ الطـاهرَ الفيـ ـضِ لشَعبٍ يذوبُ في أوصابِهْ[27]

ومضى في نِضــالِـــهِ مـــا يبـــالي

لَجَبَ الصـــدرِ أو هـــدوءَ اصطخــابِــهْ[28]

مـذهبٌ كالضحى يشعُ شعـاع الْـ ـحَـقِّ كالشمسِ في نصـوع صـوابِـهْ

في اللبـابِ اللبـابِ من وَضَحِ الحـ ـ قِ فـأكرِمْ بطيبِـهِ ولُبـابِـــهْ

☆ ☆ ☆

لستَ من إبراهيمَ إن كنتَ ترضى ثِقَـلَ القيـدِ واحتمالَ عَــذابِــهْ

لــو طَلَيْتَ الأقفـــاص بـــالـــذهب الإبـ

ـريــزِ لم تُغْنِ الليثَ عن ظِـلِّ غـــابِـــهْ[29]

---

(٢٤) شَركَه يَشْرَكُه : صار شريكه .
ـ الأَسلاب : ج سَلَب وهو ما يُسْلَب .

(٢٥) الصفيق : الوقح ، والوجه الصفيق لا حياء له .

(٢٦) لَهِفَ يَلْهَف : حَزِن وتحسّر .

(٢٧) الاوصاب : ج وَصَب وهو المرض والوجع الدائم .

(٢٨) لَجِبَ البحرُ لَجباً : هاج .

(٢٩) الذهب الإبريز : الخالص .

أيَهَبُّ الحمـــامُ في الأُفُــق الطَّلْـ ـقِ ويعتاضُ حبسَةً عن هِبابِـهْ[30]
الـدمـاءَ الـدمـاءَ يـاآل مروا نَ فقـد ضجَّ تِرْبكُمْ من لُـؤابِـهْ[31]
بَلِّلوا الأرضَ واَخضِبوا وَجْهَها الحرَّ ـ فـلا يَشْفي اليـومَ غيرُ خِضـابِـهْ
أيثــور الحُبْشـانُ والـوطنُ النـا عِسُ مُغْضٍ على أذى أصحـابِـهْ[32]
كَـذَبَتْ دعـوةُ الحضـارةِ في الغَرْ بِ وهذا عنوانُها في ,,انتدابِـهْ[33],,
قـد تظنُّ السرابَ مـاءً على القفـ ـرِ ويُغْري بـالقفر لمـعُ سرابِـهْ

☆ ☆ ☆

يـا أبـا طـارقٍ وهـذي القـوافي نَـديَتْ بـالأسى وفيضِ انسيـابِـهْ
سَهِرَتْ بعـدكَ العيـونُ فـلا نـا مَتْ عن الضيمِ في شديدِ انتيابِهْ[34]
قَـماً بـالحمى وأربــابــه حتّـ ـى يعـودَ الحمى إلى أربـابِــهْ

١٠ كانون الثاني ١٩٣٦

كتب في كتابه « أنا والشعر » في معرض حديثه عن الشعر الوطني :

« ولكن الحفلة التي هاج الناس فيها وماجوا ، وكنتَ ترى العمائم فيها تتطاير في فضاء مدرّج الجامعة في دمشق ، إنما هي حفلة إبراهيم هنانو أحد زعماء الشام ، وكان من نتائج هذه الحفلة أن أضربت دمشق خمسين يوماً ، أقفلت فيها الدكاكين والمخازن والمتاجر احتجاجاً على

---

(٣٠) الهِباب : النشاط .
(٣١) الدماءَ : مفعول به لفعل محذوف تقديره : الزموا الدماءَ ، أو اطلبوها .
ـ آل مروان : كناية عن أهل سورية .
ـ اللؤاب : العطش .
(٣٢) الحبشة بلاد الحُبْشان (المحيط) وقد ثار أهل الحبشة على الاجتياح الإيطالي سنة ١٩٣٥ في عهد موسوليني ، ودام هذا الاجتياح حتى سنة (١٩٤١) .
(٣٣) إشارة إلى صك الانتداب الذي جعل فرنسة دولة منتدبة على سورية ولبنان من قبل جمعية الأمم .
(٣٤) انتابه انتياباً : أتاه مرة بعد مرة .

الفرنسيين وسياستهم ، حتى كان من نتائج هذا الإضراب نزول الفرنسيين على إدارة البلاد ، وعقدهم معاهدة سنة ١٩٣٦ ، فلم يتجلَّ الشعور الوطني في حفلة تجلّيه في حفلة « هنانو » وقد جاءت في قصيدتي الأبيات التالية : »

وأورد (٥) أبيات هي (٣٩ ـ ٤٢ ، ٤٤) .

(٦٢)

رمـــــز النضـــــال !

ألقيت في تأبين هاشم الأتاسي* في حمص

الربعُ ربعي ! والبطـاحُ بطـاحي　　فإذا بكيْتَ فقد بكيْتُ جراحي !

أين الـذين إذا الـديـارُ دعتْ بهمْ　　زحمـوا البَراح فمـــاجَ كلٌّ بَراحِ[1]

يغـدو الفـؤاد على مراتـعِ ذكرِهمْ　　فتَهـــزُّهُ في غُـــــدوةٍ ورواحِ[2]

أصْحى وأسكرُ من جَنى أيــــــــامِهمْ
سكرانُ ! تَحْسَبُ مِشْيتي كالصّـــــــاحي[3]

ذهبتْ شيوخُ الشامِ بعدَ شبـابِها　　تحت الـدُّجُنَّـةِ والضحى اللّماحِ[4]

كانوا اللهيبَ على صِفاحِ جبـالِها　　همـدَ اللهيبُ وراء كلِّ صِفـاحِ[5]

وبقيتُ بعـدَهمُ غريبـاً موحَشـا　　لا مَشْربي صـافٍ ولا أقـداحي[6]

---

* هاشم الأتاسي : (١٨٧٥ ـ ١٩٦٠) م

ولد وتوفي بحمص ، تعلّم بالمدرسة الملكية في الآستانة ، وانتُخب رئيساً للمؤتمر السوري في العهد الفيصلي ، ورأس الوزارة سنة ١٩٢٠ ثم استقال حين دخل الفرنسيون دمشق . اعتقله الفرنسيون في أواخر الثورة السورية سنة ١٩٢٦ . ترأس الكتلة الوطنية سنة ١٩٣٢ وكان رئيساً للوفد السوري بباريس سنة ١٩٣٦ . انتُخب رئيساً للجمهورية السورية ثلاث مرات ، كان نقي السيرة ، عف اليد واللسان ، قوام زعامته النزاهة والإخلاص . (عن الأعلام للزركلي)

(١) البَراح : المتسع من الأرض لا زرع به ولا شجر .

(٢) الرّواح : العشي .

(٣) صحي السكرانُ يَصْحى : ذهب سُكرُه .

(٤) الدُّجُنة : الظلمة .

ـ أبيض لمّاح : شديد البياض .

(٥) الصِّفاح　ج صفْح وهو الجانب .

(٦) أوحش الرجلَ : جعله يستوحش .

كالطيرِ قُصَّ جناحُهُ فتعطلتْ هَبّاتُهُ في الجوِّ دونَ جَناحِ
تلك الليالي ما طويْتُ وِشاحَها حتى طويتُ من الشبابِ وشاحي
مَرَحٌ تقضى والصِّبا في إثْرِهِ يا لهفتاهُ على الصِّبا المراحِ !
في كلِّ يومٍ حرقةٌ بقلوبِنا تُضني القلوبَ بها ضَنى المُلْتاحِ[7]
أو ما ترى تحتَ الضلوعِ مَضاضةً ؟
رزحتْ بها الأضلاعُ أيَّ رَزاحِ
طَفَحَ الإناءُ ولم نُطِقْ إطفاحه إني أخاف عواقب الإطفاحِ[8]
البحرُ تهدأ باحهُ فيَهيجُها عَصْفُ الرياحِ على صفيحِ الباحِ[9]
فإذا تربَّدَ وادلهمَّ عُبابُه أعيتْ غوارِبُهُ على الملاّحِ[10]

☆ ☆ ☆

خلَتِ الديارُ فلستَ تبصرُ هاشماً فوقَ الديارِ بخُلقهِ الفيّاحِ[11]
رمزُ النضالِ على شبابِ زمانِها وصدى النِّفاحِ وراءَ كلِّ نِفاحِ[12]
يُزجي المواكبَ تحتَ ظلِّ لوائِهِ فتموجُ ريّا من دمٍ وأضاحِ[13]
حَمَلَ الكفاحَ على الحمى ومشى به مَشْيَ الأمينِ أمامَ كلِّ كِفاحِ
ووراءَهُ ماضٍ يَرِفُّ ضياؤهُ ملءَ العيون ولا رفيفَ أقاحِ[14]

---

(٧) التاح : عطش .
(٨) أطفح الإناءَ إطفاحاً : ملأه حتى يفيض .
(٩) الباحة : معظم ماء البحر .
(١٠) تربّد : تغيّر لونه .
ـ ادلهمّ : اشتد سواده .
ـ غوارب الماء : أعالي موجه ، مفردها غارب .
(١١) الفيّاح : الفيّاض ، ورجل فيّاح : فياض بالعطاء الواسع الكثير .
(١٢) نافح عنه : دافع عنه .
(١٣) أزجى : ساق .
(١٤) رفّ يَرِفّ : تلألأ .

وكأنــهُ جبــلٌ تحــوطُ ظــلالُــهُ تــاريـخَ قــومٍ في الجهــادِ سِماح[١٥]
لم يشترِ الــدنيــا ببيــعِ ضميرِهِ إن باعـه في النـاس كلُّ شَحاحِ[١٦]
فيـه انطـوى تـاريخُنـا وتـدفَّقتْ بين السطـورِ بـلاغـةُ الإفصـاحِ
في كلِّ ظـلٍ من ظـلال بِقـاعِنـا ذكرى دمــاءٍ من فتًى مِسماحِ[١٧]
لـو ترتـوي الأدواحُ من رَشَفـاتِهـا روّى الرشيفُ مغـارسَ الأدواحِ[١٨]

☆ ☆ ☆

أتظنُّ حِمْصٌ أنَّ جِلَّـقَ دونَهــا دمعـاً يَفيضُ من الأسى المُلْحـاحِ
ليس المصــابُ مصــاب حمصٍ وحــدَهــا
كلُّ الربــوعِ تعــجُّ بــــالأبراحِ[١٩]
نفض الأسى سـاحـاتِنـا يومَ الردى والذكريـاتُ تفوح مِلْءَ السّاحِ[٢٠]
فجرتْ مـدامعُنـا طِفـاحَ قلـوبِنـا لم يتسـعْ للـدمـعِ أيُّ طِفـاحِ[٢١]
والجرحُ يَبْرُدُ ثمَّ يُـدمي جـوفَـهُ جرحٌ يسيـل بجنبِـهِ النَّضّــاحِ

☆ ☆ ☆

أينَ الشيوخُ ! وأين مـاقـذَفتْ بهمْ همُ الشبـابِ أمـامَ كلِّ مُطـاحِ[٢٢]

---

(١٥) السّماح : ج سَمْح وهو الجواد الكريم .
(١٦) الشَّحاح : البخيل .
(١٧) المِسْماح : الجواد الكريم .
(١٨) الأدواح : ج دوحة وهي الشجرة العظيمة .
ـ رشف الماءَ رَشْفاً ورشيفاً : مصَّه بشفتيه .
(١٩) الأبراح : ج بَرْح وهو الشدة .
(٢٠) الساح والسّوح والساحات : جموع للساحة .
(٢١) الطِّفاح : المِلْء .
(٢٢) أطاحه : أهلكه ، فهو مُطاح

أيَسُرُّ قومي إنْ مسحتُ حقوقَهمْ | من خاطري ومحوْتُ أيَّ صُراحِ[٢٣]
لو لا الشيوخُ على الحمى وجهادُهمْ | ماكنتُ أنعَمُ بالحمى الرَّحْراحِ[٢٤]
السابقون إلى بناء حياضِهِ | سَبْقَ الرياحِ تَهُبُّ فوقَ رياحِ
ضَجّوا وضجَّ على الحمى إلحاحُهُمْ | حتى استفاقَ على صدى الإلحاحِ
بحَّتْ على هاماتِهِ أصواتُهمْ | وعلا نجومَ الليلِ كلُّ بَحاحِ[٢٥]
إنْ كنتَ تنسى فادحاتِ خطوبِهِ | فَمَن المُطيحُ لخَطْبِه الفَدّاحِ ؟
صَدِئَتْ سلاسلُهُ على أشباحِهِ | حتى رموا بسلاسلِ الأشباحِ
أيَسُرُني غُلٌّ على أعناقِهمْ | الغُلُّ غُلّي والسَّراح سَراحي !
ماهانتِ الأجسامُ في أفيائهم | إلا لِتَسْلَمَ عزةُ الأرواحِ
غضِبوا وإيمانُ القلوبِ سلاحُهمْ | تَفْري القلوبَ ظُباتُ كلِّ سلاحِ[٢٦]

لو تُفْصِحِ الألواحُ عن ثوراتِهمْ
لسمعتَ ثورتَهمْ على الألواحِ[٢٧]

جمحوا فطاحَ على الجِماح عدوُّهُمْ | فجلا وخلّى الشامَ بعدَ جِماحِ
ظنّ الديارَ مُباحةً جنباتُها | ماكان جنبُ ديارِنا بمُباحِ
كاليمِّ تُكبَحُ ساعةً أمواجُهُ | حتى يثورَ اليمُّ بعد كِباحِ[٢٨]
وإذا الخِضَمُّ كأنهُ شَبَحُ الردى | يطغى ويطمحُ فوقَ كل طِماحِ[٢٩]

---

(٢٣) الصُّراح : الخالص من كل شيء .

(٢٤) الرحراح : الواسع .

(٢٥) البَحاح : غِلَظ في الصوت وخشونة .

(٢٦) الظبات : ج ظُبة وهي حدّ السيف ونحوه .

(٢٧) الألواح : ج لَوْح وهو كل صفيحة عريضة خشباً كانت أو عظماً ، يريد بها عظام الشهداء .

(٢٨) كَبَحَ الدابة باللجام : جذبها به لتقف .

(٢٩) الطِّماح والطموح : مصدران لفعل (طَمَحَ) .

يجتـاحُ مـا يثني انـدفـاعَ عُبـابِـه حتى يـــذِلَّ لـمـوجـه المُجتـــاحِ

☆ ☆ ☆

هــذي الربـوعُ بنـو أميــةَ أهلُهــا المجدُ يضحكُ في ذَراها الضاحي[30]
اِضربْ بعينـكَ هـل غـزا آفـاقَهـا غـــازٍ فجرَّ الغــزوُ أيَّ رَبـــاحِ
ليس المقيمُ على الحمى بــــزئيرهِ مثـــلَ المغيرِ على الحمى بنُبـــاحِ

☆ ☆ ☆

أيرادُ مني أن أهـــدِّمَ مـــاضيـــاً غنيتُــــهُ في صَبْـوتي ومِراحي[31]
فـإذا صـدحتُ على منــابتِ وردِهِ كالعنــدليبِ هــزْزتُــهُ بصُـداحي
أو كنتُ أسكبُ بـالنُّواحِ شُجـونَـهُ خففتُ لـوعتَهـا بـدمـع نُـواحي
وطنٌ درجْتُ على هُـــدى أوضـــاحـــه
هيهـــاتَ أسلــو عن هـــدى الأوضـــاحِ[32]
أُمسي وأُصبحُ في مَدارِ زمـامِـهِ قلِقــاً على الإمســاءِ والإصبــاحِ
فـإذا شقيتُ شقيتُ من أتراحِــهِ وإذا نَعمتُ نعمتُ بـــالأفراحِ !

☆ ☆ ☆

هـذي دموعي قـد نثْرتُ نِظـامَهـا هيهـاتَ تُطْفىءُ غُلَّتي ولُـواحي[33]

---

(٣٠) الذُّرا : الملجأ .
ـ الضاحي : البارز للشمس .
(٣١) المِراح : الاسم من مَرِحَ الرجُل إذا اشتد نشاطه .
(٣٢) الأوضاح : ج وَضَح وهو الضوء ، أو بياض الصبح .
(٣٣) النظام : الخيط الذي يُنْظَم فيه اللؤلؤ ونحوه ، شبه الدموع بحبات اللؤلؤ .
ـ الغُلّة : العطش الشديد .
ـ لاح يلوح لُواحاً : عطش .

ولقـد تركتُ من النـواحي جلَّهـا وأخـــذتُ في لهفي ببعضِ نَــواحِ
إني خشيتُ على الخضم عبـــــابَـــــهُ
فسبحتُ في لُجَـــجِ من الضحْضـــــاحِ[٣٤]
فـــإذا بكيْتُ فهـــل قضيتُ لبــــانـــةً ؟
من جرحِ ربعي أو دمـــوعِ بِطـــــاحي[٣٥]

٩ نيسان ١٩٦١

---

(٣٤) الضحضاح : الماء اليسير ، أو القريب القعر .
(٣٥) اللُبانة: الحاجة .

رثـــاء هـــاشم الرفـــاعي

ألقيت في القاهرة في حفلة ـ تأبينية

دَرَجَ المصـــابُ على المصـــابْ   زينَ الشبَّـــاب ولا شبـــابْ
هَتَفَ النُّعـــــاةُ على دمشـ   ـقَ فلفَّفَتْ بعضَ الثيـــــابْ
ورمتْ إليَّ بحـــــزنهـــــا   والليـــلُ مســـودُّ الخِضـــابْ
فركبتُ متنَ الريـــح يـــد   فعني السحـــابُ إلى السحـــابْ[1]
وأتيتُ مصرَ ودونَهـــــا   أُفْـــقٌ مغطًّى بـــالضَّبـــابْ
حتى لقيتُ النيـــــلَ مضـ   ـطربَ الغـــوارب والعُبـــابْ[2]
لمـــا ســـألت بهـــاشمٍ   أعيـــا فمـــا ردَّ الجـــوابْ[3]
فتقطَّـــع الأمـــلُ الضعيـ   ـف فـلا سـلامَ ولا خطـــابْ
فـــدعـــوتُ بـــالشعر اللهيـ   ـف لعلَّـــهُ يُرْوي اللـــؤابْ[4]
فـــإذا القـــوافي شُرَّدٌ   أدعـــو بهنَّ فـــلا أُجـــابْ
فَحَجبْتُ حـــزني في الفـــؤا   دِ وقلتُ : لا هُتِـــكَ الحجـــابْ

☆ ☆ ☆

يـــازهرةً لـــو أُمهِلتْ   مـــلأتْ نـــوافُحهـــا الرِّحـــابْ[5]
مـــازينـــةُ الـــدنيـــا ؟ إذا   جفَّ الصِّبـــا وخبـــا الشهـــابْ

---

(١) ركب متن الريح : كناية عن ركوبه الطائرة .

(٢) غوارب الماء : أعالي موجه . والمفرد (غارب) .

ـ عباب البحر : موجه .

(٣) سأله الأمرَ وسأل به وسأل عنه : يتعدى بنفسه وبالباء وعن .

(٤) اللهيف : المتحسّر .

ـ اللؤاب : العطش .

(٥) نَفَحَ الطيبُ : هبّ .

ولَســـاعـــةٌ منـــــه أحبُّ ـ إليَّ من ملــــكِ الرِّقـــابْ
لهفي عليـــكَ فهـــل يطـــو لُ على الحمى منـــكَ الغيـــابْ
أفمـــا سمعتَ من الرفـــا ق نـداءَهمْ ! هـل من إيـابْ ؟ !
نهبـوا صِبـــاك ، ولم يبـــا لـوا مـا جنَوْا ، ويحَ النِّهـابْ[٦]
أيفيضُ نـــــورُ العلمِ ، والـ أخـلاقُ أخـلاقُ الـذئـابْ ؟
ليت الصـــواريـــخَ التي بلغتْ من القمرِ الهضـــــابْ
تـــأتي بجيـــلٍ لا يروْ نَ دمـــاءَهم عَـــذْبَ الشرابْ

☆ ☆ ☆

الشعرُ نـــاسَبَ بيننـــا إن لم يكنْ نسبٌ قُرابْ[٧]
فَتَحتْ عليَّ جراحُـــــــهُ لَّما أمضَّتْ كلَّ بـــــابْ
حتى تـــذكرتُ الفتَّـــو ـ ة والتصـــابيَ واللِّعـــابْ[٨]
لم يبـقَ من مـــاء الشبـــا بِ وقـــد جرى إلاَّ سرابْ
مُلِّيتُـــــه كهـــلاً ولم أنعمْ بـــه غضَّ الإهـــابْ[٩]
فـــإذا بكيتُ فقـــد بكيـ تُ بـــه ليـــاليَّ العِـــذابْ
الـــدمـــعُ دمعي إن همى والجرحُ جرحي إن أذابْ[١٠]

☆ ☆ ☆

---

(٦) النِّهاب : ج نَهْب وهو الغنيمة .
(٧) ناسبه : شاركه في النسب ، يشير إلى أن المرثي كان شاعراً .
ـ القُراب : القريب .
(٨) لاعبه ملاعبة ولِعاباً : لعب معه .
(٩) مُلِّي عمَرَه : استمتع به .
(١٠) همى الدمعُ : سال لا يثنيه شيء .

اِمشِ الهُــــــوينى إن بلغـ ـت ضَريحَــه واتــلُ الكتــابْ[11]
واجعــل كــلامــك همســـةً فــوقَ الضريــح مــع الصّحــابْ
أخَـــدَ الكرى بجفــونــه والفجرُ محمرُّ اللُّعـــــابْ
فَحـــذارِ جهـــدَك أن يَهـ ـبَّ فربَّما سئِم الهِبــــابْ[12]
مـــاذاقَ لـــذَّة غفـــوةٍ إلاَّ على خَشِنِ التُّرابْ
مـــلأَ القــــوافيَ من صميـ ـم شعــورهِ وهْــجُ اللُّهــابْ[13]
فكأنَّـــه نـــارٌ تـــوقَّـ ـدُ في المجيءِ وفي الـذَّهــابْ
لم أنسَ شعراً في دمشـ ـق كأنَّــه الصــدقُ اللُبــابْ[14]
فيـــه العروبـــةُ والرجـــو لــةُ والـدعــاءُ إلى الـوِثــابْ[15]
لــو ينطــقُ الإيمــانُ يــو مــاً جــاءَ بـالقـول العُجـابْ[16]
إيمــانـــه مــلْءُ الجــوا نـحِ ، صـدقُـه مِـلْءُ العِيـابْ[17]
فبمثِلــــــهِ عــــزَّ الحمى وبمثِلــهِ طــابَ النِّصــابْ[18]
هــذا الشبــاب ! فمــا التخنُّـ ـثُ والتغنُّــجُ والـدِّعـــابْ ؟
ذابتْ حُشـــاشَتُـــــهُ على وطنٍ تعبَّــــــدَهُ وذابْ[19]

☆ ☆ ☆

(١١) الهوينى : التؤدة والرفق ، تصغير الهَونى ، والهَونى تأنيث الأهون .
(١٢) الهِباب : الغياب مدة من الزمان .
(١٣) اللُّهاب واللَّهَب : اشتعال النار بلا دخان .
(١٤) اللُّباب : الخالص من كل شيء .
(١٥) وثب وَثْباً ووِثاباً : قفز وطفر .
(١٦) العُجاب : العجيب .
(١٧) العِياب : الصدور والقلوب .
(١٨) النصاب : الأصل .
(١٩) الحُشاشة : بقية الروح في المريض أو الجريح .

عجبي لمن ألقى عليـ ـه سلاحَـه حتى أصابْ
أتثور مصرٌ والدما ءُ فما تسيلُ بها الشّعابْ ؟[٢٠]
إني أضِنُّ بنيلها أن يستفيضَ به الشّغابْ[٢١]
هِدأتْ شمائلُ أهلِها مثلَ النسيم على الحَبابْ[٢٢]
لكنهمْ كالعاصفا ت إذا دعوتَ إلى الغِلابْ[٢٣]
الملكُ ما رتعت بنو ه على المودَّةِ والحِبابْ[٢٤]
نحْلٌ على شهدٍ يطو فُ وآخرٌ يَنفي الذُّبابْ

ت ١ : ١٩٥٩☆

كتب رحمه الله مايلي مقدمة لهذه القصيدة :

« جاءتني برقية من المجلس الأعلى للفنون والآداب في أيام الوحدة ، يدعوني فيها رئيس المجلس إلى المساهمة في تأبين هاشم الرفاعي ، كنتُ يومئذٍ في بلودان ، فأدركتني الحَيْرة ، لأني لا أعلم شيئاً عن هاشم الرفاعي ، والذي علمتُه أنه كان شاباً في ريعان الشباب . فتذكرتُ الشبابَ ، وأنا قد طويتُ الستين ، فبكيتُ عليه . وشرعتُ في نظم القصيدة ، وجعلتُ البكاءَ على الشباب نصب عيني ، كان هذا كله على ما أذكر يوم الجمعة . فانحدرتُ يوم السبت إلى دمشق ، وسألتُ أمين سر المجلس الأعلى بدمشق ، وهو مصري ، عن هاشم الرفاعي فلم يعلم عنه شيئاً وإنما قال لي : إنه كان ألقى في مهرجان الشعر في دمشق قصيدة ، فطلبتُ القصيدة ، واطلعتُ عليها ، فرأيتُ فيها الروح الوطنية الخالصة ، فأتممتُ قصيدتي ،

---

(٢٠) الشّعاب : ج شِعْب وهو ماانفرج بين جبلين .
(٢١) شاغبه : شارّه وخاصمه .
(٢٢) حبَاب الماء : معظمه أو طرائقه .
(٢٣) غالبه غِلاباً ومغالبة : قاهره ونازعه .
(٢٤) الحِباب : الحُب والوداد .
☆ هذه القصيدة بلا تاريخ ، وقد قال رحمه الله في مقدمتها : إنه ألقاها بعد مهرجان خليل مطران في القاهرة ، فتاريخها هو تاريخ تلك .

وأشرت فيها إلى هذه الروح ، فتمّت هذه القصيدة في خلال ثلاثة أيام ، سافرتُ بعدها إلى القاهرة ،لإلقاء قصيدة في مهرجان خليل مطران ، وبعد المهرجان أقيمت في جامعة القاهرة حفلة تأبين هاشم الرفاعي ، وكانت القاعة محشوكة[1] ، فيها الأساتذة والطلاّب ، وفيها رجال الفكر والأدب . وكان التصفيق ممنوعاً ، فزاد المنع في خشوع الحفلة ؛ وأذكر أني لما شرعتُ في الإلقاء كنتُ أرى الأعناق تتمايل يمنة ويسرة ، وكنت أسمع من حين إلى آخر ترديد : الله ! الله ! مما يدل على مبلغ الحزن على المرحوم هاشم الرفاعي ، والذي أذكره أنه قُتل قتلاً . قتله رفيقٌ أو رفقاءُ من الجامعة المصرية ، ولا أعلم شيئاً أكثر من ذلك . » .

---

(١) حَشَكَ الناقة : ترك حَلْبها حتى يجتمع لبنُها ، شبه القاعة الغاصة بالمستمعين بالناقة الكثيرة اللبن .

(٦٤)

أمـــــــي !

أمي ! ولستُ أرى في الأرض قـــاطبــــةً
أعــزَّ منــك علــى الســمعِ والبصــرِ
نــــاديتُــــكِ اليــومَ لا حِسٌّ ولا خبرٌ
فـــأين منـــــكِ دَوِيُّ الحسِّ والخبرِ ؟
غــادرتِ في القلب جُرْحــاً كلمــا هَــدَأتْ
آلامُــــه اتّقــــدتْ في القلب كالشَّررِ
لـــو تَسمحين جعلتُ الصــدرَ مُتَّكَــأ
لرأسِـــك الطُّهْرِ في الظلمــــاءِ والحُفَرِ[1]

١٠ أيلول ١٩٥٧

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٤٥) :

« ... إني لم أحبّ أحداً في حياتي كلها مقدار حبي لأمي ، لقد شغل حبها كل ناحية من نواحي قلبي ، كانت ملء هذا القلب ، لا تكاد الدنيا وزينتها تعدل جزءاً من هذا الحب ، وقد بلغ من ولعي بها أني كنت لا أستطيع أن أفاتحها بهذا الولع ، وقد كانت تشعر به ، كانت معاملتي لها الدليل القويّ على عمق عاطفتي ، ولقد كانت تبادلني بمثل هذه العاطفة ، فكانت ترى الدنيا كلّها فيّ ، وكنتُ أرى الدنيا كلّها فيها ، حتى توفّاها الله في ١٠ أيلول ١٩٥٧ ، فما الذي قلتُ فيها من الشعر ؟ وقد رثيت رجالاً كثيرين من أهل السياسة والأدب والشعر ، رثيت رجالاً في القديم والحديث ، وكنت صادقاً في شعوري ، فلماذا لم أرث أمي حتى اليوم ؟ لماذا لم أقل فيها إلا هذه الأبيات : » .

---

(١) لرأسِك الطُّهْرِ : لرأسك الطاهر ، وهو الوصف بالمصدر كقولك : أنت رجل عَدْلٌ أي : عادلٌ ، وهو رجلٌ ثقة أي : موثوق به .

ثم أورد الأبيات الأربعة ، وقال :

« وأنا قلت هذه الأبيات لأضعها على قبرها ، نضّر اللهُ عظامها ، أظن أن العاطفة تتيقظ في بعض الأحيان حتى تقوى وتشتد ، وحتى تغلب على كل منثور من القول ومنظوم ، فإذا فتّش الإنسان في مذاهب البيان عن شيء يُصوّر به هذه العاطفة فلا يكاد يهتدي إلى شيء ، لأنها أقوى من كل بيان ، فالألفاظ في بعض الحالات عاجزة عن تصوير ما يشعر به القلب ، ولولا هذا العجز لرثيت أمي قبل كل واحد من الناس ، ولظهر على هذا الرثاء أصدق ما يمكن ظهوره من شعور وعاطفة ، إلا أني لا أزال أتصوّر منزلتها في قلبي ، وأتصور هذا الفراغ الذي كانت تملؤه في هذا القلب ، فألوب حول شعر أفرغ فيه هذا التصوّر فلا يجيئني ، فأكتم الأسى في قلبي وأقول : قد يكون السكوت في بعض المصائب أبلغ من كل شعر » .

البـــــــاب الرابـــــــع

التأمل

قصائده (١٥)

خيـــــال الغـــــــد

يـا خيـالاً يطـوفُ حـول خيـالي ... في رفيف الضحى وجُنْـحِ الليـالي
أيها الطيفُ مـاوراءَك ؟ قُـلْ لي ... من خُطـوبٍ فـوادحِ الأثقــالِ
إنّ لي فيـكَ يـاخيـالُ مُنًى إن ... غــادَرَتْني رأيتَني في ضـلالِ
بـاعثـاتٍ على الحُبـور فـؤادي ... شـافيـاتٍ من كل داءٍ عُضـالِ
فـارفـع السترَ عن جبينٍ خفيٍّ ... لأرى فيـه صـورةَ الآمـالِ
كيف لي أن يُجيبَني ؟ ومُحـالٌ ... أن يجيبَ الخيـالُ عن تَسْـآلِ
شَبَـحٌ دقَّ شخصُـه لاترى الأعـ ... ـيُنُ منـه شكـلاً من الأشكال
واسعٌ صـدرُهُ فليس يـذيع السِّـ ... ـرَّ إمَّـا أُذيـعَ عنـد الرجـالِ
قُلَّبٌ لا يَقَرُّ طَرْفَـةَ عينٍ ... وكـذاك الأيـامُ في كلِّ حـالِ[١]
إنمـا المـالُ والقصـورُ ومـا نطـ ... ـلُبُ من مَجْـدٍ بـاطـلٍ ومَعـالِ
طـائرٌ لا يُسِفُّ غيرَ قليـلٍ ... ثم يسمـو إلى رؤوسِ الجبـالِ[٢]
قـد سقـانـا الزمـانُ من مـائـه المـ ... ـرِّ ومن مـائـه النميرِ الـزُّلالِ
وبلـونـا مـا كانَ عُسْراً ويُسْراً ... في زَمـانِ الإدبـارِ والإقبـالِ
نعرفُ اليومَ ما يكونُ ، ونـدري ... مـا جرى قبلُ في القرون الخوالي
ذلَّـلَ المرءُ مُعضـلاتٍ جِسـامـاً ... بـذكاءٍ في عقلِـه وصِقـالِ[٣]
خَرَقَ الجـوَّ كالريـاح فبـاتتْ ... أنْسُرُ الجـوِّ منـه في أوْجـالِ[٤]

---

(١) القُلَّب : الكثير التقلّب .
ـ قرّ يقِر : ثبت وسكن (بكسر القاف وفتحها) .
(٢) أسفّ الطائر : دنا من الأرض .
(٣) صقل الشيءَ صِقالاً : جلاه وكشف صدأه .
(٤)الأوجال : ج وَجَل وهو الخوف والفزع .

وترامَتْ بـه البحـارُ وجـالتْ　　في رفيق الضحى وجنح الليـالي
وتنـاجى عـوالمُ الشرق والغر　　ب وما شَدّوا خَيْلَهمْ في ارتحـال
لم يَفُتْهُمْ سوى الـوقـوفِ على الغيـ　　ـبِ ، وعِلْمُ الغيوبِ صعبُ المنال
راحـةُ المرءِ أن يقـولَ دَعِ الأقـ　　ـدارَ تجري فـإنني لا أبـالي

١٩ رمضان ١٣٣٦ ، بين (١٩١٧ ـ ١٩١٨) م

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٩) :

« لم أجد من أستلهمه في تلك الأزمة التي وقعتُ فيها إلا المنفلوطي .

لم أتقيّد بكل ما قاله المنفلوطي في نظرته : الغد ، ولكنّ روح الاقتباس ظاهرة على القصيدة ، وهذا مطلعها :

يـا خيـالاً يطـوف حـول خيـالي　　في حجـاب يحكي سـواد الليـالي[☆]

يقول المنفلوطي في الغد :

« لقد غمض الغد عن العقول ، ودقّ شخصه عن الأنظار ، حتى لو أن إنساناً رفع قدمه ليضعها في خروجه من باب قصره ، لا يدري أيضعها على عتبة القصر ، أم على حافة القبر ؟ »

فجاء في القصيدة بيت على هذا المعنى :

شبـح دق شخصُـه لاترى الأعْـ　　ـيُنُ منـه شكـلاً من الأشكال

لم يأت البيت على المعنى وحده ، وإنما جاءت فيه بعض ألفاظ المنفلوطي ، ومن هذا النحو قوله :

« أيها الشَبَح الملثم بلثام الغيب ! هل لك أن ترفع عن وجهك هذا اللثام قليلاً ؟ لنرى صفحة واحدة من صفحات وجهك المقنّع »

---

(٥) الفُلْك : السفينة ، يكون واحداً فيذكر ، وجمعاً فيؤنث .

☆ غيّر الشاعر الشطر الثاني بعد صدور « أنا والشعر » فجعله « في رفيف الضحى وجنح الليالي » .

فجاء في القصيدة

فـــارفـــع الستر عن جبينٍ خفيٍّ   لأرى فيـــه صـــورة الآمـــال

فنحن نرى أنه لابد في الاقتباس من أن تظهر آثار اللغة مرة ، وآثار الفكر مرة ، ولكنّ المقطع الذي ظهر فيه الاقتباس الظهور كله ، إنما هو المقطع الآتي :

« ذلّل الإنسان كل عقبة في هذا العالم ، فاتخذ نفقاً في الأرض وصعد بسلم إلى السماء ، وعقد ما بين المشرق والمغرب بأسباب من حديد ، وخيوط من نحاس . وانتقل بعقله إلى العالم العلوي فعاش في كواكبه ، وعرف أغوارها وأنجادها ، وسهو لها وبطاحها ، وعامرها وغامرها ، ورطبها ويابسها ، ووضع المقاييس لمعرفة أبعاد النجوم ، ومسافات الأشعة ، والموازين لوزن كرة الأرض إجمالاً وتفصيلاً ، وغاص في البحار ، فعرف أعماقها وتربتها . وأزعج سكانها ، ونبش دفائنها ، وسلبها كنوزها ، وغلبها على لآلئها وجواهرها ... » إلى أن ختم هذا المقطع بقوله : « ولكنه سقط أمام باب الغد عاجزاً مقهوراً لا يجرؤ على قرعه ، لأنه باب الله ، والله لا يُطْلع على غيبه أحداً . »

فجاء في القصيدة :

قد سقانا الزمان من مائه المّر ـ ومن مائه النمير الزلال »

ثم أورد بعد هذا البيت الأبيات الثمانية الأخيرة .



الــــــــزمــــــــان

ما للزمانِ يجولُ كلَّ مَجالِ ؟ ويَسيرُ في الغُدُواتِ والآصالِ
تتدافعُ الأيامُ في جَريانِها مثلَ الرياحِ تَهُبُّ في الأجوالِ[1]
يمشي الزمانُ فلا يُرى متلفِّتاً في سَيْره عن يَمْنةٍ وشِمالِ
متحفِّزٌ في مشيه فكأنه سيلٌ تدفَّقَ من مكانٍ عالِ
يمضي فلا تلويه عن منهاجِهِ في الخافقَينِ قَوارعُ الأهوالِ[2]
لايشْتملٌ وليس يملك طرفَهُ في طيِّه الآنامَ غمض ليالِ[3]
لا يستقرُّ به القرارُ إذا مضى فيطوفُ من جيلٍ إلى أجيالِ
يُمسي ويُصبح وهو معتنقُ الرّدى فيصولُ بالأحداثِ كل مَصالِ[4]
متوفزٌ للشر إنَّ جَنانَهُ ماضٍ يدكُّ شوامخَ الأجبالِ[5]
يستهلكُ الآسادَ في أجماتِها وتَحيدُ عنه فوارسُ الأبطالِ[6]
في قوة الأقدار لا تُلوي به بيضُ الظُّبى وفيالقُ الأقيالِ[7]
غضٌّ الشباب فلا يَشيبُ قذالُه وتَشيبُ منه ذوائبُ الأطفالِ

---

(١) الأجوال : ج جَوْل أو جُول وهو التراب الذي تجول به الريح على وجه الأرض .
(٢) الخافقان : المشرق والمغرب .
(٣) اشتمَلّ الشيءَ : ملّه وسئِمه .
ـ الآنام والأنام : الخَلق أو جميع ما على وجه الأرض .
(٤) المَصال : مصدر ميمي من فعل (صال عليه) أي : سطا عليه وقهره .
(٥) الجَنان : القلب .
(٦) استهلكه : أهلكه .
(٧) الظبى : ج ظُبة وهي حدّ السيف .
ـ الفيالق : ج فَيْلَق وهو الجيش العظيم .
ـ الأقيال : ج قَيْل وهو الملك من ملوك حِمْير .

فقَشيبُــــه في رونـقٍ متجــــددٌ　　وقشيبُ أبرادِ القيـــاصرِ بـــالِ

من لم يُحصِّنْ نفسَـــه من ريبِــه　　مــالتْ بــه الأقــدار كلَّ مَمالِ[8]

ويــلٌ لقــومٍ يُسْتَــزَلُّ رجــالهمْ　　أينَ النجــاةُ لهم من الإزلال ؟[9]

يَسْتنصِرونَ فمــا لهم من نــاصرٍ　　ومَن الـمُغيثُ من الردى القتال ؟

يمشــون في نهــجِ الحيــاة وظهرُهمْ　　قــد أَنقضتْــهُ فــوادحُ الأثقــالِ[10]

إن الــــذين ينــامُ عنهمْ دهرُهمْ　　أمِنــوا الردى ومصــارعَ الآمــال

فتراهُمُ في ظــــلِّ عيشٍ نــــاعمٍ　　رقّت حــواشيـه ، وغبطــةِ حــالِ

يُسْقَــوْنَ من كأس النعيم دِهــاقَهـا　　ويُجرّرونَ ســوابــغَ الأذيــالِ[11]

لا يــؤثرون على الحيــاة ممــاتهــا　　فنفــوسُهمْ في النــائبــات غَــوالِ

٢٦ شوال ١٣٣٦ هـ ، بين (١٩١٧ ـ ١٩١٨) م

كتب رحمه الله في ذيل هذه القصيدة يتحدث عنها وعن سابقتها :

«.باكورة الشعر بين (١٩١٧ و ١٩١٨)

القصيـدتـان مقتبستـان : الأولى من المنفلوطي . والثـانيـة من أديب فرنسـيٍ ، وقـد أشرت إلى ذلك في كتابي « أنا والشعر »

وكتب في كتابه « أنا والشعر » ص (١١) :

« ... كنت أقلّب النظر في مختارات من الأدب الفرنسي ، فاهتديت إلى قطعـة لأحـد

---

(٨) الـمَمال : مصدر (مالَ) .

(٩) استزلّه : كلّفه الزَّلَل وهو الزلق والسقوط .
ـ أزلّه إزلالاً : حمله على الزّلل .

(١٠) أنقض الظهرَ : أثقله .

(١١) كأس دهاق : طافحة .
ـ ذيل سابغ : متسع .

خطباء الكنيسة في القرن السابع عشر وهو « ماسيون[*] » عنوان القطعة : الزمن ، إلا أني رأيت أن الاقتباس عنها لا يشبه الاقتباس عن نظرات المنفلوطي ، لقد أخذتُ عن المنفلوطي طائفة من الأفكار لابأس بها ، وأخذتُ عنه بعض الألفاظ ، وإن كنت أتقيدّ به كل التقيّد ، ولكن ما الذي أخذته عن « ماسيون » ؟ لا أدري ، لقد اتصلتُ بأدب أجنبي لا صلة لأدبنا به ، اتصلت بأفكار جديدة بالنسبة إلى أفكارنا ، وبتراكيب جديدة بالقياس على تراكيبنا ... » .

«طالعت قطعة « ماسيون » فرأيت أنه لا قدرة لي على تثبيت أفكارها في شيء من الشعر ، فإن شعر الشعراء الذين أنستُ بدواوينهم في القديم لم يألف هذا النحو من الأفكار . وإذا اشتمل شعر المتنبي أو شعر المعرّي على أشباه هذه المعاني ، فإن هذه المشتملات قليلة . ولا تظهر قدرة الشاعر في مثل هذه الأحوال إلا إذا ابتكر صيغة جديدة لأفكار جديدة ، على ألاّ تخرج هذه الصيغة عن روح اللغة ، إني أقرّ بعجزي في هذا المقام ، فإني من اثنتين وأربعين سنة أي من أول نظمي للشعر لم أستطع أن أبتكر صيغة شعرية أفرغ فيها.أفكار خطيب من طبقة « ماسيون » لقد قرأت قطعته ، فإذا أفادتني شيئاً فإنها ألهمتني الشعر إلهاماً . لقد فتحتْ لي باب موضوع لم يكن مفتوحاً من قبل ، فدخلت هذا الباب ، ولكني دخلته من الطريق التي ألفتُها ، ولم أبتكر له مدخلاً آخر ، دخلتُ باب هذا الموضوع فوصفت الزمن على النحو الذي ألفه شعراؤنا في القديم ، واستعرت من بعض أولئك الشعراء بعض تراكيبهم ، فحوّلتها إلى ما أريد ، من ذلك قول المتنبي في وصف الأسد :

في وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا

فجاء في قصيدتي في وصف الزمن :

في قوة الأقدار لا تلوي به بيض الظبى وفيالق الأقيال

والخلاصة : لم يأت في قصيدتي : الزمن ، شيء مما جاء في كلام « ماسيون » ولكنه ألهمني العنوان لا غير ، فخضت الموضوع وأنا لا أدري كيف كنتُ أخوضه ، فكنت أقرأ بعض

---

[*] ماسيون Massillon (١٦٦٣ ـ ١٧٤٢) .
هو جان باتيست ماسيون ، خطيب وواعظ من رجال الكنيسة ، ولد في هيير من مقاطعة طولون في فرنسة . امتاز بفصاحة لسانه ، وقوة تأثيره ، وعذوبة أسلوبه ، فكان من أشهر خطباء فرنسة في القرن السابع عشر .

كلام القطعة ، وأنقطع عن القراءة فتجيش في خاطري أبيات لا صلة لها بهذا الكلام ، من هذه الأبيات : »

ثم أورد (١١) بيتاً هي (٣ ـ ١٣)

« ... لقد كانت هذه المرحلة وأعني بها مرحلة الاقتباس عن كبار الكتّاب أو عن أدب الغرب أول مراحل نظمي للشعر ، ولو ثابرتُ عليها لتغيّرتْ آفاق شعري ، ولكن هذه المرحلة لم يطل أمرها ، فلم أقل فيها غير هاتين القصيدتين : خيال الغد ، والزمن ، ثم انتقلتُ إلى مرحلة ثانية ... »

(٦٧)

ربيـــــع الحيـــــــاة

أُنـدُبْ صِبـاكَ وقلْ : عليـه سلامُ ... ذهبتْ بطيب حيـاتِـكَ الأيـــامُ

وَضَـحَ المشيبُ فيـا لقُبْـحِ بيـاضِـهِ ... إنَّ المشيبَ عن النعيمِ فطـــــامُ

ولّى الصِّبـا مـا كانَ أقصرَ ليلَـةُ ... هـل كان يُرْجى للشَّبـابِ دَوامُ ؟

واهـاً لأيـامِ الصِّبـا كيف انقضتْ ... حَسنـــاتُهـــا ؟ فكأنّهـــا أحــلامُ

أيـــامَ كنـــا ، والـزمـــانُ مــوادِعٌ ... والعيشُ صـافٍ والحُتـوفُ نِيـامُ[1]

ثم اغتــديْنــا والــزمــانُ منــازِعٌ ... والعيشُ رَنَّـقَ والحتـوفُ قيـامُ[2]

زمنَ الصِّبـا جـاشت بقلبيَ لـوعـةٌ ... مــا تستقـلُّ مضيضَهـا الأعـلامُ[3]

ما جالَ ذكْركَ ساعةً في خـاطري ... إلا انجلتْ عن خــاطري الأسقـامُ

مـازارَ طيفُـك في الظـلام مـذكّراً ... إلا استضــــاءَ بطيفِــك الإظــلامُ

فـإذا نظرتُ فـأنت مِلءُ نـواظري ... إن الرُّنـــو الى ســـواكَ حَرامُ[4]

وإذا عشقتُ فـأنتَ مِلءُ جـوانحي ... لا تستبيني بعــــــدَك الآرامُ[5]

وإذا ذكرتُ فلستُ غيرَكَ ذاكراً ... مـــــا تنثني عن ذكرك الأقــلامُ

كنـا وكنتَ ، ونـورُنـا متـوقـدٌ ... حتى انثنينـــا والضيـــاءُ ظــلامُ

كانت تطـوفُ من السماءِ بمهـدِنـا ... عينٌ تمـــوت بسحرهـــا الآلامُ

---

(١) الحتوف : ج حتف وهو الموت .

(٢) رنّق الطائر : خفق بجناحيه ولم يطر .

(٣) استقلّ الشيءَ : حمله ورفعه .

ـ مضّه الجرحُ مضيضاً : آلمه وأوجعه .

ـ الأعلام : ج عَلَم وهو الجبل .

(٤) رنا إليه رُنُوّاً : أدام النظر بسكون طرف .

(٥) استبى قلْبَهُ : أسره بحبه .

ـ الآرام : ج رئم وهو الظبي والآرام هنا استعارة للغواني الحسان .

بتنا نَجُرُّ ذيولَنا فوقَ الثرى | مَرَحاً ، وتحسدُ عيشَنا الهُيَّام
لم نخشَ في الحكامِ صولةَ صائلٍ | حتى رمانا الدهرُ والحكَّامُ
رُدّوا عليّ ربيعَ أيامِ الفتى | حتى يطيبَ مع الزمان مُقامُ
فالعيشُ في ظلِّ المشيبِ مضاضةٌ | والعيشُ في ظلِّ الشبابِ جَمامُ[6]
ودّعته فَرَنا إليَّ وقال لي : | إنَّ الحياةَ إذا مضيتُ حِمامُ
سيطولُ سَفْحُكَ للدموعِ على الطِّلى
ويَمَسُّ قلبَك حُرْقَةٌ وسَقامُ[7]
ما في الحياةِ عن الصِّبا مندوحةٌ | هل ينفعُ العودَ اليبيسَ جَهامُ[8]
مَثَلُ الصِّبا مَثَلُ الربيع فإنْ مضتْ | أيامُه فعلى الحياةِ سَلامُ

أيام الصبا ۱۹۲۲

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٤٤) :

« إني أشعر بالحياة وأحب مذاهبها ، وأتمسك بشبابها ، وأكره اكتهالها وشيخوختها . وأكبر دليل على هذا التمسّك وعلى هذه الكراهية قصيدة قلتها في أيام الشباب ، لا بل في أيام الصبا ، وعنوانها « ربيع الحياة » .

ثم أورد (٧) أبيات هي (١ ، ٤ ، ٧ ـ ٩ ، ١١ ، ١٢) وقال :

« قلت هذه القصيدة وأنا في نضارة الصبا ، لم تنقض حسناته . ولم تكدَّر أيامه ، ولم تنغَّض لذاته ، فلماذا هذا البكاء قبل أوانه ، وهذا التلهف قبل زمانه ، فكأني كنتُ أحسُّ وأنا أقول هذه القصيدة بحرصي على الحياة ، على صباها وشبابها ، كأني كنت أحس بلذة هذه الحياة ، وقد تصوّرت في تلك الساعات أنه سيأتي يوم أبكي فيه على هذا الصبا وهذا الشباب ، على هذه الحياة ولذتها ، فكان من فرط حسّي أني لم أنتظر هذا اليوم ، فعجّلتُ فبكيت وتحسّرت في زمن لا معنى فيه لمثل هذا البكاء ، ولمثل هذا التحسّر »

---

(٦) الجَمام : الراحة .
(٧) الطِّلى : اللذة .
(٨) الجَهام : السحاب لا ماء فيه .

الضعـــــيـــف

يـــــا لهفتـــــاهُ على الضعيـ ـفِ ومَنْ يَحِنُّ على الضعيفْ ؟
قَلِـقُ المضـــاجـــعِ لا يمتَّـ ـعُ بــالتَّليـــدِ ولا الطّريفْ[1]
نَهْبُ الحـــــوادثِ ليسَ يَهْـ ـنـــأ بـــالكثيرِ ولا الطفيفْ[2]
إنْ هَبَّتِ الريـــحُ العَصـــو فُ مضى مع الريحِ العَصوفْ[3]
أوْ فَرَّ من شَبَـــحِ الحُتـــو فِ سما لـــه شبحُ الحُتوفْ[4]
أو مـــالَ عن ضـوءِ السيـــو ف عنى لـــه ضوءُ السيوفْ[5]
أو جـــاءَهُ المَلِـــكُ العسـو فُ أبيح للمَلِكِ العَسوفْ[6]
فـــإذا استُضيمَ فمـــا يكـــو نُ من الضَّفيف ولا اللفيفْ[7]
أين الحليف ؟ فمـــا لـــهُ يـــومَ الكريهـــةِ من حليفْ
يمشي إليـــــه الضيمُ في كَنَفِ المغـــاورِ والكُهـــوفْ
أنّى لـــه ظـــلٌّ يـــورِّ ـ فُ ؟ لا ظـــلالَ ولا وَريفْ ![8]

٣١ آذار ١٩٢٦

---

(١) الطريف من المال : المستحدث وهو ضد التليد .
(٢) النَّهْب : الغنيمة .
(٣) الريح العَصوف : الشديدة .
(٤) الحُتوف : ج حَتْف وهو الموت .
(٥) عنى الأمرُ يعني : نزل وحدث .
(٦) العَسوف : الشديد العسف ، والعسف : الظلم والجَوْر .
(٧) يقال : « هو من ضفيفنا ولفيفنا » أي : مَن نلُفّه ونضُفُّه إلينا إذا حزبته الأمور . وضَفَّ الشيءَ : جمعه .
(٨) وَرَف الظلُّ وريفاً : اتسع وطال ، ومثلها « وَرَّف » .

العـــام الجـــديـــد

نشرت في عدة مجلات

جـــاءتْــكَ في وَشْي البُرو دِ تميسُ في وشي البرودْ[1]
الفُــلُّ فــوق الصــدرِ ، والرَّ ـ يْحــانُ من فــوق النهــودْ
ريـــانـــةُ الجَنبَـــاتِ من ورد الحـــدائـــقِ والخُـــدود
وضـــــاءةُ الأفيـــــاءِ من رَطْبِ الـــلآلئِ والعقـــودْ
ضحكتْ إلى العـــامِ الجـــديـ ـد وما مع العـام الجـديـدْ ؟
اليـــومُ مثــلُ الأمسِ والـ ـغدُ مثلُ يومك ما يزيدْ
مـــا تحمــلُ الأيـــامُ في طيـــاتهـــا إلاّ الـــوعيـــدْ

☆ ☆ ☆

يــا عــامُ قـلْ لي : مـا ورا ءَكَ من نُحـوسٍ أو سُعـودْ ؟
إنْ كنت تـوفي بــالعهــو دِ وكيف تـوفي بـالعهـودْ ؟
فـــارأفْ بظـــلِّ النَّيْرَ بَيْـ ـنِ ولاتَــكُ العــاتي المَريــدْ[2]
حتى تَقَرَّ دمشـــــــقُ في صَخَبِ القَــوارِعِ أو تَبيـــدْ[3]
فـــاليـــأسُ إحـــدى الراحتيْـ ـنِ فــلا مفرَّ ولا مَحيـــدْ[4]

☆ ☆ ☆

أَوَ كنتَ تحمـــلُ في عُبـــا بِـكَ آيــةَ العــامِ السعيــدْ ؟

---

(١) البُرود : ج بُرْد وهو الثوب المخطط .

(٢) المَريد : الجبّار الذي جاوز الحدّ .

(٣) القوارع : ج قارعة وهي الداهية والنكبة المهلكة .
ـ باد : هلك .

(٤) حادِ عن الطريق حَيْداً ومَحيداً : مال عنه وعدل .

حتى أرى المغلـــــــــولَ في ... فــــكّ الســلاســلِ والقيــودْ
نشـــوانَ من ذكرى العَتـــــا ... قـــةِ كادَ من طربٍ يميــــدْ[٥]
فـــالشيــخُ يَبْسِمُ من ضيـــا ... ئـــك في المرابـعِ والـوليــــدْ

☆ ☆ ☆

أَوَ كنتَ تبطشُ في طلـــــــو ... عــك بطشَ جبّــارٍ عنيــدْ ؟
ترمي بِـــــداهِيَــــــةٍ فمــــا ... تُبقي على عِـــزٍّ وطيـــــدْ[٦]
حتى نسيرَ على الضـــــــلا ... لــة لا ســديــدَ ولا رشيــدْ
فـــارجِـعْ فـلا هـــدأتْ عيـو ... نُــك هـــدأةً أبـــدَ الأبيـــدْ[٧]

☆ ☆ ☆

قـــالـوا : الســلامُ ومـــا أرى ... للسلمِ من ظـــلٍّ مـــديـــــدْ
النـــاسُ في مَضَضِ الــزِّحـــا ... م من المُهـــودِ إلى اللحـــودْ
نَصَبـوا بَمـــدْرَجَـــةِ الختـــا ... لِ شبـاكَهمْ ، ويـحَ الـمَصيـدْ[٨]
يتهـــــارشـــون على الفتيـ ... ـتِ يُحـارشـون على الثَّريـــدْ[٩]
فتراهمُ بـــــاسم الـــديـــا ... رِ يكيـــد منهمْ من يَكيـــدْ

☆ ☆ ☆

---

(٥) عَتَقَ العبدُ عَتاقةً : خرج من الرقّ والعبودية .
(٦) الداهية : المصيبة .
(٧) أبد الأبيد : طول الدهر .
(٨) الـمَدْرَجة : الممرّ .
(٩) تهارشت الكلاب : تواثب بعضُها على بعض .
ـ الفتيت : المفتوت ومنه (فتّ الخبزَ في المرق) .
ـ حارش الضبُّ الأفعى : أرادت أن تدخل عليه فقاتلها .

يـــا عـــامُ أنجـزْ إن وعـــد   تَ ، عليـك إنجـازُ الـوعـودْ
سَئِمَ الطريــــدُ فلم يـــذُقْ   طعمَ الكرى ، مَـلّ الشريـــدْ
هـــل جئتَ بـــالعيشِ الرغيـ   ـدِ وكيف بـالعيشِ الرغيـدْ ؟
آمـــالُنـــا في البـــاقيـــا   ت من الليـــالي والأبـــودْ(١٠)

٥ شباط ١٩٢٩

---

(١٠) الأبود : ج أبد وهو الدهر .

(٧٠)

بـيـن الأرض والقـمـر

نشرت في مجلة العربي

القمر :

ضـجَّ العراءُ ومـارَتْ في الـدجى الشُّهُب
يـاأرضُ هـل صـدقَتْ عن أهلـكِ الكتبُ ؟[1]
هـل اليقينُ استثـارَ اليـومَ عـزمَهمُ
أم العـزائمُ فيهـا الشـكُّ والرِّيَبُ ؟
مـا لي ومـالَـكِ تَغْـزينَ السماءَ فهـل
يمضي بـك الجِـدُّ ، أم يمضي بـكِ اللعِبُ ؟
أتـزحفينَ إلى الأفـلاكِ سـاخرةً
كأنـكِ الريـحُ ، أدنى سيرِك الخَبَبُ[2]
فمـا تَقَرُّ على أكبـادنـا مُهَـجٌ
ولا يَقَرُّ على أجفـاننـا هُـدُبُ
نُمسي ونُصبـحُ في همٍّ وفي تعبٍ
يكادُ يقضي على ألبـابنـا التعبُ
خلّي الكـواكبَ ، لاتغْـزي منـاكبَهـا
فـالشمسُ واجفـةٌ والشُّهْبُ تضطربُ[3]

---

(١) العَراء : الفضاء لا يُستتر فيه بشيء .

(٢) الخَبب : من معانيه السرعة .

(٣) واجفة : مضطربة .

الأرض :

مهلا أبا الحُسْنِ لا تقلَق لغزوتنا
فليس في غزونا نَهْبٌ ولا سَلَبُ[٤]
ما في مرابعنا في الأرض من ظمأٍ
ولا على أُفْقنا جوعٌ ولا سَغَبُ[٥]
أما ترى العُشْبَ في صحرائنا نَضِراً ؟
يكادُ يضحكُ في صحرائنا العُشُبُ
تكادُ تُمطِرُنا أجواؤنا ذهباً
حتى يَفيضَ على أفيائنا الذهبُ
مهلاً ! فلا تجزعَنَّ اليوم أن شَمَخَتْ
بنا الصواريخُ لا تألو ولا تَجِبُ[٦]
ما في مراكبنا رَهْبٌ يساوِرُكُمْ
لا يذهبنَّ بكم خوفٌ ولا رَهَبُ

القمر :

يا أرضُ نحن أمامَ الشمسِ في دَعَةٍ
نلهو ونلعبُ لا غيظٌ ولا غضبُ[٧]

---

(٤) أبو الحُسْن : كناية عن القمر .
(٥) السَّغَب : الجوع .
(٦) لا تألو : لا تبطىء .
ـ وجب يجِب : اضطرب .
(٧) الدّعة : الراحة وخفض العيش .

إذا لَهَـونـا فمـا في لهـونـا صَخَبٌ
وإن لَعِبنـا فمـا في لِعْبِنـا جَلَبٌ[8]
إنّـا لنَصْـدُق إن دار الحـديثُ بنـا
مـا في أحـاديثنـا زورٌ ولا كَـذِبٌ
تسـاوتِ النـاسُ في حُبٍّ و في مِقَـة
فليس بينهمُ رأسٌ ولا ذنبٌ[9]
فمـا المعـاسيرُ في لأوائِهمْ شَغَبٌ
ولا الميـاسيرُ في لألائِهمْ كَلَبٌ[10]
يـاأرضُ كُفّي الأذى عنـا فـلا بلغتْ
منـا رجـالُكِ ، لا طـاروا ولا ركبـوا
ليتَ الصـواريـخَ لمـا هـاجَ هـائجُهـا
أخنى عليهـا لُعـابُ الشمسِ واللهَبُ ![11]

الأرض :

أخـا الكـواكبِ لا تفـزعْ فليس بنـا
إلى الكـواكب حـاجـاتٌ ولا أَرَبٌ ...[12]

---

(٨) الجَلَب : اختلاط الأصوات والصياح .
(٩) المِقَة : الحُب .
(١٠) اللأواء : الشدة والمحنة .
ـ المياسير : ج موسر وهو الغني ، والمُعْسِر ضده .
ـ اللألاء : الفرح التام .
(١١) أخنى عليه الدهر : أهلكه .
ـ لعاب الشمس : شيء كنسج العنكبوت تراه وقت الظهيرة كأنه ينحدر من السماء .
(١٢) أخو الكواكب : كناية عن القمر .

أتحلُمــونَ بخــوفٍ مـــالـــــه عِلَــلٌ
أم تَسْكبـونَ دمـوعــاً مـــا لهـــا سببُ ؟
مـــا بيننـــا تِرَةٌ تغلـــو مراجلهـــا
بـل بيننـا الحبُّ مـوصـولٌ بـه النسبُ[13]
فيم التبـــاعـــدُ والأرحـــامُ تَنْظِمُنـــا ؟
فـــالشمسُ أمٌّ على هـــامـــاتنـــا وأبُ
جئنـــا إليكُمْ بنـــور العلمِ فـــاقتبســوا
فمـــا الرســـالـــة إلاَ العلمُ والأدبُ
قــــد كان مَعقِلُكمْ من دونكم أشبـــاً
فـــاليـــومَ لا مَعْقِـــلٌ من دونِكم أشِبُ[14]
تلـــك المغـــاليـــقُ يسَّرْنـــا مَعـــاسِرَهـــا
حتى تكشَّفَتِ الأسرارُ والحُجُبُ[15]
فبـــاركـــوا لرجـــالِ الأرضِ واتصلـــوا
لا البعــــدُ يَعْصِمُكمْ منـــا ولا الكَثَبُ[16]

القمر :

يـــاأرضُ لا تفخَري بـــالعلمِ إنّ لنـــا
ضربـــاً من الخُلْـقِ في طيـــاتـــه العَجَبُ

---

(١٣) التِّرة : الثأر والعداوة والحقد .

(١٤) المَعْقِل : الحصن .

ـ الموضع الأشِب : الكثير الشجر الذي لا يمكن اجتيازه ويراد بالمعقل الأشب الحصن الذي لا يستطيع العدو أخذه .

(١٥) المغاليق : ج مِغلاق وهو ما يُغلَق به الباب .

(١٦) الكثَب : القرب .

فمـــا نُروِّعُ قــومـــاً في مـــآمنهم
قــد يــأْمَنُ القــومُ إن جــاؤوا وإن ذهبــوا
مـــا في مســـارحِهمْ إن طــوّفــوا فــزعٌ
وإن أقـــامـــوا فمـــا في حِلِّهمْ عَطَبُ
هـــذي الجحـــافـلُ إن مـــاجت بـــأرضكمُ
فمـــا يُغير علينـــا جحفـــلٌ لَجِبُ[17]
أهـــواؤنـــا في حِمى الأفـلاكِ واحـــدةٌ
إن هــزّنــا البِشْرُ أو مــادت بنــا النُّــوَبُ[18]
كأننـــا أخـــوةٌ مـــا في منـــاسبنـــا
عِرْقٌ يُفرِّقُ لا عُجْمٌ ولا عربُ
لا نَفْجَـــعُ الطيرَ في وَكْنٍ إذا هـــدأتْ
أمـــا يرفُّ على أفراخهـــا الـــزَّغَبُ ؟[19]
والـــذئبُ إن رتعتْ في ظلِّـــهِ غَنَمٌ
فليس يعـــدو بـــه في إثْرهـــا الطَّلَبُ
خلي النجـــومَ وخلي الشمسَ آمنـــةً
أين المفرُّ ، إذا زاحمْتِ ، والهَربُ ؟
عـوت كـلابُـكِ والصـاروخُ يحملُهـا
فبـــات كـوكبُنـــا الـــدُّرِّيُّ يرتعبُ[20]

---

(١٧) الجحافل : ج جحفل وهو الجيش الكبير .
- جيش لجب : ذو جَلَبة وكثرة .
(١٨) البِشْر : طلاقة الوجه .
(١٩) الوَكنْ : عش الطائر .
(٢٠) الكوكب الدُّرّي : الثاقب المضيء .

أتفخرينَ بعلمٍ مْن طـــــــلائعــــــــه
هــــذي المُســوخُ التي تــــدنـــو وتقتربُ ؟
ألـــوانهـــا كســـوادِ الليـــلِ مُظْلمـــةً
تكادُ منهـــا نجـــومُ الليـــــل تنقلبُ
فـــأين منـــكِ المَهـــا نلهـو برَبْرَبهـــا ؟
وأين مـــا رَشَفـوا منهـــا ومـــا رَضَبـوا ؟[٢١]
فحسبُـــكِ الهُـــزْءُ والأفـــلاكُ نـــاحبـــةً
أتهـــــزئين وهـــــــذي الشُّهْبُ تنتحبُ؟
سلي الليــــــاليَ عن ضـــــوئي إذا ظَلَمَتْ
مـــاجتْ بهـــا وضيـــاءُ البـــدرِ محتجِبُ
تظـــلُّ فيهـــا وجـــوهُ الكـــونِ كامـــدةً
وتختفي في الـــــدجى أثـــوابُـــــه القُشُبُ
حتى إذا برقت للبـــــدر بـــــارقـــــةٌ
كادت قلـوبُ الـورى يُلْـوِي بهـــا الطرَبُ
كم كنتُ أُلْهِمُ أهــــــــــل الفنِ سِحْرَهُمُ
فيفعـــلُ السِّحْرُ مـــا لا يفعـــلُ العِنَبُ
لـــو لا ضيـــاءٌ يهـــزُّ الفنَّ رونقُـــهُ
في صيغـــة الشِّعرِ مـــا صـــاغـوا ولا كتبـوا
إذا طلعتُ سَجَتْ في العين عَبْرَتُهــــــــا
وإن تغَيبتُ ظـــلَّ الـــدمـــعُ ينسكبُ[٢٢]

---

(٢١) الرَّبْرَب : القطيع من بقر الوحش .
ـ رَضَب الريقَ : رشفه ومصّه .

(٢٢) سجا : سكن .

إنـــــا نُفَرِّجُ عن قلبٍ يخـــــامِرُهُ
جُهْـــــدُ الأسى . فيزولُ الغمُّ والكَرَبُ

الأرض :

مهـلاً أخـا الأرضِ قـد سـاءتْ وسـاوِسُكُمْ
كأننـــا الجنُّ تَخشى مسَّهـــا الشُّهُبُ[٢٣]
كنـــا كغصنينِ مـــاس العـــودُ بينهما
حتى افترقنـــا . فهـــذا العـودُ مُقتضَبُ[٢٤]
فصِـــلْ شقيقتـــكَ الغبراءَ عن كَثَبٍ
نحن المـــدارُ لهـــذا الكـونِ والقُطُبُ[٢٥]

القمر :

إنـــا لنلقي إليـــكِ اليومَ طـــاعَتنـــا
فـــلا نطـــاعنُ في الهيجـــاءِ أو نَثِبُ
مـــا في خـــلائقنـــا حبٌّ لمعركـــةٍ
ولا بنـــا في دمـــاءِ القـــومِ مُرتَغَبُ[٢٦]
إذا ملكتِ فرفقـــاً بـــالنجْـومِ فـــلا
يجـورُ أهلُـــكِ إن عـــزّوا وإن غَلَبـــوا

---

(٢٣) أخو الأرض : كناية عن القمر .
(٢٤) ماس : تبختر .
ـ مقتَضب : مقطوع .
(٢٥) الغَبْراء : الأرض لغُبْرة لونها .
(٢٦) مُرْتَغَب : مصدر ميمي من (ارتغب) بمعنى(رغب) .

فهـــل نعيشُ على الأفـــلاكِ في سَعَـــــةٍ ؟
تلهــو وتضحـــك في أظـلالِهـــا الحقَبُ(٢٧)
كأنَّ أربُعَنـــــا الفردوْسُ خــــالـــــدةً
بـــه النفـوسُ . فــلا هُلْـــكُ ولا شَجَبُ(٢٨)
هـــل تتركينَ على الغبراء قســــوتَهـــــا
حتى يرفَّ علينــــا العطْفُ والحَـــــدَبُ
مـــا تفعلينَ بِعلْمٍ ؟ من عـــواقبِــــه
دمٌ يســـيلُ ورَبْـــعٌ بعــــدَهُ خَـــرِبُ
إن لم تَفِضْ من وراء العِلمِ غبطَتُنــــــــا
لا كانَ علْم ولا طــــالتْ بـــه الخُطَبُ

١ حزيران ١٩٥٩

---

(٢٧) الحِقَب : السّنون مفردها حِقْبة .
(٢٨) الشّجب : الحزن .

(٧١)

بين الأَرض والمرّيـــــــــخ

الأَرض : **نشرت في المجلة العربية السعودية**

أيعيشُ قـومُــكَ عيشــةَ الأَبرارِ بين الجنــانِ ودافـقِ الأَنهــارِ ؟

اِفْسحْ ، لقـومي في ديـارِكَ ، إِنَّهمْ سئِمـوا الحيـاةَ على جـواء ديـاري[1]

سَئِمـوا حروبـاً قـد تنـاثَرَ أَهلُهـا فـوقَ الترابِ تَنــاثُرَ الأَمطــارِ

شَحَـــذوا المَــــدارِكَ في اختراعِ ســـلاحِهمْ

وتنـــــافَســـوا في جلْبِ كلِّ دَمـــــارِ

فقـويُّهمْ في نَعْمــةٍ ورفــاهَــةٍ وضعيفُهمْ في شَقْــوةٍ وبَــوارِ[2]

جعلـوا العلـومَ وسيلـةً لحريقِهم أفــلا ترى إحراقَهمْ بــالنــارِ ؟

السِّلْمُ لـــلأَبرارِ أكبرُ نعمــــةٍ والحربُ قــاضيــةٌ على الفُجّــارِ

فترى شعـوبـاً قــد تشتَّت أهلُهـا بينَ السهـولِ ومــائـجِ الأَبحــارِ

لا الأمُّ تَحْضُنُ طِفْلَهـا في رَوْعــهِ والجـارُ لم يــأْنسْ بقُرْب الجـارِ[3]

مـلأَتْ وجـوهُ العـارِ آفـاقَ الثَّرى والعينُ تـؤذيهـا وجـوهُ العــارِ

فكأنّما الـدنيـا بـأوّلِ عهـدهـا وكأننــا في الكهْف أو في الغــارِ

بئسَ العلـومُ إذا غـدتْ غـايـاتُهـا مـوتَ الشعـوب وشَقْـوَةَ الأفكارِ

---

(١) الجِواء : ج جَوّ وهو مابين الأرض والسماء . وجوّ كل شيء : باطنه وداخله .

(٢) نَعْمة العيش : رَغَده وغضارته .

ـ الشَّقْوة : بفتح الشين وكسرها ضد السعادة

ـ البَوار : الهلاك .

(٣) الرَّوْع : الفزع

المريخ :

يـاأرضُ مـالـكِ في سمائي مطمعٌ ... إني أَضِنُّ بـأَبْحُري وقفـاري
النـاسُ عنـدي ، والسلامُ شِعـارُهُمْ ... لا يُفْسِـدونَ سـلامَ كلِّ شِعـارِ
لا فرقَ بين قـويِّهمْ وضعيفِهِمْ ... فتراهُمُ في عيشـةِ الأبرارِ
لا يعتـدي جـارٌ على جـارٍ ولا ... يشكـو ضعيفٌ من أذى جبـارِ
الخيرُ عنـدي بَرْزَةٌ آثـارُهُ ... والشرُّ عنـدي طـامسُ الآثـارِ[4]
نُمسي ونُصبـحُ والبشـاشـةُ آيـةٌ ... في كلِّ ليـلٍ مُقْبـلٍ ونهـارِ
مـافي معـاجمنـا صِفـاتُ عـداوةٍ ... إن العـداوةَ آيـةُ الأشرارِ
يـاأرضُ إن شئتِ الإقـامـةَ بيننـا ... هـذا إطـاري فـانعَمي بـإطـاري

الأرض :

هيهـات أَنْعَمُ والتفـاوتُ بينَنـا ... في مَطْمَحِ الأفكارِ والأَنظـارِ
إني خُلِقْتُ لغير مـا خُلِقتْ لـه ... تلـك الكـواكبُ مَنْبتُ الأَسرار
إن كانَ للمريـخِ قـولٌ صـادقٌ ... فكأنمـا المريـخُ دارُ قَرارِ[5]
كيفَ الحيـاةُ على هـدوءِ سمائـه ؟ ... أتشبَّـهُ الظُلُماتُ بـالأنـوار ؟
اليـأسُ غَلْغَـلَ في نُفوسِ رجـالِنـا ... يـأسٌ يَشُـقُّ مقـالـع الأحجـار
خَلّوا الكـواكبَ واترُكـوا أستـارَهـا ... أَيَسُرُّهـا كشْفٌ عن الأستـار
ما في النجومِ إلى السلاسل حـاجـةٌ ... العيشُ فيهـا عيشـةُ الأحرار
فلينعَمِ المِريـخُ في إقبـالـه ... وليَشْـقَ أهـلُ الأَرض في الإدبـار
إني أرى الأهـوال تَقْصِفُ عُمْرَهُمْ ... أترى النجـوم مـديـدة الأعمـار ؟

☆ ☆ ☆

---

(٤) البَرْزَة : البارزة المحاسن .

(٥) القَرار : الهدوء والاستقرار والبقاء ﴿ وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ (٤٠ ـ ٣٩)

هـــذا حِــوارٌ دا رَ عفــواً بيننـــا شَتّـــــانَ بين حِــوارِهِ وحِـــواري

١٩٧٩ المجلة العربية

كتب رحمه الله في ذيل هذه القصيدة :

« سواء أثبتت مظـاهر الحيـاة على المريخ أم لم تثبت إن خيـال الشعر شيء ، وحقيقـة العلم شيء آخر »

أباطيل التاريخ

المجلة العربية

نبْكي على الصِّــــدقِ أمْ نَبْكي من الكـــذب ؟
فكمْ نَمُرُّ بــــآيــــاتٍ من العَجَبِ
لا يسْتَقرُّ يقينٌ في مَــــواضعـــه
وليس تثبُتُ يــومـــاً أوجــــهُ الرِّيبِ
فكمْ نُعظِّمُ أبطــــالاً نقــــدِّسهم
وكمْ نُــــدَحْرِجُهُمْ في أسفــــل الرُّتبِ
كأنمـــا سِيَرُ التـــاريـــخ تلهيــــةٌ ،
بــــاتت تقلَّبُ بين الجِــــدِّ واللعبِ[1]
نرضى فنرفـــعُ من ضلَّت مـــذاهبُــــهُ
ونخْفِضُ المستقيمَ البَرَّ في الغضبِ[2]
فليس للسُّخـــــط أسبــــابٌ نُبرِّرهُ
ولا نرى للرِّضى إن لاح من سببِ
وإنَما هي أهْــــواءٌ تُغـــالبُنـــا
ومـــا بنـــا قـــدرةٌ فيهـــا على الغَلَبِ
ألا ترى الخَلْــقَ بعـــد العلمِ مـــا بلغــوا
حتى تَنــاهَــوْا إلى الأفـــلاك والشُّهُبِ
كأنَّ أرضَهُمْ ضـــــاقت بمـــا رحُبتْ
فَمَــزَّقــوا مــا يُــواري الجــوَّ من حُجُبِ

---

(١) تلهية : مصدر الفعل الرباعي « لَهَى » .

(٢) البَرّ : الصادق .

وذلّلوا الفلَكَ الدوّارَ فاضطربتْ
أجوازُهُ في حِماها كلَّ مُضطرَبِ[3]

لكنهمْ في مجالِ الخُلقِ ما برحوا
بين الهبوط من الأخلاقِ والصَّببِ[4]

فما يزحزحُهمْ عن أصل نشأتهمْ
عِلْمٌ تكامَلَ بعْدَ الجهْدِ والتَّعبِ

يرضَوْن عن باطلٍ حتى يكونَ لهم
حقاً تلفَّفَ في أثْوابِهِ القُشُبِ

ويغضَبون على حقٍّ يُضايقهمْ
فيُحْرَقُ الحقُّ في نارٍ من الحَطَبِ

ألا ترى كُتُبَ التاريخ قد مُلئتْ
مدحاً لِمَنْ ملأ الدُّنْيا من اللَهبِ

فما يُبالون بالتَهديم إنْ هدموا
وما يبالون بالأرواحِ في العَطَبِ

كأنَ لذَّتهمْ في طيِّ أنفسهم
أن يُسْفكَ الدَمُ كلَّ الدهْرِ والحِقَبِ

فإنْ جرى الدَمُ مِلْءَ الأرْضِ مُنْدفِقاً
طاروا من البِشْرِ أو غنَّوْا من الطَّرَبِ

فكمْ مُسيءٍ إلى أبناءِ عِتْرتِهِ
مَساءةً قلبتهمْ شرَّ مُنْقَلبِ[5]

---

(٣) الأجوار : ج جوْز وهو وسط الشيء .
(٤) الصَّبب : ما انحدر من الأرض .
(٥) العتْرة : العشيرة

لَمْ يحفِلــوا بـــــأبـــــاطيـــلٍ يُنَمِّقُهـــــا
حتى رأوْا سَكَراتِ المـــــــــــوتِ من كَثَبِ

فخلَّـــــــدوهُ على الأحقـــــابِ تشملُـــــــه
عنـــايـــةُ الـــدَهْرِ والأحقـــابِ في الكُتُبِ

نرى رجـــــالاً بنـــــــاءُ المَجْـــــدِ هَمُّهمُ
لم يرفعـــــــــــوا لهمُ ذكرى على نُصُبِ

وإنَّما نحتـــوا الأنصـــــابَ مـــــاثِلـــــةً
لِمنْ تَبـــاهَـــوْا بِهـــدْمِ المَجْـــدِ والحَسَبِ

فكمْ نجيبٍ طـــوى النسيـــــانُ سيرتَـــــهُ
كأنـــــهُ لم يَكُنْ يـــومـــــاً من النُّجُبِ

فلمْ يُـــذيعـــوا لـــه ذِكْراً بقـــافِيَـــةٍ
ولم يُشيـــدوا بـــــهِ في رائـــعِ الخُطَبِ[٦]

كأنــــهُ مــــا بنى مجْـــداً لأمَتِـــــه
قـــد غـــابَ منهـــا وهـــذا المجـــدُ لم يَغِبِ

☆ ☆ ☆

وَيْـــحَ الحقيقـــةِ كم غـــابتْ أشعَتُهـــــا
كما يغيبُ شعْـــــــــاع الشمسِ في السُحبِ

فمـــا يلـــوحُ لهـــا نـــورٌ بـــداجيـــةٍ
ولا يَبينُ لهـــــا صـــوتٌ من اللَّجَبِ[٧]

---

(٦) أشاد بذكره رفعه بالثناء عليه
(٧) اللَجب كثرة الأصوات

طـــالتْ من البـــاطــل الجــوّابِ جــوْلتُـــهُ
والحـــــقُّ في ذلّـــــةِ الأغْـــــلالِ لم يَجُبِ[8]

١٩٧٧
المجلة العربية السعودية

(٨) جاب البلادَ يجوبها : قطعها ، والجوّاب : مبالغة الجائب وهو الكثير الأسفار .

النـــــاس معـــــادن

المجلة العربية

أَرى أُنـــــاســـــاً على أَفيـــــائِهمْ نِعمٌ
كأَنّهمْ من جنـــــونِ الـــــدهرِ في حُلُمِ
أَعطـــــاهُم اللهُ من فضـــــلٍ فجرَّبهمْ
لـــو لا التَّجـــارِبُ مـــاج المرءُ في الظُّلَمِ[1]
فمـــا استحقّـــوا نعيمـــاً من مكارمـــه
مـــا كان أَبطرَهُمْ في نشـــوة النِّعَمِ !
أَخْلِـقْ بهمْ أَن يعيشـوا الـــدهرَ في عَـــدَمٍ !
فـــاللـؤمُ أَجـدرُ بـــالحرمـــانِ والعَـــدَمِ[2]
فكم غنيٍّ فقيرِ النفسِ في نعمٍ
وكم فقيرٍ غنيٍّ النفسِ في نِقمِ
فليس يرفـــعُ مـــالٌ مَنْ بـــه ضَعَـــةٌ
وليس يَخْفِضُ فَقْرٌ صـــــاحبَ الشَّمَمِ[3]
وإنمـــا النـــاسُ مـــا طـــابتَ معـــادنُهم
معـــادنُ النـــاس سرُّ اللـــؤمِ والكرمِ

كانون الثاني ١٩٦٧

---

(١) الظُّلَم : ج ظُلْمة وهي ذهاب النور .
(٢) أَخْلِقْ بهم : أَجْدِرْ بهم أي : ما أَجْدَرَهم .
(٣) الضَعة : الذل .
- الشمم : ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاه ، وهو كناية عن الأنفة والإباء .

غـــزو الكـــواكـــب

مجلة الهلال وأغلب الصحف العربية وفي أمريكا مع مقدمة لعلي الطاهر

مـــا للغُـــزاةِ على الأفـــلاكِ تـــزدحمُ ؟
أجرَّهُمْ أمـــــــــلٌ أم غرَّهمْ حُلُمُ ؟
أضـــاقتِ الأرضُ من آثـــامِ آثِمِهمْ ؟
ألم يَرَوْا كم جَنَـــوا فيهـــا وكم أثِمـــوا ؟

☆ ☆ ☆

يـــا راكبَ الريـــحِ تطـــويـــه وتنشرهُ
كأنـــه كُرَةٌ تلهـــو بهـــا قـــدمُ
مـــا أنتَ والقبّـــةَ الـــزرقـــاءَ تَقْحَمُهـــا
أمـــا على جَنَبـــات الأرض مُقْتَحَمُ ؟[1]
أتعبتَ فكْرَك مـــا في جـــوِهـــا نَسَمٌ
تعـــدو عليهمْ إذا طـــابتْ لـــكَ النَّسَمُ[2]
لا العشبُ ينضُرُ في آفـــاقِ تُربتِهـــا
ولا البحـــارُ عليهـــا المـــوجُ يلتطمُ
مـــا تسمـــعُ الأذْنُ حِسّـــاً في مَـــارحهـــا
ولا ترى العينُ مـــا يجري بـــه القلمُ
لا الجنُّ في جـــوفِهـــا يعلـــو عـــزيفهُمُ
إذا سجـــا الليـــلُ أو مـــاجتْ بـــه الظُّلَمُ[3]

---

(١) قَحَمَ المفاوز : طواها .

(٢) النَّسَم الأولى : الإنسان ، والثانية : نَفَس الريح إذا كان ضعيفاً ومثلها النسيم

(٣) عزيف الجن : صوت الجن .
ـ سجا الليل : دام وسكن .

ولا على الإنس خـوفٌ من مصـارعِهمْ
اذا تلهَّبتِ الهيجـاءُ واصطـدمـوا
فمـا يجـولُ بهـا وحشٌ يُرَوِّعُهـا
ولا يعيش بهـا ذئبٌ ولا غنمُ
فـلا الأسـودُ تـدوّي في مَفـاوزهـا
ولا العنـادلُ يُبـدي شَجْـوَهـا النغمُ

☆ ☆ ☆

كنـا نعيشُ على وَهْمٍ يُخـامرنـا
والنـاسُ في غبطـةِ الأيـامِ مـا وَهِمـوا
لـو قُلْت للقُبْـح أَنتَ الحُسْن أجمعُـهُ
لراحَ من قـولـكَ الخـلابِ يبتسمُ
دنيـا الحقـائـقِ مـا تنفـكُّ مـؤلمـةً
فكم تمـادى على أفيـائهـا الألمُ
لا تحسبنَّ كمالَ الحُسْن في قمرٍ
غَنّى بـه الشِّعرُ وازدانتْ بـه الكَلِمُ
فمـا على وَهْـدِهِ غيرُ الترابِ ولا
على الأهـاضيبِ غيرُ الصخرِ يَنْحَطِمُ(٤)
خـابتْ ظنـونُـك أين الحُسْنُ تطلُبـهُ ؟
فليس يُفْصِـحُ عن بـدر التَّمامِ فمُ

☆ ☆ ☆

---

(٤) الوهدُ : الأرض المنخفضة
ـ الهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض ، جمعها هَضَبات وجمع الجمع أهاضيب .

مـا أعظم الكـونَ ! من يـدري مجـاهِلَـهُ ؟
ضـاعتْ على وجهـه الأحقـابُ والأُمَمُ
هبْ أدركتْ همـةٌ من سِرهِ طَرَفـاً
أليس تفنى على أطرافِـبـهِ الهِمَمُ
أمنتهى الكـونِ شمسٌ نستضيءُ بهـا
أمـا شمـوسٌ وراءَ الشمسِ تضطرمُ ؟
فهـل لعـالَمِنـا حـدٌّ نُحيـطُ بـه
أمـا ترامتْ بـه الأَحـداثُ والقِـدَمُ ؟
غصنُ الشبـابِ فلم تـذبُـلْ نضـارتُـهُ
ولا أَلَمَّ بـه شَيْبٌ ولا هَرَمُ
غـابتْ عن العينِ أفـلاكٌ مبعثرةٌ
تظنُّهـا العينُ فـوضى ليس تَنتظِمُ
لكنَّهـا إن نـأتْ عنـا وإن شمَخَتْ
فمـا تَضِـلُّ على أجـوازِهـا النُّجُمُ(١)

☆ ☆ ☆

بئسَ العلـومُ اذا الإهـلاكُ مطمحُهـا
فليت مَنْ علمـوا في الخَلْـق مـا عَلِمـوا
متى نرى الخَلْـقَ في سلطـانِ دولتهـا
تمضي الليـالي وقـد لـذّوا وقـد نَعِمـوا ؟

---

(١) الأجواز : ج جَوْز وهو وسط الشيء ومعظمه .
ـ النُّجُم ج نجم وهو الكوكب .

اغـــــايـــــــةُ العِلمِ أن نفنى بمخترَعٍ
من الصــواريــخِ في نيرانِهـــاالعــــدَمُ ؟
فكم أزاحــوا رجـــالاً عن ديــــارِهِمُ
فهـل حــوتْهُمْ على جُنْـحِ الــدّجى الخِيَمُ ؟
وكم أبــــادوا شعـــوبــــاً في مرابعِهمْ
فَسَـــلْ جَهنّمَهُمْ في العلم هـــل رحِمــوا ؟
بَرْدٌ وجــــــــوعٌ فكلُّ العُمرِ في سَقَمٍ
فمــا الحيــاةُ اذا أودى بهـــا السَّقَمُ ؟

☆ ☆ ☆

أيُنْفَـقُ المـــالُ في الأفــلاكِ عن سَعَــةٍ ؟
والنـــاسُ في البـــؤس لا نُعمى ولا نِعَمُ
ضـــاقتْ قــلاعُهُمُ في الأرض فـــالتمســوا
لهمْ قـــلاعـــاً عن الأنظـــار تُكْتَتَمُ
كي يصبحــوا بـــأمــانٍ في فضـــائِهِمُ
فـلا يبــالـونَ مـا هــدّوا ومـا هَــدَموا
أيــــزعُمـــونَ سبيــــلَ العلم وُجْهَتَهُمْ ؟
أمـــا لهمْ وُجهــــةٌ غيرُ التي زعمـــوا ؟
غَــزْوُ الكـــواكبِ كشفُ العلم ظـــاهِرُهُ
والله يعلمُ مـــا أخفَـــوْا ومـــا كتمـــوا !

نيسان ١٩٧١

الهلال المصرية
وأغلب الصحف العربية في (أمريكا)
مع مقدمة للمؤرخ الأستاذ علي الطاهر

هكـــــذا الـــــدنيـــا

نشرت في الهلال والمجلة العربية

حيَّرَتْنــــــا السماءُ والأرضُ فـــالنـــــا
سُ من الأَرضِ والسماءِ حَيـــــــــــارى

كلّما لاحَ منهما وجـــــــــــــــــهُ سِّرٍ
زادَنـــــــا الخَـــــوْضُ فيهما أسرارا

فكأنّ الرجـــــــــــــالَ من حَيْرَةِ الفكـ
ـرِ سُكارى ومـــــــــا هُم بسُكارى[1]

ظُلُماتٌ لفَّتْ نِجـــــــــــاداً فغطَّتْـ
ـهـــــا وغطّى ســـوادُهـــــا الأَغـــوارا[2]

☆ ☆ ☆

ليت لي كَهْفــــاً أو مَغـــــاراً فـــــإني
أجِـــــــدُ الكهفَ جنَّتي والمَغـــــــارا[3]

لا ترى العينُ مـــــــا يشـــــقُّ على العيـ
ـن ولا مـــــا يبلبـــــلُ الأَبصـــــارا

لم تَـــــزِدنـــــا العلـــومُ إلاَّ ضـــــلالاً
في سبيـــــل الهـــــدى وإلاَّ خســـــارا

هكـــــذا العلمُ للــــــدَّمـــــارِ سبيـــــلٌ
كَبُرَ العلم أَن يَجُرَّ الـــــدَّمـــــارا[4]

☆ ☆ ☆

---

(١) السّكارى : بضم السين وفتحها ج سكران .

(٢) النجاد : ج نجد وهو ما ارتفع من الأرض .

(٣) المغار و المَغارة : كالكهف في الجبل .

(٤) كَبُر : عَظُمَ : وكَبِر بالكسر : أَسَنَّ .

نـــــدرُجُ الليـــــلَ والنهـــــارَ ، لعَمْري
ملَّتِ العينُ ليلَهـــــــا والنَّهـــــــــارا[٥]

يَفْرَحُ الخَلْـــقُ بـــــالليـــالي إذا طـــــا
لتْ وقـــــد تُشْبـــــهُ الطـــوالُ القِصـــــارا

ليتني كنتُ والسماءُ مِهـــــــــــــــادي
فَلَكاً في عَنـــــــــــانهـــــــــــا دَوّارا[٦]

فـــــأعيشَ العمرَ الطـــويـــلَ ومـــــا لي
فيـــــــه حِسٌ يُنغِّصُ الأعمـــــــارا

مـــــا حيـــــاةُ الفتى إذا قيس بـــــالنجـ
ـمِ وهـــل تُشبـــــه السَّــواقي البحـــــارا

أتعيشُ الأفـــــلاكُ دهراً طـــــويــــلاً
ويمـــــوتُ الفتى نَضيراً صُغـــــارا ؟[٧]

يَعْجَـــزُ الفِكرُ عن حســـاب مـــداهـــا
أفلم يُتْعِبِ المـــــــــدى الأفكارا ؟

☆ ☆ ☆

تَسمَـــــعُ الأُذْنُ فتنـــــةً كلَّ يـــــومٍ
وترى العينُ ضجَّـــــــةً ومُثـــــــارا ؟

---

(٥) درج : مشى .

(٦) المِهاد : الفراش .

ـ الفَلَك : مدار النجوم ، وجمعه أفلاك .

ـ العَنان : السحاب ، والواحدة عَنانة ، وعَنان السماء : مابدا لك منها .

(٧) الصُّغار : الصغير .

فكأنَّ الحيـــــــاةَ أضحتْ أعـــــــاجيـ
ـبَ تُسلّي صغـــــارَهـــــا والكبـــــارا
ضجرٌ يغْمُرُ النفــــوسَ ويــــــأسٌ
يتلظّى فيُلْهبُ الإضجــــــــــــــــارا[٨]

☆ ☆ ☆

بــــــدعـــــةٌ في الأطــوار كلَّ صبــاحٍ
تتجلّى فتَنْسَــــــخُ الأَطـــــــوارا[٩]
بِـــدْعَـــةٌ في اللبـــاس والـــزِّيِّ والعيـ
ـشِ تمـــادتْ ، هـــل تسمـعُ الأخبـــارا ؟[١٠]
يتغَنَّــوْنَ بـــالســـلامِ خِـــداعـــاً
أفلم يجعلـــــوا الحروبَ شِعـــــــارا ؟
أفلم يملـــؤوا الــــديـــارَ صـــواريـ
ـخَ ليُفْنــوا رجـــالَهـــا والـــدِّيـــارا ؟
أمْ همُهـــــــا التبسُّـــــــــط في الأقـ
ـطـــارِ حتى تُـــزَلـــزِلَ الأَقطــــــارا[١١]
هكـــــذا الـــــدنيـــا تطعَنُ الشعبَ إن لم
يــــكُ في الـــدنيـــا مـــارداً جبـــارا

☆ ☆ ☆

---

(٨) الإضْجار : مصدر أضجر ، وأضجره :حمله على الضجر .
(٩) البدعة : ما أُحدث على غير مثال سابق .
ـ الطَوْر : الهيئة والحال .
ـ نسخ : أزال وغيّر .
(١٠)الزِّيّ : هيئة الملابس وجمعه أزياء .
(١١) تبسّط : انتشر وامتد .

فكأنَّ الحيـــــــاةَ طِمرٌ عتيـــــقُ
أترانـــــا نُجَـــــــدِّد الأطْمارا ؟[١٢]

سئمَ النـــــاسُ كلَّ وجـــــهٍ فثـــــاروا
وغـــــدا النـــــاسُ كلُّهم ثُـــــوّارا

مـــــا خلتْ بقعـــــةٌ من الأرض منهم
مـــــلأ الـــــدنيـــــا صـــــوتُهمْ آثـــــارا

هكـــــذا الخَلْـــــقُ ثـــــورةٌ وانقـــــلابٌ
فـــــإذا شئتَ فـــــاقْلِب الأسفـــــارا

غـــــير أن النيـــــاتِ مختلفـــــاتٌ
لا ترى النـــــاسَ كلَّهمْ أبرارا

أســـــواءٌ من يَقْلَـــــعُ الشـــــوكَ في الأر
ضِ ومن راحَ يجمـــــعُ الأزهـــــارا

أيلول ١٩٧٢

---

(١٢) الطِّمْر : الثوب الخَلَق ، وجمعه أطمار .

الشهيــــــــــــــــــد

نشرت في المجلة العربية

أتُرانــــا إذا بكَيْنــــا الشَّهيــــدا ونَظَمْنا الدموعَ عِقْداً فريـدا ؟[١]
أتُرانــــا نُمجِّــــدُ البطــلَ الفَرْ دَ أيرضى استبسالُـه تَمجيـدا ؟
نفرُشُ الخَـــــزَّ والحريرَ ولايفـ ـرُشُ إلا حجـارةً وحـديـدا[٢]
ونرى العيـدَ راحــةً في قُصـورٍ ويرى في نـارِ الخنـادقِ عيـدا
نسيَ الأهـلَ والصّحـابَ ولم ينـ ـسَ من الأهلِ والصّحابِ العُهودا
أينـامُ الشهيـدُ مـلءَ جفـونٍ عن عـدوٍّ يرتِّـلُ التّهـديـدا ؟
شربَ الموتَ في الوغى وشربنـا الـ ـخمرَ صِرفاً ونحن نبغي مَزيـدا[٣]
ونُقضِّي الـوجـودَ لهـواً ومـا يَعْـ ـرِفُ في ظُلْمـة القتـالِ وجـودا
ومُنــــاهُ في لهـــوِهِ إنْ تلهى ضربـةٌ في العـدوّ حتى يَبيـدا[٤]
ليعيشَ الســاداتُ في الـوطنِ الحرِّ كرامـاً قـد زَلْـزلـوا التعبيـدا[٥]
يملأ العينَ في الحُصـونِ بروقـاً تَخْطَفُ العينَ ، والسماعَ رُعـودا
ومـلأنـا الآذانَ من نَغَمِ العـو دِ وكِـدْنـا لسحرهـا أنْ نميـدا[٦]
أســواءٌ مَنْ راحَ يَقحَمُ في المـو تِ ، ومن بـات قلبُـه رِعـديـدا[٧]

---

(١) العِقد : القلادة .

(٢) الخزّ : ثياب تنسج من صوف وحرير ، أو حرير فقط .

(٣) الصِّرْف : الخالص من كل شيء ، وشرب الشرابَ صِرْفاً أي : غير ممزوج .

(٤) باد يبيد : هلك .

(٥) عبّده تعبيداً : ذلّله أو اتخذه عبداً .

(٦) ماد يميد : تمايل .

(٧) قحَم في الأمر يَقْحَم : رمى بنفسه فيه من غير رويّة .
- الرعديد : الجبان الكثير الارتعاد .

فقليـلٌ لـــذكرِه أنْ يَرانـــا رُكَّعـــاً يــومَ ذكرِهِ وسُجــودا

أتَلـــذُّ العيـونُ في هَـــدْأَةِ الليـ ـل هُجوداً ؟ وما استلَّذ هُجودا[٨]

تحتَ نـــارٍ من السّماءِ ونـــارٍ فوقَ أرضٍ يغـدو عليها وَقـودا

يتخطّى الردى فـلا يَرْهَبُ المــو تَ ويمشي إليــه مَشْيـاً وَئيـدا

هل يَفي الشعرُ بـالأضـاحي ولو ألـ ـقى عليهـا قـلائـداً وعُقـودا ؟[٩]

أَجـزَاءُ الـــدمِ الطَّهـورِ قـوافٍ تتغنّى بمن يمـوتُ شهيـــدا ؟

مـا أرى قـولَنـا المجيــدَ يُـوَفّيَ حـقَّ منَ مـات في الجهاد مَجيدا

نحن نرضى بالقولِ في ساعة الفخـ ـر ويـأبى إلاّ الفَعـالَ الحميـدا[١٠]

من دمـاءِ الشهيـد قـد رُوِّيَ التُّرْ بُ فـــأحيتْ أغـوارَه والنُّجـودا

فرفيفُ الرِّيـــاضِ أبهــجُ زهراً والتفـافُ الغُصونِ أنضرُ عـودا[١١]

☆ ☆ ☆

يـاشهيدَ الدِّيـارِ جُـدْتَ عليهـا بـالـذي علَّمَ الـديـارَ الجـودا

إن طَمَحْنـا إلى الخلـودِ فـلا نحـ ـسَبُ إلاّ لـــذكركَ التّخليـــدا

ربَّ ليـلٍ في عيشـــةِ الحرِّ أحلى من ليـالٍ نعيش فيهـا عبيـدا

أيلول ١٩٧٧

---

(٨) لذذت الشيء : ألَذُّه ! إذا استلذذته أي : وجدته لذيذاً .

(٩) القلائد : ج قلادة وهي ما جُعل في العنق من الحلي .

(١٠) الفعَال : الفعل الحَسن .

(١١) الرفيف : الخصْب والبريق والتلألؤ .

منـــــاجـــــاة الشمس

نشرت في المجلة العربية

هـــــذا لهيبُـــــكِ ! لـــولا الشمسُ تلتَهبُ
مــــا كان للخَلْــقِ فـــوق الأرضِ مضطَرَبُ
إذا طلعتِ فكلٌّ الكـــــونِ مبتهـــــجٌ
وإنْ غربتِ فكلٌّ الكـــــــــون مكتربٌ[١]
لــولاكِ لم تــزدهرْ يــومــاً حــدائقُنــا
ولا استطــــالَ على أطرافهــــا العُشُبُ
فـــالـزهرُ من وجهــكِ الـوقّــادِ رونقُــهُ
والـــوردُ منـــكِ نضيرُ اللـــونِ ملتهبُ
والعنــــــــــدليبُ إذا غنّى على غُصُنٍ
فمن شعــاعِــكِ هـــذا الصـوتُ والطربُ
إذا الربيــعُ أتـــانـــا في بشـــاشتـــه
خِلنـــا الجـوانــحَ من لألائِـــه تَثِبُ[٢]
فـــالفجرُ بعــــدَ طلــوعَ الشمس منشرحٌ
والليـــلُ بعـــــد غروبِ الشمسِ مكتئبُ[٣]
فكم تمـــادى رجـــالٌ في عبـــادتَهـــا
لّمــــا رأوْا ضــوءَهـــا في الأرض ينسكبُ
لكنَّهـــا الشمسُ إن ضلّـــوا ضــلالَتَهم
فلمْ يُبَشّرْ بهــــــــا دينٌ ولا كُتُبُ

---

(١) اكترب : اشتدّ حزنه .

(٢) الجوانح : ج جانحة ، الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر .

(٣) انشرح : مطاوع شرح ، وشرح اللهُ صدرَه للشيء : وسّعه لقبوله .

إذا استبـــــانَ غلـــوٌّ في عقيـــــدتهم
فـــالأرضُ تملـؤهـــا الأصنـــامُ والنّصُبُ

☆ ☆ ☆

قـــلْ للّـــــذي يتمنّى حَجْبَ طلعتِهـــــا
هيهـــاتَ تحجُبُهـــا عن مقلـــــةٍ حُجُبُ
والفضـــلُ كالشمس لا يُخفي محـــاسنَـــــه
سعيُ الـــذين على إخفـــائهـــا وَظَبـــوا[٤]
تمتـــدُّ مـــا امتـــدَّ ضـوءُ الشمسِ ضجّتُـــه
ومـــا تطـــاولتِ الأزمـــانُ والحِقَبُ
إرادةُ الله في إسبـــــــاغِ نعمتِـــــــهِ
على الـــذين إلى عليـــائهمْ رَغِبـــوا
إنْ كان للبـــاطـــل الجـــوَّالِ عُصبتُـــــه
فَســل بمـــا حَصَـــدوا منـــه ومـــا كَسَبـوا
أرى الأبـــاطيـــلَ في الآفـــاق ذاهبـــةً
مثـــلَ الـدخـــانِ الـــذي في الأُفْـــقِ يضطربُ
فـــلا تبـــالِ أضـــاليـــلاً تنمّقهـــا
يـــدٌ يُظنُّ على تنميقهـــا الـــذهبُ
إذا رأيتَ غيـــومَ الجـــوّ مظلمـــةً
وقـــد عَجِبْتَ ، فـــلا يـــذهبْ بـــك العَجَبُ
فكم تغطي شعـــاعَ الشمسِ ظلمتُهـــا
حتّى تظنَّ همـــــودَ الشمس يقتربَ

---

(٤)وظَب على الأمر : لازمه وداومه .

لكنَّ ثـــورتَهـــا في الجـــوّ عـــابرة
يـــأتي عليهـــا ابتســـامُ الفجر واللَّهَبُ

☆ ☆ ☆

إني لأعجَبُ من قـــــوم مـــــزيَّتهُمْ
طَمْسُ الحقيقـــة حتى يعلـــوَ الكَـــذِبُ
بنى الأوائـــلُ مجـــداً لا نقـــدِّســـه
ونحن نجهـــلُ كم عـــانَـوْا وكم نَصِبُـوا[5]
إن كنت تـولَـعُ بـالتهـديم فـابن لنـا
مثـلَ البنـاء الـــذي في حُسنـــه نَصَبـوا
الجعجعـــاتُ بـــلا طِحْنٍ تشتّتهـــا
في كل وادٍ ريـــاحٌ عصْفُهـــا لجِبُ[6]

☆ ☆ ☆

فعـــدْ بنـــا لحـــديثِ الشمس إنّ لـــه
وقعـــاً تهشّ لـــه الأفـــلاكُ والشُّهُبُ
فمـــا الظـــلامُ ولا الإظـــلامُ رغبتُنـــا
وإنمـــا لنـــا في الأنـــوار مرتَغَبُ[7]
فـــدعْ ضـلالَ الـــذي ضلّتْ مـــداركُـــهُ
واتبَـعْ هـــدايـــة مَنْ أَنـوارَهُمْ طَلَبـوا

---

(٥) نَصِبَ : تعب وأعيا .

(٦) الطِّحْن والطحين : الدقيق ، والمثل « أسمع جعجعة ولا أرى طِحْناً » أي : أسمع جَلَبة ولا أرى عملاً .
ـ اللَّجِب : ذو الجَلَبة الكبيرة .

(٧) لنا : تقرأ النون بفتحة فقط دون مدّها بالألف لإقامة الوزن .

إنّــــا لفي زمنٍ مـــــاتتَ غيـــاهِبُــــهُ
نِعْمَ الـــــذين على درب الهــــدى دأبـــوا
فهـــــل تعيشُ ضـــــلاَلاتٌ تفيض بهـــــا
بــلاغـــــةُ الــــدَّجْــل والأقــلامُ والخُطَبُ[8]
فـــالحـقُّ مثــلُ ضيــــاءِ الشمسِ وهجتُــــهُ
كأنّـــــــه بضيــــــــاءِ الشمسِ مختضِبُ

٧ أيار ١٩٧٨

(٨) الدَّجْل : الكذب .

(٧٨)

سلطـــــــــــان الشعرِ

نشرت في المجلة العربية

رُدّي عليَّ بيـــــانـــــاً سِحْرُهُ جَمَحـــــا
ضَنَّ الـزمـانُ بـه من بعـدِ مـا سَمَحـا

لم يبـقَ من لـــذّةٍ يلهـو الفـؤادُ بهـا
إلاّ البيـــانُ وطيبٌ منـــه قـــد نفحـــا

قـــد عِشتُ منـــه زمـــانـــاً لستُ أذكرُهُ
إلا ذكرتُ بـــه الـــلألاءَ والمرَحـــا

ستّـون عـامـاً ومـا جرَّت شـدائـدُهـا
نفضتُ منهـــا اعتـــلاجَ الهمّ والترحـــا[1]

جرّبتُ كلَّ نعيمٍ في مَـــــدارجِهـــا
أكان مُغْتَبقَـــاً أم كان مُصطبَحـــا[2]

فمـــا صفـــوتُ بغيرِ الشِّعْرِ في كَـــدَرٍ
أَنفي بـه مـا برى منّي ومـا فَـدَحـا[3]

عَـــزاءُ كلِّ مُصـــابٍ في مُصيبتِـــه
وراحـــةُ القلبِ إن أعيـــا وإن رزحـــا[4]

---

(١) اعتلجت الهموم في صدره : تلاطمت .

(٢) المدارج : ج مَدْرَج وهو الطريق .

ـ اغتبق : شرب الغبَوق ، وهو ما يُشرب في العشي ، والـمُغْتَبَق : مصدر ميمي .

ـ اصطبح : تناول الصَبوح ، وهو ما يُشرَب صباحاً والـمُصْبطَحَ : مصدر ميمي .

(٣) براه : هزله .

ـ فدحه : أثقله .

(٤) أعيا : تعب وكلّ .

ـ رزح : ضعف .

لــو صُــوِّر السِّحْرُ كان الشِّعْرُ صــورتَــــهُ

سِيّـــانِ مــا جــدٌّ من شعر ومـــا مَــزَحــا

فقلِّبِ الفكرَ في قـــــولٍ حــــلاوتُـــــهُ

تُنسي الجراحَ وتُنسي الفكرَ مــــا جرحــــا

اِضربْ بعينـــــكَ في فُرْســــان حَلْبتِــــه

فهـل ترى عن حيـاض العرب من نَضَحـا ؟[٥]

كم من ممـــــالـــــكَ أعلتْهـــا قرائحُهُمْ

تضيءُ من ظُلمـــاتِ الليــلِ مــا جَنَحـــا[٦]

هـــــذا فتى طيِّئٍ لـــولا فريــــدتُــــه

لم يتَّضحْ من فَنــاء الروم مــا وَضَحـــا[٧]

كأنّنـــــا بين ظَهْرانَيْ معـــــارِكِهمْ

نرى الــذي في دمــاءِ الروم قــد سبَحـــا[٨]

السيفُ يــــأكلُ من هـــامـــات عُصبتهمْ

والخـــوفُ يـــأكلُ من ولّى ومن بَرِحــــا[٩]

لم يبـــقَ منهم حُشـــاشـــاتٌ لمعتصِمٍ

بـــالله مِنْ بعــدِ مـــا أفنى ومـــا ذبحـــا[١٠]

سيــوفُــــه بـــاحمرارِ المــوتِ راشحـــةٌ

وأرهبُ السيفِ مـــا بــالمــوت قــد رَشَحـــا

---

(٥) الحَلْبة : الدُّفعة من الخيل والفرسان .

ـ نضح عنه : ذَبّ ودفع .

(٦) جَنَح الليل : أقبل .

(٧) فتى طيئ : أبو تمام ، وفريدته (السيف أصدق ..) في فتح عمورية ومديح المعتصم .

(٨) بين ظهرانيْ معاركهم : أي وسطها وفي معظمها .

(٩) بَرِحَ : زال من مكانه .

(١٠) الحُشاشة : بقية الروح .

لــولا قــوافٍ أبــو تمّــامَ فــارسُهــا
لضــاقَ من وَثَبــات العُرْبِ مــا فَسُحــا

☆ ☆ ☆

يُقبِّــحُ الشعرُ مــا راعتْ محــاسنُــهُ
ويَقْــذفُ الحسنَ في وجــهِ الــذي قَبُحــا
فَهْــو الـمُميتُ إذا لــجَّ الهجــاءُ بــهِ
وهْــو المخلّــد إن أثنى وإن مَــدَحــا
لــولا الــذي مــلأ الــدنيــا وزلــزَلهــا
مــا كان كافــورُ إلاّ النجمَ قــد لَمَحــا[١١]
تغلغــلَ الهجــوُ في أنحــاءِ هيكلِــه
فصــار أضحـوكــةً تُلهي الــذي تَرِحَــا
مــا صَــدَّقَ النــاسُ إلا مــا هجــاه بَــه
فردّدوا قــولَ من في عرضِــه قَــدَحــا[١٢]
فصــار في عِبَر التــاريــخ تَلْهيــةً
كأنّــه مــا سما يــومــاً ومــا طَمَحــا
من بعــدِ مــا كانَ في عليــائِــهِ ملِكاً
رمتْ بــه قــارصــاتُ الهجــو فــانبطحــا[١٣]

---

(١١) ملأ الدنيا إشارة إلى المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس
- كافور : مملوك أسود اشتراه محمد الإخشيدي ثم قبض على زمام الأمر في مصر وسورية
(١٢) قدح في عرضه : طعن فيه وتنقصه
(١٣) انبطح انطرح على وجهه .

وهكـــــذا الشعرُ يطــوي في قـــلائـــــدهِ

من صـــال في ملكـــه دهراً ومن بجحَـــا[١٤]

فـــإن تجـــدْ منْحـــةً للعلم ســـابغـــةً

ألا ترى الشعر مـــا أعطى ومـــا منحـــا

غنّى فـــــأعطت نعيمَ القلب نغمتُـــــه

كالطيرِ يعطي نعيمَ الأذْن إن صَـــــدَحـــا

أَكرمْ بقـــــومٍ علتْ فيهم مكانتُـــــه

حتّى رأَوْه على الأفــلاكِ قـــد رَجَحـــا

إن كان في العلمِ مـــا تسمـو العقــولُ بـــه

فــالقلبُ بــالشعر يسمــو بعــد مـا رزحـا[١٥]

١٩٧٨

---

(١٤) بجح : فرح .

(١٥) رزح : سقط ولصق بالأرض ولم يستطع النهوض هزالاً أو تعب

(٧٩)

بعـــــــــد الثمانين

نشرت في المجلة العربية

ســـألتْ جُهَينـــةُ أمَّهـــا عمـــا بهـــا
هـــاكِ الجـــوابَ إذا شفـــاكِ جـــوابي

إنَّ الثمانين التي استنفـــــدتُهـــــا
أحيتْ مشيبي بعـــدَ مـــوتِ شبـــابي[1]

لمعتْ كما لمـــــــعَ السرابُ بقفرةٍ
أين الشبـــابُ وأين لمـــعُ سرابِ ؟

ينتـــابُني في كل ليـــلٍ طيفُهـــا
يـــا لـــوعتي من طيفِهـــا المنتـــابِ

كم قـــد لهـــوتُ وكم لعبتُ مـــع الصِّبـــا
واليـــومَ مـــالهـــوي ومـــا تَلْعـــابي ؟[2]

أشكـــو ومـــا شكـــوايَ إلا وَحْـــدَةٌ
فـــوقَ الجبـــال وفي ظـــلالِ الغـــاب

أصبـــو إلى المـــاضي وطـــالَ غيـــابُـــهُ
يـــالهفتي من بعـــدِ طـــولِ غيـــابِ

أين الصحـــابُ زمـــانَ شرخِ شبـــابنـــا ؟
ذهبَ الـــزمـــانُ وغـــاب فيـــه صحـــابي[3]

---

(١) استنفد الشيء : أفناه .

(٢) التَّلعْاب مصدر (لعب)

(٣) شرخ الشباب : أوله وريعانه

فكأنما الأيامُ في دَورانِها

تلهو بنا في جَيْئَةٍ وذَهاب

لو كان لي في عيشي من خيرة

ما اخترت إلاّ عيشةَ الأنصابِ

أَطوي الحياةَ فلا أُحسُّ بمتعِبِ

وأُشتِّتُ الأيامَ دونَ عذاب

ما قيمةُ الدنيا إذا فُرِشَتْ لنا

من بعدِ زينتِها فراشَ ترابِ ؟

أيعيشُ هذا الصخرُ فوقَ جبالِهِ

في غُنْيةٍ عن مطعمٍ وشرابٍ[4]

لم يدر عزرائيلُ مدخلَ بابه

سُدَّتْ عليه مداخلُ الأبوابِ

ونرى خيالَ الموتِ نُصْبَ عيوننا

يرنو إلينا بارزَ الأَنيابِ

إن الحياةَ كما بلوتُ وجوهَها

حُلْمٌ يخادعُ أهلَهُ ويُحابي[5]

قد تكذب الأحلامُ بعضَ زمانها

وتجيءُ في زمنٍ بغير كِذابِ[6]

فالبَسْ حياتَك كيف كان لباسُها

لا تَحْفِلنّ بنَضرةِ الأثواب

---

(٤) في غُنْيَة عنه : في غنىً عنه .

(٥) بلوْت : جرّبت .

(٦) الكِذاب : مصدر (كَذَب) كالكَذب .

تحلو الحياةُ لمن طوى أيّامَها
في مأمنٍ من ثورةِ الأعصابِ
مهما يَطُلْ عُمْرٌ نحاول طولَه
أفلا يمرُّ العمرُ مرَّ سحابِ ؟!

☆ ☆ ☆

جالتْ بأفلاك السماءِ عقولُنا
طلباً لأمرٍ في السماءِ عُجابِ[7]
فكأنّما ضاقتْ بنا آفاقُنا
فرمى بنا سببٌ من الأسباب
نغزو السماءَ فهل وراءَ قِبابِها
أملٌ يميل بنا لغزوِ قِبابِ
من كلِّ جوَّابٍ يجوب نجومَها
ياويحَ أنجمِها من الجوَّاب !
أتظنُّ أن العيشَ في أفلاكها
عيشٌ يُقرّ العينَ بالإعجاب ؟
أترى الحياةَ طويلةً في ظلِّها
طولاً يزيدُ على مدى الأحقابِ ؟
حتّى يملَّ المرءُ من أيّامه
فيملَّ من رَوْحٍ ومن أتعاب[8]
خلِّ النِّقابَ فلا تحاوْل كشفَهُ
هل يستطيعُ العقلُ كشفَ نقابِ ؟

---

(٧) العُجاب : ما جاوز حدّ العجب .

(٨) الرَّوْح : الراحة .

حُجُبُ السماءِ كثيفـــــــةٌ أسرارُهـــــا
هيهـــــاتَ نُـــــدركُ سرَّ كلِّ حِجـــابِ !

☆ ☆ ☆

عجبي منَ الأوهـــــام كيفَ تـــــزاحمتْ
ظُلُماتُهـــــا في فكريَ الــــوثَّـــــاب ؟
إني لأشعرُ بــــــالتهـــــابِ خـــواطري
ويُريحُني إطفـــــــاءُ كلِّ لُهـــــــاب[٩]
إن أتعبتْ فكري الثانـــــــــــــــون التي
درجتْ فهـــــذا السرُّ في الإتعـــــاب !

حزيران ١٩٧٩

(٩) اللُّهاب مصدر (لَهَبَ) كاللَّهَب واللهيب

البــــــاب الخــــــامس

المـتـفـرقـات

قصائده (٥)

(٨٠)

ترحيب الشـــام بشـــوقي

ألقيت في المجمع العا

حنّتْ إلى بردى ، فحيٍّ رجـــــالَهـــــا
اللهُ مكّنَ في العيـــونِ مِثـــــالَهـــــا[1]

تلـــــك الأواصرُ لم تـــزلْ معقـــولـــةً
من عهـــد عمرٍو ، من يَحُـلُّ عِقــالَهــا ؟[2]

عَبَثُ السيـاســة مــا يُقَلْقل حــالَهــا
قرآنُ أحمــــدَ ضــــامنٌ أحـــوالَهـــــا[3]

في الغـوطتين إلى الكنـــانـــة نَــزْعـــةٌ
لـــو مُثِّلتْ كانَ الهـــوى تِمثـــالَهـــــا[4]

كهفـــــانِ تضطربُ العروبـــــةُ فيهما
حتى تجـــولَ على السنينَ مَجـــالَهـــــا

إن رامَهـــــا صَخَبُ الحـــوادثِ زُلْـــزلتْ
مِصْرٌ وأَرْبُـــعُ جِلـــقٌ زلـــزالَهـــــا

وإذا الشـــدائـــدُ بـــالكنـــانـــةِ أحـــدقت
وثبتْ دمشـــقُ فقطَّعَتْ أوصـــالهـــــا

---

(١) فاعل (حنت) يعود على مصر .
ـ مثال الشيء : صورته .
(٢) معقولة : مشدودة مِن (عَقَل البعير) إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما معاً بحبل هو العِقال .
ـ عمرو : هو عمرو بن العاص ، فاتح مصر وواليها .
(٣) قلقل الشيء : حرّكه فتحرّك واضطرب .
ـ محمد وأحمد من أسماء رسول الله (ص) .
(٤) الغوطتان الشرقية والغربية هما البساتين المحدقة بدمشق .

لـــــو تشتكي مصرٌ أذىً بشمالِهـــــا
بَتَرتْ رُبـــوعُ الغـــوطتينِ شِمالَهـــا

بـــالله ، بـــالقرآنِ ، بـــالبيتِ الـــذي
قـــذفتْ إليـــه جُرْهُمٌ أبطـــالَهـــا[٥]

لا تقطعـــوا صلـــةَ العروبـــةِ بيننَـــا
حتى تُـــــدِلَّ على اللُّغى إدلاَلَهـــــا[٦]

إن العروبـــةَ في الشـــآمِ تـــأصَّلتْ
كَرُّ الليـــالي مـــا يُطيـــق نِـــزالهـــا

☆ ☆ ☆

مـــــاذا بمصرَ ؟ وكلُّنـــــا ظَمِىءٌ إلى
مصرٍ ينـــاجي أهلَهـــا ورِجـــالَهـــا

الـــذائـــدونَ عن الـــديـــارِ عَـــدُوَّهـــا
الـــدافعـــون إلى الردى حُـــلاَّلَهـــا[٧]

البـــاذلـــونَ دمـــاءَهمْ في أرضِهمْ
حتى تُحقـــقَ أرضُهمْ آمـــالَهـــا

---

(٥) يقسم بالبيت الحرام وهو الكعبه .
ـ جرهم : قبيلة عربية قديمة جاءت من اليمن وأقامت بمكة .
(٦) أدل عليه إدلالاً : أفرط في دلاله .
ـ اللُّغى واللغات : جمعان لكلمة (اللغة)
(٧) الحُلاَّل : ج حالّ وهو اسم فاعل مِن (حلّ بالمكان) إذا نزل به . ويقصد الإنكليز المحتلين آنذاك .

بـــأبي النفـوسَ الســـائــلاتِ على الظُّبى
البـــانيـــاتِ على القنـــا استقـلالَهـــا[8]
المرغيـــاتِ ، المـــزبـــداتِ تخـــالُهـــا
أُسْـــداً ينـــازعُهـــا الردى أشبـــالَهـــا[9]
الثـــائراتِ وقـــد أمضَّ ديـــارَهـــا
رِقٌّ تغلغـلَ في الـــديـــارِ فغـــالَهـــا[10]
نَهضتْ إلى الأغـــلالِ نِهْضـــةَ واثـــقٍ
بـــالله حتى حَطَّمتْ أغـــلالَهـــا
وتفيّـــأتْ حَرَمَ الهُـــدى فـــأظلَّهـــا
تَعِسَ الـــذينَ يُحـــاولـونَ ضَـلالَهـــا[11]
مـــا ضرَّهـــا حِـــزبٌ يجرُّ وبـــالَهـــا
زغلـولُ يـــدفَـعُ بـــالرجـــالِ وبـــالَهـــا[12]
قـــلْ للشعـوبِ الطـــامحـــاتِ إلى الأذى
مهـــلاً ، فقـــد سئِمَ الأذى أهـــوالَهـــا
خلّـــوا الربـــوعَ ولا تُـــذِلّـــوا أهلَهـــا
عَصَتِ الربـــوعُ ولم تُطِـــقْ اذلالَهـــا

☆ ☆ ☆

---

(٨) النفوسَ : أي : أفتدي بأبي النفوسَ ، فهي مفعول به لفعل محذوف .
ـ الظُّبى : ج ظُبة وهي حدّ السيف .
(٩) يقال : أرغى وأزبد : أي : ضجّ غضباً وتهدّد .
(١٠) غاله : أهلكه وأخذه من حيث لا يدري .
(١١) تَعِسَ : هلك .
(١٢) زغلول : من كبار المجاهدين في سبيل استقلال مصر « راجع قصيدة (جبار مصر) ذات الرقم (٤٤) في هذا الديوان .

غَنِ الـــديـــارَ وقـــد نـزلتَ بـــآلِهـــا

فعسى القـــوافي أن تُـــــذَكِّرَ آلهـــــا[13]

للشعرِ آيـــــــاتٌ إذا غنّى بهـــــا

أهــــلُ الحمى ، فعلتْ بهم أفعـــالَهـــا

قمْ في ديـــارِ بني أميـــةَ بـــاكيـــاً

في الشـــامِ إن سمح الهوى أطـلالَهـــا[14]

لـــو يسمـعُ الـــدهرُ الأصمُّ مَقـــالَهـــا

سبكتْ بـــائجـــةِ الـــدمـوعِ مقـــالَهـــا

هـــذا ابنُ هنـــدٍ في الرِّمـــالِ وليتَـــهُ

مستيقـــظٌ ، يُحصي لنـــا أعمـــالَهـــا

أنســـالُهـــا في الغـــوطتينِ فهـــل ترى

في الغـــوطتينِ وجِلّـــقٍ أنســـالَهـــا ؟

آثـــارُهـــا هـــذي الظـلالُ فحيِّهـــا

وقُـــلِ : الســلامُ ، إذا بلغتَ ظِـــلالَهـــا

هبّتْ عليهـــا نفحـــةٌ شـــوقيـــةٌ

مـلأتْ سهـولَ ربـوعِهـــا وجِبـــالَهـــا

فـــاستقبلتْـــكَ رجـــالُهـــا بقلـوبهـــا

سبقتْ قلـوبُ رجـــالِهـــا استقبـــالَهـــا

لبستْ دمشـــقُ من البُرودِ قشيبَهـــا

لمـــا نـزلْتَ ديـــارَهـــا وحِـلالهـــا[15]

---

(١٣) غنّ : الخطاب لشوقي .

(١٤) أطلالَها : مفعول به لاسم الفاعل (باكيا

(١٥) البُرود : ج بُرْد وهو ثوب مخطط .

ـ الحِلال : ج حِلّة وهي المجتمع .

واختـــالَ في وَشْيِ الطبيعـــةِ رَوضُهـــا
قُمْ بـــالقريضِ وصفْ لنـــا مُختـــالَهـــا
تلـــكَ المروجُ وقـــد رأيتَ جَمالَهـــا
خلعتْ عليـــكَ نعيمَهـــا وجَمالَهـــا
ألقتْ إليـــكَ العبقريـــةُ سِرَّهـــا
وحَنَتْ عليـــكَ ، وجَرَّرتْ أذيـــالَهـــا
لله شِعرُكَ في القلـــوب فـــإنـــهُ
بلـــغَ القلـــوبَ فهـــزَّهـــا وأمـــالهـــا
مـــاذا أقـــولُ ؟ ومـــا تركتَ لقـــائـــلٍ
في الشعرِ أنحـــاءً يطـــوفُ حِيـــالَهـــا
ملكتْ يراعتُـــكَ البيـــانَ وقصّرتْ
عنهـــا يراعٌ مـــا تصـــولُ صِيـــالَهـــا[16]
فصقلْتَ حـــاشيـــةَ القريضِ ولم تكنْ
متكلِّفـــاً تـــدبيجَهـــا وصِقـــالَهـــا
شـــوقي أميرُ الشعرِ غيرَ مُـــدَافَـــعٍ
غُرَرُ القريضِ خَلَتْ لـــه وخَـــلالَهـــا
وإذا الجـــزيرةُ صـــوَّرتْ شعراءَهـــا
كانـــوا عِيـــالاً وَهْـــوَ بَـــذَّ عِيـــالَهـــا[17]

٤ آب ١٩٢٥

---

(١٦) اليراع : ج يراعة وهي القلم ، يقال : « كتب الكاتب باليراعة » (الأساس) .
(١٧) بذّه : غلبه وفاقه .

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (١٨) في معرض حديثه عن الشعر الوطني :

« أجل كان حديث ثورة مصر ملء مجالسنا ، فكنتُ أفصح عن هذه الثورة في بعض شعري ، وقد تغنيت بها في شعري في شوقي لما قدم دمشق . »

وأورد سبعة أبيات هي (١٢ ـ ١٨)

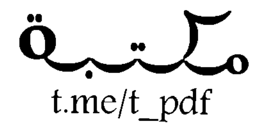
وكتب في ص (٢٨) في معرض حديثه عن الشعر الوطني أيضاً :

« وكما كنت أغتنم فرصة التأبين لتصوير شعور وطني ، فكذلك كنت أغتنم فرصة مجيء كبار الشعراء للّجوء إلى مثل هذا التصوير ، فقد قدم شوقي دمشق الشام ، وألقى في المجمع العلمي العربي قصيدته الخالدة

قم ناج جلّق وانشد رسم من بانوا   مشت على الرسم أحداث وأزمان

فاستقبلته في المجمع بقصيدة وهذا بعض ما جاء فيها : »

ثم أورد (٧) أبيات هي (٢٣ ـ ٢٩)



(٨١)

الترحيب بحـــافـــظ إبراهيم

ألقيت في المجمع العلمي العربي

أنشـــــدْتَ شِعرَك في أفيــــاءِ لبنـــــانِ
فرحتُ أغْمِـــزُ وســـواسي وشَيْطـــــاني[1]

بـــــالأمس شـــوقي على أفنـــانِنـــــا غَرِدٌ
واليـــومَ حـــافـــظُ ميـــادٌ بـــأفنـــــان[2]

وبنتُ مروانَ تـــوحي من أبـــــاطحِهـــــا
وَشْيَ القرائـــــحِ عـــــاشَتْ بنتُ مَروانِ[3]

جبـــــــارةٌ سَخِرتْ من كلِّ كارثـــــــةٍ
أعيتْ ومــــا فتئتَ جبـــــارةَ الشـــــانِ

لله ظـــــلٌّ على أكنـــــــافهـــــــا لَجِبٌ
أعـــوذُ بـــــالظلِّ من قهرٍ وطُغيــــــانِ

☆ ☆ ☆

يـــــا طــــاويَ اليمِّ في دَجْنـــــاءَ زاحفـــــةٍ
على صفيـــــحٍ من الأمــــواجِ مِرْنــــــانِ[4]

---

(١) الوَسْواس : حديث النفس .
ـ شيطاني : كان العرب يقولون : إن لكل شاعر شيطاناً يوحي إليه بالشعر .

(٢) زار شوقي دمشق سنة (١٩٢٥) وقد رحب به الشاعر بالقصيدة السابقة .

(٣) بنت مروان : كنـايـة عن دمشق ، لأنهـا كانت عـاصمـة الأمـويين ، ومروان بن الحكم هـو الخليفة الأموي الرابع .

(٤) طاوى اليم : كناية عن حافظ إبراهيم لأنه ركب البحر ليأتي دمشق .
ـ الدُّجْنة في الإبل : أقبح السواد ، ويقال بعير أدجن . وناقة دَجْناء ، فالدجناء هنا كناية عن السفينة التي امتطاها حافظ إبراهيم من الإسكندرية إلى بيروت .
ـ الصفيح : وجه كل شيء عريض .
ـ المرنان : الكثير الرنين .

يهفو بـه الشوقُ والأجفانُ تكتمُهُ
إلى أراهطَ من فِهرٍ وغسّانِ[5]

خلّى ضفافَ الحمى والنيلِ وانقلبتْ
بـه المطيُّ إلى أهلٍ وجيرانِ

من عهدِ عدنانَ ما أبلى عروبتَهمْ
وطءُ الهزاهزِ في أبناءِ عدنانِ[6]

سِرْ في دمشقَ ونادمْ إن نزلتَ بها
عِصابةً نادمتْها روحُ حَسّانِ[7]

هذا الرحيقُ وفي أظلالِه بردى
يجري بروضٍ على الفيحاء ريانِ[8]

لكنَّ جفنةَ قد أودتْ مواكبُهمْ
فما تَعِجُّ بأرباعٍ وأوطانِ[9]

خَلَتْ دِمشقُ من التيجانِ وانبسطَتْ
أميةٌ في الحِمى من غيرِ تيجانِ

---

(٥) الرهط : قوم الرجل وقبيلته والجمع أرهاط وجمع الجمع أراهط .
ـ فهر : جدّ جاهلي ممن يتصل بهم النسب الأموي .
ـ غسان : قبيلة عربية يمنية الأصل ، استوطنت حوْران وشرقي الأردن ، ولبنان وفلسطين في العصر الجاهلي .

(٦) عدنان : جد القبائل العربية المقيمة في شمال بلاد العرب .
ـ الهزاهز : الحروب والشدائد .

(٧) هو حسّان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي ﷺ ، والبيت إشارة إلى قول حسّان :
لله درُّ عصابةٍ نادمتُهمْ ... يوماً بجلّق في الزمان الأول

(٨) الرحيق : صفوة الخمر وهو إشارة إلى بيت حسّان :
يسقون من ورد البريص عليهمُ ... بردى يُصفّق بالرحيق السلسلِ

(٩) جفنة : هو أبو ملوك غسان ، ملوك الشام .
ـ الأرباع والربوع جمعان للرَّبْع وهو الدار .

وقفتُ أُنشُـــــدُ في الأفنـــــاءِ أرسَمَهم

لا الملـــكُ ملكي ولا السلطـــانُ سلطـــاني[10]

لم يبـــقَ من عبــــدِ شمسٍ غيرُ خـــاطرةٍ

أروي مغـــارسَهـــا من مـــاءِ أجفـــاني[11]

أشقى وأنعَمُ في أعطـــــافِ هبَّتِهـــــا

فيهـــا الردى وبهـــا روحي ورَيْحـــاني[12]

تكادُ تـــــومضُ في جنبي خيــــالَتُهم

مـــا كان أبعــــدَهمْ عني وأدنـــاني[13]

يبلى الجـــديـــدانِ ، مـــا تبلى منـــاقبُهم

في النيربينِ إذا كرَّ الجـــديـــــدانِ[14]

☆ ☆ ☆

تحيــةً يـــا ضفـــافَ النيــلِ طيبـــةً

تجري بهـــا الريـــحُ في شِيــحٍ وحَــوْذانِ[15]

الشـــامُ من وُدِّكِ الريـــانِ في صلــــةٍ

محبـــوكـــةِ الـــوشيِ في قُربٍ وإمعـــانِ

---

(١٠) الأرسُم : ج رَسْم وهو ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار .

(١١) عبد شمس : هو أبو أمية . وأمية جدّ الخلفاء الأمويين .

(١٢) الريْحان : من معانيه الراحة والرزق والرحمة .

(١٣) الخيالة : طيف الرجل .

(١٤) الجديدان : الليل والنهار لأنهما لا يبليان .

ـ النيربان : متنزه بدمشق .

(١٥) الشيح : نبات طيب الرائحة ، ينبت في بلاد العرب ، ترعاه الماشية .

ـ الحَوْذان : أعشاب تكثر في البلدان المعتدلة الحرارة ، أزهارها جميلة .

من عهــــــدِ عَمرٍو فمــــــارثَّتْ ولا بَلِيَتْ
قـــد أتقنتْهـــا الليـــالي أيَّ إتقـــانِ[16]
إذا بكتْ جنبـــــــاتُ النيــــــل من ألمٍ
بكتْ دمشـقُ بــــدمـعٍ منـــه هتّـــانِ
أواصرٌ ببيـــــانِ العُربِ مُحْكَمـــــةٌ
النيـــلُ والشـــامُ في الآلامِ صِنـــوانِ[17]
همــــا النَّجيّـــان في تصـــويرِ جُرْحِهما
تصـــويرُ جُرحِهما همسٌ بـــــآذانِ[18]
أرى رجـــــالاً على الأهرامِ دَيْـــــدَنُهمْ
حَــــلُّ الأواصرِ من طَيٍّ وشَيْبــــــانِ[19]
تنكبـــــوا عن صميم العُرْبِ واعتصمــــوا
بحبـلِ رَمسيسَ أُحـــدانـــاً بـــأحـــدانِ[20]
كأنمــــا مُضَرُ الحمراءِ مـــــا زحفتْ
إلى الـمُقَطَّمِ في شِيبٍ وشُبــــــــانِ[21]

---

(١٦) عمرو : هو عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها .

(١٧) صِنوان : إذا خرجت نخلتـان أو ثـلاث من أصـل واحـد ، فكل منهن صِنوٌ ، والاثنتـان صنوان ، والجمع صِنوانٌ . وفي الحديث « عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه » .

(١٨) النَجيُّ : من تُساره .

(١٩) الدَيْدن : الدأْب والعادة .

- طي وشيبان : جدان جاهليان وهما كناية عن العرب والعروبة .

(٢٠) رغمسيس رأس السلالة الـ (١٩) من الفراعنة وهو كناية عن النزعة الفرعونية في مصر التي تتنكر للقومية العربية .

- الأُحدان والوُحدان : ج واحد وهو المتقدم في شيء ما .

(٢١) مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، جد جاهلي ، وبنو مضر من أمهات القبائل العربيـة ، وقيـل لمضر الحمراءُ ، ولربيعـةَ الفرسُ . لأنهما لمـا اقتسما الميراث أُعطي مضرُ الـذهبَ ، وربيعةُ الخيلَ . و (مضرُ الحمراء بالإضافة) (اللسان ـ حمر) .

=

ولا استطـــالَ لهـــا والـــدهرُ يَعْهَـــدُهُ

ظِـــلٌّ على النيـــلِ أو رسمٌ بحُلْـــوانِ[٢٢]

تلـك الفَصــاحــاتُ لم تَــذْبُـلْ منــابتُهــا

تنمـــو بعـــودٍ على الأهرامِ فينـــــانِ[٢٣]

أعيـــذُهـــا خَطراتٍ ملـؤُهـــا مَضَضٌ

أن تَهْـــدِمَ الشرقَ أركانـــا بـــأركانِ

آمنتُ بـــاللغـــةِ الـمِمْراع مَغْرِسُهـــا

فمـــا يُـزلـزلُ رَيْبُ الـــدهرِ إيمـــاني[٢٤]

في ذمـــةِ الله تِبْيـــانٌ يـــؤيـــدُهُ

كرُّ الليـــالي بتنزيـــلٍ وقرآنِ[٢٥]

تَضُمُّنـــا لغـــةٌ لم يَمْـحُ رونقَهـــا

زَحْفُ السنينَ بـــآلامٍ وأشجـــانِ

إذا التففنـــا غصـونـــاً في شـــدائِـــدنـــا

فمـــا تطيـقُ الليـــالي هَصْرَ أغصـــانِ[٢٦]

لـولا قـوافٍ بـوادي النيـلِ نُنْشِـــدُهـــا

في غـوطـــةِ الشـــام أو في أرْز لُبنـــان

- المقطم : جبل في مصر قرب القاهرة ، وهو كناية عن مصر .

(٢٢) حلوان : بلدة في مصر على شاطئ النيل الأيمن .

(٢٣) العود : كل ما جرى فيه الماء من شجر ، ويكون للرطب واليابس .

- الفَيْنان من الشَّعْر : الطويل الحسن ، والعود الفينان الذي طالت أغصانه .

(٢٤) اللغة : أي اللغة العربية .

- المراع : الخصيب .

(٢٥) التِّبيان والبيان : مصدران لفعل (بان) أي : اتضح وظهر ، ويراد به هنا المنطق الفصيح الواضح المعبّر عما في الضمير . ولغة الضاد تمتاز بفصاحتها وبيانها

(٢٦) هصر الشيء : كسره .

لقطعَت بيننــــا الارحـــــامُ واضطربت
بنـــا الــوســاوسُ في وَصْــلٍ وهِجرانِ[٢٧]
لكنَّ مصَر وإنْ هشَّتْ وإن عَبَسَتْ
رُكنُ العروبــــةِ للقـــاصي وللــــدّاني
يـــــأوي إليهـــا من الفيحــــاءِ مُتَّهمٌ
فيستظـــلُّ بظـــلِّ العـــاطفِ الحـــاني[٢٨]
فمـــا تَجِفُّ بضيفـــانٍ بشــــاشتُهـــا
ولا يحيـــطُ الأذى فيهـــا بضيفـــانِ
أمْلَتْ على الشرقِ من آيـــاتِ نهضتِهـــا
مــــا أنقـــذَ الشرقَ من ذُلٍّ وإذعـــانِ
أغفى زمــــانـــــاً ولم تنزِعْ بـــــه هِمَمٌ
حتى تنبّـــــهَ فيــــه كلُّ وَسنـــــانِ[٢٩]
في كلِّ نـــاحيــــةٍ ملـــكٌ يمـزقُـــهُ
بـــاغٍ من الإنسِ أو طـــاغٍ من الجـــان
فــلا الربـــوعُ على الأردنّ هـــادئـــةٌ
ولا هــــــدوءٌ على أربـــــاعِ بغـــــدانِ

☆ ☆ ☆

يـــا حـــافــظَ الشعرِ في مينـــاءَ مُخْصِبـــةٍ
من البيـــانِ سَقـــاهـــا مـــاءُ سَحْبـــانِ[٣٠]

---

(٢٧) الوساوس : ج وَسواس وهو ما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه .
(٢٨) إشارة إلى أن أحرار الفكر الملاحَقين سياسياً يلجؤون إلى مصر فيما مضى .
(٢٩) الوسنان : من أخذه ثقل النوم أو اشتد نعاسه .
(٣٠) الميناء : مرفأ السفن تني فيه أي تفتر عن جريها .
ـ سحبان : هو سَحبان وائل خطيب فصيح يُضرب المثل في فصاحته .

هـــاجتْ دمـوعُـــك في عيني مـــدامعَهـــا
لمـــــا بكيْتَ وهــــاجَ الحـــزنُ أحـــزاني

يـــا وقفـــةً لــــك في الستينَ تســـألُهـــا
أســـوَّفتْ أم أعـــــدّتْ حُرَّ أكفـــــاني[٣١]

فــاضتْ بهــا عــاطفــاتُ القلبِ فــامتــلأتْ
من روحِ واقِفهـــــــــــا روحي وجُثماني[٣٢]

هَـــوِّنْ عليـــــكَ فمـــــا زالتْ روائعُكمْ
مـــن الشَـبابِ علـــى شَـــرْخٍ ورَيْعـــانِ[٣٣]

هـــذي دمشـــقُ فغرِّدْ في حـــــدائقِهـــا
أغرودة الـــــدهر تُشجي كلَّ أســـوانِ[٣٤]

وانـــدُبْ أميـــةَ في شِعرٍ تسيـــلُ بـــه
بطـــاحُ جِلَّـــقَ في ظَعْنٍ ورُكبـــانِ[٣٥]

الشعرُ مَنْبَهـــــةُ الأقـــوامِ إن غَفَلـــوا
عن نهجِهمْ هــــزَّ منهم كلَّ سهـــوانِ[٣٦]

تبني وتَهْـــدِمُ في الأحيـــاء دولتُـــه
قـــواعـــدَ المُلـــكِ ، جَـلَّ الهـــادمُ البـــاني

---

(٣١) إشارة إلى بيت حافظ من قصيدته في بيروت سنة ١٩٢٩ ومنها :

وقـــد وقفتُ على الستين أســـألهـــا   أســـوّفتْ أم أعـــدّت حُرَّ أكفـــاني ؟

(٣٢) الجُثمان : الجسم .

(٣٣) الشرخ : أول الشباب ، وريعان كل شيء : أوله وأفضله .

(٣٤) الأسوان : الحزين .

(٣٥) ظَعَن ظَعْناً : ذهب وسار .

(٣٦) المَنْبهَة : ما يسبّب الانتباه .

كم ثـــورةٍ بعثتْ نيرانَ جـــــاحِمِـــــهِ

في أمـــةٍ سهلـــةِ الأقيـــادِ مِـــذْعـــانِ[٣٧]

يطـــوي القريضُ إذا هبتْ عـــواصفُــــهُ

مـــا ليس يُطْـوى بـــأسيـــاف ومُرّانِ[٣٨]

والشِعرُ وحيٌ فـــإنْ أعيـــاكَ جـــامُحـــهُ

فمـــا يقـــادُ بـــألحـــانِ وأوزانِ[٣٩]

يمـوجُ بـــالنفسِ إن هـــاجتْ هـوائجُـــهُ

كما يمـــوجُ نسيمُ الصبـــحِ بـــالبـــانِ[٤٠]

إذا القـــوافي خَلَتْ من سحرِ عـــاطفـــةٍ

فمـــا تميـــلُ بـــأرواحٍ وأبـــدانِ

١٨ حزيران ١٩٢٩

كتب في كتابه « أنا والشعر » ص (٢٩) بعد أن قال : إنه كان يغتنم فرصة مجيء كبار الشعراء ليصوّر شعوره الوطني . وكيف استقبل شوقي في المجمع :

« وأخيراً استقبلت (حافظ إبراهيم) في المجمع بقصيدة من أبياتها : »

ثم أورد (٩) أبيات هي (١٠ ـ ١٨) .

وكتب في ص (٩٥) :

« أجل إني مولع بالألفاظ ، وقد أهتدي في كثير من الأحيان إلى محاسنها ولطائفها ، وأرجو ألا يُحْمَلْ كلامي على أي محمل إذا قلت : إني أنشدت قصيدتي في حافظ إبراهيم في المجمع العلمي العربي في دمشق وقد جاء في هذه القصيدة هذا البيت :

---

(٣٧) الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال .

(٣٨) المُرّان : الرماح اللَّدْنة في صلابة ، والواحدة « مُرّانة » .

(٣٩) جمح : استعصى فهو جامح .

(٤٠) الهوائج : ج هائجة وهي الفَوْرَة والغضب . يقال : هاج هائجه أي : ثار غضبه .

تضمّنـــا لغـــة لم يمــحُ رونقَهــــا زَحْفُ السنين بــــآلام وأشجـــــان

فلما فرغتُ من الإنشاد صافحني المرحوم حافظ ، وقال لي بلهجته المصرية : « لك جملة من الألفاظ عجيبة منها قولك : زَحْفُ السنين »

(٨٢)

شرد البيـــــــــان

ألقيت في الاحتفـــال بمرور خمسين عاماً على تأسيس مجمع اللغة العربيـة بدمشق

شَرَدَ البيــــانُ فمــــا أُطِيــقُ بيــانــا
فــــاكْتُمْ جراحَـــكَ وادفِنِ الأشجـــانـــا

مــــا لِلقــوافي ؟ إن دعـــوتُ شرودَهــــا
شَمَخَتْ ومـــا ألْقتْ إليَّ عِنــــانـــا[1]

هــــل راعَهــــا شيْبٌ يُجلِّـــل مَفْرِقي
أفمــا أُمتِّـعُ بــالشَّبــاب جَنــانـــا ؟[2]

هــوِّنْ عليـــكَ فمــا تمرَّدَ خـــاطري
إلاَّ أتـــاني طــائعــاً مِــذْعــانـــا

أفـــلا تحرِّكُني شـــدائـــدُ أُمَّـــةٍ ؟
هـــانت فسلْهـــا هــل تُحِسُّ هَــوانـــا

هــل كنتُ أبخَـلُ بــالــدمـوع على الحمى ؟
أفلم يُقَرِّح دمعيَ الأجفـــانـــا[3]

---

(١) القافية الشَّرود : السائرة في البلاد .
ـ العِنان : سير اللجام .
(٢) الجَنان : القلب .
(٣) قرَّحه : جرحه .

أفلم يجـــــــــــدْني في المسرّةِ والأسى
زمنـــــاً أُسرُّ وأَزمُنـــــاً أَسْـــوانـــــا ؟[٤]
لـــو كنتُ دون الله أعبُـــــدُ جنَّـــــةً
لعبـــدتُ منـــهُ مَفـــاوزاً وجِنـــانـــا[٥]
قلبي وروحي والهـــــوى ولهيبُـــــهُ
فـــاضتْ عليـــه محبَّـــةً وحنَـــانـــا
وطني ولم أُومِنْ بغير تُرابـــــــــــهِ
وأرى الترابَ يَـــزيـــدُني إيمـــانـــا

☆ ☆ ☆

كم عبقريٍّ في ظـــــــلامِ قبـــــورِهِ
نَفَضَ القبـــورَ ومـــزَّق الأكفـــانـــا
فكأنـــــهُ عينٌ تُضـــاحِـــكُ أعينـــاً
وكأنـــــه أُذْنٌ شَجَتْ آذانـــــــا
دانٍ يـــدورُ مـــع الليـــالي حُسْنُـــهُ
يـــزدادُ في دَوَرانِهـــا إحســـانـــا
هـــذا فتى الفتيـــان زينـــةُ طيِّىءٍ
غنَّى فهـــزَّ غِنـــاؤه الفتْيـــانـــا[٦]
أعلى المالِـــكَ مـــابنـــاه سِحْرُه
سحرُ البيـــان يُمَرِّد البنيـــانـــا[٧]

---

(٤) الأسوان : الحزين .

(٥) المفاوز : ج مفازة وهي الفلاة لاماء فيها .

(٦) فتى الفتيان : إشارة إلى أبي تمام الطائي .

(٧) مرّد البنيان : سوّاه وملّسه وطوّله .

رَسَم الطِّعـــانَ على السُّطــور خيـــالُـــه
أَفــلا نرى بين السطـــور طِعـــانـــا ؟
فكأننـــا والحربُ تـــذكـــو نـــارُهـــا
نَصْلى وقـــد حَمِيَ الـــوغى النيرانـــا[٨]
لـــولا أبـــو تمّـــامَ والشِّعرُ الـــذي
روَّى القلـــوبَ ونضَّر الأذهـــانـــا
مـــاكان هـــزمُ الرومِ نُصْبَ عيـــونِنـــا
حيّـــاً يَقُصُّ من الرَّدى أفنـــانـــا[٩]
فـــانعَمْ بمـــا خَلَقَتْ لنـــا آيـــاتُـــه
خَلَقَتْ لسُلطـــانِ الحمى سُلطـــانـــا !

☆ ☆ ☆

للّهِ درُّ عِصـــابـــةٍ من طيِّىءٍ
أَعطتْ فكان عَطـــاؤهـــا تهتـــانـــا
أعطتْ ديـــارَ العُرْبِ من إلهـــامِهـــا
غُرَراً تـــدورُ مـــعَ السنينَ حِســـانـــا
أفما سقـــاكَ البحتريُّ خمـــورَهُ
أفمـــا تَظَـــلُّ بخدره نَشْـــوانـــا
دخـــل القصـــورَ على الملـــوكِ مُنـــادمـــاً
فجـــلا لأعيننـــا بهـــا الأزيـــانـــا[١٠]

---

(٨) ذكت النار : اشتدّ لهيبها .
ـ صَلِيَ النارَ يصلاها : قاسى حرّها أو احترق بلهيبها .
(٩) يشير إلى بائية أبي تمام في وقعة عمورية التي انتصر فيها المعتصم .
ـ الأفنان : ج فَنّ وهو النوع .
(١٠) الأزيان : ج زَيْن ، وزان الشيءَ زَيْناً : حسّنه وزخرفه .

فـــــإذا لقيتَ رُخـــــامَهـــــا وكأنّـــــه
حَبْــــكُ الغمامِ فقـــــد لقيتَ عِيـــــانـــــا

فترى القـــــوافيَ من رفيفِ سقـــــوفِهـــــا
درّاً يُضيءُ ولـــــؤلـــــؤاً وجُمانـــــا[11]

من كلِّ أســـودَ كالليـــــالي حـــــالـــــكٍ
أو كلِّ أَبيضَ يَخْطَفُ الأعيـــــانـــــا[12]

وترى الـــزُجـــــاجَ على السقـــوف كأنـــــهُ
لُجَـــجٌ تمـــوجُ فتُغْرِقُ الحيطـــــانـــــا

صُـــوَرُ القصـــورِ ومعجـــزاتُ خُطـــوطهـــــا
بَرَقتْ وكان بريقُهـــــا فتّـــــانـــــا[13]

مـــــازال بـــــالإيـــوان يحبُـــــك وصفَـــــهُ
حتى تراه أنطـــــقَ الإيـــــوانـــــا[14]

يروي لـــــزائره روائـــــعَ فنّـــــه
فيظنُّ أنّ لـــــه فمـــــاً ولســـــانـــــا

كَسَتِ الحضـــــارةُ شعرَهُ ألـــــوانَهـــــا
فتكادُ تلمَـــحُ عينُنـــــا الألـــــوانـــــا !

☆ ☆ ☆

أرأيتَ قـــومَـــــك فـــــاغترفْ من بحرهم
دَرَجـــوا وكانـــوا للهـــــدى عُنـــوانـــــا

---

(١١) رفّ لونُه رفيفاً : تلألأ

(١٢) الأعيان : ج عَيْن وهي الباصرة .

(١٣) يشير إلى البحتري الذي وُصف بشاعر القصور والحضارة العباسية .

(١٤) يشير إلى سينية البحتري في إيوان كسرى .

نـــاجِ الــــذي مـــلأ الأنــــامَ دويُّـــه
يمسي ويُصبـح مــائجـــاً غضبـــانـــا[15]
عَشِـــــقَ الحروبَ فهــــــل ترى في شعره
إلاَّ حُســامــاً صــارِمــاً وسِنــانــا ؟
فكأنَّ من حُمْرِ الــــدمـــاء مـــداده
وكأنَّــــه أملى بهـــا الــــديــوانـــا
تَجري الــــدمـــاءُ على عنيفِ بيـــانـــه
بحراً يَجُرُّ وراءهُ كُثْبــــــانــــــا[16]
قتلى وجرحى والسيــــوفُ تنــــوشُهمْ
لم تُبْـــــقِ من أركانِهم أركانــــــــا
نظم القريضُ لآل حمــــــدان العُـــلا
فكأنــــه أحيـــا لهمْ حَمْـــدانـــا[17]
لــولا بنـــو حَمْـــدانَ والسيفُ الـــذي
أعلى العروبـــةَ في الربـوعِ وصــانـــا[18]
لمحتْ جيــوشُ الروم سحرَ لســانهـــا
وتخرَّمتْ أعــلاجُهمْ عــدنـــانـــا[19]

---

(١٥) ملأ الأنام : إشارة إلى المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس .

(١٦) الكثبان : ج كثيب وهو التل من الرمل .

(١٧) القريض : الشعر .

(١٨) السيف : سيف الدولة الحمداني .

(١٩) تخرّمه : أهلكه واستأصله .
- الأعلاج : ج عِلْج وهو الرجل الشديد الغليظ من جيش الروم .
- عدنان : جد القبائل العربية يستعيره لجيش سيف الدولة .

فـــــافخرْ بشـــــاعرهمْ ورتّـــلْ شِعْره
أفـــلا تراه للعُـــلا مِعـــوانـــا

☆ ☆ ☆

زحفَ الـزمـــانُ ولم تـزلْ أوطـــانُنـــا
نهبَ العـــدوِّ يُبعثر الأوطـــانـــا
تلـــك الضغـــائنُ لايـزالُ سعيرهـــا
طيَّ الحشـــا ، مَنْ يطفئُ الأضغـــانـــا ؟
قـــالـوا : السـلامُ ، فهـل رأيتَ سـلامَهُمْ ؟
هَـــدَمـوا البيـوتَ وشتَّتـوا النِّسْـوانـــا
إن لفَّتِ الأمُّ الرؤومُ وحيـــــدَهـــــا
في الحضنِ ليـلاً زلـزلـوا الأحضـــانـــا
أو رامتِ الأطفـــالُ نـومـــاً هـــادئـــاً
حُرِمـوا الكرى وتخيَّلـوا الشيطـــانـــا
لم تَسْلَمِ الأديـــانُ من أيــــديهمُ
نقمـوا فمسّـوا يـالأذى الأديـــانـــا
في كلِّ يـــومٍ صيحـــةٌ من جرمِهمْ
تعلـــو السماءَ فتَخْرُقُ الأعنـــانـــا[٢٠]
لا القـــدسُ آمنـــةٌ ولا حَرَمُ الهـــدى
أين الأمـــانُ ، فهـل تُحِسُّ أمـــانـــا ؟[٢١]

---

(٢٠) أعنان السماء : نواحيها .
(٢١) حرم الهدى : المسجد الأقصى .

عجبــــاً لقــومٍ كالنعــــامـــــةِ في الــوغى
واليــومَ أضحــوْا في الــوغى فُرْســـانـــا ![22]

ضربتْ عليهم في البريَّـــــــة ذِلَّـــــــــةٌ
مـــا بـــالُ ذِلَّتِهمْ غـــدَتْ طُغيـــانـــا[23]

ويـــــــــلَ الضعيف إذا تملَّى قـــــــوَّةً
ألفيتَـــــهُ في ضعفـــــه ثُعبـــــانـــا[24]

فـــانهضْ صـلاحَ الـــدين وانظرْ عصبـــةً
حَرنـــــوا وزادهُمُ الغرورُ حِرانـــــــــا[25]

كنتَ الـــوحيــــــدَ ضمانَ أمّـــــةِ يَعْربٍ
ضـــاعت ديـــارُكَ مَنْ يكــونُ ضمانــــا ؟

☆ ☆ ☆

لــولا « الفــداءُ » وعــاصفــاتُ ريــاحِــهِ
فـوقَ الحصـونِ تُهــدِّم الأَحصـــانـــا[26]

لــــولا دمٌ تنــــــدى فِلَسطينٌ بـــــه
وترى الترابَ بـــدَفْقِـــهِ ريَّـــانـــا

---

(٢٢) يشير إلى قول بعضهم يعيّر الحجاج حين هرب من غزالة الحرورية :

أســـدٌ عليّ وفي الحروف نعـــامـــةٌ   فتخــــاءُ تنفرُ من صفير الصـــافِر
هــلا برزتَ إلى غــزالـــةَ في الــوغى   بــل كان قلبـك في جنــاحي طــائر

(٢٣) ذلة : يشير إلى اليهود في قوله تعالى : « ضُربت عليهم الذِّلة » (٣ ـ ١١٢)
(٢٤) تملّاه : تمتّع به .
(٢٥) صلاح الدين الأيوبي الذي حرّر فلسطين من الصليبيين .
ـ حَرَن البغلُ : وقف ولم يَنْقَدْ .
(٢٦) الأحصان : ج حِصْن وهو كل مكان منيع .

لم يرتفـــــعْ للعُرْبِ رأسٌ في الـــــورى
يــومـــاً ولا اختلـجَ العـــدوُّ وهــانـــا
الجعجعـــاتُ وقـــد يُـــدَوِّي صـوتُهـــا
هيهـــاتَ دفـعُ دويِّـــهِ العُـــدْوانـــا ![27]

☆ ☆ ☆

يـــاســاقيـــاً والخمرُ مـلءُ كـؤوسـه
اطرحْ كـؤوسَـــكَ واسقني الألحـــانـــا
قـــد عِشْتُ في ظـــلِّ القـــوافي حِقْبـــةً
أجـــدُ الشبـــابَ بظلِّهـــا فينـــانـــا
مـــا هـــاجني إلا صـــدى إيقـــاعِهـــا
أُمسي وأُصبـحُ بـــالصـــدى سَكرانـــا
خمسـون عـــامـــاً في مِراسِ زِمـــامهـــا
حتَّى استكانَ لي الـــزِّمـــامُ ولانـــا
جرَّبتُ من مَضَضِ الهـــوى لـــذَّاتِـــهِ
وبَلَـوْتُ منـــه نـواعمـــاً وخِشـــانـــا
مـــــارقني إلاَّ البيــــــانُ وسِحْرُهُ
فـــامـلأ كـؤوسَـكَ إن سُقيتَ بيـــانـــا
وأَدِرْ عليَّ الشِّعْرَ إن غنَّيتَـــــــهُ
حتَّى أَسُلَّ بـــوقعـــه الأحـــزانـــا

---

(٢٧) الجعجعات : ج جعجعة وهي صوت الرحى أو صوت الجمال مجتمعة . ومنه المثل « أسمع جعجعة ولا أرى طحْناً » .

فيـــــه العَــزاءُ وفيـــــه كلُّ مَسَرَّةٍ
تُروي بعـــذبِ مَعينهـــا الظمآنـــا

☆ ☆ ☆

أَكْرِمْ بقـــومٍ أورثـــوا تـــاريخَهمْ
لغـــةً تَظَـلُّ على العُـلا برهـــانـــا
لغـــةً تفيض نعـومـــةً وصـلابـــةً
تحكي النسيمَ وتُشبـــــه المرّانـــــا[28]
حينـــاً ترقُّ كأنهـــا نَسَمُ الصَّبـــا
فـوقَ الخمـــائـلِ يَنْشُرُ الرَّيْحـــانـــا[29]
ويمـوجُ حينـــاً كالخضمِّ عُبـــابُهـــا
فيكادُ يجرُفُ مـوجُـــهُ الشطـــآنـــا[30]
لغـــةُ الأسنَّـــةِ والصـوارمِ والقنـــا
كانتْ لنـــارِ جحيمهـــا مَيْـــدانـــا[31]
مرَّتْ بهـــا الأزمـــانُ وهْي منيعـــةٌ
لا تَرْهَبُ الأحـــداثَ والأزمـــانـــا
كم نـــازَعتْ لغـــةُ الغُـزاة بيـــانَهـــا
طـــارَ الغـزاةُ مـع الهـواءِ دُخـــانـــا

---

(٢٨) المُرّان : الرماح اللَّدْنة في صلابة ، الواحدة مُرّانة .
(٢٩) النَّسَم : أول هبوب الريح ، أو نَفَس الريح إذا كان ضعيفاً (اللسان)
(٣٠) العُباب : موج البحر .
(٣١) الصوارم : ج صارم وهو السيف .
- القنا : الرماح .

وتطـــاولتْ في الخـــافقَيْنِ غصــونُهــا
ترعى مــواكبُ يعربَ الأغصـــانـــا[٣٢]
قـــد صبَّهـــا الرّحمنُ في قرآنـــه
أفـــلا ترى من سِحْرهـــا القرآنـــا ؟

☆ ☆ ☆

فـــاحمِـلْ لمجمعهـــا التحيـــةَ إنـــهُ
لم يَـــأْلُ فيهـــا حيطـــةً وصيـــانـــا[٣٣]
لغـــةُ الـــورى عُلْـــوانُ رفعـــةِ شـــأنِهمْ
فـــاكتبْ لرِفعـــة شـــأنِـــك العُلـــوانـــا[٣٤]
لـــو جُرِّد الإنســـانُ من نَعْمائهـــا
أفكانَ دون نَسيمهـــا إنســـانـــا ؟
صَقَـلَ الـزمَـانُ لنـا حِسَـانَ وجُـوهِهـا
أَفمـــا نَعِمْنـــا بـــالحسانِ زمـــانـــا ؟
فـــالهـجْ بنُصرتهـــا وخـــذْ بلـــوائهـــا
حتى تَحُـــلَّ من السماءِ مكانـــا

١٩٦٩☆

---

(٣٢) الخافقان : المشرق والمغرب .
(٣٣) المجمع : مجمع اللغة العربية بدمشق .
(٣٤) عُلْوان الكتاب : عنوانه .

☆ لم يسجل رحمه الله تاريخ هذه القصيدة ، وقد وردت في خطط الشام ج ٦ ص ٤٢٠ هذه الجملة على لسان العلامة محمد كرد علي « شرعتُ في تأسيس المجمع العلمي العربي في ٨ حزيران سنة ١٩١٩ » وعلى هذا يكون تاريخ هذه القصيدة سنة ١٩٦٩

(٨٣)
منـــــــاجــــــاة البحتري

نشرت في الهلال ومجلة المعرفة

أتراه يُصْغي إلى نجــوانـــــــا ؟ ... قـد كفـانـا منَ الأذى مـا كفـانـا
أفسدوا الشِّعْرَ بالجـديـدِ من الشِّعْـ ... ـرِ وظَنّـوا جـديـدَهم فتّـانـا[١]
يتلهَّـوْنَ بـالسفـاسف منـــه ... حَسِبـوه لَهْـواً فـذلَّ وهـانـا[٢]
كُـلَّ يـومٍ نرى فنـونـاً من القـو ... لِ فعفْنـا الأقـوالَ والأفنـانـا[٣]

☆ ☆ ☆

يــافتى طيِّىء فهـــذي القــوافي ... تترامى إليـكَ تشكـو شَجـانـا[٤]
قُمْ وغَنِّ الـديــار شِعْرَكَ وامـلأ ... أُذُنَ اللَّيـلِ والضُّحى ألحـانـــا
أينَ آيـاتُـك اللَّـواتي مـلأنَ الـ ... ـعَيْنَ حُسْنـاً وسَمْعنـا إحسـانـا
من قوافٍ تَشفي العليلَ من السُّقْـ ... ـمِ وتَنفي عن قلبـه الأشجـانـا
وهَـزَزْتَ القلـوبَ في مَضض الحُبِّ ... ـ فـلاقتْ مِنَ الهـوى ألـوانـــا[٥]
لم يغبْ عنـكَ مـا تُكَتِّمُـه العيـ ... ـنُ ولا مـا ألقتْ إليـك فبـانـا
فـاضَ فينـا غِنـاءُ شِعْرك دَهْراً ... فسقـانـا من الهوى مـا سقـانـا
عِشْتُ في سِحْرِكَ الحـلالِ زمـانـاً ... أتلهَّى وقـد حَمِـدتُ الـزمـانـا
وسهرتُ اللَّيـل الطـويـلَ أرجّي ... من شجونِ اللَّيلِ الطَّويلِ الأمانـا

---

(١) الجديـد : إشـارة إلى الشعر الحـديث الـذي تحرّر أصحـابـه من قيود اللغـة والصرف والنحو والعروض والقافية .

(٢) السَّفْساف من الشعر : رديئه .

(٣) الفن : النوع من الشيء ، والجمع فنون وأفنان .

(٤) فتى طيء : إشارة إلى البحترى .
ـ الشجا : الهم والحزن .

(٥) المضض : الوجع والألم .

وإذا الشيبُ قد علاني فإني | في شبابٍ روَّيتُ منه الجَنانا[6]
لاتقلْ شيَّختْ فؤادي الليالي | إنما الشيخُ من تحامى الحِسانا

☆ ☆ ☆

أين دنياكَ والعيونُ اللواتي | ليَّنتْ قلبَنا الحديدَ فلانا ؟
كم بلوتَ الهوى وذُقْتَ شَجاهُ | وبلوْتَ الوصال والهِجرانا
فقذفت الشِّعرَ الطروبَ غناءً | صُغْتَ فيه الياقوتَ والمَرْجانا
نِعْمَ دُنيا جالتْ أغانيك فيها | فأذابتْ بلحنِها الأحزانا

☆ ☆ ☆

يافتى طيِّئٍ . فأنت دواءُ الـ | ـجُرْحِ في جرحنا وفي بَلوانا
رُبَّ شعْرٍ نشكو إليه جراحاً | فيداوي الجراحَ من شكوانا
فأفِضْ فينا من صفاءِ القوافي | مانرى في صفائِها سُلوانا
أترانا ننسى الهمومَ إذا ما | ملأ الشِّعْرُ سمعَنا ؟ أترانا ؟

١٩٧٧

---

(٦) الجنان : القلب .

في ظـــل دوحـــــة الأدب*

ألقيت في الحفل الذي شهد افتتاح مدرسة دوحة الأدب .

يــــادوحـــــةَ الأدبِ النضيـ ـرِ على حمى الـــوطن النضيرْ[1]
اِرمي ظـلالَـــكِ في الخـــدو رِ وفَيِّئي هـــذي الخــــدورْ[2]
من كلِّ هــــادلـــةِ الغصـــو نِ تمــوجُ بــــالــورقِ الخضيرْ[3]
العنـــــدليبُ أخـــو الشجيِّ ـ يميــــدُ بـــالعـــودِ الغضيرْ[4]
لَعِبَ النسيمُ على فرو عِـــكِ في العشيِّ وفي البُكـــورْ
فـــأثــــار كلَّ مُطيَّبِ النّـ ـسماتِ فيّـــــــاحِ العبيرْ
ومضى رفيفُ الشمسِ يَبْـ ـسمُ للجـــذوعِ وللجـــذورْ
فـــأتى بكلِّ منـــوَّرِ الـ جنَبــاتِ في وَضَـحِ البُـــدورْ[5]

☆ ☆ ☆

☆ تأسست جمعية دوحة الأدب سنة ١٩٢٨ في دمشق ، وكانت تضم فضليات المثقفات برئاسة المرحومة السيدة عادلة بيهم الجزائري ، وفي سنة ١٩٣٠ افتتحت مدرسة دوحة الأدب لتعليم البنات وتربيتهن تربية عربية قويمة من مرحلة الحضانة إلى شهادة التعليم الثانوي .

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة .
(٢) فيّأ : ظلّل .
(٣) هَدِلَ : استرخى .
(٤) الغضير : الناعم من كل شيء .
(٥) الوَضَح : الضوء .

هُــزّي جَنـــاكِ إلى الخــوا طرِ واسكَبي هـــذا العَصيرْ[٦]
من كلِّ رائعـــةِ الفنـــو نِ تَحـــارُ بـــالــدرِّ النَّثيرْ
في حُلَّـــــةٍ زَهْراءَ تَعْـ بَثُ بـــالــدِّمَقْسِ وبـــالحريرْ[٧]
الفنُّ أنتِ بعثتِـــــــه والفنُّ رَيْحـــانُ الصُّــدورْ
صِنْـــوُ العنـــادلِ والهــديـ ـلِ ، أخـو الرواعـدِ والهـديرْ[٨]
أغرودةُ المغلـــــولِ في حَمْـلِ القــلائـــدِ والأسيرْ[٩]
أُلْهيَّـــــةُ الملهـــوفِ،في مَضَضِ الشــدائــدِ والحسيرْ[١٠]
والفنُّ إنْ سَحَبَ الـــذيـــو لَ فــــلا جليــــلَ ولا خطيرْ
يُـــدْمي جبـــابرَ الشُّعـــو بِ بكلِّ قـــاصمــةِ الظُّهـورْ[١١]
ويُهـــزُّ داهيـــةَ الملـــو كِ بكلِّ داهيـــةِ الأمــورْ[١٢]

☆ ☆ ☆

يـــادوحـــةَ الأدبِ المضي ءِ لنـــا دُجُنّـــاتِ الضَّميرْ[١٣]
حَنَتْ عليـــكِ عقـــائـــلُ الـ فيحـــاءِ في اليـــومِ العسيرْ[١٤]

---

(٦) الجنى : مايُجنى من ثمر .

(٧) الزهراء : المشرقة النّيرة .

ـ عَبِث به يَعْبَث : استخفَّ .

(٨) الصِّنْو : إذا خرجت نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صِنْو ، والاثنتان صِنْوانِ ، والجمع صِنوانٌ ، وفي الحديث « عمُّ الرجلُ صِنْوُ أبيه »

(٩) القلائد : ج قلادة ، وهي ماجُعل في العنق .

(١٠) الحسير : الكليل الضعيف ، (وهو معطوف على الملهوف) .

(١١) قَصَم الشيءَ : كسرهُ ، وقصم ظهره : أنزل به البليّة .

(١٢) الداهية الأولى : الذي يتصرّف بدهاء ، والثانية : المصيبة والأمر العظيم .

(١٣) الدُّجُنّات : ج دُجُنَّة وهي الظلمة .

(١٤) العقائل : ج عقيلة : وهي المرأة الكريمة المخدرة .

ـ الفيحاء : لقب دمشق .

من كلِّ حـــاليـــةِ العفـــا ... فِ تميسُ في الخُلُــقِ الطَّهــورْ
خَطَبَتْ بَكـــورَ المكرمـــا ... تِ بكلِّ غـــاليـــةِ المُهــورْ[١٥]
تركتْ نعيمَ قصـــورِهـــا ... فـــاستـوحشتْ تلــك القصـورْ
وتجشَّمتْ صَخَبَ الحـــــوا ... دثِ لا ونـــــاءَ ولا فُتـــورْ[١٦]
في الـــزَّمهريرِ تطـــوفُ بـــالـ ... وطنِ اللهيفِ وفي الهَجيرْ[١٧]
تـــدعـــو إلى حَرَمِ الثقـــا ... فـــةِ قبـــلَ مرهـــوبِ المصيرْ
هـــــذي المكارمُ في النحـــو ... رِ زُهـــا الترائبِ والنُّحــورْ[١٨]

☆ ☆ ☆

يـــابنتَ جِلَّـــقَ والنـــدا ... ءُ نـــداءُ ريـــانِ الشعـــورْ
آبـــــاؤُكِ البيضُ الكرا ... مُ مَشَـوْا على هـــامِ العصـورْ[١٩]
سلطــــانُهمْ زَحَمَ السهــــو ... لَ وخـاضَ مـوجـاتِ البحـورْ
نَهْيٌ وأمرٌ في الرِّقـــــا ... بِ ولا رقيبَ ولا خفيرْ[٢٠]
يتبخترونَ على شبـــــا ... بِ الـــدهرِ في ظـــلِّ السريرْ
بـــالعبقـرِيـــةِ والأسنَّـ ... ـــةِ والصليـلِ وبـالصريـرْ[٢١]

---

(١٥) البَكور : المطر في أول الوَسْميّ ، والوَسْمي أول مطر الربيع .

(١٦) الوناء والونى : التعب .

(١٧) الهجير : شدة الحرّ .

(١٨) الزُّها : النضارة والحُسْن ، وزُها الدنيا : زينتها وزخرفها .
- الترائب : ج تريبة وهي العظمة من الصدر .
- النحور : ج نحر وهو أعلى الصدر .

(١٩) البيض : ج أبيض وهو الرجل النقيّ العِرْض .

(٢٠) الرقيب : الحارس .
- الخفير : الحامي الحافظ .

(٢١) الصليل : صوت السيوف .
- الصرير : صوت القلم .

يـــابنتَ جِلَّــقَ خلِّـــدي ذكراهُمُ مِـلْءَ الـــدهـــورْ

☆ ☆ ☆

هـــذي دمشـــقُ تكادُ من عَبَثِ السنينَ بهـــا تَمــورْ[22]
صبرتْ على عَنَتِ الهـــزا هـــزِ لانصيـرَ ولا ظهيـرْ[23]
في هـــداَةِ الطفـــلِ الـــوديـ ـــعِ وثـورةِ الشعبِ القـــديرْ
أملتْ صحـــائفُهـــا على أيـــامِهـــا حُمْـرَ السُّطـــورْ
هـــذي القبـــورُ شهيـــدةٌ فـــاستشهِـدوا هـــذي القبـورْ
سَلِمَتْ دمشـــقُ علـى الـــورو دِ إلى الردى وعلى الصُّـــدورْ[24]

☆ ☆ ☆

هـــــلا نهضـتِ بنيـرَبَيـ ـــهـا نهضـةَ الأسـدِ الهَصـورْ[25]
هـــاتي الجَنِيَّ من الجهـــا دِ خـذي الجنيَّ مـن الشُّكــورْ[26]

٣٠ كانون الثاني ١٩٣٠

---

(٢٢) ماريمور : ثار .

(٢٣) الهزاهز : الشدائد .

(٢٤) ورد الماءَ ورُوداً : صار إليه ، والورود خلاف الصَّدَر والصُّدور .

(٢٥) النيربان : مُتنزه بدمشق .

ـ الهصور : الأسد لأنه يهصر فريسته أي يكسرها كسراً .

(٢٦) الشُّكور والشُّكر : مصدران لفعل (شكر) .

وقال يرثي صديقة والدته:

لـم يغـب طيفـك عنـا يـا صبـا ... مـا سـجا الليـل على هـذي الرُّبـا
كلمـا مـرّ علينـا في الدجـى ... خفـق القلـب بنـا واضطربـا
فسـكبنا الدمـع مـن أعيننـا ... وسـقينا الـورد ممـا سـكبا
قـد مـلأتِ العمـر بـراً وتقـى ... لا تظنـي الـبرّ فينـا ذهبـا
فاستريحي في حمـى اللـه، أمـا ... حـان أن يطـرح عنـك التعبـا[1]

وقال مخاطباً الشريف حسين بن علي بعد استيلاء الملك عبد العزيز على مكة:

مـاذا جنيـت فـأنت اليوم مسـلوب ... تـاج الملوك وأنـت اليوم مغلـوب

ذكر الحصني أنها مشهورة، ولم يورد غير المطلع[2]..

وقال:

مجـد العروبـة اقفـرت عرصاتَـهُ ... والضيـم حـل فـأين أيـن أباتـه؟
جـرح بسـيف البغـي آلـم وقعُـه ... كبـدَ الحيـاة فـأين عنـه أسـاته؟

ومنها:

وإذا الهوان دهى الحياة فموت من ... أنـف المقـام علـى الهـوان حياتـه
هـل يبلـغ الوطـن المفـدى حقـه ... وإلى بنيـه مـن البنـين شـكاته
أيُشـادُ معهـد عِـزّه وزمامـه ... بيـد العـدوِّ وهـادموه بُناتـه
وفيـالقٌ حشـد العـدو خميسَـها ... في مـأزق عضَّـتْ بـه لهواتـه
طلعـت عليـه كتيبـة عربيـة ... فجَـرَتْ علـى أسيافها مُهجَاتـه
لا تـزدر الليـثَ الحبيـسَ فربمـا ... عـادت وقـد شـهدَ الوغـى وثباتـه
ليسـت ليعـربَ فتيـة لـم تَحيـهِ ... في موقـف عجَّـت بـه فتياتـه
بـرزتْ فغيرَ الـدوحِ لـم تَـرَ مفزعـا ... تحنـو علـى أطفالهـا أثلاتـه

---

(١) نشرت هذه المقطوعة في مجلة الثقافة بدمشق عام ١٩٦٠.

(٢) منتخبات التواريخ لدمشق ٢/٨٩٥.

أتبيت نهب العاديات خدورُها ويضمُّها الوادي ومنعطفاته
لا أعذر الصخر الأصمَّ وقد وعى تَنّحا بهَا ألا تلين صفاته

قال علي الطنطاوي عن هذه القصيدة: إنه نشرها أيام الثورة، ولم يصرح فيها باسمه[١].

وقال:

لله ظلٌّ على الفيحاء ممدود لا يقلق الشامَ تهويل وتهديد
هل تسمعون وقد نادى جموعَكمُ من جانب الوحي توفيق وتسديد[٢]
حلم على جنبات الشام أم عيد لا الهم هم ولا التسهيد تسهيد[٣]

وهما من قصيدته (حلم على جنبات الشام أم عيد) ولكنهما لم يذكرا في الديوان.

وقال:

أينوح هذا العندليـ ـب على الغصون ولا حذرْ
لا الليل يحجب من أغا نيه ولا ضوء السحر
تغريده ملء السما ع، رفيفه ملء النظر
وكأن في نَوْحاته من كل خاطرة أثر
فيها الحنين وقد صفا بين الأنين وقد كدر
فكأنما أنفاسه سِحر يطوف على البشر
ينسلّ من أضلاعهم قلق الجوانح والضجر
حتى ترى وضح الوجو ه يفيض من وضح الفكر
هذا الهديل على السجيّـ ـة لا لحون ولا وتر

---

(١) انظر ذكريات علي الطنطاوي ١/٢٣٤.
(٢) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ٤٠، محمد عادل الهاشمي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
(٣) ديوان نوح العندليب ٦٧.

لــــو قيّــدوا هـــذي العنـــا دل جـــفّ في الـــروض الزهـــر

أيجـــول ليثـــك يـــا عريـــ ــــن ولا رقيـــب إذا زأر

وكأنمـــا هـــز الســـما ءَ زئـــيرهُ لمـــا انفجـــر

النـــوم مـــلءُ جفونـــه والمشـــي بَختـــرةً أشـــر

في نابـــهِ المـــوتُ الزعـــا ف، وعينِـــهِ لهـــبُ الشـــرر

تخشـــى الســـباعُ مَصَالَـــه فتـــفرّ منـــه ولا تكـــر

مـــا همُّهـــا إلا رضـــا هُ غـــاب عنهـــا أو حضـــر

الغـــاب ملـــك يمينـــه مـــا جـــلّ منـــه ومـــا صغـــر

مـــا أفقـــه إلا العـــرا ء يُســـاء فيـــه أو يســـر

يـــأبى الإســـار وليـــس يـــأ بـــى المـــوت إنْ مـــوتٌ بَـــدَر

لـــو قيّـــدوه اربَـــدَّ وجـــ ـــه الغـــاب غيظـــا واكفهـــر

أرأيـــت هـــذا اليـــمّ إن هـــدأ العبـــابُ وإن هـــدر

فكأنـــــه وادٍ يغـــــو ر وتـــارةً جبـــلٌ طفـــر

مـــا بـــين مرتفـــع يـــرو عـــك علـــوه أو مُنحـــدر

فمـــن المُـــغيث إذا طمـــا صخـــبُ الغـــوارب أو زخـــر

الريـــح تعصـــف بالسفيـــ ـــن فليـــس تبقـــي أو تـــذر

والعاصفـــات علـــى العُبـــا ب، كأنهـــا غضـــبُ القـــدر

مـــا المـــوج إلا صـــورة الغضـــ ـــبان مـــن بـــين الصـــور

لـــو قيّـــدوا البحـــر الخضـــمّ لمـــاج، وانشـــق القمـــر

ويـــح الأســـير، فهـــل لـــه نـــوح العنـــادل إن أُسِـــر

أو صولـــة الليـــث الهصـــو ر إذا تزلـــزل واحتُضِـــر

أو ثـــورة البحـــر الخضـــمّ إذا تضـــايق أو حُصِـــر

ســـكران مـــن شـــدّ الإســـا ر علـــى الضلـــوع، ومـــا ســـكر

ســـهران مـــن ثقـــل القيـــو د أمـــا يطـــوح مـــن الســـهر

أعمـــى الفـــؤادِ ومـــا خبـــا في عينـــه نـــورُ البصـــر

عـــيّ، فليـــس يُبـــين إن	نظـــم البيـــان وإن نـــثر
سُـــدّ الســـبيلُ عليـــه إن	ورد الســـبيل وإن صـــدر
القيـــد شـــتّتَ فكـــرَه	والأســـر بعـــثرَ مـــا خطـــر
مـــا ذنبـــه مـــا خطبـــه	هـــل ضـــل يومـــا أو كفـــر
أيعيـــش هـــذا النســـرُ حـــراً	لا يخـــاف إذا نســـر
أيثـــور هـــذا الليـــث إن	شـــدوا عليـــه أو حُجـــر
أيهيـــج هـــذا اليـــم مـــن	غضـــب إذا الليـــل اعتكَـــر
مـــا بـــال مـــن حمـــل الســـلا	ســـل يســـكتين إذا قُهـــر
فكأنـــه ميْـــتٌ فـــلا	حـــس يـــدوّي أو خـــبر
لـــو تقـــذف الحجـــرَ الرميـــ	ـــمَ ســـمعت صوتـــا للحجـــر
أو تضـــرب القـــط الألـــوف	لـــوى بـــرأس أو كشـــر
خـــيرٌ مـــن الجنّـــات في	أســـر تكـــابده ســـقر
مـــا لـــذةَ المـــاءِ القـــرا	ح إذا ألـــمّ بـــه العَكَـــر

* * *

الحـــر يكســـر قيـــده	والعبـــد يعبـــد مـــا انكســـر[1]

وقال في مقطوعة جعلها مقدمة لكتاب عنوانه «نضال»، ألّفه نجيب الريّس[2]، عام ١٩٣٤م:

قلـــم مِســـعْر إذا مـــسّ فكـــرا	نطـق الفكـــرُ مـن لهيـب سـعيرِهْ
يتلظـــى الشـــعور في جانبيـــه	وقـــوام البيـــان وهْـــجُ شـــعوره
ثـــائر في «نضالـــه» مســـتثير	ثـــورة اليـــم في زحـــام صخـــوره
لـــم يغمغـــم بـــين الســـطور أمـــا هـــزّ	كَ هـــذا الإخـــلاصُ بـــين ســـطوره
فـــاملأ الحـــس مـــن عواطـــف قلـــب	ملهـــم الصـــدق في ســـنا تصويـــره

(١) جريدة الإخاء الصادرة في طهران، بتاريخ ١ تشرين الثاني ١٩٦٥ م.

(٢) نجيب الريّس (١٨٩٨ ـ ١٩٥٢م) صحفي سوري، ووطني مناضل، عمل في صحيفة القبس، واعتقل كثيراً وسجن لمناهضته الانتداب الفرنسي. (الأعلام ٨/١٣).

هَتَفاتٌ على الحمى معرباتٌ   عن هضيم الحق وعن مقهوره[٣]

وقال إثر وفاة صبري العسلي الأمين العام للحزب الوطني:

أغريبٌ في ربعه ما بالُهْ   كلما جال ضاق عنه مجالُهْ
فتراه يحدّثُ النفس في السر   ومنهُ جوابه وسؤاله
لا تلمه إذا استبدّ به اليأ   س ولم تبتسم له آماله
أحرام على الجفون هدوء الـ   ـجفن حِلٌّ بما يُمِضّ اكتحاله

* * *

أين ربعي وأين منه رجال   ذهب الربع واستُطيرت رجاله
اتناجي أبا شجاع وقد غا   ب فهذي العيون كيف تناله
هاج في أعماق القلوب دفين الـ   ـحزن فالقلب هائجٌ بلباله
ذكّرتنا أيامهُ زمناً ولّـ   ـى تولت قصاره وطواله
أفما كنت من بقايا نضال   ملأت تاريخ الحمى أعماله
ذكّرِ الشام ما بنت ثورة الشا   م، فأين البناء أم أين آله
أنسينا زلزالها في الليالي   كيف يُنسى من الردى زلزاله
حقبة من زماننا نال منا الضـ   ـيمُ دهرا وطال فينا مناله
ليس فيها للناس أمر ولا نهـ   ـيٌ فما أمرنا وما مثقاله
فاستوى الموت والحياة فنعم الـ   ـموت إن حل بالفتى إذلاله
ما رفيف الريحان في وضح الصبـ   ـح إذا أخفتْ طِيْبَه آصاله
ما جلال التاريخ إن عقّه الشعـ   ـبُ وألوى بسحره أطفاله
وإذا الشعبُ زال ذكرُ المواضي   من معاليه آن منه زواله

* * *

عجبا كيف يهدأ الشام والشا   م استبيحت في عُقّره أجباله
أيبيت العدو فوق جبال   تتراخى على الجبال ظلاله

---

(٣) من مجموعة قصائد مخطوطة في حوزة شقيقه رؤوف.

أيســر العيــونَ غمــضُ الليــالي أفمـــا أرّق العيـــونَ احتلالـــه
كيف لم نَحْنِ رأسَنا في احتمال الـ ـعار في الشام طال منا احتمالـه
ملّ منا الصبرُ الجميل ألم يعـ ـل على الأرض والسماء ملالـه
أين من يدفع الهوان عن الشام م وأيـن اهتزازه ونزالـه
اخفض الصوت وادفن الحزن حتى يـأتيَ النصـرُ أو يهـلّ هلالـه
باطل طـال جَولُـه فاسـأل الأيـ ـام عنـه متى يُـرى اضمحلالـه

* * *

قربـوا قربـوا الوصـول إلى المـرّ يـخ ليـت المريـخَ سـهلٌ وصالـه
أتـرى الحـر في ذراه طليقـا لـم تُقَيَّـدْ يمينُـه وشـماله
أتـراه إذا تصـدى لقـول جلجلـت دون فَزْعـةٍ أقوالـه
وإذا صـال في ميادينـه الفِيـ ـحِ تـنزّى صليلـه وصيالـه
أنسينا الليـاليّ السـودَ هـل يُنـ ـسى زمانٌ مـلءُ الحمـى أهوالـه
ليس يـدري الفتى أيسلم من أغـ ـلالـه أم تَلـوي بـه أغلالـه
ليت هـذا الشبابَ يعلم مـا كلـ ـف أشـياخَ ربعـه اسـتقلاله
مـن هشـيم علـى الجبـال تـردّى وحصيـد علـى الرمـال اغتيالـه
لـو تغنّي الرمـال لحـن المآسـي لتغنـت فـوق البطـاح رمالـه
أو تَبـين الأطـلال مـا كابدتـه لأبـانت شـجونَها أطلالـه
رب فعـل أتـى بغـير مقـال ومقـال لـم تسـتبن أفعالـه

* * *

يسـأل الليـل والكواكـب والأفـ ـلاك أيـن الحمـى وأيـن رجالـه
لا تسل عن تاريخك الطلق هل يشـ ـفي جريحـا مـن جرحـه تسـآله
أيـن مـاضٍ إذا القتـال تلظّـى زحـم الليـلَ والظـلامَ قتالـه
وترامى على الخطوب كـأن الـ ـخطـبَ فجـرٌ تشـوقه أذيالـه
فـاحبس الدمـع لا تَبُـلّ بـه الخـدّ فمـا يغنـي بـالدموع ابتلالـه

* * *

أيعفّي العقوق ما غادرته ... أعصرُ فيها عزُّنا واختياله

كيف تحيا الربوعُ من دون ماضٍ ... يتهادى على الربوع جلاله

نهدمُ اليوم مَا بناه لنا الأمـ ... ـسُ فيُطوى بناؤه وكماله

ما حياة الأحرار إلا بيانٌ ... يملأ الكونَ سحرهُ وحلاله

إنما النقد للخصال كمرآ ... ةٍ تجلّت للمرء فيها خصاله

ليس يخشى المرآةَ إلا قبيح ... ندَّ عن وجهه القبيح جماله

وأرى الوجه إن أدل بحسن ... ملأ الأرض ضجةً إدلاله

ما سلاح المَضِلِّ غير قيود ... يتوارى خلف القيود ضلاله

خذ متاع الحياة مني وخل الـ ... ـقلم الحرّ دافقا سلساله

كيف حال الورد النضير إذا ما ... حجبوا الشمسَ دونه كيف حاله

* * *

خطرات أردُّهنّ ويرجعْـ ... ـن فما بال طيفها ما باله

جمح الشعرُ ما أردت جماح الشـ ... ـعر لكنْ طغى عليه خياله

وإذا الشعر أشعلته المآسي ... زلزل الليلَ والضحى إشعاله[1]

(١) عشرة من الناس ٨٩.

بلا عنوان

كتبت بعد سجن زعماء الشام في عهد الاحتلال الفرنسي

هذي السياسة بالتضليل قد صُبِغَتْ فأيُّ مملكةٍ قامت بتضليلِ
قد أحكموا الزمرَ والتطبيل فانفردوا بحَذقِهم كل تزمير وتطبيل!
فقل: هنيئاً لهم هذا الذي حَذَقوا فنعم تبريزُهم في كل تدجيل
سَرْعان ما انكشفت نيَّات دولتهم وجرِّد الحقُّ من بين الأباطيل
يا من مشيتم إلى سجن يُطيف به عزُّ الشمائل، مشيَ الأسدِ في الغيل
كنتم على السجن أحراراً وغيركم يلقى العبودة في كذب الأقاويل
ليس السجينُ الذي غُلَّتْ يداه فكم من مُطلق بهوان القلبِ مغلولِ
قد يُقهرُ البُطل في أيدٍ مسلَّحةٍ ويغلبُ الحقُّ في أيدي المعازيل
يا جولة الباطل السوداء صفحتُه قد طال أَمرُك زولي فجأة زولي
متى أرى الأفق مغبَّراً تموج به جوانب الأفق في طيرٍ أبابيل
تغدو علينا بأظفار محدَّدة ترمي الذين أضاعونا بسجيل!
فيطمس الله من آثار دولتهم حتى نراهم كعصف الحقل مأكولِ

شاعر الشام يرثي فارس الخوري

أين من مرّدوا على الشآم صرحاً   تتهادى على الليالي ظِلالَه

أين من صيّر المذلّة عزاً   يملأ الأرض والسماء اختياله

أين ماض إذا النضال تلظى   زحم الليلَ والظلام نضاله

لا تسل عن رجالك اليوم هل يُر..   ..وي غليلاً طيّ القلوب سؤاله

رب ذكرى كأنها لهب الهضا..   ..ب وهل يطفئ اللهيب اشتعاله

* * *

درج الشيبُ والشباب فما في الـ   ـقاع أسرا به أو آله

أين شيخ الحمى وفارسه الغر   د يدوّي به الحمى وجلاله

صحب الناس والزمان فَمَا ضلّ..   .. سبيلاً أنّى يكون ضلاله؟

عرف الدهر قبل أن يولد الدهـ...   ..ـر فأوفى على الكمال كماله

وبلاَ القبح والملاحة منه   لم يَفَتْهُ أجاجُه وزُلالَه

أي أفقٍ لم يسرح الفكرُ فيه   أي فكر أعيا عليه عُضاله

ما احتفال الحِمى بفارسه هيـ....   ...ـهات يجلو غَمٌّ الربوعِ احتفاله

أمةٌ وحدَهُ فإن أظلم الليـ.....   ...ـل أضاء الليل البهيم صِقاله

من بقايا السيوف سيفٌ على الشا..   . .م، وهذي ملء العيون نِصاله

لم يكن شِبلَه الوحيد (سهيلاً)   كل فتيان جلِقٍ أشباله

كيف أنسى من الأحاديث يجري   في تضاعيف سحرها سِلّسا له

يُطرد الغمُ عن مجالسه البيـ....   ...ـيض، فيصفوا مزاحه وجلاله

لو أقمتُ العمر الطّوال حواليْـ....   ..ـه، لما روّى مقلتيّ طِواله

كل فنّ من الفنون له منـ...   .. ـه نصيبٌ، يسبيك منه قَلاله

ولهيبُ العيون! إن جادل الأقـ....   ..ـوام، أغنى على الجدال جداله

فترى منه ضجة تقتَل الخصـ..... ..مَ ولـم يسـفح الدمـاء قتالـه
لم أقل فيه ما يفيض به الصد.... ..ر، فَمَا فيضه ومـا أقوالـه؟

* * *

لـم يكـن آلـه غساسـنة الشـا م، ولكـن كـلُّ الجزيـرة آلـه
كـل أبطالهـا، سـواء أشـطت بهـم الـدار أم دنـت، أبطالـه

* * *

من (مسودة مخطوطة) قصيدة لم تلق ولم تنشر.

بـلابـل دوح

سل الشآم، من غنى حماهـا فأطربـا ومـن راح يسقيها الشراب المطيبـا
تمطـى عليهـا الليـل حتـى كأنمـا تسـد دياجيـه علـى الصبـح مذهبـا
غيـاهب ليـل كلمـا غـاب غيهـب عن الأفق أرخى الليل منهـن غيهبـا
فمـا تسـمع الآذان صوتـا منعمـا ولا تلمـح الأجفـان وجهـا محببـا
خـلا مـا أتانـا مـن حنين محمـد[1] فجـدد مبكـى في الديـار ومنحبـا
أتانـا، وقـد عفنـا الحيـاة وزهوهـا كأن الذي يسبي من الزهو ما سبى
ترامـى وراء اليـم يشـكو جراحـه فخـاض خضمـا ثـم جـاوز سبسـبا
يكـاد عبـاب اليـم يبكـي لجرحـه فيهـدر منـه المـوج حتـى يرعبـا

* * *

فتى الشعر، غن الشام عني فإنني بحت، فهل ألقى من الشعر مغربا
لقد لصقت بالشعر روحي فلم تجد لهـا منزعـا دون القـوافي ومطلبـا
فمـا أنـت إلا مـن عنـادل جنـة إذا غـردت هـزت ثراهـا فأعشـبا
لقد هجت مني أدمعا صُنتُ درهـا أتحسـب أنـي لـن أنـوح وأنحبـا؟
أتحسب لاتدمـي جراحـك مهجتـي متى كان قلبي في جراحـك صلبـا؟
متى كان دمعي لايسيل علـى الحمى إذا أقفـر الربـع المنيـف وأجدبـا؟

* * *

أخي في القوافي، لا أخي حـول مكسب فما نبتغـي في دولـة الشعـر مكسبا
رضينـا مـن الدنيـا بعـز كرامـة هنيئا لمن أضحى علـى الـذل أشعبا
إذا زحمـوا دون السفاسـف منكبـا مشـينا إلى العليـاء نزحـم منكبـا
فغـرد وغـن الشـام لحنـا يهزهـا إذا قلت شـعراً هـاج منهـا وألهبـا!
بلابـل دوح عـن ذراهـا مـذودة وغربـان سـوء مفلتـات لتنعبـا!

---

(١) محمد، اسم بدوي الجبل.

* * *

أطوف بعيني لا أرى غير معشر ... حضور ولكن تحسب القوم غيبا
سكارى وما دارت عليهم كؤوسهم ... فلا الدن فياض ولا الكرم عنبا
فأين لهيب الحس يذكي قلوبهم ... فهل مات هذا الحس فيهم وعبعبا؟
لو استطاع هذا الصخر فوق جبالهم ... تشكى إلى أجبالهم وتعتبا
خلت من رجالات الحمى أربع الحمى ... فلست ترى ربعا عليهن مخصبا
أروح وأغدو موحشا فوق جلق ... فلست أرى ملهى عليها وملعبا
كأني غريب بين أهلي ومعشري ... وأفدح خطب أن تكون مغربا
إذا انفتحت نفس رأتني مغلقا ... وإن ضحكت عين رأتني مقطبا
ولولا اعتزالي في الجبال وجردها ... لغال فؤادي ما أمض وعذبا
ففي كل لحظ جندب جر جندبا ... وفي كل لمح عقرب لز عقربا
حجبت عيوني عن مشاهد سمجة ... وإني سأبقى دونهن محجبا
ولو ملكت نفسي عنان انطلاقها ... لطوفت حول الأرض شرقا ومغربا
فإن لم أجد لي مسربا في فجاجها ... زحفت إلى المريخ أطلب مسربا
لعلي أرى فيه مناصا من الأذى ... فلا ينشب المريخ ظفرا ومخلبا
لعلي أرى درب البيان ممهدا ... إذا نفث المصدور لن يتهيَّبا
فلم تر عيني مثل دهر أعيشه ... أنام كئيبا ثم انهض أكأبا
كأن البلايا ملقيات ظلالها ... تغادي قبيلا أو تراوح ربربا

* * *

أخي! غنِّ عني غوطة الشام إنها ... تفيض سرورا إن أفضت تطربا
ألم تر آثار القوافي بيعرب ... وهل حركت إلا الأناشيد يعربا؟
وهل بات إلا الشعر روح شعارنا ... فكان لنا أما وكان لنا أبا
فسل دولة الإغريق كيف «هميرها» ... بناها فأعلى من ذراها وأطنبا
فلولا حماسات القوافي وأهلها ... لما جر حد السيف نصراً ومغلبا
إذا أجدبت أرض سقتها رضابها ... فأحيت ثراها فاستطال وأخصبا

* * *

فكيف نجافي الشعر والشعر رمزنا ... فأين الذي يرعى البيان المهذبا؟

إذا صاح هذا الشعر صيحة مغضب ... فويل لمن تبت يداه فأغضبا

فلا تسمع الأحقاب إلا دويه ... إذا هو دوى في الأنام وأجلبا

* * *

نهدم من بنياننا كل شامخ ... فما أسه رملا ولا الأس توربا

إذا نحن لم نبعث مواضي دهرنا ... درجنا ولم ندرك على الدهر مأربا

ومن يجعل التاريخ خلف عيونه ... تعبعبه التاريخ فيمن تعبعبا

أنطمس ما أملى علينا من العلا ... ونولع بالسفساف منا لنكتبا؟

مواكب ملء الدهر عجت عجيجها ... فلم يبق منها الدهر للعين موكبا

تلفت تجد في صفحة الدهر عبرة ... فخذ ما صفا منها ودع ما تأشبا!

* * *

العندليب على البحيرة

يـــا نائحـــاً خلـــف العبـــاب أدمـــوع عينـــك أم لهـــاب؟

رفقـــا بقلبـــك أن يـــذوب وقنـــب ربعـــك أن يـــذاب

ضنى الصحـــاب مـــن الحنـــين أمـــا حنـــوت علـــى الصحـــاب؟

لـو يكتـب الدمـع اللهيـف لكـان مـــن دمـــع كتـــاب

مـــا بـــال جلـــق مـــا تجيـــب أمـــا لجلـــق مـــن جـــواب؟

«العندليـــب» علـــى البحـــيرة، والجوانـــح في اضطـــراب

مـل المقـام ـ و مـا يمـل مقامـه ـ فمتـــى الإيـــاب...

مـــا العاصفـــات علـــى السـماء ومـــا الثلـــوج ومـــا الربـــاب

مـــلء العيـــون الغوطتـــان عليهمـــا.. لـــين الجنـــاب

أيشـــوقه مـــن آل جفنـــه فيهمـــا ظـــل مهـــاب

فمتـــى يطـــوف «العندليـــب» عليهمـــا «طـــال الغيـــاب»

هـــون عليـــك إن اســـتطعت، فمـــا المـــلام، ومـــا العتـــاب

لابـــد مـــن إشـــراقة تجلـــو عـــن الأفـــق الضبـــاب

* * *

لـــو تســـتطيع هـــوت إليـــك شـــيوخ ربعـــك والشـــباب

حبـس الخطـا عـن زحفهـم قيـــد ينـــوء بـــه الصعـــاب

ضجـت شـعاب الغوطتـين، فمـا الضجيـج علـى الشـعاب

مـــن كـــل غـــل للبيـــان وكـــل ذل للرقـــــــــــاب

يـا ويـح جلـق مـا تعـاني الغـو طتـــان مـــن العـــذاب

الفجـــر مضطـــرب الضحـــى والليـــل مســـود الخضـــاب

نمسـي ونصبـح لا ابتسـام علـى الثغـــور ولا دعـــاب

لا العـــين تهـــدأ في المجـــيء ولا الجوانـــح في الذهـــاب

فهـل الذئـاب علـى الصفـاح، ومـن يغيـث مـن الذئـاب

فكأنمـا شـبح الخـراب يلـو ح مـــن أفـــق قـــراب

دخلـت بلايا الدهـر ربـع ... أميـة مـن كـل بـاب
طفـل يـذوب مـن الشـجون ... وطفلـة تشـكو المـذاب
سـقط الحجـاب عـن العيـون ... فمـا يغشـيها حجـاب

* * *

بنـت الخلائـف والملـوك ... علـى الأرائـك والقبـاب
أين القصـور ومـن تبختـر بينهـا ... أيـن الكعـاب؟
أيـن الذيـن إذا مشـوا ... مشـت الجبـال مـع الركـاب؟
دوت بـك الدنيـا فمـاج ... دويّ صوتـك كالعبـاب
طـال المصـاب وطـال صـبرك ... يـا دمشـق علـى المصـاب
مـا كـان صوتـك في النـداء ... إذا تعـالى لا يجـاب
أسـئمت مـن طـول الوثـاب ... وقـد نشـأت علـى الوثـاب
غـالبت حتـى مـل منـك جهـاد ... قومـك والغـلاب
مـا ذل رأسـك للأسـنة ... والصـوارم والحـراب
مـا غرهـم الا الخفـوت، ... متـى الجمـاع، متى الهبـاب
لـم تبـق منـك معـالم إلا انطـو ... ت طـيّ العيـاب
فكأنمـا للقـوم هـمّ في خبـا ... رك والتبـاب
هـذا عقـاب مـن اسـتنام إلى ... الأذى، هـذا العقـاب

* * *

تلـك الأضـاحي يـا دمشـق ... كأنهـا أضحـت معـاب
أثـواب أهلـك أن تبيـد ... ديـارهم؟ بئـس الثـواب
مـاذا جنيـت وأنـت مـن كـرم ... الشـمائل في اللبـاب؟
مـا شـاب ودك شـائب، ... حاشـا الودك أن يشـاب
هـذي الضغـائن في الصـد ... ور كأنهـا لهـب الشـهاب
هـل يطفئـون لهيبهـا أم ... دعـوة مـا تسـتجاب
طـاش الصـواب، وكيـف تهـد ... ي القـوم إن طـاش الصـواب

* * *

لهفى عليك وكيف تنقع لهفة	جهد اللؤاب
لا جنح ليلك بالقصير ولا	لشمسك من لعاب
أطرح كئوسك والشراب،	فما يطيب بها الشراب
تلك الليالي البيض مرت في	الحمى مر السحاب
حلم كأحلام العطاشى	يغرهم لمع السراب
أين العنادل بين وهدان	الخمائل والهضاب؟
نعق الغراب فليس	تسمع غير تنعاق الغراب
ليست دموعاً، ما سكبت	شغاف قلبي في انسكاب!

* * *

حنين الغريب

جواباً على قصيدة «بلابل دوح» نظم بدوي الجبل القصيدة التالية وعنوانها «حنين الغريب». وقد نظمها على ضفة بحيرة ليمان في جنيف، وأهداها إليها.

وفاء كمزن الغوطتين كريم ... وحب كنعماء الشآم قديم
وشعر كآفاق السماء تبرجت ... شموس على أنغامه ونجوم
يلم «شفيق» كوكبا بعد كوكب ... ونشق منها العقد فهو نظيم
معان بألوان الجمال غنية ... كما زف ألوان الطيوب نسيم
ووشي كأحلام الشباب يصوغه ... أنيق بأسرار البيان عليم
سقاني سلاف الشعر حتى ترنحت ... دموع وغنت لوعة وكلوم
ففي كل بيت ريقة أو سلافة ... وريحانة شامية ونديم

* * *

مناجاة البحتري

أتـــراهُ يصْغــــي إلى نجوانـــــا ... قـد كفانــا مــن الأذى مــا كفانـــا
أفسدوا الشِّـعْرَ بـالجديدِ مـن الشِّعْرِ ... وظَنّـــوا جديدهـــم فتّانـــــا
يتلهّـــون بالسَّفاســـف منــــه ... حســبوه لَهْــواً فــذلّ وهانــــا
كَـلَّ يـومٍ نـرى فنونـاً مـــن القـول ... فعفنـــــا الأقـــوال والأفنانــــا

* * *

يـا فتـى طيِّـئ فهـــذي القـــوافي ... تــترامى إليـــك تشــكو شـــجانا
قُـمْ وغَـنِّ الديـار شِـعْرَكَ وامـلأ ... أُذُنَ اللَّيـــل والضُّحـــى ألحانـــا
اينَ آيـاتك اللّواتــي مــلأنَ العـين ... حُسْـــناً وسَـــمْعنا إحســـانا
من قوافٍ تشفي العليل مـن السقمِ ... وتنفـــي عـــن قلبـــه الأشـــجانا
وهَزَزْت القلوبَ في مضض الحَبِّ ... فلاقـــتْ مِـــنَ الهـــوى ألوانـــا
لـم يغـبْ عنـكَ مـا تكّتمـه العـينُ ... ولا مــا ألقـــت إليـــك فبانـــا
فـاضَ فينـا غنـاءُ شِـعْرك دَهْـراً ... فســقانا مــن الهــوى مــا ســقانا
عشـتُ في سِـحْرك الحـلال زمانـاً ... أتلهّـــى وقـــد حمــدتُ الزمانـــا
وسـهرتُ اللّيـل الطويـل أرجّــي ... مـن شـجون اللّيلِ الطويلِ الأمانـا
وإذا الشـيب قـد علانـي فـإنـي ... في شـباب رّويـت منـه الجَنانـا
لا تقـل شـيَّخت فـؤادي الليـالي ... إنمـا الشـيخ مـن تحـامى الحسـانا

* * *

أيـن دنيـاك والعيـون اللواتـــي ... ليَّنـــتْ قلبنـــا الحديـــد فلانـــا
كـم بلـوت الهـوى وذقـت شـجاهُ ... وبلـــوت الوصـــال والهجرانـــا
فقذفـت الشـعر الطـروب غنـــاء ... صغـت فيـه اليـاقوت والمرجانـــا
نعـم دُنيـا جـالت أغـانيك فيهـا ... فـــأذابت بلحنهـــا الأحزانـــا

* * *

نحـن في فـترةٍ مــن الدَّهْـرِ حـارتْ ... في دُجاهـــا قلوبنـــا حيرانـــا

ما نعمنا بالصبح إن بلج الصبح م ولا بالمساء في ممسانا
كم عيونٍ أخنى البكاءُ عليها وقلوب تطوي الدُّجى خفقانا
فكأن الزمان أصبح فوضى فاق في شؤم وجهه الأزمانا
يومنا مثل أمسنا أتظن الغدَ يأتي بغير ما أشجانا؟!
ملّتِ العينُ ما ترى من شجون وأصمَّت شجوننا الآذانا
قد عرفنا الداء العُضالَ فهل نعرف في بردائنا اطمئنانا
ليس شؤماً ما يسكب القلب إني لا أرى الشؤم للحياة ضمانا
نفثات فاضت على القلب حتى غلغلت في شغافه فيضانا

* * *

يا فتى طيِّئ، فأنت دواء الجرحِ م في جرحنا وفي بلوانا
رُبَّ شِعْر نشكو إليه جراحاً فيداوي الجراح من شكوانا
فَأَفِضْ فينا من صفاءِ القوافي ما نرى في صفائها سلوانا
أترانا ننسى الهموم إذا ما ملأ الشِّعْرُ سمعنا؟ أترانا؟

ويح الجزيرة

ويح الجزيرة قد ضلّت أراهطها عن السبيل، فما يجديك تأنيب
طف بالجزيرة واستعطف قبائلها فالنفس واجفة، والقلب مكروب
هل في الجزيرة أحياء يثوب بها إلى المراشد إخلاص وتهذيب
فيم التقاتل والأنساب تنظمها فكل حيّ إلى عدنان منسوب

* * *

رحِّب بمن يجمع الشمل الشتيت وما بغيره في ربوع الشام ترحيب
المنشىء العلم الخطار يبسطه على الديارات تجنيد وتكتيب
الجاعل العرب في عِز وفي دعةٍ ما يستطيل على أوطانهم ذيب
التارك النوم في توطيد عترتهم مَنْ عمره في سبيل العرب موهوب
رحّب بمن لم تلده بعد والدة فهو الجنين عن الأبصار محجوب

* * *

ما الملك فتح بلاد لا حدود لها وإنما الملك تدبير وترتيب
فما أقيمت عليه البيض مصلَته ولا أحاطت به الجرد السراحيب
فإن خلا لعدو العرب جوّكم أخنى عليكم، وأمر الله مكتوب
كأن أقطابهم والخصم يختلهم ختل الذئاب أضاحيك ألاعيب

* * *

إن كان رأيكم تأليف فرقتنا على الليالي، فللآراء تصويب
لقد سئمنا شتات العرب قاطبة فإن عقلتم فصدع العرب مرؤوب
وإن مشيتم إلى الهيجاء تحفزكم يد لعوب، فإرث العرب منهوب
قد يكذب الخصم في إنجاز ما في مواعيده إلا الأكاذيب
مرّت بنا عبرٌ، والدهر يخلسها فلم تهذب حواشينا التجاريب
بتنا نصدق تزوير المقال وما يهمنا فيه تمحيص وتشذيب
والخصم يحفر للأعراب حفرتهم وجه ضحوك، وقلب فيه تقطيب

* * *

من قصيدة لم تلق ولم تنشر بعنوان ويح الجزيرة بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٢٤

دمعة على كريم

أودى المنون بوحيد الآحاد ... وغدت على ربع الكرام عوادي

والدهر يعثر بالكرام وقلما ... عثرت صروف الدهر بالأوغاد

شلت يد الأحداث كيف تخرمت ... شرخ الشباب ونضرة الأعواد

ما كان لو طلع الصباح ولم يغب ... عنا ضياء الكوكب الوقّاد

لا تدرك الأبصار بعد غيابه ... في غرة الأصباح غير سواد

لو كان في دفع المنية مطمع ... لدفعتها عن روحه بفؤادي

لا تخلق الأيام مثل أمثاله ... إن الزمان يضن بالأجواد

أمهدم اللذات إن عيش صفا ... ومقوض الأركان والأطواد

ماذا طويت من محاسن في الثرى ... هل تنطوي العلياء في الألحاد

حق علينا ما حييت وقد نبا ... أن ندفن العلياء في الأكباد

حجبت صروف الدهر عنا سيرة ... منكَ المنون ملكت أي جواد

من محسن عشق المحامد والندى ... منذ عنفوان شبابه المياد

مازال يجهد في معالي نفسه ... حتى استوى فيه على الآماد

يتعهد الفقراء في جنح الدجى ... فينيلهم من طارف وتلاد

فمن المرجى عند دفع ملمة ... ومن المجيب لصوت كل منادي

هانت رزايا الدهر بعد رزيئة ... صرفت عيون القوم عن أهجاد!!

يفنى الزمان وليس يفنى ذكره ... إن القلوب له من الأغماد

إن الكرام إذا تقلص ظلهم ... بقيت مكارمهم على الآباد

* * *

يا غافلين عن الزمان وريبه ... إن الزمان لكم لبالمرصاد

إن كان قد ملك الرقاد عيونكم ... فالدهر ليس يذوق طعم رقاد

لا ترغبوا في العيش إن لم تكسبوا ... حسن الثناء ورفعة الأمجاد

فالمجد كل المجد في طلب العلى ... ليس العلاءُ بسؤدد الأجداد

وقال من قصيدة الوفد السوري الذي ذهب إلى باريس للمفاوضة عام ١٩٣٦

ثارت دمشق وملء الدهر ثورتها   شعب على مورد العلياء يزدحم

تكشف الشرّ عن أنيابه وغدت   مراجلُ الشر كالنيران تضطرم

أنّى التفتَ رأيت الأفَقَ ملتهبا   والجوَّ مضطربا والقيدَ ينحطم

يا صرخة لقوافي الشعر مُرْعِدةً   جرى بها الدمُ واشتدت بها النقم

يوم على الوطن الحمراء تربتَه   غنّى به الشعر والأوتار والنغم

تفلَّت الليث من قيد تكاءده[٢]   فماج بالليث هذا الغاب والأجم

ولو بنيت له الأقفاص من ذهب   ما كان في المَحْبَسِ الوهّاج يقتحم

لم ندرك النصرَ بالآمال نأملها   وإنما لحمنا أثمانه ودم

فلو نبشت الثرى والموت يملأه   تكلمت تحته الأشلاء والرمم

تلك الأضاحي وقد ضاء العراء بها   كأنها في سماوات الحمى نُجُمُ

في كل يوم هشيم عودُه نضِر   وكل يوم نجيعٌ دفقُه ديم

ضنت دمشق بما ضن الكرام به   حمىً عزيز وأوطان لها حُرم

وجادت الشام في ملك تحاوله   بما يعلمّ أهلَ الأرض ما الكرم

هذا الرفات على أفيائها كَلِم   جرى بها السيف لم يقذف بها القلم

هاج الصعيد بوفد الشام واضطربت   له المناكب سهل الأرض والعلم

خِلْت الوفود على كسرى تُبين له   ما أنكرته على نُعْماتها العجم

إن جادلوا الخصم لم تضعف أدلتهم   أو ناقشوه فما أعيوا ولافحموا

أمانة الله في أعناقهم حرم   لله ما حملوا منها وما جشموا

ما ضيّعوها ولا خانوا أمانتهم   تعهدت حفظها الأخلاق والشيم

مواقف كالصراط المستقيم فما   ملّوا مواقفهم يوما ولا سئموا

---

(٢) تكاءَده: شق عليه (اللسان).

* * *

هـذي المعـاهدةُ المـأمون عاقدهـا أمانـة اللـه لا خَـوْن ولاتهـم
أيـن المعـاهدة المشـؤوم طالعهـا وأيـن مـا دجّلـوا فيهـا ومـا هدمـوا
سلاسـل في ربـوع الشـام تثقلهـا فلـم يـراع بهـا عهـد ولا ذمـم

* * *

تلـك الـوزارات دحرجنـا هياكلهـا فمـا يـدبّ بهـا روح ولا نسـم
طمّوا الرؤوس وناموا في غضاضتهم سلواهم الليـل والظلمـاء والحلـم
يكون عهدا قضوا في شؤمه خدمـا هيهات ما تستوي السـادات والخدم
عاشـوا على فلتة الأيام عيشـتهم لو يعقل الدهر ما عاشوا ولا سلموا
كـل علـى حـرم الأوطـان متـهـم لا يرفـع الـرأسَ بعـد اليـوم متّهـم
يابـاني الملـك، ولا يُبنـى علـى أمـل وإنمـا الملـك ميـدان ومصطـدم
تجـري الدمـاء علـى أطرافـه دُفَعـا تَنـثر الهـام مـن حوليـه واللِمَـمُ
ما كانـت الراحة الكـبرى لـه عَمَـدا حـوض الممالك بـالأتراف ينهـدم
حريـة الشـعب مغمـوسٌ محاولهـا في قـانئ كـاحمرار الفجـر يحتـدم
لولا أضـاحِ علـى الأوطـان مشـرقةٌ ماكان أصعب ماضاموا ومـاهضموا
عاشت دمشق فما هانت على قِـدَمِ تزيـد في بأسـها الأيـام والـقِدَم
أحيـا الحديـد وفتيـان الحديـد لهـا رمز الرجولة، كاد الرمز ينحسـم[1]
هـمُ سياج الحمى في كـل نازلـة للـه مـا نسـقوا فيـه ومـا نظمـوا
إذا تخنثـت الفتيـان في وطـن فـالملك في خَنَـث الفتيـان مُغْتنَـم
أيفسـد النصر دسّاسـون تـأكلهم نـار مـن الحسـد الفتّـاك تضطـرم
خـافوا اللباقـة أن تجتـاح عجزهـم كما تخاف الضحى الليـلات والدهُـمُ
فمـا يبين يبين لهـم في ظلهـا أثـر كـأنهم في سـنا إشـراقها عـدم

---

(١) كتب رؤوف جبري معلقاً: «يقصد الشاعر القمصان الحديدية التي ألفها الوطنيون من الشباب أيام الانتداب.

* * *

تقاسموا الغُنْم والأوطان باكية وهل يطيب على دمع الحمى غُنُمُ

هذي الأضاحي فهل جفت جماجمها على التراب فما رقوا ولا رحموا

أكان همهمُ في كل معركة عدَّ الغنائمَ؟! لا راشوا ولا اغتنموا



فهرس القوافي

الدال

الراء

السين

الفاء

القاف

الميم

النون

الياء

جدول البحور والقوافي

البحر	عدد القصائد
الطويل	٥
البسيط	١٩
الوافر	٣
الكامل	٣٢
الهزج	٢
الرمل	٣
السريع	١
الخفيف	١٤
المتقارب	٥
المجموع ٩	٨٤

حرف القافية	عدد القصائد
الهمزة	٣
الباء	١٢
التاء	١
الحاء	٥
الدال	٩
الراء	١١
السين	٢
الفاء	١
القاف	٢
الكاف	٣
اللام	١٠
الميم	٦
النون	١٧
الياء	٢
المجموع ١٤	٨٤

فهرس القصائد الزمني

الفهرس العام



مكتبة
t.me/t_pdf